منارات الهدىٰ

دراسة موضوعية لمسألة الامامة ولحياة

الأئمة المعصومين عليهم السلام



تأليف:

العلامة الشيخ ابراهيم الأميني

منارات الهُدى

دراسةٌ موضوعيةٌ لمسألة الإمامة ولحياة

الأئمة المعصومين

بقلم:

العلّامة الشيخ إبراهيم الأُميني

تحت إشراف

الاستاذ الشيخ جعفر الهادي

اميني، ابراهيم، ۱۹۳۵ -
منارات الهدى، دراسة موضوعية لمسألة الإمامة ولحياة الأئمة المعصومين عليهم السلام / المؤلف ابراهيم الأميني؛ تحت إشراف جعفر الهادي.- قم: انصاريان، ۱۳۸۵.
٤٦٣ص.
ISBN: 964-438-813-5
عنوان أصلي: الگوهای فضيلت، امامت و امامان.
كتابنامه: ٤٥٠ - ٤٥٤.
١.امامت. ٢. ائمه اثناعشر، سرگذشتنامه. ألف. عنوان.
BP۲۲۳/ألف۸ألف۰۴۳ ۲۹۷/۴۵

منارات الهدى

دراسة موضوعية لمسألة الإمامة ولحياة الأئمة عليهم السلام

المؤلف: سماحة العلاّمة الشيخ ابراهيم الأميني
تحت إشراف: الاستاذ الشيخ جعفر الهادي
الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر
الموضوع: إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم
الطبعة الاولى: ١٣٨٥ - ١٤٢٦ - ٢٠٠٦
المطبعة: ثامن الأئمة(ع)
الكمية: ٢٠٠٠ نسخة
عدد الصفحات: ٤٦٤ ص.
حجم الغلاف: كبير
رقم الإيداع الدولي: ٥-٨١٣-٤٣٨-٩٦٤ ISBN

مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر
جمهورية ايران الإسلامية
قم - شارع الشهداء - فرع ٢٢
ص.ب ١٨٧
هاتف: ٧٧٤١٧٤٤ (٢٥١) (٩٨) فاكس: ٧٧٤٢٦٤٧
البريد الالكتروني: ansarian@noornet.net
www.ansariyan.org & www.ansariyan.net

بسم الله الرحمن الرحیم

مقدّمة

الإمامة ليست مجرّد مسألة اعتقاديّة أو قضيّة فكريّة بحتة لا ترتبط بالحياة، بل هي من أكثر القضايا الإسلامية ارتباطاً بالحياة، وتأثيراً في جميع مجالاتها وأبعادها.

من هنا تُعتبر معرفةُ الإمام من الواجبات وقد أكّدت عليها أحاديث كثيرة إلى درجة أنّها عدّت عدم معرفة الإمام على حد الكفر.

قال رسول الله ﷺ «من مات بغير إمام ماتَ ميتةً جاهليّةً»[1].

وقال ﷺ أيضاً: «من ماتَ وهو لا يعرف إمامه ماتَ ميتةً جاهليّةً»[2].

وقال ابن أبي يعفور: سألت أبا عبدالله [جعفر الصادق] عليه السلام عن قول رسول الله ﷺ «من ماتَ وليس له إمامٌ فميتته ميتةٌ جاهليّةٌ».

قلت: ميتةُ كُفر ؟

قال: «ميتةُ ضلالٍ».

قلت: فمن مات اليومَ وليس له إمامٌ فميتتُه ميتةٌ جاهليةٌ؟

قال: «نَعم»[3].

قال فُضيل بن يسار: «قال ابتداءً أبو عبدالله عليه السلام يوماً: قال رسول الله ﷺ «من مات وليس عليه إمامٌ فميتتُه جاهليةٌ».

فقلت: قال ذلك رسولُ الله ﷺ؟

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٩٦

(٢) بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٦٧

(٣) الكافي ج ١ ص ٣٧٦

فقال: «إي والله قد قالَ».

قلت: فكلّ من مات وليس له إمامٌ فميتتُه ميتةٌ جاهليةٌ؟

قال: «نَعم»[١].

يستفاد من هذه الأحاديث والعشرات من الأحاديث المشابهة البالغة حـدّ التواتر أنّ معرفة الإمام فرضٌ على كلّ مسلم.

والآن يجب أن نرى ما هو المراد من هذه المعرفة، وما هو الهدف منها؟

في البداية نقرأُ بياناً لمعنى الإمامة عن لسان الأئمّة المعصومين أنفسهم.

قال عبدالعزيز بن مسلم: كنّا مع الرضا عليه السلام بمَرو فاجتمعنا في الجامع يـوم الجمعة في بدء مقدَمنا فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اخـتلاف النـاس فـيها فدخلتُ على سيّدي عليه السلام فأعلمتُه خوض الناس فيه فتبسّم عليه السلام ثمّ قال: «إنّ الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين.

إنّ الإمامة أُسّ الإسلام النامي وفرعُه السامي، بالإمام تمام الصـلاة والزكـاة والصيام والحجّ والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحـدود والأحكـام ومنع الثُغور والأطراف.

الإمامُ يحلّ حلال الله ويُحرّم حرامَ الله، ويُقيم حدودَ الله ويذُبُّ عن دين الله. ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة.

الإمام أمينُ الله في خلقه وحجّتهُ على عباده وخليفتُه في بلاده والداعي إلى الله والذابّ عن حُرَم الله.

الإمام المطهَّر من الذنوب والمبرَّأ عن العيوب، المخصوص بالعلم الموسوم بالحلم، نظام الدين وعزّ المسلمين وغيظ المنافقين وبَوار الكافرين.

---

(١) الكافي ج١ ص٣٧٦

الإمام واحدُ دَهره، لا يدانيه أحد ولا يعادِله عالم ولا يوجد منه بدل، ولا له مثل ولا نظير، مخصوصٌ بالفضل كلّه من غير طلب منه له، ولا اكتساب، بل إختصاص من المفضِل الوهّاب»[1].

يُستفاد من هذا الحديث و عشرات الأحاديث المشابهة له عدّه أُمور مهمّة هي:

أوّلاً: الصفات والخصوصيات الذاتية للإمام.

يُستفاد من هذه الأحاديث أنّه ليس لكلّ شخص صلاحيّة التصدّي لمنصب الإمامة، بل لابدّ من أن تتوفّر فيه الشروط والصفات التالية:

١ ـ العصمة الكاملة من المعصية والخطأ، والاشتباه والنسيان.

٢ ـ العلم الكامل بجميع المعارف والأحكام المرتبطة بالدين في مختلف مجالات الحياة الدنيوية والأُخروية، على أن لا تكون تلك العلوم و المعلومات حاصلة له عن طريق الاكتساب، بل تكون نابعةً من الوحي، إما بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة.

٣ ـ الإتّصاف بجميع الفضائل والكمالات الإنسانية.

وعلى هذا الأساس فإنّ الإمام إنسانٌ كاملٌ وشخصيةٌ فريدةٌ لا يكون له نظير في عصره.

ثانياً: الوظائف والمسؤوليات.

لقد وُضعت من جانب الله تعالى مسؤولياتٌ جدّ مهمّة على كاهل الإمام

(١) الكافي ج ١ ص ١٩٨

أبرزها وأهمّها ما يلي:

١ ـ الحفاظ على جميع الأحكام والقوانين المتعلّقة بالدين، والناشئة من الوحي والتي تَلَقّاها من جانب النبي ﷺ.

٢ ـ نشر العلوم والمعارف والأحكام وبثّها بين الناس، وبيان ما هو حلال وما هو حرام، ودعوة الناس إلى سبيل الله عبر إقامة الأدلّة والبراهين والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، والدفاع عن حوزة الدين والقيم الدينية.

٣ ـ إقامة الواجبات العبادية كالصلاة والصيام والحجّ كما ينبغي وكما يجب.

٤ ـ إدارة الشؤون المرتبطة بالحكومة كالقضاء وإجراء الحدود الإلهية وإقرار وضمان الأمن النفسي والشخصي والإقتصادي لجميع أفراد الأمّة، وتوفير المستلزمات المادّية والموارد المالية لإدارة البلاد، عن طريق جباية الضرائب، والزكوات والصدقات، وصرفها في مصارفها المقرّرة، والمحافظة على الثروات العامّة. وتقسيم بيت المال، وتقوية القوى العسكرية والنظامية، وإصدار الأمر بالجهاد والدفاع، وحفظ ثغور المسلمين، وحدود بلادهم، والتخطيط للتنمية الثقافية، و نشر القيم الإسلامية ومكافحة الفساد الأخلاقي والاجتماعي وتقوية البنية الاقتصادية، وتوفير أمور الناس المعيشية، والقيام بغير ذلك من الأمور التى ترتبط بإدارة البلاد الإسلامية بصورة صحيحة.

ثالثاً: وظائف الناس تجاه الإمام

تقع على عاتق الناس عدّة مسؤوليات هامّة هي:

١ ـ في مجال أخذ العلوم والمعارف والأحكام والقوانين المرتبطة بالدين يجب الرجوع إلى الإمام، لأنّ الأئمّة خُزّان العلوم النبوية، ولأنّ عندهم الأحكام والقوانين الإسلامية الواقعية، فيجب سؤالهم عنها إن كانوا أحياءً، و أخذ العلوم

المأثورة المروية عنهم من كتب الحديث، في حال وفاتهم.

ولقد أرجع رسولُ الإسلام ﷺ المسلمين ـ في حديث الثَقَلين ـ إلى هؤلاء الأئمّة لأخذ العلوم والمعارف منهم .

٢ ـ يجب على المسلمين أن يقبلوا باتّخاذ الأئمّة المعصومين قدوةً وأُسوةً لهم، وأن يستلهموا من سيرتهم وسلوكهم، ومن أخلاقهم الدروسَ والمناهجَ، ويتّبعوهم ويقتدوا بهم.

ولقد لفت رسولُ الله ﷺ نظرَ الناس إلى هذا الأمر المهمّ مراراً.

٣ ـ يجب على المسلمين أن يطيعوا إمامَهم باعتباره أحد مصاديق أُولي الأمر وأن يعملوا وفق أوامره ونواهيه، فقد جاء في القرآن الكريم:

﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1].

وقد أُكّد على هذا الأمر ايضاً في أحاديث كثيرة.

فقد قال الحسين بن أبي العلاء ذكرتُ لأبي عبدالله عليه السلام قولَنا في الأوصياء: إنّ طاعتَهم مفترضةٌ.

فقال: «نعم، هم الذين قال الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ وهم الذين قال الله عزّوجلّ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾»[2][3].

٤ ـ إنّ أهمّ وظيفة من وظائف الناس تجاه الإمام هو السعيُ -بتمام الجهد- لتهيئة الأرضيّة المناسبة لاستقرار حاكمية الإمام المعصوم وتمكينه من ممارسته لقيادة المجتمع، والدفاع عن حاكميّته وقيادته، لكي يتمكن من إدارة شؤون الأمة،

---

(١) النساء / ٥٩

(٢) المائدة / ٥٥

(٣) الكافي ج ١ ص ١٨٩

وقيادة البلاد الإسلامية والقيام بتنفيذ أحكام الإسلام الواقعية، فتنعم الأُمّة الإسلامية، بالبرامج الإلّهية في ظلّ الإرشادات المعصومية الرشيدة.

وعلى هذا الأساس لا يجوز، بل لا يمكن أن يُقال: انّ الإمامة مجرّد عقيدة جافّة، ومجرد قضية تاريخية غير مفيدة، أو مسألة طارئة نشأت في صدر الإسلام عقيب الإختلاف في شروط الإمام والحاكم الإسلامي، فلا مكان لها بل و لا ثمرة عملية لها في هذا العصر، وأن البحث في هذا الصعيد غير مفيد، ولهذا فان من الأفضل أن تُترك، ويُدفع بها إلى زاوية النسيان، وعلينا بدل ذلك أن نفكّر في وحدة الأُمّة !

كلا، لا يصحّ كل هذه التصورات حول الإمامة لأنّ الإمامة هي في الحقيقة صيغة الحاكمية الإسلامية وهي أُسلوب قيادة الإمام المعصوم، ولهذه المسألة دورها العمليّ في هذا العصر، بل في جميع العصور، شريطة أن تُفهم جيّداً، وأن يُستفاد منها بصورة صحيحة وسليمة.

ولهذا وردت أحاديث كثيرة عن النبيّ والأئمّة الأطهار عليهم السلام فيما يرتبط بوجوب معرفة الإمامة، ومعرفة مصاديقها الحقيقيّة، والتأكيد عليها.

إنّ من أهمّ مشاكل العالم الإسلامي طوال التاريخ هو أنّ هذه المسألة الهامّة أي مسألة الإمامة، الحيويّة لم تَحْظَ باهتمام المسلمين كما يجب وكما ينبغي، وكما أراده رسولُ الإسلام صلى الله عليه وآله فانحرفت عن مسارها الحقيقي.

ولو كان المسلمون طوال التاريخ يعرفون وظائفهم في مجال معرفة الإمام معرفةً صحيحةً، وكانوا يقومون بواجباتهم في مجال إعداد الأرضية المناسبة لتحقيق ذلك على صعيد الواقع، لكان وضع العالم الإسلامي على شكل آخر.

إنّ مسألة الإمامة – وللأسف –لم تُعرَف ولم تُفهَم كما يجب ولم يُستفد منها كما ينبغي حتّى بين قطاعات من الشيعة أيضاً.

إنّ التشيّع يعني إتّباع النبيّ ﷺ والأئمّة المعصومين عليهم السلام وطاعتهم، والأخذ بتعاليمهم، وينبغي أن لا يُختصر في إظهار المحبّة الشكليّة، وإقامة المآتم والاحتفالات، و مجرد إظهار الحزن والسرور، والمدح والرثاء، و لا في زيارة مراقد الأئمّة المشرّفة وارتيادها فحسب، رغم أهمية هذه الامور و الممارسات في حد ذاتها.

على أنّ من المحتّم أنّ هذه الأعمال جميعها إنّما تكون صحيحةً ومفيدةً إذا كانت مقدّمة لمعرفة الإمام معرفةً واقعيّةً، و أرضيّة لطاعة الأئمّة واتّباعهم، ولهذا جاء في ذكر ثواب الزيارات التي يُزار بها الأئمّة أن يكون الزائرللإمام: «عارفاً بحقّه».

أمّا لو كان الأمر على غير هذا النمط لكان نوعاً من عدم المعرفة، بل وانحرافاً عن جادّة الإمامة الحقيقيّة.

والكتاب الحاضر أُلِّفَ للمساعدة على تحقيق هذاالهدف، وهو توفير المعرفة الصحيحة بالإمامة وبالأئمّة الهداة.

ولقد نُظِّم هذا الكتاب على ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل ـ معرفة الإمامة.

الفصل الثاني ـ عملية الإعداد التي قام بها النبيُّ الاكرم ﷺ للتعريف بالمصاديق الحقيقيّة للإمامة.

الفصل الثالث ـ التعريف بالأئمّة، وبيان أحوالهم، وشرح سيرهم في مختلف مجالات العلم والعمل والأخلاق، بشكل يمكّن المسلمين من الإقتداء بهم، واتّخاذ الأُسوة منهم.

٩ رجب المرجّب ١٤٢٤

إبراهيم الأميني

الفصل الأوّل

معرفة الإمامة

معنى الإمام و الامامة

الإمامة في اللغة

يُطلق الإمام على مَن يقتدي به جماعةٌ من النـاس ويـتّبعونه فـي أقـواله وأعماله.

يقول الراغب: الإمام المؤتَمُّ به، إنساناً، كأن يقتدى بقوله أو فعله، أو كتاباً أو غير ذلك... وجمْعُه أئمّة[1].

والإمام يمكن أن يكون إمامَ حقّ وهدى يدعو الناس إلى الصلاح والخير، ويمكن أن يكون إمامَ باطل وضلال يدعو الناس إلى الفساد، وقد استُعمل الإمام في القرآن في كلا المعنيين:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[2].

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾[3].

ويُطلق هذا اللفظ على إمام الجماعة لأنّه يـتقدّمهم ويـؤمّهم ويـقتدي بـه

---

(١) مفردات القرآن مادّة: أمم

(٢) السجدة / ٢٤

(٣) القصص / ٤١

المصلّون ويتّبعونه في أفعال الصلاة وأذكارها.

والإمام قد يكون إمامَ مسجد، وقد يكون إمام مدينة، وقد يكون إمام بلد، وقد يكون إمام أُمّة كبيرة.

و يمكن أن يكون الشخص إماماً ومقتدى في القضايا المعنوية والأخلاقية وفي السلوك الباطني والسير إلى الله تعالى، كما أنه يمكن أن يكون إماماً في المسائل السياسية أو الإجتماعية، ويمكن أن يكون إماماً في الناحيتين، إلّا أنه ـ وعلى كلّ حال ـ لابدّ في تحقّق عنوان الإمام من الإمامة العمليّة.

وإنّما يُطلق على شخص عنوانُ الإمام حقيقةً إذا كان معتقداً ومؤمناً بما يقول، و يدعو الناس إليه بقوله وفعله.

تعريف الإمامة

لقد عَرّفت الإماميّةُ الإمامَ على النحو التالي:

١ ـ الإمامة رئاسةٌ عامّةٌ في أُمور الدين والدنيا لشخصٍ إنسانيٍّ نيابةً عن الرسول [١].

٢ ـ خلافةُ الرسول في إقامة الدين وحفظ حوزة الملة بحيث يجب اتباعه على كافة الأُمة [٢]

٣ ـ كتب الشيخ الطبرسي في تعريف الإمام يقول: المستفاد من لفظ الإمام أمران: أحدُهما: أنّه المقتدى به في أفعاله وأقواله.

الثاني: أنّه الذي يقوم بتدبير الأُمّة وسياستها والقيام بأُمورها وتأديب جُناتها

(١) صراط الحق ج٣ ص١٦٨

(٢) صراط الحق ج٣ ص١٦٨

وتولية ولاتها، وإقامة الحدود على مستحقّيها ومحاربة من يكيدها ويعاديها[١].

وقد عرّف أهلُ السُنّة الإمامَ هكذا أيضاً[٢].

الخلافة

وقد يُقال للإمام (خليفة) أيضاً، والخلافة في اللغة يعني من يتلو شخصاً، ويقوم مقامه، فالذي يقوم في غياب أحَد أو بعد مماته، بما كان يقوم به ذلك الغائبُ أو الميّتُ من الأعمال يُسمّى خليفة.

و على هذا الأساس وُصف الأشخاص الذين تصدّوا لإدارة شؤون المسلمين في وفاة النبي الكريم بـ (خليفة رسول الله) مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي عليه السلام.

ونشاهد استعمال لفظتي (الإمام) و (الخلافة) كلتيهما في حادث السقيفة، وبعدها في زمن الخلفاء الأربعة، ولكن الذين سبقوا الإمام علياً عليه السلام كانوا غالباً مّا يصفون أنفسهم بخلفاء رسول الله، وقلّما استخدموا لفظة: «الإمام».

وأمّا الإمام علي عليه السلام فغالباً ما كان يصف نفسَه بالإمام، وكذلك كان يفعل أتباعُه وأنصارُه في حقه.

ولعلّ علّة هذا الأمر هي أنّ لفظة الإمام تتضمّن وتلازم من القداسة ما لا تلازم لفظة الخليفة، و ذلك لأنّ الإمام هو المقتدى به، والمتأسّى بقَوله و فعلِه.

كما أنه إنّما يطلق وصف (الإمام) على الشخص إذا كان بحيث يقتدي به أتباعه، وقد كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام هكذا حتّى عندما لم تختره الأُمّة لمنصب

---

(١) مجمع البيان ج٣ص١٦٨

(٢) شرح المواقف ج٨ص ٣٤٥

الخلافة بصفة رسميّة.

فقد كان جمعٌ كبيرٌ من المسلمين في تلك الفترة[١] يتّبعونه ويتأسّون به في العبادة والزهد والإخلاص والإيثار وغير ذلك من الكمالات الإنسانية. و إن كان مقصيً عن مسند القيادة السياسية.

صاحب الأمر

ومن بين الألفاظ التي تُطلق على الإمام لفظة «صاحب الأمر»، فقد نُقل عن محمّد بن إسحاق أنّ عامّة المهاجرين وجُلّ الأنصار كانوا لا يشكّون في أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام هو صاحب الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله[٢]

وكثيراً ما استُخدِمت لفظة الأمر، في القضايا المرتبطة بالإمامة فالأمر يعني منها «الحكومة»، ويُطلق على الإمام والحاكم «صاحب الأمر» و «وليّ الأمر» ويراد منهما الشخص الذي يمتلك حقّ الحاكمية ويكون بيده الأمر والنهي.

ولقد استُخدِمت لفظة «أُولو الأمر» في القرآن الكريم بهذا المعنى أيضاً وفُرضت فيه طاعتهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.[٣]

وقد وردت لفظة: «أُولو الأمر» و «ولي الأمر» في كتب التاريخ والحديث كثيراً، وكان الذين تسلّموا مقاليد الحكم عقيب رسول الله يصفون أنفسهم بأنّهم «أولياء الأمر» وإن كانوا يستخدمون لفظ الخليفة أكثر.

ولقد كان عليٌّ عليه السلام يقول: «يا معشر المهاجرين؛ لَنحن أحقُّ بهذا الأمر

---

(١) أي فترة الثلاثة الذين تقدّموا عليه وسبقوه

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦ ص ١٢

(٣) النساء / ٥٩

منكم».[1]

ولفظة الإمارة والأمير من هذا السياق أيضاً، فقد كان الخلفاء يسمّون بأميرالمؤمنين، و تعنى من الإمارة القيادةَ، ويُعنى من «أمير المؤمنين» قائدالمؤمنين.

على أنّ من الضروري التذكير بنقطة هامّة وهي أنّ ألفاظ «الخليفة» و «صاحب الأمر» و «أمير المؤمنين» وإن كانت تُطلق على الإمام إلاّ أنّ الملحوظ في هذه الألفاظ هو جانب حاكميّة الإمام، بينما تحظى لفظة الإمام بقداسة خاصّة وبجامعيّة أعلى وذلك لأنّ هذه اللفظة قد لوحظت فيها - مضافاً إلى بُعد الحاكمية الدنيوية - بُعد الإمامة الدينية، وكون الموصوف بها المقتدى الباطنيَّ المعنويَّ.

الإمامة من وجهة نظر الإماميّة

إنّ الشيعة لا يعتبرون الإمامة مجرد منصب دنيويٍّ بمعنى القيادة السياسية فحسب، بل يعتبرونها مقاماً معنوياً، وموقعاً روحياً وإلهياً.

إنّهم يعتبرون الإمام الإنسانَ الكاملَ، الجامعَ لجميع الكمالات الإنسانية، والمنزّهَ من جميع النقائص والعيوب الأخلاقية والصفات الرذيلة.

إنّ الإمام في إعتقادهم هو الشخص المتخلّق بمكارم الأخلاق، والمتفوّق على مَن سواه من الناس في السجايا النبيلة، الواصل في الإيمان بالله و النبوّة والمعاد إلى حدّ اليقين، وإلى درجة الشهود الباطني، والذي اعتقد بكلّ الحقائق الدينية و آمن بها في عمق ذاته وضميره، فهو في مجال العمل يُمثّل النموذج الكامل للدين، بحيث يصلح أن يكون قدوةً للمتديّنين، وأُسوةً يتّبعونه في جميع

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦ ص١٢

مجالات الأخلاق، والقول والفعل.

على أنّ أهمّ ما يميّز الإمامَ عن مَن سواه من الناس أمـران هـما: العـصمة والعلم.

فالإمامُ مصانٌ من الخطأ والاشتباه والنسيان، و معصوم من ارتكاب المعصية و مصون من التخلّف عن الأوامر الإلهية.

كما أنّ الإمام وارث العلوم النبوية وخازنها، وجميع العلوم والمعارف الإلهية والأحكام الدينية مودعة عنده من دون زيادة أو نقصان، وهو يحرسها ويحفظها من الضياع والإندثار.

ولقد اختير مثل هذا الإنسان الممتاز، والشخصية المتميّزة مـن جـانب الله تعالى للإمامة، وأُوكلت إليه إدارة الأُمور الدينية، وتـنفيذ الأحكـام والقـوانـين الاجتماعية، وقيادة المجتمع الإسلامي.

إنّ مثل هذا الإنسان المتفوّق والشخص المتميّز هو الخليفة الواقعي لرسول الله ﷺ، وهو الذي يجب أن يتبعه الناس، ويهيّئوا الأرضية لحكومته ليقوم بهداية المجتمع الإسلامي ويقودهم إلى صراط الدين المستقيم، ويضمن لهم سعادة الدنيا والآخرة.

وأمّا إذا لم يختر الناسُ الإمامَ المعصومَ لخلافة الرسول الكريم ﷺ فإنّ ذلك لن يضرّ بإمامته قطّ، ولو أنّهم اختاروا للخلافة غيرَ المعصوم فلن يكون ذلك هو الإمام والخليفة الواقعي لرسول الله ﷺ.

الحاجة إلى الإمام

يعتقد الشيعة الإمامية بأنّ وجودَ الإمام أمرٌ ضروريٌّ وحاجةٌ حـتميّةٌ فـي حياة البشر، ويستدلّون ـ لإثبات هذا الوجوب ـ والضرورة بجملة مـن الآيـات

والأحاديث، ولكن أهمّ الأدلّة في هذا المجال هو الدليل العقلي الذي جاء ذكره وبيانه في الكتب العقائدية أيضاً.

إنّهم يقولون: إنّ الدليل الذي يثبت الحاجة إلى الأنبياء هو ذاته يثبت الحاجة إلى الإمام، فكما أنّ البشر بحاجة إلى النبي فانهم بحاجة ـ عند فقدان النبي ـ إلى الإمام.

إنّ مسألة النبوّة والإمامة مسألتان كلاميّتان مهمّتان، وقد بُحثتا في كتب العقيدة والكلام من جهات مختلفة، وجوانب متعدّدة، على وجه التفصيل، ونحن لا يمكننا ـ في هذه الدراسة العاجلة ـ أن ندرسهما بصورة مفصّلة ولكنّنا مضطرّون ـ من أجل إثبات لزوم وجود الإمام ـ أن ندرس من باب التمهيد و المقدّمة وجوب وجود النبي في المجتمع، باختصار، أوّلاً.

لقد استَدلّوا عند إثبات النبوّة العامّة ببراهين مختلفة ومتنوّعة، أبرزها وأهمّها هو الدليل المعروف المسمّى ببرهان (اللطف).

ولقد طرح هذا الدليل في كتب العقيدة والكلام بصوَر متنوّعة وأشكال مختلفة، ونحن هنا نطرح ذلك الدليل بصورة أُخرى مستلهمين من الأبحاث المذكورة، ونشير قبل ذلك إلى عدّة نقاط مهمّة، قد تمّ إثباتها في محلّها، لنصل بعدئذٍ إلى النتيجة المطلوبة:

١ ـ إنّ خلق الإنسان والعالم ليس عبثاً ولغواً، فالإنسان لم يأت إلى الدنيا ليقضي ردحاً من الزمن في اللهو واللعب، واللذّة والاستمتاع، وفي الأكل والشرب وقضاء الشهوة، وإنتاج النسل ثمّ يموت بعد ذلك، ويفنى إلى الأبد.

إنّ الحياة في هذا العالم ليست لعبة، وليست أمراً خارجاً عن الحساب والقانون، بل الموت نهاية لهذه الحياة، وبداية لحياة أُخرى، ونُقلةٌ من هذا العالم إلى عالم الآخرة.

فالدنيا مزرعة الآخرة، والإنسان مسؤول عن أعماله الحسنة والسيّئة، و محاسبٌ على ممارساته الخيّرة والشرّيرة، وعلى أفعاله الصالحة والطالحة.

والهدف من خلق الإنسان (والإتيان به إلى هذا العالم) هو تربيته، وتكميل نفسه، وضمان سعادته في عالم الآخرة.

إنّ الإنسان ينتقل بعد الموت إلى عالم الآخرة، و ستكون له حياةٌ خالدةٌ، فإن كان في الدنيا محسناً في أعماله حصل على ثوابٍ حسنٍ، وإن كان في الدنيا مسيئاً في أعماله عوقب.

٢ـ لقد ثبت في الفلسفة أنّ الإنسان مركّب من جسمٍ وروحٍ، و الروحُ عنصر ملكوتيٌّ مجرَّد.

وبعبارة أكثر دقّة: إنّ للإنسان مرتبتين، فهو في المرتبة الدُّنيا يقوم بالأعمال المادّية، وهو في المرتبة العليا يكون من المجرّدات، ويقوم بالأعمال المجرّدة، ولكنّه في نفس الوقت ليس إلّا حقيقةً واحدةً، وكياناً واحداً قد اتّحدت فيه هاتان المرتبتان الوجوديّتان.

و حيث انّ روح الإنسان ليست كائناً مجرّداً محضاً، فهي تتعلّق بالمادّة والوجود المادّي، فقد أمكن لها أن تتحرّك وتتكامل، و تصنع نفسها عن طريق العقائد والأخلاق والأفعال، وتصوغها وتربّيها، وتعدّها للحياة الخالدة في العالم الآخر، القادم بعد الموت.

٣ـ حيث انّ الإنسان مركّبٌ من جسد مادّي، وروح مجرّد فإنّ من الطبيعي أن يكون لهما نوعان من الحياة، أحدهما حياة دنيوية، وهي ترتبط بجسد الإنسان، والأُخرى نفسانية باطنية، وهي ترتبط بروحه، فتكون النتيجة أن تكون له سعادة وشقاوة في كلتي الحياتين، فهو في باطن ذاته إمّا أن يسير باتّجاه الرفعة والسعادة الإنسانية، أو يسير باتّجاه الشقاء والانحطاط.

٤ ـ كما أنّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين جسد الإنسان وروحه، كذلك هناك ارتباطٌ وثيقٌ وإتّصالٌ شديد بين حياة الإنسان الدنيوية المادّية وبين حياته النفسانية الباطنية.

إنّ حياة الإنسان النفسانية تنشأ في الحقيقة من أعماله وممارساته الدنيوية، فالعقائد الصحيحة، والأخلاق الطيّبة، والأعمال الحسنة تكمّل النفس وتنوّرها، والعقائد الباطلة، والأخلاق القبيحة، والأعمال الفاسدة تصيب النفس بالظلام، و تعكّر صفوها، ومن هنا فإنّ الإنسان الذي ينشد الكمال والسعادة النفسانية لا يسعه أن يبقى غير مكترثٍ بنوع أعماله، و ممارساته الدنيوية.

٥ ـ لقد ثبت في الفلسفة أنّ شخصية الإنسان وقيمته بل إنسانيّته أنما هي بروحه المجرّدة. وعلى هذا الأساس يجب أن نفتّش عن سرّ خلق الإنسان وحكمة إيجاده في تكامله الروحيّ، وفي حياته الباطنية.

إنّ الله الحكيم الذي خلق الإنسان وجهّزه بعنصر القدرة على استكمال ذاته من غير الممكن أن يكون قد تجاهل حياته الباطنية والنفسانية، وتركه من دون أن يضع له برنامجاً لكسب الكمال والوصول إلى الغاية والهدف.

٦ ـ بالنظر إلى أنّ الإنسان كائنٌ اجتماعيٌّ يعيش في المجتمع، وبالنظر الى أنّ وقوع التزاحم في كسب المنافع، والعدوان على حقوق الآخرين شيءٌ طبيعيٌّ في أغلبية الناس، لهذا فإنّ هناك حاجةً ماسّةً إلى حكومة يتمّ عن طريقها الدفاع عن حقوق المحرومين والمستضعفين، وردع المعتدين والمتغلّبين، والمنع من التمييز، وإقرار الأمن والسكينة في ربوع المجتمع وأرجائه.

الاستنتاج

يُستنتج ممّا قيل أنّ البشر بحاجة شديدة في حياته الإجتماعية و الفرديّة إلى

القانون، وأنّه بدون ذلك لا يحظى بالسعادة الحقيقيّة.

والآن يجب أن نطرح هذا السؤال وهو: «هل يستطيع أي قانون مهما كـان نوعه أن يضمن للبشرية سعادتها الدنيوية والنفسانية، أو أن هذا القانون لابدّ أن يتّصف بخصوصيات معيّنة؟!».

بالنظر إلى ما عرفناه قبل قليل من مقدّمات، إتّضح أنّ القانون الذي يمكنه ضمان سعادة البشر ليس إلّا الذي تتوفّر فيه الشروط والمواصفات التالية:

١ ـ أن تُراعى في تدوين القانون المصالحُ الواقعية والإنسانية، لا أن يُهتمّ فيه بالغرائز المادية والرغبات الحيوانية فحسب.

٢ ـ أن تُراعى في ذلك القانون مصالح عامّة الأشخاص من جميع الفئات والطبقات المتنوّعة المختلفة، وأن يكون بعيداً عن أي نوع من أنواع التمييز العنصريّ والفئويّ والحزبيّ، ويكون الدفاع عن حقوق المحرومين والمستضعفين وفاقدي الحماية في مقدّمة برامجه وبنوده.

٣ ـ أن لا تتوجّه في وضع تلك القوانين أيّة ضربة للحياة النفسية والإنسانية بل تُعتبر الحياة الدنيوية مقدّمة للحياة الأصليّة النفسانية، ومنطلَقاً لضمان وتوفير السعادة الأُخروية، وأن يُتوخّى في هذا القانون تطهير المحيط الاجتماعي من المفاسد الأخلاقية، وتهيئة الأجواء لتربية النفس، والتخلّق بالأخلاق النبيلة الحسنة، والاقبال على الأُمور المعنويّة.

٤ ـ إنّ أهمّ حاجة للبشر ترتبط - في الواقع - بالناحية الروحيّة والحياة الأُخروية، لأنّ الغاية من الخَلق والإيجاد للإنسان، والحياة الإنسانية الأصلية هي الحياة النفسية (الروحية).

فالهدف هو أن يسلك الإنسان في ـ باطن ذاته ـ سبيلَ الإنسانية المستقيم ويسير في طريق التقرّب إلى الله حتّى يصل إلى المراتب العليا المقرّرة له.

إنّ ما هو مهمّ للإنسان جدّاً، وما هو مصيري له هو ضمان السعادة الأُخروية، لأن الحياة الدنيوية مؤقتة وزائلة على أيّة حالٍ، وما يبقى معه وما هو أبديّ إنما هو الحياة النفسية و السعادة الاخرويّة في ذلك العالم.

إنّه أيضاً بحاجة شديدة إلى برنامج للعمل لهذه الحياة، برنامج يضع الإنسان على طريق الإنسانية المستقيم، ويحرّكه باتّجاه التقرّب إلى الله، ويجنّبه الإنحرافَ، و السقوط في وادي الحيوانية المهلك.

من كلّ ما مرّ من الكلام نستنتج أنّ البشر بحاجة إلى برنامج لكلتي الحياتين: الدنيوية والأُخروية، ولكن إعداد برنامج كامل و شامل يضمن سعادة هاتين الحياتين للإنسان خارج عن عهدة المشرّعين البشر، لأنّ البشر وإن كانوا قادرين ـ بمعونة العقل و الإستفادة من التجربة ـ على تدوين قوانين مناسبة للمجتمع، لكنهم يعانون من مشكلتين:

المشكلة الأُولى أنّ المشرّعين البشر يمكن أن يرجّحوا – عند تشريعهم للقوانين – مصالحَ أنفسهم، أو مصالح طبقتهم أو فريقهم على مصالح الطبقات الأُخرى.

المشكلة الأُخرى هي أنّ هؤلاء المشرّعين لا يعرفون شيئاً عن الارتباط الوثيق بين حياة الإنسان الدنيوية وحياته النفسانية (الروحية) ويمكن أن يصطدم ما يضعونه و يشرّعونه من قوانين بحياة البشر النفسية (الروحية) بل في العادة لا يلاحظ المشرّعون البشر حياةَ البشر النفسانية، إنّما هو وحده خالقُ العالم، وموجدُ البشر يعرف – وحده – تركيبة الإنسان والأسرار الموجودة في روحه وجسده، ويحيط بها إحاطة كاملة، و هو وحده الذي يمكنه أن يجعل مثل هذا البرنامج الجامع والمنسجم في متناول يد الإنسان.

وهنا موضع المقولة التي تقول بأنّ الألطاف الإلّهية المطلقة تقتضي بأن لا

تُحرم البشرية المحتاجة، من مثل هذه التعاليم المهمّة، والتوصيات الحيوية المصيرية، وأن يقيض الله لها شخصيات مختارة، ويزوّدهم ببرامج مناسبة، عن طريق الوحي و نعني أنبياء ورسل يبعثهم إلى البشر، ليقوموا بهدايتهم وإرشادهم وتعبيد طريق الوصول إلى الغاية المطلوبة لهم و لا يألوا جهداً في مساعدتهم على السير والسلوك إلى الله.

نعم إنّما يتحقّق الهدف الذي ينشده الحقّ تعالى من بعث الأنبياء وتتمّ الحجّة إذا كان أُولئك الأشخاص المختارون وتلك النخبة المبعوثة إلى الناس مصونين من الخطأ والمعصية، أي أن يكونوا معصومين كما سيتمّ إثبات ذلك مستقبلاً.

الدليل على لزوم وجود الإمام

نستنتج من جميع ما مرّ من المقدّمات أنّ البشرية بحاجة ـ لتنظيم حياتها الدنيوية والنفسانية (الروحية) ـ إلى وجود النبي، وإلى التعاليم الإلٰهية، والآن يمكن أن يقال إنّ الناس بمقتضى هذا الدليل نفسه يحتاجون ـ عند فقدان النبي وغيابه عن الساحة ـ إلى وجود الإمام.

ولكي يتّضح هذا الموضوع يجب أن نلفت نظر القارئ إلى جملة من النقاط:

أ) انّ النبي محمّد بن عبدالله ﷺ هو خاتم الأنبياء، وانّ الدين الإسلامي هو الدين الأبدي، وأحكام الإسلام وقوانينه الوضّاءة لم تأتِ للفترة القصيرة التي عاشها رسول الله ﷺ (٢٣ سنة) بل جاءت لتبقى إلى يوم القيامة تهدي البشرية وتقودها إلى شواطئ السعادة، وهذه المسألة من ضروريات الإسلام، وقد تمّ إثبات ذلك في كتب العقيدة والكلام بالأدلّة القاطعة:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾.[١]

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾.[٢]

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.[٣]

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام في حديث: «... حتّى جاء محمّدٌ ﷺ فجاء بالقرآن و بشريعته ومنهاجه، فحلالهُ حلالٌ إلى يوم القيامة، وحرامهُ حرامٌ إلى يوم القيامة، فهؤلاء أُولو العزم من الرسُل».[٤]

ب) إنّما يمكن أن يستمرّ الدينُ الإسلاميُّ ويبقى حيّاً، فاعلاً، طوال التاريخ الإسلامي إذا خَلَفَ من بعد رسول الله ﷺ شخصٌ أو أشخاصٌ موثوق بهم، يستطيعون أن يتحمّلوا مسؤوليّاته في حراسة الدين، ويجتهدوا في القيام بها.

ويمكن تلخيص مسؤوليات النبيِّ في عدّة نقاط:

١ ـ تلقّي الأحكام والقوانين والعلوم التي يحتاج إليها المجتمع البشريُّ من جانب الله عن طريق الوحي ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾.[٥]

٢ ـ المحافظة على أحكام الدين وقوانينه بعصمة ليجعلها في متناول أيدي الناس، وليستطيع الناس الرجوع إليها عند الحاجة:

﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.[٦]

٣ ـ القيامُ على الأحكام والقوانين الإلهية للناس وتحذيرهم من العذاب الإلهي:

---

(١) الأحزاب / ٤٠

(٢) آل عمران / ١٩

(٣) آل عمران / ٨٥

(٤) أُصول الكافي ج ٢ ص ١٧

(٥) طه / ١٣

(٦) الزخرف / ٤٣

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾.[١]

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾.[٢]

٤ ـ إخراج الناس من ظلمات الكفر والضلالة، وهدايتهم إلى نور الإيمان والتوحيد:

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[٣].

٥ ـ الحكمُ والقضاءُ وفصل الحكومات بين الناس:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾.[٤]

٦ ـ كان رسول الله أُسوة للناس في العمل بأحكام الله:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.[٥]

٧ ـ نشر الإسلام وتوسيع دائرة نفوذه حتّى ظهر على سائر الأديان:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[٦].

٨ ـ كانت له الولاية المطلقة على الناس وكان أولى بالناس من أنفسهم:

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾.[٧]

٩ ـ كان رسول الله ﷺ مكلّفاً بتطبيق وتنفيذ أحكام الإسلام وقوانينه السياسيّة والاجتماعية كالجهاد والدفاع والقضاء والحدود والدِّيات وأخذ الزكاة وصرفها في مصارفها وتقسيم الغنائم وغيرها من الأحكام المرتبطة بالحكومة،

---

(١) الانعام / ١٩

(٢) المائدة / ٦٧

(٣) إبراهيم / ١

(٤) النساء / ١٠٥

(٥) الاحزاب / ٢١

(٦) التوبة / ٣٣

(٧) الأحزاب / ٦

وأن يمارس الحاكمية.

لقد كان رسول الله يقوم بهذه المهام وما شابهها وكان في القيام بكلّ ذلك معصوماً من كلّ خطأ وخطل، و مصوناً من كل ذنب ومعصية.

و بعد وفاة النبي ﷺوإن انقطع الوحيُ إلّا أنّ تحمّل تلك المسؤوليات والقيام بتلك المهامّ الجسام كان بحاجة إلى شخصٍ معصومٍ، قادرٍ على حمل هذه المسؤوليات على عاتقه، والقيام بها بأمانة ودقّة، وذلك هو الإمام.

إذا لم يكن هناك إمامٌ معصومٌ لم يبق الإسلامُ الخالصُ الأصيل حيّاً فاعلاً ولا استمرّ مصوناً، ومحفوظاً طوال التاريخ.

فعلى هذا يكون وجود الإمام أمراً ضرورياً لبقاء الإسلام الخالص الأصيل.

فكما أنّ وجود النبي وإرسال الرسول يكون من الألطاف الإلهية كذلك يكون وجود الإمام وتعيينه من الألطاف الإلهية وسبباً لاستمرار اللطف الربوبي أيضاً.

مكانة الإمامة في الإسلام

تحتلّ مسألة النبوّة وبعث الرسل والإمامة ـ بعد الأُصول الثلاثة وهي معرفة الله والتوحيد والمعاد في اليوم الآخر ـ أعلى المراتب في سُلّم العقائد.

فطبقاً للأُسس الفكرية للشيعة تُعتبر الإمامة من أُصول الدين، و لا تكون الإمامة منصباً دنيوياً فقط، ولا تتلخّص في الحاكمية والسلطة السياسية بل هي ـ كالنبوّة ـ منصبٌ إلّهيٌّ رفيعٌ.

إنّ الإمام بناءً على ذلك ليس إنساناً عادياً، إنّما هو إنسان كامل قد تحقّقت جميع كمالاته الإنسانية في صعيد الواقع، وبلغت إلى مرحلةِ الفعلية، وهو منزّه عن كلّ نقص وعيب.

إنّ الإمام إنسانٌ قد بلغ في الإيمان بالله والمعاد واليوم الآخر والنبوّة إلى

مرحلة الشهود الباطني، وإلى درجة اليقين، ولَمَس في باطنه حقائقَ الدين وقَبِلها بكلّ وجوده، وتجسّدت فيه الحقائقُ الدينية بحيث أهَّلَتْهُ لأن يكون قدوةً للمتديّنين وأُسوة لهم يتّبعونه في الأقوال والأفعال والأخلاق.

إنّ مثل هذا الإنسان المتميّز والممتاز هو الذي يمكنه أن يكون الخليفةَ الواقعيَّ لرسول الله ﷺ وهو الذي يستطيع أن يحمل على عاتقه مسؤوليات النبيِّ حال غيابه وفقدانه، و أن يدافع عن الدين ويحرسه، ويرشد الأُمّة الإسلامية إلى صراط الدين المستقيم، وإلى سبيل السلوك إلى الله ويوصلهم إلى سعادة الدنيا والآخرة.

إنّ طاعة مثل هذا الإنسان الممتاز يمكنها أن تكون عديلةً لطاعة الله و طاعة رسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1]

إنّ المراد من (أُولي الأمر الواجبي الإطاعة) هم الأئمّة المعصومون، وليسَ كلّ إنسان يجوز عليه الخطأ والزلل.

إنّ مثل هؤلاء الأشخاص الممتازين المتميّزين هم وحدهم القادرون على حراسة الدين، والحفاظ على الحقائق الدينية، ومواصلة أهداف النبي ﷺ وضمان استمرار رسالته العالمية وأبديّتها.

---

(١) النساء / ٥٩

شروط الإمام وصفاته

قلنا فيما سبق إنّ الإمام ليس إنساناً عادياً بل هو نظير للنبي ﷺ في المسؤوليات التي يُفترض أن يتحمّلها، ويقوم بها، و لهذا يجب أن تتوفّر فيه شروط وصفات خاصة، وانّ أهمّها هي العصمة، والعلم بكلّ معارف الدين، و علومه وأحكامه، والأفضلية والتفوّق في جميع الكمالات الإنسانية.

ونحن هنا نبحث باختصار هذه الأمور الثلاثة:

العِصمة

العِصمة في اللغة تعني «الحفظ والمنع» ويُطلَق وصف المعصوم على الإنسان الذي حصلت له مصونية عن ارتكاب المعصية، والوقوع في الخطأ بلطفٍ إلٰهيٍّ خاصٍّ.

جاء في مجمع البحرين: «عصمة الله للعبد مَنْعه من المعصية».[1]

و يقول الراغب في هذا الصدد: عصمة الأنبياء حفظه إيّاهم أوّلاً بما خصّهم به من صفاء الجوهر، ثمّ بما أولاهم من الفضائل الجسمية، والنفسية ثمّ بالنصرة

(١) مجمع البحرين: مادة «ع ص م»

وبتثبيت أقدامهم ثمّ بإنزال السكينة عليهم وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق.[١]

وقد فُسّرت العصمةُ في الأحاديث الشريفة بهذا المعنى أيضاً.

قال الحسين الأشقر: قلت لهشام بن الحكم: ما معنى قولكم: إنّ الإمام لا يكون إلّا معصوماً؟

قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن ذلك فقال: «المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله».[٢]

حدود العصمة

إن الشخص المعصوم معصومٌ ومصون، من عدّة جهات:

١ ـ لا مكان للباطل في عقيدته.

٢ ـ إنّه مصون من الخطأ والزلل في تلقّي الحقائق.

٣ ـ لا سبيل للخطأ والنسيان إلى شخصيته في مجال حفظه للعلوم والأحكام الدينية.

٤ ـ لا يقع في الخطأ والاشتباه في مجال تبليغ الدين وإبلاغ الأحكام والقوانين.

٥ ـ إنّه مصون عن المعصية والزلل العمديّ والسهويّ في مجال العمل، فهو يقوم بالوظائف الدينية بصورةٍ كاملةٍ وصحيحة.

---

(١) مفردات القرآن: مادّة «ع ص م»

(٢) معاني الأخبار ح ١٣٢

سِرّ العصمة

إنّ عصمة الأنبياء والأئمّة الأطهار ليست بمعنى عدم وجود عوامل المعصية والذنب في نفوسهم، ولا تعني أنّهم لا يقدرون على ارتكاب الذنـوب، أو أنّ الله أجبرهم على عدم اقتراف المعاصي، بل هم كغيرهم من أفـراد البشـر يـمتلكون غريزة الشهوة وقوّة الغضب، ولكنّهم في نفس الوقت لا يرتكبون المعصية والذنب عن علم واختيار، وإرادة ذاتية، ويكمن سرّ هذه العصمة في إيمانهم القويّ ويقينهم الكامل، وشهودهم لحقائق من عالم الغيب.

أجل لقد بلغ الأئمّة المعصومون في الإيمان بـالله والمـعاد والجـنّة والنـار والحساب الأُخروي إلى درجة اليقين والشهود، وأدركوا قبح الذنوب ووقفوا على العقوبات الأُخروية والآثار الدنيوية المترتّبة عليها، وشـاهدوها بـعين البـاطن، واطّلعوا عليها بالعيان، ولهذا اجتنبوا ارتكاب المعاصي بإرادتـهم وبـاختيارهم، وهذه القوّة الباطنية هي التي منحتهم تلك العصمة والمصونية، وقهرت في كيانهم عوامل العصيان والذنب.

هذا ويمكن أن يقال في بيان سرّ عصمة المعصومين عن الخطأ والاشـتباه والغفلة والنسيان أيضاً: أنّ علومنا علومٌ حصوليّةٌ أي أنها حاصلة لنا عن طريق الحواس الخمس التي يجوز عليها الخطأ والاشتباه، ولكن علوم المعصومين علومٌ حضوريةٌ شهوديّةٌ، مـدعومةٌ - بـاستمرار - بـالتأييدات الإلـهية والتسـديدات الربّانية.

إنّهم شاهدوا علوم الدين وحقائقه بعين البصيرة ولمسوها لمس الوجدان، ولهذا صينوا من الزلل وحصّنوا من الخطأ، وعُصِموا من الذنب والمعصية.

هذا بالإضافة إلى أنّهم في تركيبهم الجسدي والعصبي وفي المقدرة الفكرية والعلمية يختصّون بكيفيةٍ أعلى وأقوى، وهم مـؤيّدون عـلى الدوام بـإمداد الله

القادر، وتسديداته وتأييداته، وما الذي يمنع من أن يخلق الله أُناساً متميّزين ومتفوّقين لا يتطرّق إليهم النسيان والغفلة، ولا يتعرّضون للزلل والخطأ، ولا يرغبون في الذنب والمعصية بل ينفرون منها.

إنّ وجود أمثال هؤلاء الأشخاص المتميّزين والمتفوّقين أمرٌ ضروريٌ لإيصال الرسالة الإلهية و إبلاغها إلى الناس.

الدليل العقلي على العصمة

لإثبات وجوب اتّصاف الإمام بالعصمة يمكن الاستدلال بالدليل الذى يدلُّ على وجوب العصمة في النبي، فإنّ أهمّ الأدلّة على ضرورة بعث الأنبياء هو دليل (اللطف) الذي أشرنا إليه فيما سبق.

ولقد سبقت الاشارة في ذلك الدليل إلى أنّ اللطف الإلٓهيّ يقتضي بأن لا يحرِم الله الناسَ الذين يحتاجون إلى البرنامج والقانون في حياتهم، من هداياته وإرشاداته، ولهذا السبب نرى أنّ الله تعالى اختار الأنبياء، وزوّدهم بالبرامج اللازمة لإبلاغها إلى الناس، من أجل أن يسلكوا بهم سبيل الإنسانية المستقيم، ويرشدوهم إلى أُسلوب السلوك والتوجّه إلى الله.

كذلك تمّت الإشارة إلى حقيقة أُخرى وهي أنّ المراد الإلٓهيَّ هذا إنّما يتحقّق إذاكان الأنبياء والمرسَلون ـ الذين هم حلقة الوصل بين الله وبين البشر ـ مصونين من الزلل والخطأ، ومعصومين من الذنب والمعصية، ليبلّغوا الأحكام والقوانين الواقعية إلى البشر بأمانة، ويجعلوها في متناول أيديهم بدقّة، ويتمّوا الحجّة عليهم بذلك.

إنّ هذا الدليل نفسه يمكن الاستدلال به لإثبات ضرورة وجود الإمام في المجتمع بعد النبي وإثبات لزوم عصمته كذلك، لأنّ النبي لن يعيش في هذه الدنيا

دائماً، و لن يبقى بين الأُمة أبداً، فلابدّ أن يقوم ـ بعد رحيله ـ إمامٌ يحرس الأحكام والقوانين الإسلامية، ويضعها في متناول أيدي المتديّنين، ويفسّر متشابهات القرآن والسنّة و يسعى لتنفيذ وتطبيق الأحكام والقوانين الاجتماعية والإدارية الإسلامية، ويقيم الحكومة الإسلامية العادلة، أو يمهّد الأرضية لقيامها على الأقل.

إنّ من الواضح جدّاً أنّ مقصود الله ومراده لا يتحقّق أيضاً إلّا بوجود إمام معصومٍ عن الخطأ والزلل و مصونٍ عن الذنب والتخلّف عن القوانين الإلٓهية مصونيّةً كاملةً.

إنّ اللطف الإلٓهيّ يقتضي أن يختار الله سبحانه مثل هؤلاء الأشخاص المتميّزين الصالحين، ويُطلع النبي عليهم، ليقوم هو بتعريفهم للناس و المتديّنين، من أجل أن يكونوا سبباً لاستمرار طريقه ودوام شريعته، من خلال مواصلة عمله ومتابعة أهدافه، وإلّا كان عمله أبتراً و ناقصاً، و لم تصل البشرية في هذه الحالة إلى أهدافها العليا.

ألم يأت الإسلام ليظهر على جميع الأديان؟.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾.[١]

لقد أُمر رسول الله ﷺ بقتال الكفّار حتّى دفع الفتنة وزوالها.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾.[٢]

وهذه الآية إن دلّت على شيء فإنّما تدلّ على استمرار ماكان يقوم به النبي ﷺ إلى أن يتحقّق الهدف العظيم.

أجل إنّ الأنبياء عامّة ونبيّ الإسلام بصورة خاصّة كانوا مكلّفين بنشر العدل

---

(١) الصف / ٩

(٢) البقرة / ١٩٣

في العالم، وإحياء روح حبّ العدالة بين البشر.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾.[١]

والآن ينطرح هذا السؤال وهو: هل تمكن رسول الإسلام ﷺ من تحقيق كلّ الأهداف الكبرى لرسالته خلال ثلاث وعشرين سنة؟

هل من المعقول أنّه لم يكن جاداً في أهدافه، أو أنّه انصرف عن السعي لتحقيق أهدافه ؟

هل يمكن القول بأنّ النبي ﷺ ألقى بمهمّة تحقيق أهدافه العظمى على كاهل من خلفوه مثل معاوية ليعملوا على تحقيقها، وإنزالها إلى ساحة العمل طوال التاريخ؟.

إنّ من المحتّم أنّ الدين الإسلامي لم يعمّ العالم، ولم يظهر على كلّ الأديان في عهد رسول الله ﷺ، كما أنّ من المحتّم أنّه لم يترك مهمّة تحقيق أهدافه وأمانيّه على عاتق من يحمل نفسيةً مثل نفسية معاوية، ويتّصف بصفاته؟

إذن فالاحتمال الصحيح والفَرض المقنع الوحيد الذي يمكن أن يطَمْئن النبيَّ الكريمَ ﷺ هو إمامة الأئمّة المعصومين من بعده.

إنّ ما جعل الإمامة من صميم الإسلام، وأصلاً من أُصوله ومكمّلاً للنبوّة، وعاملاً لاستمراريتها، ودوام أهدافها هو أن هذا الأمر يطَمئِن نبي الإسلام ﷺ ويجعله يعتقد بقوّة أنّ جهوده لن تذهب أدراج الرياح، ولن تكون بتراء، وأنّ أهدافه الكبرى لن تبقى بعد رحيله بدون مسؤول، وبدون من يتبنّاها، بل سيكون هناك من يواصلها على طول التاريخ وهم الأئمّة المعصومون.

---

(١) الحديد / ٢٥

الإمام والعصمة في القرآن

لقد وردت لفظة (الإمام) في جميع المواضع من القرآن الكريم بمعنى القدوة والأُسوة، و هذه القدوة يمكن أن تكون قدوة للصالحين والطيبين، أو قدوة للفاسقين الطالحين.

فقد جاء في القرآن الكريم في معرض الحديث عن أئمّة الحقّ والهدى:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَ إِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾.[١]

و يقول تعالى أيضاً:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾.[٢]

وقد جاءت الإشارة إلى الإمامة الفاسدة في الآيات التالية مثل قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾.[٣]

وقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾.[٤]

يُستفاد من القرآن الكريم أنّ لكلّ فريق من الناس في هذا العالم - سواءً أكانوا على حقّ أم على باطل، و صالحين كانوا أو طالحين ـ إماماً وقائداً من نوعهم وهم سيُحشرون معه، يقول تعالى:

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا

(١) الأنبياء / ٧٣

(٢) الفرقان / ٧٢

(٣) القصص / ٤١

(٤) التوبة / ١٢

يُظْلَمُونَ فَتِيلاً * وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾.(١)

ولقد كان الانبياء على مدار التارخ أئمّة للصالحين، بينما كان قـادة الكـفر والشرك أئمة للكفار والمستكبرين.

ثم إن المستفاد من القرآن الكريم أن إمامة الصالحين عـهدٌ إلـهيٌّ لا يَـنال الظالمين.

﴿وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِـنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.(٢)

ويستفاد من هذه الآية عدّة مواضيع هامّة:

الف) لا يصلح كلّ من اتّفقَ لشَغْل منصب الإمامة الدينية بل يجب أن يكون المتولّي لهذا المقام الخطير مؤهّلاً لذلك بأن يكون قد حـظي بـاستعداد ذاتـي ، ونورانيّة باطنية، وأن يكون ثابت الخُطى في سبيل الطاعة لخالق الكون، ولهـذا عندما شاهد النبيُّ إبراهيمُ عليه السلام بعين الباطن ملكوتَ السماوات والأرض(٣) ووصل إلى درجة اليقين، ثمّ جاهد ـ بشدّة ـ الوثنيةَ، وهاجم الأصنام، ثمّ ابتلي بنار نمرود وامتُحن بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام، وغير ذلك وأثبت صلاحيّته للإمامة أُوحي إليه من جانب الله تعالى بأنّه قد رفع رتبته إلى مقام الإمامة، وجعله للناس إماماً.

ب) يستفاد من هذه الآية بأنّ منصب الامامة الذي وَصَل إليه إبراهيمُ عليه السلام هو غير منصب نبوّته عليه السلام و أنه أعلى منه، ذلك لأنّ هذا الخطاب الإلٓهيّ صدر إليه في أُخريات حياته، وقد كان قبل ذلك نبيّاً، وقد مرّ باختبارات كثيرة، و لمّا فاز فيها رقّاه الله إلى درجة الإمامة .

---

(١) الإسراء / ٧١ـ٧٢

(٢) البقرة / ١٢٤

(٣) ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (الأنعام / ٧٥)

وينبغي هنا التذكير بنقطة مهمّة وهي أنّه لا يستفاد من الآية المطروحة أكثر من هذه الحقيقة وهي أنّ إمامة إبراهيم عليه السلام كانت أرقى درجةً، وأفضلَ من نبوّته، لا أنّ كلّ إمامة هي أفضل من كلّ نبوّة.

ج) يستفاد من هذه الآية أنّ النبوّة يمكن أن تجتمع مع الإمامة بأن يكون شخصٌ واحدٌ نبيّاً، يطّلع على حقائق خاصّة عن طريق الوحي من جانب الله من جانب، ويحظى بمقام الإمامة الرفيع من جانب آخر، فيكون نبيّاً، وإماماً في آن واحد.

د) يُستفاد من هذه الآية بأنّ العصمة هي أحد الشروط الضرورية التي يجب توفّرها في الإمام، وغير المعصوم لا يصلح لتولّي منصب الإمامة ـ الذي هو عهدٌ إلهيٌّ.

ونقول توضيحاً لهذا الموضوع: إنّ الله تعالى أجاب النبيَّ إبراهيم الذي سأل هل أنّ أحداً من ذرّيته يصل إلى مقام الإمامة أم لا، قائلاً: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

والظلم في إطلاقات القرآن الكريم على ثلاثة أنواع:

الأوّل: ظلمُ الإنسان في صعيد علاقته مع الله، وهذا الظلم يتمثّل في الكفر والنفاق والشرك الذي هو أعظم أشكال الظلم و ألوانه.

يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.(١)

ويقول أيضاً:

﴿فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.(٢)

---

(١) لقمان / ١٣

(٢) آل عمران / ٩٤

النوع الثاني: هو ظلمُ الإنسان لغيره من الناس:

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.(١)

النوع الثالث: ظلم الإنسان لنفسه:

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾(٢).

لقد خلق اللهُ الإنسانَ لينال السعادة ويتقرّب إليه تعالى، وقيّض له وسائل تحقّق هذه الغاية، فمن عدل عن سلوك طريق الدين المستقيم، وتعدّى الحدودَ الإلٰهية يكون قد ظلمَ نفسَه وعُدّ لذلك ظالماً.

يقول القرآن الكريم في هذا الصدد:

﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾.(٣)

ويقول أيضاً:

﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.(٤)

لقد أُطلق وصف الظلم في القرآن الكريم على كلّ هذه الموارد الثلاثة، ولكن إذا أمعنّا النظر قليلاً أمكن أن نقول أنّ المورد الأوّل والثاني هما أيضاً من الظلم للنفس واقعاً.

إنّ الناس على أربعة أصناف:

الأوّل: من كان كافراً أو منافقاً أو مرتكباً للمعصية من أوّل عمره إلى آخره.

الثاني: مَن ارتكب المعصية والذنب في بداية حياته ثمّ ترك المعصية في آخر

---

(١) الشورى / ٤٢

(٢) فاطر: ٣٢

(٣) الطلاق / ١

(٤) البقرة / ٢٢٩

عمره.

الثالث: مَن لم يرتكب الذنب والمعصية في بداية حياته ولكنّه ارتكب المعصية في أواخر حياته.

الرابع: مَن لم يرتكب المعصية طول حياته مطلقاً.

وتُعتبر الطائفة الأُولى والثانية والثالثة من الظالمين حسب صريح القرآن الكريم، ولهذا فهم ممنوعون من الإمامة طبقاً لصريح القرآن.

تبقى الطائفة الرابعة التي لم ترتكب الذنب أصلاً وتكون معصومة. فهي وحدها التي تليق للإمامة.

العصمة في الأحاديث

ويمكن الاستدلال للعصمة بأحاديث، ومن بين هذه الأحاديث ما يلي:

قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: **«الإمامُ المطهّرُ من الذنوب والمبَرَأ عن العيوب، المخصوصُ بالعلم، الموسُوم بالحلم، نظام الدين وعزُّ المسلمين وغيظُ المنافقين وبَوارُ الكافرين».**[1]

وقال عليه السلام في موضع آخر من هذا الحديث: «وإنّ العبدَ إذا اختاره الله عزّوجلّ لأُمور عباده شَرَح صدرَه لذلك وأودع قلبَه ينابيع الحكمة، وألهمَه العلمَ إلهاماً فلن يَعْيَ بعده بجواب، ولا يُحيَّر فيه عن الصواب، فهو معصومٌ مؤيَّدٌ موفّقٌ مسدَّدٌ، قد أمِن من الخطايا والزلل والعِثار، يخصّه الله بذلك ليكون حجّتَه على عباده وشاهدَه على خلقه، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاءُ والله ذو الفضل العظيم».[2]

---

(1) الكافي ج١ ص٢٠٠

(2) الكافي ج١ ص٢٠٢

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «وصفوةٌ من عترة محمّد صلى الله عليه وآله لم يزل مَرْعيّاً بعين الله، يحفظُه و يكلأُوهُ بستره، مطروداً عنه حبائلُ إبليس وجنودِه، مدفوعاً عنه وُقُوبُ الغواسق، ونُفُوثُ كلّ فاسق، مصروفاً عنه قوارفُ السوء، مُبَرّأً من العاهات، محجوباً عن الآفات، معصوماً من الزلّات، مصوناً عن الفواحش كلِّها».[١]

علم الإمام

الخصوصية الثانية للإمام هي الجامعية العلمية، فالإمام عالم بكلّ معارف الدين و عارفٌ بجميع أحكامه وقوانينه الضرورية لتوفير سعادة الناس الدنيوية والأُخروية عن طريق الوحي الذي ينزل على النبي صلى الله عليه وآله

علم الإمام من وجهة نظر العقل

لقد قلنا فيما سبق عند بيان فلسفة ضرورة وجود الإمام في المجتمع أنّ أحكام الدين وقوانينه التي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله ليست مختصّة بفترة رسالته القصيرة بل هي نزلت لتبقى في متناول أيدي البشرية إلى الأبد، ومن هنا تستدعي الضرورة وجودَ إمام معصوم بعد غياب رسول الله صلى الله عليه وآله ورحيله لإيداع جميع الأحكام والقوانين الدينية لديه من أجل أن يحرسها ويحفظها ويسعى في تبليغها، ويواجه عمليات التحريف، ويقف في وجه الانحرافات والبدع.

وعلى هذا الأساس يكون الإمام هو الحافظ لمعارف الدين و المحافظ على أحكامه، وحسب تعبير الأحاديث يعتبر الامام خازن العلوم النبوية، وإذا كان غير هذا لم يكن الدين ديناً كاملاً وكانت الألطاف الإلهية بتراء ناقصة.

---

(١) أصول الكافي ج ١ ص ٢٠٤

هذا من جانب.

ومن جانب آخر كان النبي ﷺ منفِّذاً ومطبّقاً للأحكام والقوانين الاجتماعية الإسلامية، وبهذا الطريق كان يدير دفّة الدولة الاسلامية، ويعالج مشاكل الناس. وبعد رحيل رسول الله ﷺ جُعلت هذه المسؤولية على عاتق الإمام، و انيطت هذه المهمة إليه وبناءً على ذلك يجب أن يكون الإمام عارفاً بكلّ القوانين والأحكام الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية في الإسلام، ليتسنّى له أن ينفِّذها بدقّة، ويلبّي حاجات المجتمع، ويردّ على أسئلتهم.

و إذا لم يكن إمامُ المسلمين أو حاكمهم عالماً بالأحكام الإسلامية الواقعية أمكن أن يستفيد من أحكامٍ وقوانين غير إسلاميةٍ في إدارة البلد وفي هذه الصورة لن تكون هذه الحكومة حكومة إسلامية كاملة تريدها الشريعة، وستحرم الأُمّة الإسلامية في هذه الحالة من مزايا الحكومة الإسلامية العادلة و بركاتها كما شاهدنا ذلك ونشاهده طيلة التاريخ الإسلامي.

علم الإمام من وجهة نظر الأحاديث

لقد صرّحت الأحاديثُ الكثيرةُ بأنّ العلم بمعارف الإسلام وقوانينه وأحكامه يُعتبر من الشرائط الضرورية في الإمام.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «وقد علمتُمْ أنّه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفُرُوج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين: البخيلُ فتكون في أموالهم نَهْمَتُهُ.

ولا الجاهلُ فيُضلّهم بجهله.

ولا الجافي فيقطعُهم بجفائه.

ولا الحائفُ للدول فيتّخذ قوماً دون قوم.

ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع.
ولا المعطّل للسنّة فيهلك الأمّة».[١]

وقال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في هذا الصدد أيضاً: «إنّ الأنبياء والأئمّة عليهم السلام يوفّقهمُ الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحِكَمِهِ ما لا يؤتيه غيرَهم فيكون علمُهم فوق علم أهل الزمان، وإنّ العبد إذا اختاره الله عزّوجلّ لأُمور عباده شَرَحَ صدره لذلك، وأودع قلبَه ينابيع الحكمة، وألهمَه العلمَ إلهاماً، فلم يَعْيَ بعده بجواب، ولا يُحيَّر فيه عن الصواب».[٢]

وقال الإمام علي عليه السلام: «أيّها الناس إنّ أحقَّ الناس بهذا الأمر أقواهُم عليه وأعلمُهم بأمر الله فيه، فإن شَغَب شاغبٌ اسْتُعْتِبَ، فإن أبىٰ قُوتِل».[٣]

حدود علم الإمام وآفاقه

والآن ينطرح هذا السؤال وهو: هل عِلم الإمام محدودٌ أو غير محدود؟ وإذا كان محدوداً فما هو حدّه.

في الإجابة على هذا السؤال يجب أن نلتفت إلى أنّ الإمام بشرٌ، وكائنٌ ممكن الوجود، وهو في العلوم بحاجة إلى الإفاضات الإلٰهية، ولذا فإن من الطبيعي أن يكون محدوداً.

أمّا أنّه ما هو ذلك الحدّ؟ فيقال في الجواب على هذا السؤال: نظراً إلى الأدلّة العقليّة والنقلية التي أُقيمت لإثبات ضرورة وجود الإمام وكونه عالماً، فإنّ القدر المتيقّن هو أنّ الإمام يجب أن يحظى بمعرفة جميع المعارف والعلوم الدينية التي

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٣١

(٢) أُصول الكافي ج ١ ص ٢٠٢

(٣) نهج البلاغة الخطبة ١٧٣

هي ضرورية لإسعاد الناس دنياً وآخرة، و نقصد بهذه المعارف تلك العلوم و المعارف التي نزلت على رسول الله ﷺ عن طريق الوحي، لأنّنا قد أسلفنا بأنّ الإمام هو الذي يواصل القيام بالمسؤوليات التي كانت على كاهل رسول الله، ﷺ ومثل هذا الأمر المهمّ إنّما يتحقّق إذا كان الإمام عارفاً بكلّ علوم الدين ومعارفه.

إنّ العلوم والمعارف التي يُفترض أن يعرفها الإمام الذي يخلف رسولَالله ﷺ تتلخّص في العناوين و المحاور التالية:

١ ـ الأحكام المرتبطة بالعبادات، والواجبات، والمستحبّات التي يُشترط قصد القربة في صحّتها.

٢ ـ المحرّمات التعبّدية مثل حرمة المسكر، وحرمة أكل لحم الحيوان غير المذكّى شرعاً، وحرمة أكل لحوم الحيوانات المحرّمة اللحم أصلاً، وحرمة أكل الطعام النجس التي هي من التشريعات الإسلامية ويجب القبول بها تعبّداً.

٣ ـ النجاسات مثل البول والغائط البشريّين ومن الحيوانات المحرّمة اللحم ودم الإنسان والحيوانات ذات الدم الدافق عند الذبح، وسائر النجاسات والمطهّرات وكيفية التطهير، وهذا النوع من الأُمور هي أيضاً من التشريعات الإسلامية، وتُقبل تعبّدياً.

٤ ـ الأُمور الإجتماعية مثل أنواع المعاملات والإرث والوصيّة والنكاح والطلاق وغير ذلك من الأُمور الموجودة في جميع المجتمعات.

إنّ هذا النوع من الأحكام والقوانين وإن كانت موجودة أيضاً في المجتمعات الأُخرى، ولكن للشارع الإسلامي المقدّس دخالة في تنفيذها أو ردّها وتشريع الأحكام المرتبطة بها.

٥ ـ الأحكام والقوانين المرتبطة بالحكومة، وإدارة البلاد مثل أحكام القضاء والفَصل بين الخصومات والعقوبات والقصاص والحدود والديات والتعزيرات

والجهاد والدفاع والخمس والزكاة والغنائم الحربية وغير ذلك من الشؤون المشابهة.

٦ ـ أُصول العقائد والفروع مثل معرفة الله، والمعاد والنبوّة والإمامة .

٧ ـ الأخلاق (الفضيلة والرذيلة).

إنّ هذا النوع من المسائل حيث أنّها دخيلة في توفير السعادة الدنيوية والأُخروية للبشر، لذلك يجب القول بأنّ النبي الأكرم ﷺ كان عارفاً بها وأنّه كان مأموراً ـ من قِبَل الله تعالى ـ بإبلاغها إلى الناس فإنّه يجب أن يقال في مثل هذا الصعيد بأنّ الإمام وخليفة النبي ﷺ هو كذلك عارف بها، لكي يستطيع القيام بها ـ بعد وفاة النبي ﷺ ليواصل حركة الدين، ويضمن استمراريته.

وبالنسبة إلى الآراء التي أبداها الأئمّة الأطهار ﵈ في مختلف شعب العلم ومجالاته والتي نجدها في كتب الحديث وتنسب إلى الأئمّة ﵈ لا يمكن الاكتفاء بحديث أو حديثين في ثبوت نسبتها وإعزائها إلى تلك الذوات المقدّسة، بل هذه الأحاديث بحاجة إلى دراسة كلٍّ منها على انفراد، سنداً ومتناً، فإذا صحّ منها شيءٌ حظي بالقبول ونُسِب إلى الإمام، ولكن ما بقي في دائرة الشكّ بل وحتّى الظنّ يبقى مجرّد احتمال.

مصادر علم الإمام ومنابعه :

وهنا ينطرح هذا السؤال وهو: «ما هي منابع علوم الإمام ومن أين يأخذها ويكتسبها؟».

قبل الإجابة ينبغي أن نلتفت بدايةً إلى أنّ النبي ﷺ كان يتلقّى علومه من جانب الله عن طريق الوحي، ولكن المسلمين يعتقدون أنّ الوحي التشريعي هو من مختصّات النبي ﷺ، وهذا الوحي الإلّهيُّ انقطع بعد رسول الله ﷺ لأنه كان

خاتم النبيين، و آخر المرسلين، وقد تمّ التصريح بهذه الحقيقة في القرآن الكريم و في الأحاديث أيضاً:

قال أمير المؤمنين عليٌّ ﷺ: «**أرسله على فترة من الرسل، وتنازعٍ من الألسن، فقفّى به الرسُلَ وختم به الوحيَ**».[1]

بالنظر إلى هذا النوع من الأحاديث ونظراً إلى أنّ انقطاع الوحي يعتبر من المسائل البديهية لدى المسلمين يجب أن نقول: أنّ الأئمّة المعصومين لم يكتسبوا معلوماتهم حول الأحكام الإسلامية وقوانين الشريعة الحيوية من الوحي بصورة مباشرة، بل كانوا يأخذونها من منابع أُخرى، وتلك المنابع تتلخّص في ثلاثة أنواع:

١ ـ سُنّة النبيّ وأحاديثه

إنّ فترة الرسالة النبوية المحمّدية وإن كانت قصيرة لم تتجاوز ثلاثاً وعشرين عاماً، إلّا أنّ نبي الإسلام ﷺ لم يترك الدين الإسلامي ناقصاً، بل تلقّى مجموع الأحكام والقوانين والمعارف التي يحتاج إليها الناس من جانب الله عن طريق الوحي وأبلغها إلى الناس في فرص ومناسبات مختلفة على نحو التدريج ليعرفوا واجباتهم ووظائفهم ويعملوا بها، وقد كان المسلمون هم أيضاً ينتظرون الوحي واستماع أقوال النبي المستندة إلى الوحي ويولونها اهتماماً خاصّاً وبالغاً، ولكنّها غالباً ما كانت في حدود الاستماع والعمل، ولم يكن هناك اهتمام بحفظ نصّ ما كان يصدر من النبي ﷺ ونقله إلى الآخرين بعنوان الحديث.

على أنّه كان من بين الصحابة من كان يهتمّ بحفظ الكلمات النبوية وضبطها

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٢٩

بهدف نقلها إلى الآخرين بعنوان الحديث والوحي الإلّهي بل كان بعضهم ـ ممّن كان يعرف القراءة والكتابة ـ يثبتون كلّ أو بعض ما كانوا يسمعونه، في ألواح كانت تُستخدم للكتابة في ذلك العصر، لتبقى لهم وللآخرين.

ومن البديهي أنّ هذا المقدار من العناية لم يكن كافياً لبقاء معارف الإسلام وقوانينه وأحكامه وعلومه الواسعة على طول التاريخ لأنّه:

أوّلاً: لم يكن عدد هؤلاء الأفراد من المهتمّين، كثيراً.

وثانياً: لأنّه لم يكن عدد العارفين بالكتابة والقرائة في ذلك العصر كبيراً أساساً.

وثالثاً: لأنّه لم يكن جميع أُولئك الأشخاص حاضرين عند النبي ﷺ دائماً وفي كلّ وقت حتّى يسمعوا الوحي، و تفسيره بل كانوا إمّا في سفر أو في حالة المرض أو في شغل بالكسب والعمل أو مهتمّين بقضايا أُخرى.

ورابعاً: لأنّ الكثير من هؤلاء لم يكونوا أصحاب ذاكرة قوية ليحفظوا ما يسمعونه بالكامل، ثم يسجّلوا ما يحفظونه بدقّة.

وخامساً: لأنّ الكثير من القضايا لم تحدث في عصر النبي ليسألوا رسول الله ﷺ عن حكمها.

وسادساً: لأنّهم لم يكونوا يشعرون بالمسؤولية الجادّة تجاه حفظ تلك الأُمور وضبطها.

وسابعاً: لأنّ المسلمين غالباً ما كانوا يعيشون في ظروفٍ معيشيّة جدّ صعبة، أو كانوا يعانون من مشاكل و متاعب على أيدي أعدائهم كتعذيب المشركين ومضايقتهم لهم حتى أنهم اضطروا للهجرة إلى الحبشة، أو يعانون من الحصار الاقتصادي، حتى أنهم لجأوا إلى شِعب أبي طالب وبالتالي الهجرة إلى المدينة المنوّرة فراراً من الاعتقال و الاغتيال، أو كانوا في المدينة مهتمّين بتأمين ظروف

المعيشة أو توفير المسكن، أو كانوا يتعرّضون للحملات العسكرية من قبل الأعداء ممّا كان يفرض عليهم حالة التأهّب المستمرة، والتهيّؤ الحربي الدائم بهدف الدفاع.. وو.

وكان النبي الأكرم ﷺ يعلم جيّداً بأنّ أكثر المسلمين ـ نظراً لهذه الظروف القاسية والبالغة الخطورة ـ لا يمكنهم ضبط واستيعاب أحكام الشريعة وقوانينها، ومعارف الإسلام وعلومه و حفظها بشكل كامل ودقيق، ليتركوها لمن يأتي بعدهم من المسلمين على مدار التاريخ.

ولهذا ارتأى الله سبحانه ـ لحلّ هذه المشكلة وفي ضوء الوحي ـ أن يودع النبي ﷺ كلّ ما يتلقاه عن طريق الوحي من علوم ومعارف، وأحكام وقوانين إسلامية لدى شخص أمين مصون من الخطأ والزلل، و من الغفلة والنسيان، ويدّخرها في مكان آمن ومطمئن، وكان ذلك المحل الآمن والمكان الموثوق به هو قلب علي بن أبي طالب الطاهر المنوّر.

وحيث أنّ النبي الأكرم ﷺ عرف بهذه المشاكل ـ بإلهامٍ من الله إليه ـ بدأ بهذا الأمر الحيوي المهمّ منذ بداية النبوّة، واستمرّ فيه إلى أُخريات حياته وما قبل وفاته. فقد كان ﷺ يستغلّ كلّ فرصة مناسبة وكلّ مكان وزمان مؤاتيين في نقل علومه إلى علي عليه السلام، وقد تحمّل علي ٧ هذه المسؤولية الثقيلة والخطيرة، أعني أخذ ما كان يلقيه عليه النبي ﷺ من علوم ومعارف دينية، وبالغ في المحافظة عليها وضبطها، وكان مزوّداً ـ بفضل الله وعنايته ـ باستعداد ذاتي، وتأييدات إلّهية فكان يحفظ ما يسمعه، ويعي بدقّة ما يلقى إليه.

وتشهد بذلك أحاديث وردت في كتب الحديث نوّهت بهذه الحقيقة، اليك طائفة منها:

١ ـ عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «ضمّني رسولُ الله ﷺ وقال لي: إنّ الله

أمرني أُدنيكَ ولا أُقصيكَ، وأن تسمع وتَعِي، وحقّاً على الله أن تسمع وتَعِي» فنزلت هذه الآية: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾.[1][2]

٢ ـ وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: لمّا نزلت ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ قال النبي ﷺ «سألتُ ربّي أن يجعلها أُذن علي». وقال عليٌّ: «ما سمعت من رسول الله شيئاً إلّا حفظته ووعيتهُ ولم أنسه مدى الدهر».[3]

٣ ـ وعن ابن عباس أيضاً قال قال رسول الله ﷺ «لمّا صِرت بين يدي ربّي كلّمني وناجاني فما علمتُ شيئاً إلّا علّمتُه عليّاً فهو باب علمي».[4]

٤ ـ وقال الإمام علي عليه السلام ـ ضمن حديث ـ: «وقد كنت أدخُل على رسولالله ﷺ كلّ يوم دَخلة، وكلّ ليلة دخلة فيخلّيني فيها أدورُ معه حيث دار، وقد عَلِم أصحاب رسول الله ﷺ أنّه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، فربما كان في بيتي يأتيني رسولُ الله ﷺ أكثر ذلك في بيتي.

وكنت إذا دخلتُ عليه بعض منازله أخلاني وأقام عنّي نساءه فلا يبقى عنده غيري، وإذا أتاني للخَلوة معي في منزلي لم تقم عنّي فاطمة ولا أحد من بنيَّ.

وكنت إذا سألتُ أجابني، وإذا سكتُّ عنه وفنِيَت مسائلي ابتدأني، فما نزلتْ على رسول الله ﷺ آيةٌ من القرآن إلّا أقرأنيها، وأملاها عليَّ فكتبتُها بخطّي وعلّمني تأويلَها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصّها وعامّها، ودعا الله أن يعطيني فهمَها وحفظها، فما نسيتُ آيةً من كتاب الله ولا عِلماً أملاه عليَّ وكتبتُه منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئاً علّمه الله من حلال ولا حرام، ولا

---

(١) الحاقة / ١٢

(٢) المناقب للخوارزمي ص ١٩٩

(٣) المناقب للخوارزمي ص ١٩٩

(٤) ينابيع المودّة ص ٧٩

أمر ولا نهي كان أو يكون، ولا كتاب منزَّل على أحد قبلَه من طاعة أو معصية إلّا عَلَّمنيه وحفظتُه فلم أنسَ حرفاً واحداً.

ثمّ وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي عِلماً وفهماً وحُكماً ونوراً.

فقلت: يانبيَّ الله بأبي أنت وأُمّي منذ دعوتَ الله لي بما دعوتَ لم أنسَ شيئاً ولم يَفُتني شيءٌ لم أكتبه، أفتتخوّفُ عليَّ النسيان فيما بعد؟

فقال: لا لستُ أتخوّف عليك النسيانَ والجهل».[1]

٥ ـ قيل لعليّ عليه السلام: «ما لَكَ أكثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله حديثاً؟

قال: «إنّي كنتُ إذا سألتُه أنبأني، وإذا سكتُّ ابتدأني».[2]

٦ ـ قال عليّ عليه السلام «والله ما نزلت آيةٌ إلّا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت، وعلى من نَزَلت. إنّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً ناطقاً».[3]

٧ ـ عن الأصبغ بن نباتة قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله علّمَني ألفَ بابٍ من الحلال والحرام، وممّا كان وممّا يكون إلى يوم القيامة ، كلُّ باب منها يُفتح منه ألفُ باب فذلك ألفُ ألف باب حتّى عُلّمتُ علمَ المنايا والبلايا وفصل الخطاب».[4]

النبيُّ وتأييده لجامعيّة الامام علي العلميّة

لقد استطاع الإمامُ عليٌّ عليه السلام بفضل امتلاكه لذكاء ذاتيٍّ بالغ في القوّة وبفضل

(١) الكافي ج ١ ص ٦٤

(٢) الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣٣٨

(٣) الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣٣٨

(٤) ينابيع المودّة ص ٨٨

جدّيته ومتابعته الشخصية، وبفضل تأييدات إلّهية و توفيقات ربـانيّة له وعـناية خاصّة كان يبذلها النبي ﷺ في تعليمه وتربيته، استطاع ـ خلال ثلاثة وعشرين عاماً – وهي مدّة الفترة النبوية – أن يأخذ من النبي الكـريم ﷺ جـميع العـلوم والمعارف، والأحكام والقوانين الإسلامية، ويحفظها جيّداً بحيث يمكن القول بأنّه كان خازن علوم النبي ﷺ

ولقد أكّد رسولُ الإسلام ﷺ هذه الحقيقة وأيّدها وصرّح بها في مـواضـع مختلفة وعديدة، وقد أُثبتت ودوّنت هذه التأكيدات وهذه التأييدات فـي كـتب الحديث، وها نحن ننقل هنا جملة منها:

١ ـ قال النبي ﷺ **«ليهننك العلمُ ـ أبا الحسن ـ لقد شربتَ العلم شرباً ونهَلته نهلاً».**[1]

٢ ـ قال رسول الله ﷺ **«أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها فمن أراد العـلمَ فـليأتِ البابَ».**[2]

٣ ـ قال رسول الله ﷺ **«ياعليّ أنا مدينةُ العلم وأنت بابها، كَذِبَ من زعم أنّه يصل إلى المدينة إلّا من قِبَل الباب».**[3]

٤ ـ قال رسول الله ﷺ **«أنا مدينة الحكمة وعليٌّ بابها».**[4]

٥ ـ روى سلمان الفارسيّ عن النبي ﷺ أنّه قال: **«أعلم أُمّتي عليٌّ».**[5]

٦ ـ عن ابن مسعود ﷺ قال: كنت عند رسول الله ﷺ فسئِل عن علم علي

---

(١) ذخائر العقبى ص ٧٨

(٢) المناقب للخوارزمي ص ٤٠؛ وأُسد الغابة ج ٤ ص ٢٢؛ والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣ ص١٢٧

(٣) ينابيع المودّة ص ٨٢

(٤) ينابيع المودّة ص ٨١

(٥) ينابيع المودّة ص ٨٠

فقال: «قُسِّمت الحكمةُ عشرة أجزاء فأُعطِي عليٌّ تسعة أجزاء والناس جزءٌ واحدٌ وهو أعلم بالعُشر الباقي».(١)

٧ – روى أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنّه قال لعليٍّ ﷺ «أنت تبيّن لأُمّتي ما اختلفوا فيه من بعدي».(٢)

٨ – عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ «إنّ أقضى أُمّتي عليُّ بن أبي طالب».(٣)

كتابة العلوم وتدوينها

رغم أنّ الإمام عليّاً ؏ كان معصوماً عن الخطأ والنسيان، ومصوناً من الاشتباه والزلل، ولم يكن بحاجة – للاحتفاظ بالأحاديث – إلى الكتابة والتدوين، الا أنّ رسول الإسلام ﷺ أمره – رغم ذلك – أن يكتب ما يلقيه اليه في كتاب، ليبقى ذلك للأئمّة من بعده طوال التاريخ.

عن أمير المؤمنين ؏ قال: «قال رسول الله ﷺ أُكتب ما أُملي عليك.

فقلتُ: يانبيَّ الله أتخاف عليَّ النسيان؟

قال: لستُ أخاف عليك النسيان وقد دعوتُ الله لك أن يحفظك ولا يُنسيك ولكن أُكتب لشركائك.

قلت: ومَن شركائي يانبيَّ الله؟

قال: الأئمّة من وُلدك، بهم تُسقى أُمّتي الغيث، وبهم يُستجاب دعاؤهم، وبهم يصرف الله عنهم البلاء، وبهم ينزل الرحمة من السماء، وهذا أوّلهم، وأومأ بيده

(١) ينابيع المودّة ص ٨٠

(٢) المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ١٢٢

(٣) المناقب للخوارزمي ص ٣٩

إلى الحسن بن علي ﷺ ثمّ أومأ بيده إلى الحسين ﷺ.

ثمّ قال: والأئمّة من ولده رضي الله عنهم».[1]

انتقال الكتب إلى سائر الأئمّة

لقد انتقلت الكتب المذكورة ـ بالتوارث ـ إلى سائر الأئمّة، ولقد استفيد منها في رواية الأحاديث.

ولقد أشاروا ـ أحياناً ـ إليها وذكروا (كتاب عليّ) و (الصحيفة) و(الجامعة) ولدينا في هذا الصدد أحاديث كثيرة نذكر من باب النموذج بعضها:

١ ـ عن أبي مريم قال قال لي أبو جعفر (الباقر) ﷺ: «عندنا الجامعة وهي سبعون ذراعاً، فيها كلّ شيءٍ حتّى أرش الخدش، إملاءُ رسول الله ﷺ وخطُّ علي ﷺ وعندنا الجفر وهو أديم عكاظِي قد كُتب فيه حتّى مُلئت أكارعه، فيه ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة».[2]

٢ ـ عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله قال سمعته يقول: «إنّ عندنا جلداً سبعون ذراعاً أملى رسول الله ﷺ وخَطّه عليٌّ ﷺ بيده، وإنّ فيه جميع ما يحتاجون إليه حتّى أرش الخدش».[3]

٣ ـ عن عبيدالله بن زرارة قال: سألت أبا عبدالله ﷺ عن الكبائر.

فقال: «هُنّ في كتاب عليٍّ ﷺ سبع: الكفرُ بالله وقتلُ النفس وعقوقُ الوالدين وأكلُ الربا بعد البيّنة وأكلُ مال اليتيم ظلماً والفرارُ من الزحف والتعرّبُ بعد

(١) ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي ص٢٢؛ و جامع أحاديث الشيعة ج١ ص١٩٦

(٢) جامع أحاديث الشيعة ج١ ص١٨٦

(٣) جامع أحاديث الشيعة ج١ ص١٨٦

الهجرة».[1]

٤ ـ عن ابن فضّال محمّد بن عيسى عن يونس جميعاً قالا: «عرضنا كتاب الفرائض عن أمير المؤمنين عليه السلام على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال: «هو صحيحٌ».[2]

٥ ـ أبو حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: وجدنا في كتاب عليّ عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا مُنِعَتِ الزكاة مَنَعَتِ الأرض بركاتها».[3]

٦ ـ طلحة بن زيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قرأتُ في كتاب عليّ عليه السلام إنّ الله لم يأخذ على الجهّال عهداً بطلب العلم حتّى أخذ على العلماء عهداً ببذل العلم للجهّال لأنّ العلم كان قبلَ الجهل».[4]

٧ ـ معلّى بن خنيس عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ الكتب كانت عند علي عليه السلام فلمّا سار إلى العراق استودع الكتبَ أُمّ سلمة، فلمّا مضى عليٌّ عليه السلام كانت عند الحسن، فلمّا مضى الحسن عليه السلام كانت عند الحسين، فلمّا مضى الحسين عليه السلام كانت عند علي بن الحسين عليه السلام ثمّ كانت عند أبي».[5]

٨ ـ قال جابر: قال أبو جعفر عليه السلام: «ياجابر؛ لو كنّا نُفتي الناس برأينا وهَوانا لكنّا من الهالكين، ولكنّا نُفتيهم بآثار من رسول الله صلى الله عليه وآله وأُصولِ علمٍ عندنا نتوارثها كابراً عن كابر نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضّتهم».[6]

ولقد أُشير إلى هذه الكتب في بعض مصادر أهل السنّة أيضاً:

١ ـ كتب ابن حجر العسقلاني يقول: قال ابن عدي: «ولجعفر أحاديث ونُسخ

(١) جامع أحاديث الشيعة ج ١ ص ١٩٣
(٢) جامع أحاديث الشيعة ج ١ ص ١٩٥
(٣) جامع أحاديث الشيعة ج ١ ص ١٩٤
(٤) جامع أحاديث الشيعة ج ١ ص ١٩٣
(٥) جامع أحاديث الشيعة ج ١ ص ١٩٥
(٦) جامع أحاديث الشيعة ج ١ ص ١٨٤

وهو من ثقات الناس».

وقال عمرو بن أبي المقدام: «كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمّد، علمت أنّه من سلالة النبيّين».[١]

٢ ـ وكتب ابن حجر أيضاً:

سُئل جعفر بن محمّد مرّة: سمعتَ هذه الأحاديث من أبيك؟ قال: « نعم » وسُئل مرّة، فقال: «إنّما وجدتها في كتبه».[٢]

٣ ـ وقال أيضاً:

ذكر ابن حبّان «جعفرَ بن محمّد» في الثقات وقال: «من سادات أهل البيت فقهاً وعلماً وفضلاً، يُحتجّ بحديثه من غير رواية أولاده عنه، وقد اعتبرتُ حديث الثقات عنه، فرأيت أحاديثه مستقيمة ليس فيها شيء يخالف حديث الأثبات».[٣]

٤ ـ وقال هو أيضاً:

قال مالك: «اختلفتُ إليه زماناً فما كنت أراه إلّا على ثلاث خصال: إمّا مُصلٍّ وإمّا صائمٌ وإمّا يقرأ القرآن، وما رأيته يحدّث إلّا على طهارة».[٤]

الخلاصة والاستنتاج

يُستفاد من الأحاديث المذكورة والعشرات من نظائرها عدّة مواضيع مهمّة:

١ ـ أنّ الدين الإسلامي قد اكتمل وبلغ كماله في عهد رسول الله ﷺ وأنّ جميع العلوم والمعارف والأحكام والقوانين اللازمة قد أُبلغت إلى رسول الله ﷺ

---

(١) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٠٤

(٢) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٠٤

(٣) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٠٤

(٤) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٠٤

عن طريق الوحي.

٢ ـ أنّ رسول الله ﷺ قام بنشر الأحكام الإلٓهية عن طريقين:

الأوّل: إبلاغها إلى الناس والتوصية بحفظها وضبطها والعمل بها.

الثاني: إيداع جميعها في مكان آمن مصون من الزيادة والنقصان والخطأ والنسيان وهو قلب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣ – توصية علي بن أبي طالب بحفظ الأحكام والقوانين الدينية وضبطها من أجل نقلها إلى الأئمّة من بعده.

٤ ـ ومن هنا تهيّأت ونشأت كتبٌ كانت عند عليّ عليه السلام، وقد استفاد منها بعد رحيل النبي الكريم محمّد ﷺ وانتقلت بعد الإمام عليّ عليه السلام إلى ولده الإمام الحسن عليه السلام، وهكذا انتقلت إلى الأئمّة من بعد الحسن واحداً بعد واحد. وقد كانت هذه الكتب عند أُولئك الأئمّة الطاهرين عليهم السلام وكانوا يسندون ما يقولونه إلى تلك الكتب، وكان كلّ إمام سابق منهم يقوم بنقل تلك العلوم الدينية إلى الإمام اللاحق عبر طريقين: بالتعليم الشفاهيّ و بالإذن له برواية الحديث من تلك الكتب الموروثة.

ومن هذا الطريق كان الأئمّة المعصومون ينسبون أحاديثهم إلى رسول الله ﷺ كما جاء التصريح بذلك في بعض الأحاديث والروايات:

هشام بن سالم وحمّاد بن عثمان وغيره، قالوا: سَمعنا أباعبدالله (الصادق) عليه السلام يقول: «حديثي حديثُ أبي، وحديثُ أبي حديثُ جدّي، وحديثُ جدّي حديثُ الحسين، وحديثُ الحسين حديثُ الحسن، وحديثُ الحسن حديثُ أميرالمؤمنين، وحديثُ أمير المؤمنين حديثُ رسول الله ﷺ وحديثُ

رسول الله قولُ الله عزّوجلّ».[١]

٢ ـ عن جابر، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إذا حدّثتني بحديثٍ فأسنِده لي فقال: «حدّثني أبي عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل، عن الله عزّوجلّ، وكلّما أُحدّثك، بهذا الإسناد».

و قال: «يا جابر! لحديثٌ واحدٌ تأخذه عن صادقٍ خيرٌ لك من الدنيا وما فيها».[٢]

٣ ـ حفص بن البختري، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: نسمع الحديث منك فلا أدري منك سماعُه أو من أبيك؟

فقال: «ما سمعتَه منّي فأروِه عن أبي وما سمعتَه منّي فأروِه عن رسول‌الله صلى الله عليه وآله».[٣]

كلّ ما قيل إلى هنا إنّما هو توضيحٌ مختصرٌ حول كيفية تدوين السنّة النبوية وكتابة حديث رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته وعلى عهده وما تمّ تحت رعايته وإشرافه.

ومن هنا نكون قد وقفنا على أحد أهمّ مصادر علوم الأئمّة المعصومين، ومعارفهم.

فمع أنّ الأئمّة المعصومين لم يوحَ إليهم، إلّا أنّهم كانوا على صلةٍ غير مباشرة بحقائق الوحي، وبالأحكام والقوانين الموحى بها، و ذلك عن طريق أخذها مباشرة من رسول الله صلى الله عليه وآله.

و بهذا الطريق كان كلٌّ واحد من أُولئك الأئمّة الطاهرين بفضل امتلاكه لأقوى الأسناد والتي كانت تتألّف من الرواة المعصومين يستفيد من الوحي

---

(١) الكافي ج ١ ص ٥٣؛ جامع أحاديث الشيعة ج ١ ص ١٨٠

(٢) جامع أحاديث الشيعة ج ١ ص ١٨١

(٣) جامع أحاديث الشيعة ج ١ ص ١٨١

ويستقي معلوماته منه بصورة مباشرة، وينقلها من معينه الأصيل، وأيُّ امتياز ـ ترى ـ أعظم من هذا الامتياز، وأيّة ضمانة أقوى من هذه الضمانة، وأيّة مفخرة أعلى من هذه المفخرة؟؟

على أن الأهمّ من ذلك هو أنّ الائمة من أهل البيت كانوا يُسندون معارفهم وأحاديثهم إلى أكثر الكتب وأقواها اعتباراً وهو الكتاب الذي دُوّن ونشأ باملاء رسول الله ﷺ وخطّ عليّ ؑ .

وما نُقل من هذا المصدر القيّم الغنيّ كان في أغلبه يدور حول أحكام الشريعة وقوانينها، والمسائل الفقهية، وربما كان يدور قسمٌ منها حول المعارف العقلية والقضايا العقائدية، بل وحتّى المسائل الأخلاقية.

بحثٌ قصيرٌ حول هذه الكتب

ومن المؤسف أنّ الكتب التي تمّ تدوينُها بإملاء رسولِ الله ﷺ وخطّ علي ؑ ليست – بعينها – في متناول أيدينا، ولا نعلم بما احتوت عليه من المعلومات بصورةٍ كاملةٍ، ولا ندري هل احتوت على الأحكام الإسلامية وقوانين الدين الفقهية فقط، أم أنّها تضمّنت إلى جانب ذلك علوماً ومعارف دينية أُخرى؟ وهل أنّها ضمّت بين دفّتيها جميع الفروع الفقهية في الأبواب المختلفة وبصورة جزئية أم أنّها اكتفت بذكر وإدراج الأُصول والقواعد الكلّية، واستخرج منها الأئمّة ؑ الفروعَ والأحكامَ الجزئية التفصيلية؟

إنّ ما يستفاد من بعض الأحاديث هو أنّ تلك الكتب كانت تضمّ تفاصيل المسائل والجزئيات من الأحكام أيضاً.

يقول محمّد بن مسلم: سألتُه (الإمام) عنِ ميراث العلم: ما بَلَغَ أجوامعٌ هو من العلم أم فيه تفسير كلّ شيءٍ من هذه الأُمور التي يتكلّم فيها الناسُ من الطلاق

والفرائض؟

فقال: «إنّ عليّاً عليه السلام كتبَ العِلمَ كُلّه: القضاء والفرائِض، فلو ظهر أمرنا فلم يكن شيئاً إلّا وفيه سُنّةٌ نمضيها».[1]

وجاء في بعض الأحاديث: «إنَّ في تلك الكتب كلّ شيء حتّىٰ أرش الخدش».[2]

هذا النمط من الأحاديث وإن لم يكن قليلاً، ولكن مع ذلك يبعد أن تكون تلك الكتب قد ضمّت جميع الفروع الفقهية في جميع أبواب الفقه بلا استثناء، لأنّ الملمَّ بالفقه الإسلامي يعلم أنّ الفروع الفقهية والجزئيات من الأحكام من السعة والكثرة بحيث لا يمكن أن يضمّها كتاب وإن كان سبعين ذراعاً، وبخاصّة في الأوراق والصحائف المتعارفة والمتداولة في ذلك الزمان، وعلى الخصوص إذا قلنا أنّ محتوى تلك الكتب لم يكن منحصراً في الفقه بل كانت تضمّ بقيّة العلوم والمعارف الإسلامية كما يستفاد ذلك من بعض الأحاديث.

يبقى سؤال في آخر المطاف وهو: أنّه كيف كان الأئمّة الأطهار ينقلون من محتويات هذه الكتب، هل كانوا ينقلون عباراتها بالنصّ وبالحرف الواحد أم كانوا ينقلون معانيها ويذكرونها للناس.

من المؤسف أنّنا لا يمكننا أن نجيب على هذا السؤال إجابةً قاطعةً لعدم وقوفنا على تلك الكتب بعينها، وبذاتها.

---

(١) جامع أحاديث الشيعة ج ١ ص ١٣٨

(٢) جامع أحاديث الشيعة، ج ١ ص ١٣٢ ـ ١٣٣

٢ ـ القرآن الكريم

يُعدّ القرآن الكريم أهمّ مصدر من مصادر العلوم الإسلامية وأكثرها اعتباراً لأنّه من حيث السند قطعيُّ الصدور، ويعلم كلّ مسلم أنّ القرآن الكريم الموجود الآن هو عين الآيات والسور التي نزلت من جانب الله تعالى على قلب رسول الله الطاهر ﷺ ولم يتطرّق إليه أي تغيير أو تحريف قطّ.

إنّ هذا الكتاب السماويّ نزل لهداية البشر ويجب أن يكون من ناحية المحتوى بحيث يلبّي كلّ الاحتياجات البشرية المتنوّعة.

إنّ القرآن الكريم نزل لإرشاد الناس جميعاً، ويتمكّن الجميعُ الاستفادة منه ولكن بالإمعان في مفاهيم هذا الكتاب السماوي يتبيّن أنّ بين آياته ناسخاً ومنسوخاً ومحكماً ومتشابهاً وخاصّاً وعاماً، ونظراً إلى اختلاف الناس وتفاوتهم في فهم المواضيع يجب أن نذعن لحقيقة مهمّة هنا وهي أنّ الناس ليسوا في إدراك مفاهيم القرآن العميقة على درجة واحدة و مستوىً واحد.

إنّ من المحتّم أنّ فهم رسول الله الذي كان يسمع آيات القرآن المنزلّة من جانب الله عبر جبرئيل في باطن ذاته، وفي سرّه، وإدراكَه لمراد الحقّ تعالى فيها كان أعمق بكثير، وأعلى بدرجات من فهم غيره، وإدراكه لها.

ولهذا كان ﷺ يسعى عند نزول هذه الآيات أن يبيّن معارف القرآن ومقاصد الله تعالى في آياته ويكشف عن تأويلها لعلي عليه السلام من أجل أن يحتفظ بها للناس، وكان عليٌّ عليه السلام يضبط بدوره هذه الأحاديث النبوية المبيّنة لآيات القرآن ويحافظ عليها بصورة كاملة ودقيقة.

ومن هنا يمكن القول بأنّ علم التفسير بدأ هو أيضاً من نفس رسول الله ﷺ وانتقل منه إلى عليٍّ عليه السلام وانتقل منه إلى الأئمّة المعصومين عليهم السلام وجُعل في متناول أيديهم، هذا مضافاً إلى أنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام كانوا هم يحظون بفهم وإدراكٍ

عميقَين وقابليات ذاتية عالية، وتأييدات إلٰهية ممتازة لفهم معاني القرآن الكريم ودرك مفاهيمه.

وعلى هذا الأساس يمكن وصف القرآن بكونه أهمَّ مصدر كان يستقي منه الأئمّةُ المعصومون ﷺ علومَهم، ولهذا كانوا ينسبونِ ما يصدر منهم من مواضيع إلى آيات القرآن الكريم، ولربما قالوا: إذا سمعتم منّا شيئاً فاطلبوا منّا شاهداً من القرآن عليه.

وإليك فيما يأتي نماذج من الأحاديث التي تشير إلى هذه الحقيقة:

١ ـ مرازم، عن أبي عبدالله ﷺ قال: «إنّ الله تبارك وتعالىٰ أنزل في القرآن تبيان كلّ شيء حتّىٰ ـ والله! ـ ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العبادُ، حتّىٰ لا يستطيع عبدٌ أن يقول: (لو كان هذا أُنزل في القرآن) إلّا وقد أنزله الله فيه».(١)

٢ ـ سماعة، عن أبي الحسن موسى ﷺ قال: قلت له: أكلُّ شيءٍ في كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ أو تقولون فيه؟.

قال: «بل كلُّ شيء في كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ».(٢)

٣ ـ عن أبي الصباح، قال: والله! لقد قال لي جعفر بن محمّد ﷺ: «إنّ الله علّم نبيّه التنزيلَ والتأويلَ، فعلّم رسول الله ﷺ عليّاً ﷺ».

ثمّ قال: «وعلّمنا والله!».(٣)

٤ ـ سلمة بن محرز، قال: سمعت أباجعفر ﷺ يقول: «إنّ من عِلم ما أُوتينا تفسيرَ القرآن وأحكامَهَ وعلمَ تغيير الزمان وحدثانه. إذا أراد الله بقوم خيراً أسمعهم ولو أُسمع من لمْ يسمعْ لولّى معرضاً كأنْ لم يسمعها».

---

(١) الكافي، ج١ ص٥٩

(٢) الكافي ج١ ص٦٢

(٣) جامع أحاديث الشيعة ج١ ص١٨٤

ثمّ أمسك هنيئة.

ثمّ قال: «لو وجدنا أوعية أو مستراحاً لقلنا والله المستعان».(١)

٥ عبدالأعلىٰ مولىٰ آل سام قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: «والله! إنّي أعلمُ كتابَ الله من أوّله إلىٰ آخره، كأنّه في كفّي. فيه خبرُ السماء وخبرُ الأرض وخبرُ ما كان وخبرُ ما هو كائنٌ، قال الله عزّوجلّ: ﴿فيه تبيان كلّ شيء﴾».(٢)

٦ ـ عن أبي الجارود، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إذا حدّثتكم بشيءٍ فاسألوني من كتاب الله».(٣)

٧ـ زرارة، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: «ألا تخبرني من أين علمتَ وقلتَ: إنّ المسح ببعض الرأس وبعض الرجلين؟».

فضحك فقال: «يا زرارة! قاله رسول الله صلى الله عليه وآله ونزل به الكتاب عن الله عزّوجلّ؛ لأنّ الله عزّوجلّ قال: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ فعرفنا أنَّ الوجه كلّه ينبغي أنْ يُغسَل، ثمّ قال: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾، فوصل اليدين إلىٰ المرفق بالوجه، فعرفنا أنّه ينبغي لهما أنْ يُغسَلا إلىٰ المرفقين، ثمّ فصل بين الكلام، فقال: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾، فعرفنا حين قال: ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ أنّ المسح ببعض الرأس لمكان الباء، ثمّ وصل الرجلين بالرأس، كما وصل اليدين بالوجه، فقال: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ فعرفنا حين وصلها بالرأس أنّ المسح علىٰ بعضهما. ثمّ فسّر ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وآله للناس فضيّعوه».(٤)

٨ ـ بريد بن معاوية، عن أحدهما عليهما السلام في قول الله عزّوجلّ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ

---

(١) الكافي ج١ ص٢٢٩

(٢) الكافي ج١ ص٢٢٩

(٣) الكافي ج١ ص٦٠

(٤) وسائل الشيعة ج١ ص٤١٣

إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾: «فرسول الله ﷺ أفضلُ الراسخين في العلم، قد علّمه اللهُ عزّوجلّ جميعَ ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزِّل عليه شيئاً لم يعلّمه تأويلَه. وأوصياؤُه من بعده يعلمونه كلّه، والذين لا يعلمون تأويله إذا قال العالمُ فيهم بعلم فأجابهم الله بقوله: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، والقرآن خاصٌّ وعامٌّ، ومحكمٌ ومتشابهٌ، وناسخ ومنسوخ، فالراسخون في العلم يعلمونه».[١]

٩ ـ عبدالرحمان بن كثير، عن أبيعبدالله عليه السلام قال: «الراسخُون في العِلم أميرُالمؤمنين والأئمّةُ من بعده».[٢]

يُستفاد من مجموعة هذه الأحاديث أنّ القرآن كان من أهمّ المصادر الأصليّة لعلوم الأئمّة المعصومين عليهم السلام وأنّ أُولئك الشخصيات الفذّة التي اختارها الله بفضل ما أُوتوا من استعداد وقابلية ذاتية وما حُبُوا به من تأييدات إلّهية وما وصل إليهم من علوم ومعارف في مجال تفسير القرآن الكريم عن طريق النبي الأكرم محمّد ﷺ كانوا على أُنس كامل بالقرآن، وعلى معرفة تامّة بمعانيه ومراميه، فهم كانوا يستنبطون المسائل الفقهيّة والمعارف العقيدية ومكارم الأخلاق من ذلك الكتاب الإلّهي، ويُلقونها إلى مَن يطلبها ويريدها وهي التي أُثِرت ورويت عنهم في شكل أحاديث منقولةٍ في الكتب، ومدوّنةٍ في المصنّفات.

٣ ـ العقل

يُعتبر العقلُ والتفكير من مصادر علوم الأئمّة المعصومين، ومن المعلوم أنّ

---

(١) الكافي ج ١ ص ٢١٣

(٢) الكافي ج ١ ص ٢١٣

التعقّلَ والتفكيرَ من أهمّ ما يمتاز به الإنسان على سائر الكائنات.

وما يملكه الإنسان إنّما هو في الواقع نابعٌ من قوّة تفكيره ومن نور عقله، وإذا نُزع العقل من الإنسان لم يبق له شيءٌ سوى الصفة الحيوانية.

إنّ المدنيّة والحضارة والتقدّم البشريَّ على طول التاريخ ناشئةٌ من أفكاره ونشاطاته الفكرية.

إنّ الإنسان يستفيد في حياته اليومية من أداة المنطق والاستدلال، باستمرار وتُعتبر حجّية مدرَكاته العقلية من الأُمور القطعية لديه، بل وليس له مناصٌ من ذلك.

إنّ الأديان السماوية كذلك غالباً ما تقوم على الاحتجاجات العقليّة.

إنّ الأنبياء الإلّهيين الذين كانوا يصفون (وبعبارة أدقّ كانوا يطرحون) أنفسَهم على أنّهم مبعوثون من جانب الله، وكانوا يخبرون عن الحياة بعد الموت وعن المثوبات والعقوبات الأُخروية، وإن كانوا غالباً لا يبدأون دعواتهم بالاحتجاجات والاستدلالات العقلية بل كانوا يستعينون بفِطَر الناس، غير أنّهم في نهاية المطاف كانوا ـ من أجل إثبات إدّعاءاتهم يستخدمون أُسلوب الاحتجاج والاستدلال العقلي، ويقودون الناس إليها، ويلزمونهم بها، لأنّهم لم يأتوا ليحملوا أتباعهم على الإيمان والاعتقاد بأُصول العقيدة، وبما يتّصل بالإلّهيّات والمبدأ والمعاد عن طريق التعبّد و التقليد، والقبول بها من دون استدلال وبرهنة.

بل كان من أهدافهم الأُولى والأساسية تنمية القوّة العقليّة عندهم و تحريك عملية التفكير، وتفعيل الاعتقاد الواعي القائم على البرهان، بالمبدأ والمعاد، وبداية هذا الكون ونهايته.

والقرآن الكريم هو الآخر يستفيد من هذا الأُسلوب نفسه، فهو يطرح ضمن آيات عديدة في مجال الإلّهيات وأُصول العقيدة قضايا و أُموراً ويدعو الناس فيها

إلى التفكير والتدبّر فيها، لكي يؤمنوا بها في ضوء التفكير وعلى أساس من الاستدلال العقلي، و يرضخوا للحقّ ويعتنقوا الايمان في أعماق ضمائرهم بقناعة تامّة.

هذا مضافاً إلى أنّ القرآن نفسَه يستخدم في بعض الموارد أُسلوبَ البرهنة والاستدلال ولو في شكلٍ واضحٍ ومبسَّطٍ يدركه الجميع.

لقد كان رسول الإسلام الكريم ﷺ صاحبَ حجّة وبرهان، و قد منح مدرَكات العقل اعتباراً بالغاً وحجّية كبرى في القضايا العقلية، بل وحتّى في أُصول العقيدة ومسائل المبدأ والمعاد، وكان يلتزم بها، بل وحتّى قبل البعثة لم يكن غير معتقد بوجود خالق لهذا الكون وبالتوحيد والمعاد، وإنّما آمن بها بعد تلقّي الوحي، بل كان حتّى قبل البعثة يعتقد بخالق الكون والتوحيد والمعاد، عن طريق العقل.

وحتّى بعد النبوّة أيضاً كان يسعى إلى أن يرسّخ عقائد أتباعه و يبيّن ما جاء به القرآن من خلال إقامة الحجج والبراهين العقلية القويّة.

لقد كان ﷺ يمتلك عقلاً كاملاً وعظيماً، ولكنّه كان إلى جانب تفكّره وإدراكه العقليّ يحظى بدعم الوحي والعصمة أيضاً، وكان مصوناً عن الخطأ والزلل بصورة كاملة، ويدعو أتباعه إلى التعقّلِ والتفكير واتّباعِ العقل دائماً ويشجّعهم عليه باستمرار.

قال ﷺ: **«ما قسّم الله للعباد شيئاً أفضلَ من العقل. فنومُ العاقل أفضلُ من سهر الجاهل، وإقامةُ العاقل أفضلُ من شخوص الجاهل، ولا بعث الله نبيّاً ولا رسولاً حتّىٰ يستكملَ العقل، ويكون عقلُه أفضل من جميع عقول أمّته».**[1]

وبناءً على ذلك يمكن أن نعتبر العقلَ واحداً من المصادر المهمّة لعلوم

---

(١) الكافي ج١ ص١٢

الأنبياء، طبعاً في مجال أُصول العقائد والأُمور العقلية، وأحياناً في مجال الأحكام والقوانين التشريعية.

ولقد تمّ بواسطة النبي ﷺ أيّام حياته الشريفة إعدادُ الإمام عليّ عليه السلام على هذا النهج، وعمل على تقوية قوّته العقلية إلى حدّ الكمال، ليستفيد المسلمون بعد رحيله من علومه ومعارفه وإرشاداته في القضايا العقلية.

وقد كان الإمامُ أمير المؤمنين كالنبي الأكرم ﷺ يحظى في أفكاره بالعصمة وكان مصوناً ـ في ذلك عن الخطأ والزلل.

ولو أنّنا راجعنا كتب الحديث وخاصّة نهج البلاغة لشاهدنا بالعيان هذه الحقيقة، وهي أنّه لم يبلغ أحدٌ في العلوم العقلية وبيان المعارف والإلٰهيات بعد رسول الله ﷺ ما بلغه عليٌّ عليه السلام ولن يبلغه أحد.

و نحن في هذه الصحائف المعدودة لا يمكننا أن نأتي بكلّ ما تفوّه به هذه الشخصية الإسلامية الكبرى، وهذا الإنسان الفذّ والعظيمُ، ولكنّنا نشير إلى قطعة قصيرة من كلامه كنموذج يدلّ على ما ذكرناه:

قال أمير المؤمنين عليه السلام في إحدىٰ خطبه: **«أوّلُ الدين معرفتُه، وكمالُ معرفته التصديقُ به، وكمالُ التصديق به توحيده، وكمالُ توحيده الإخلاصُ له، وكمالُ الإخلاصُ له نفيُ الصفات عنه، لشهادةِ كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادةِ كلّ موصوف أنّه غير الصفة، فَمنْ وصفَ اللهَ سبحانه فقد قَرَنه، ومَنْ قرَنَه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومَنْ جزّأه فقد جهله، ومَنْ جهله فقد أشار إليه، ومَنْ أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، وَمَنْ قال: «فيمَ؟»، فقد ضمّنه، ومَنْ قال: «علامَ؟» فقد أخلىٰ منه».**[1]

---

(١) نهج البلاغة الخطبة رقم ١

إنّ الذين يُلمّون بالكلام (علم العقيدة) والفلسفة يعرفون ما عناه الإمامُ أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام في هذه العبارات القصيرة، ويدركون جيّداً ما بيّنه وقصده.

إنّ على الفلاسفة المسلمين إذا أرادوا أن يوضّحوا هذه العبارات أن يكتبوا فيها عشرات بل مئات الصفحات.

إنّ صدور مثل هذه العبارات في صدر الإسلام وفي الوقت الذي لم يكن فيه علماءٌ في علم الكلام والفلسفة في أوساط المسلمين، ولم تعرف تلك العلوم رواجاً لديهم بعد، أشبه بالمعجزة.

على أنّه لا يبعد صدور أمثال هذه الأُمور من إنسان متميّز، يتمتّع بعقل عظيم، وفراسة ذاتية، ويحظى بمقام العصمة، وكان قد تربّى في حضن النبوّة وكان حصيلة عهد الرسالة ومدرستها.

بناءً على ذلك يُعدّ العقل، والتفكير العقلاني للإمام علي عليه السلام أوّلِ أئمّة الشيعة، واحداً من مصادر علم الإمام.

وقد دأبَ الأئمّةُ المعصومون بعد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على سلوك هذا النهج في المسائل العقلية، وقضايا المبدأ والمعاد أيضاً.

ويمكن الاطّلاع على هذه الحقيقة بمراجعة كتب التاريخ والحديث من خلال الوقوف على احتجاجات الأئمّة المعصومين وكلماتهم في صعيد الإلٰهياتَ وأُصول العقيدة، وللأسف لا يمكن ذكر تلك الاحتجاجات والكلمات في هذا الكتاب.

أفضل علوم الأئمّة

إنّ العلوم التي أثبتناها للإمام المعصوم إلى هنا كانت هي العلوم المتعارفة بين الناس و هي التي يعرفها عامّة الناس أيضاً، وإن كانت علوم الأئمّة حتى من هذا

النوع المتعارف تتميّز بخصوصيات ومميّزات خاصّة، ولكنّها على كلّ حال تعتبر من سنخ المفاهيم الذهنية.[١]

ولكن يستفاد من بعض الأحاديث أنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام كانوا يحظون بنوع آخر من العلوم، وهو أعلى مرتبة من العلوم المتعارفة المألوفة وهو أفضلها.

و إليك فيما يأتي طائفة من هذه الأحاديث من باب المثال:

١ ـ عن أبي بصير، قال: دخلتُ علىٰ أبي عبدالله عليه السلام قال: **«إنَّ عندنا علمَ ما كان وعلمَ ما هو كائن إلىٰ أن تقومَ الساعةُ»**.

قلت: جعلت فداك! هذا والله هو العِلم.

قال: «إنّه لعلمٌ وليس بذلك».

قلت: جعلت فداك! أيّ شيء العلمُ؟

قال: «ما يحدُث بالليل والنهار، الأمرُ بعد الأمر، والشيءُ بعد الشيء إلىٰ يوم القيامة».[٢]

٢ ـ عن المفضل قال: قال أبوعبدالله (الصادق) عليه السلام ذات يوم، وكان لا يكنيني قبل ذلك: **«يا أباعبدالله!»**.

قال: قلت: لبّيك!.

قال: «إنّ لنا في كلّ ليلة جمعة سروراً».

قلت: زادك الله! وما ذلك؟

قال: «إذا كان ليلة الجمعة وافىٰ رسولُ الله صلى الله عليه وآله العرشَ ووافىٰ الأئمّةُ معه ووافيتُ معهم، فلا تُردُّ أرواحُنا إلىٰ أبداننا إلّا بعلم مستفاد ولولا ذلك لأنفدنا»[٣].

(١) أي ما يستفاد من طريق العقل

(٢) الكافي ج١ ص٢٤٠

(٣) الكافي ج١ ص٢٥٤

٣ ـ الحارث بن المغيرة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت: أخبرني عن علم عالِمكم؟.

قال: «وراثةٌ من رسول الله صلى الله عليه وآله ومن عليّ عليه السلام».

قال: قلت: إنّا نتحدّث أنّه يُقذَف في قلوبكم ويُنكت في آذانكم؟

قال: «أوْ ذاك».(١)

٤ ـ علي السائي، عن أبي الحسن الأوّل موسىٰ عليه السلام قال: «مَبلغُ عِلمِنا علىٰ ثلاثة وجوه: ماضٍ وغابرٍ وحادثٍ.

فأمّا الماضي فمفسَّر،

وأمّا الغابر فمزبور،

وأمّا الحادث فقذفٌ في القلوب ونَقْرٌ في الأسماع وهو أفضل عِلمنا، ولا نبيَّ بعد نبيِّنا».(٢)

٥ ـ عن المفضّل بن عمر، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: رُوينا عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنّ علمنا غابر ومزبور ونكتٌ في القلوب ونقرٌ في الأسماع».

فقال: «أمّا الغابر فما تقدم من عِلمنا،

وأمّا المزبور فما يأتينا،

وأمّا النكت في القلوب فإلهامٌ، وأمّا النَقْر في الأسماع فأمر المَلَك».(٣)

٦ ـ زرارة، قال: سمعت أباجعفر عليه السلام يقول: «لو لا أنّا نزداد لأنفدنا».

قال: قلت: تزدادون شيئاً لا يعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: «أمّا إنّه إذا كان ذلك عرض علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ على الأئمّة، ثمّ انتهى

---

(١) الكافي ج١ ص٢٦٤

(٢) الكافي ج١ ص٢٦٤

(٣) الكافي ج١ ص٢٦٤

الأمر إلينا».[1]

يُستفاد من هذه الأحاديث ونظائرها، الكثيرة في عددها أنّ الرسول الأكرم ﷺ والأئمّة المعصومين ﷺ كانوا يحظون بعلوم ومعارف خاصّة أعلى وأفضل، علاوة على العلوم والمعارف المعروفة المألوفة، وكانت تختلف عن هذه الأخيرة، اختلافاً كبيراً.

إنّ علوم الأئمّة المعصومين ﷺ الخاصّة هذه لم تكن من نمط المفاهيم الذهنية، و من نتاج العقل و التفكير بل كانت من سِنخ الوجود والحضور والإشراق.

إنّ علومنا ومدرَكاتنا هي غالباً علوم حصولية ومن المفاهيم الذهنية بل حتّى تلك التي عندنا من العلم بأُصول الدين كالعلم بالتوحيد والأسماء والصفات الإلٓهية الجمالية و الجلالية، والعلم بالمعاد والقيامة والحياة بعد الموت والحساب والكتاب والجنّة ونعمها، والنار وعن آياته ليست سوى مفاهيم ذهنية، وكلّما أمعنّا في معرفة هذه الأُصول وتعمّقنا في الحقيقة فإنه لم يحصل إلّا إضافة مفهوم إلى مفاهيم أُخرى.

نحن لا نمتلك في مجال معرفة التوحيد والصفات الجمالية والجلالية و الاعتقاد بحضور الحقّ تعالي في كلّ مكان، ذلك العلم اللائق به، ولهذا فإنّ إيماننا بتلك القضايا في الأغلب لا تستتبع الآثارَ المطلوبة والنتائج المرجوّة.

إنّنا لا نرى ولا نشاهد لدى أصحاب الاعتقاد والإيمان الناشئ من المفهوم الذهني ذلك الخوف من عظمة الله، وتلك الخشية ومن جلال ذاته الربوبي، والتقيّد بترك المعاصي والذنوب، والشوق والوجد والانقطاع إلى الله، حال الصلاة وفي غيرهامن العبادات بالشكل الموجود لدى أولياء الله.

---

(1) الكافي ج1 ص255

لقد كان رسولُ الله والأئمّةُ المعصومون ﷺ يتمتّعون ـ في مجال معرفة المبدأ والمعاد من علوم ومعارف أعمق وأعلى من المعرفة المفهومية الناشئة من الفهم والإدراك العقليين.

لقد كان علمهم علماً حضورياً، وكانت معرفتهم ناشئه من شهودٍ باطنيٍّ، فهم كانوا يرون حقائق بعين القلب ويسمعون بأُذن الفؤاد، وهي أُمور لا ولم تتسنّ لغيرهم من الناس.

إنّ هذا الشهود الباطني هو من سنخ الوجود الذي يبدأ في مرحلة نازلة من نفس العارف، وتمضي إلى ما لا نهاية.

إنّ العارف يسلك في باطن ذاته مسيراً وجودياً واقعياً ويواصل حركته الصعودية باتّجاه منبع الكمال والجمال ويظل يقترب أكثر فأكثر، ويتكامل أكثر فأكثر ويحظى بعلوم أعلى وأعمق، ومعرفة أسمى وأكمل.

إنّ العارف في هذا النوع الرفيع من المعرفة يؤمن بالله الغني الحاضر الناظر في كلّ مكان وزمان، ويعتبر نفسه وجميع الموجودات محض الفقر والحاجة، وأنّها آيات الله وآثار من مشيئته وإرادته. يقول الله تعالى في القرآن: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾.[1]

ويقول: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.[2]

ويقول كذلك: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾.[3]

١ – ومن هذا المنطلق عندما يُسئل الإمامُ عليٌّ ﷺ: هل رأيت ربك حين عبدتّه ؟

---

(١) البقرة / ١١٥

(٢) الحديد / ٤

(٣) ق / ١٦

يقول عليه السلام: «ويلك ما كنتُ أعبدُ رباً لم أره »؟

وعندما يقال له: وكيف رأيتَه ؟

يقول عليه السلام: « ويلك لا تدركه العيونُ في مشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوبُ بحقائقِ الايمانِ».(١)

٢ - عبد لله بن سنان عن أبيه قال: حضرت أبا جعفر عليه السلام فدخل عليه رجلٌ من الخوارج، فقال له: يا أباجعفر، أي شيىء تعبد؟

فقال: «اللهَ تعالى »

قال: رأيتَه ؟

قال: «بل لم تره العيونُ بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوبُ بحقائق الايمان».(٢)

٣ - يعقوب بن إسحاق قال: كتبتُ الى أبي محمد عليه السلام أسأله كيف يَعبد العبدُ وهو لا يراه؟

فوقَّع: «يا أبا يوسف! جلَّ سيدي والمنعِم عليَّ وعلى آبائي أن يُرى »

قال: وسألته: هل رأى رسولُ الله صلى الله عليه وآله ربَّه ؟

فوقَّع: «إن اللهَ تبارك وتعالى أرى رسولَه بقلبه من نورِ عظمتِه ما أحبَّ».(٣)

ومن هذا المنطلق أيضاً يقول الإمامُ عليٌّ عليه السلام: «ما رأيتُ شيئاً إلّا ورأيتُ الله قبلهُ».(٤)

إنّ هذا النوع الرفيع والمتميّز من العِلم لا يحصل إلّا في مواقع خاصّة، وهو

---

(١)الكافي ج ١ ص ٩٨

(٢)الكافي ج ١ ص ٩٧

(٣)الكافي ص ٩٥

(٤)علم اليقين ص ٤٩

يتكامل أكثر فأكثر ويتعمّق أزيد فأزيد، وحسب تعبير طائفة من الأحاديث يُفاض على قلب النبي و قلوب الأئمّة المعصومين الطاهرة المنوّرة صباح مساء، وبخاصّة في ليالي الجمعة، و ليالي القدر المباركة، ويلهَمونه، وتشرق عليهم أنواره وأضواؤه، ويلقيها في مسامع ضمائرهم ملكٌ كريمٌ، وفي ضوء هذه الإشراقات الإلهية تنكشف لهم حقائق من عالم الوجود.

على أننا لا نعلم على وجه الدقّة كم كانوا يستفيدون من هذا المنبع الغنيّ، بيد أنّ الأخبار الغيبية التي كانت تصدر من رسول الله والأئمّة الأطهار عليهم الصلاة و السلام بين الفينة والأُخرى يمكن أن تكون نابعةً من هذا المنبع الزاخر الغنيّ.

إنّ ما يجب التذكيرُ به هو أنّ ما كان يُلقى إلى الأئمّة الأطهار لم يكن على وجه التحقيق من الوحي التشريعيّ، بل كان حسب تعبير الأحاديث إلهاماً، ونقراً في القلوب، ذلك لأنّ الوحي التشريعيّ، قد انقطع بكلّ تأكيد بوفاة رسول الله ﷺ وانقطاع سلسلة النبوّات والرسالات بعده فلا يبعث نبيٌّ بعده قطّ.

إنّ علينا أن لا نستبعد هذا النمط من الإشراقات والإلهامات، منهم، إذ هم ليسوا بأقل من أُمّ موسى عليه السلام التي تحدّث عنها القرآن الكريم بقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾(١)

إنّ الإلهامات الغيبية والشهود الباطني ليست بأُمور قابلة للإنكار أو التشكيك، فقد قرأنا عشرات النماذج منها، او سمعنا كيف أنّها وَقَعت لأُناس متميّزين أبرار، ولعارفين بالله ممن سلكوا طريق التزكية، والتهذيب للنفس، وقطعوا أشواطاً كبيرة في صعيد السير إلى الله تعالى.

(١) القصص / ٧

فإذا صدّقنا وقوع مثل صعيد هذه المكاشفات الباطنية للناس العاديين وَجَبَ أن لا نستبعد تحقّقها للأئمّة المعصومين ﷺ، مع فارق هامّ في المقام وهو أنّ هذا النوع من المكاشفات لا تحصل للناس العاديين إلّا لحظة أو بضع لحظات، ولا تستمرّ ولا تدوم، أمّا الأئمّة المعصومون ﷺ فيمكن أن تستمر، وتطول مدّتها أيضاً.

الفصل الثاني

الخطوات التمهيدية للتعريف بالإمام

انتخاب الإمام أو نصبه

لقد ثبت في الأبحاث المتقدّمة أنّ وجود الإمام أمرٌ ضروريٌ وحاجةٌ ملحّةٌ من أجل أن يقوم بمهامّ النبي ﷺ بعد غيابه ورحيله، وأنّ الدليل الذي يحتّم وجود النبي وهو حاجة الناس، هو نفسه يدلّ على حتميّة و ضرورة وجود الإمام في المجتمع.

والآن ينطرح هذا السؤال وهو (هل تعيين ونصب هذا الإمام يكون بانتخاب الناس واختيارهم أم هو من شؤون الله، و يجب أن يكون بالتعيين والنصّ الإلهيّ)؟؟

لقد اختار أهلُ السنّة الرأيَ الأوّل وقالوا بأنّ الإمامة ليست من أُصول الدين وأنّه ليس لله تعالى دخل ولا شأن في هذه المسألة، بل إنّ من وظيفة الناس أنفسِهم أن يقوموا بعد رحيل النبي ﷺ باختيار خليفةٍ يقوم مقامه لإدارة شؤون المجتمع الإسلامي، وأنّ النبي ﷺ بناءً على ذلك لم يعيّن شخصاً خاصاً ليخلفَه في منصبه.[1]

ومن هذا المنطلق اجتمع الصحابة في السقيفة بعد وفاة رسول الله ﷺ، واختاروا أبا بكر للخلافة.

---

(١) المواقف ج٨ ص ٣٤٤

ولكن الإمامية لم يقبلوا بهذا الأمر، فهم يقولون: إنّ الإمامة عهد ربّاني ومنصب إلّهيّ، وأنّه من صلب الدين وصميمه، وأنّ لله والنبي شأناً في تعيين الإمام ونصبه قطعاً، و أنّ انتخاب ونصب الإمام من دون إرشادات الله والنبي أمرٌ مرفوض رفضاً باتّاً، لأنّ الصلاحية والأهلية الذاتية شرط في شَغل منصب الإمامة.

وقد ثبت في الأبحاث السابقة أنّ من الضروري توفّر وجود أمرين مهمّين في الإمام يتميّز بهما عن سائر الناس هما:

أوّلاً: أن يكون مصوناً عن الاشتباه والخطأ و معصوماً عن الذنب والمعصية.

ثانياً: أن يكون من حيث العلم والعمل أفضلَ الناس وأكملَهم، وحيث أنّه لا يعرف بتوفّر هذين الوصفين المهمّين في شخصٍ غير الله سبحانه وتعالى ليختاره للإمامة والقيادة والخلافة، فهو سبحانه العارف بدخائل الناس وأسرارهم، وهو المحيط ببواطن الخلق وضمائرهم، لذلك فهو وحده يعرف مَن يحظى بهذين المقامين الساميين و نعني مقام العصمة ومقام الجامعية العلمية، فيقتضي اللطفُ الإلّهيُّ أن يُعرِّف بالأئمّة المعصومين، للناس عبر نبيّه، لينتفعوا ببركات وجوده بعد أن يرحل عنهم النبي ﷺ ويغيب عن الساحة الاجتماعية.

وحيث انّ الله تعالى يعلم جيّداً أنّ ضرورة وجود الإمام في المجتمع إنّما هي لأجل أن يواصل مهمّات النبي، ويتابع السعي لتحقيق أهدافه، ويقوم بمسؤولياته، كما يعلم أيضاً أنّ الناس عاجزون عن تشخيص من هو الإمام المعصوم، كيف يتصوّر أن يترك مهمّة تعيين الإمام على عاتق الناس أنفسِهم، ولم يُصدر توجيهاتِه و تعاليمه إلى الأُمّة في هذا الأمر المهمّ.[1]

إنّ من القطعيّ أنّ الإمام المعصوم قد تمَّ التعريف به للناس، وأُصدرت

---

(١) راجع: صراط الحقّ ج ٣ ص ١٨٨ الباب الأوّل في وجوب نصب الإمام وتلخيص الشافي ج ١ ص ٦٠

التعاليم اللازمة في هذا المجال إليه.

إنه من غير المقبول أيضاً أن يقول أحدٌ: إنّ الله تعالى قد عرّف بالإمام المعصوم، ولكن النبي لسبب أو آخر قصّر في إخبار الناس بذلك أو غفل عنه.

إنّ هذا الكلام غير مقبول حتماً، وذلك أنّ النبي كان مهتّماً جدّاً ببقاء الإسلام الأصيل واستمراره وانتشاره، وتحقّق أهدافه المهمّة، وكان يعلم أنّ كلّ ذلك لا يمكن أن يتحقّق من دون وجود إمام معصوم يتعهّد بالقيام بمسؤولياته بعد رحيله ويواصل أهدافه.

يقول الله تعالى واصفاً نبيّه الكريم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.[1]

بالنظر إلى ما مرّ يعتقد الشيعة بأنّ الرسول الأكرم ﷺ عرّف ـ في أيّام حياته ـ بالإمام الذي يخلِفه، بعد أن مهّد لها، وهيّأ ما تحتاج إليه هذه المسألة من الأرضية اللازمة.

آية التطهير، الإعداد للإمامة

بالنظر إلى كلّ الأبحاث التي مرّت عَلِمنا أنّ مقتضى اللطف الإلّهيّ هو أن يبيّن الله تعالى أهمَّ شروط الإمامة ألا وهي العِصمة، ويعرّف بالمتّصفين بهذه الصفة للناس مباشرةً، أو عن طريق النبي، لكي لا يقعوا في الحيرة والضلالة.

وقد فعلَ الله ذلك، فبإنزال آية التطهير، والإشارة إلى عصمة أهل بيت النبي ﷺ هيّأ للناس أرضية التوجّه إلى أهل البيت عليهم السلام والتعرّف على مصاديق الإمامة ، ومعرفة الأئمّة.

---

(1) التوبة /128

إنّ آية التطهير المعروفة هي إحدى الآيات الدالّة على عصمة أهل البيت.

هذه الآية التي تقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.[١]

وقد اعتبر الإمامية وبعض العلماء من أهل السنّة هذه الآية دليلاً على عصمة أهل البيت.

وفيما يأتي نبحث في نقاط تتّصل بهذا الموضوع:

شأن نزول هذه الآية

لا خلاف في أنّ هذه الآية نزلت في شأن رسول الله والإمام علي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين فهناك طائفة كبيرة من الأحاديث وردت في مصادر الفريقين فيما يتّصل بهذا الموضوع، نأتي ببعضها هنا على سبيل المثال لا الحصر:

١ – تقول عائشة: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرجّل من شَعرٍ أسود، فجاء الحسن، فأدخله، ثمّ جاء الحسين فأدخله، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليٌّ فأدخله، ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.[٢]

٢ – عن أُمّ سلمة، قالت: في بيتي نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فجاءت فاطمة ببرمة فيها ثريد، فقال «لها: «ادعي زوجكِ وحسناً وحسيناً». فدَعتهم، و فيما هم يأكلون، إذ نزلت هذه الآية فغشاهم بكساء

---

(١) الأحزاب / ٣٣

(٢) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨ باب فضائل أهل البيت

خَيبري كان عليه، فقال: «اللهمَّ هؤلاء أهلُ بيتي وخاصّتي فأذهِبْ عـنهم الرجسَ وطهّرْهم تطهيراً». ثلاث مرّات.(١)

٣ – عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَـطْهِيراً﴾ نزلت في بيت أُمّ سلمة، فدعى النـبيُّ عـلياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وعليٌّ خلف ظهره فجلّلَهم بكساء، ثمّ قال: «اللهمّ هؤلاء أهلُ بيتي فأذهِبْ عنهم الرجسَ وطهّرْهم تطهيراً».

قالت أُمّ سلمة: وأنا معهم يانبيَّ الله؟

قال: «أنتِ على مكانكِ وأنتِ إلى خير».(٢)

٤ – عن زينب: إنّ النبي ﷺ لمّا رأى الرحمةَ هابطةً من السماء، قال: «مَـن يدعو لي علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ؟».

قالت زينب: أنا يارسول الله! فدعتهم فجعلهم في كسائه فنزل جبرئيل بهذه الآية ودخلَ معهم في الكساء.(٣)

٥ – شدّاد أبي عمار، قال: دخلت على واثلة بن أسقع وعنده قوم. فذكروا عليّاً فلمّا قاموا، قال: ألا أُخبرك بما رأيتُ من رسول الله ﷺ.

قلت: بلى.

قال: أتيتُ فاطمة، رضي الله عنها، أسألها عن عليٍّ.

قالت: «توجّه إلى رسول الله ومعه حسن وحسين».

فجلست أنتظره حتّى جاء رسولُ الله ﷺ ومعه حسن وحسين، آخـذاً كـلَّ واحد منهما بيده حتّى دخل، فأدنى علياً وفاطمة وأجلس حسناً وحسـيناً كـلَّ

---

(١) ينابيع المودّة ص ١٢٥

(٢) ينابيع المودّة ص١٢٥

(٣) ينابيع المودّة ص١٢٦

واحد منهما على فخذ، ثمّ لفّ عليهم ثوبَه أو كساء ثمّ تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وقال: «أللهمّ: هؤلاء أهلُ بيتي، وأهلُ بيتي أحقّ».[1]

٦ – عن أبي سعيد الخدري، قال: نزلت هذه الآية في خمسةٍ: النبيّ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، رضي الله عنهم.[2]

٧ – الحسنُ بن علي رضي الله عنهما، قال في خطبة: «نحنُ أهلُ البيت الذين قال الله سبحانه فينا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.[3]

ففي ضوء هذه الأحاديث ونظائرها الكثيرة، الموجودة في الكتب يتبيّن بوضوح أنّ شأن نزول آية التطهير هو أنّ رسول الله ﷺ دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين ذات يوم وجلس الجميعُ على فراش واحد، ثمّ ألقى عباءة خيبرية أو كساءً يمانياً على الجميع، وهنا نزلت آية التطهير من جانب الله تعالى فقرأها عليهم وقال: «هؤلاء أهلُ بيتي الذين أذهبَ الله عنهم الرجسَ وطهّرهم تطهيراً».

إنّ هذا الحديث الذي عُرفَ بحديث الكساء قد نُقل وأُثبت في مصادر الشيعة والسنّة بأسناد عديدة، وعبارات مختلفة.

شهود هذه الواقعة

إنّ حادثة الكساء اليماني هذه إحدى الحوادث المهمّة في حياة رسول الله ﷺ و قد حضرها وشهدها جمع من أقرباء رسول الله ﷺ وخدمه

(١) مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٧

(٢) ينابيع المودّة ص ١٢٦

(٣) ينابيع المودّة ص ١٢٦

وأصحابه الخواص و رَووها وشهدوا بوقوعها و نحن نذكر فيما يلي بعضهم:

١ ـ رسول الله ﷺ نفسُه وهو الشخص الأوّل في هذه الحادثة، وقد نقلها وحكاها لأصحابه مراراً وتكراراً.

٢ ـ عليُّ بن أبي طالب ﷺ وكان أحدَ أفراد هذه الحادثة، وقد نقلها لأشخاص متعدّدين، واحتجّ بها.

٣ ـ الإمامُ الحسن والذي كان أحد أفراد هذه الواقعة.

٤ ـ عائشة زوجة رسول الله ﷺ حيث قالت في حديث: وكنت شاهدَ ذلك.

٥ ـ عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله ﷺ.

٦ ـ زينب التي كانت تعيش في بيت أُمّ سلمة.

٧ ـ ثوبان، عتيق رسول الله الذي وُصف بأنّه كان يلازم رسول الله ﷺ في حضره وسفره.

٨ ـ واثلة بن الأسقع وكان من الذين يخدمون في بيت رسول الله ﷺ

٩ ـ أُمّ سلمة وهي إحدى أزواج النبيّ ﷺ ويبدو أنّ هذه الحادثة وقعت في بيتها، وقد روت ذلك لأشخاص كثيرين.

١٠ ـ ثلّة كبيرة من رواة الحديث مثل أبي الحمراء، وأنس بن مالك، وأبي سعيد الخدري، وابن عبّاس وإن لم يثبت أنّ هؤلاء كانوا ممّن شهدوا هذه القضية عيناً، ولكنّهم رَووها فيما بعد عن رسول الله ﷺ أو عن أحد شهودها الحاضرين، أو كانوا ممّن شهدوا رسولَ الله ﷺ إذا مرّ ـ بعد وقوع هذه الحادثة ـ على منزل عليّ و فاطمة تلا هذه الآية وقال: «قُوموا إلى الصلاة يرحمُكم الله».

هذا و يُستفاد من هذه الأحاديث وما يشابهها في هذا المجال، كأنّ هذه الحادثة تكرّرت في موارد مختلفة، بل وفي أمكنة متعدّدة، تارةً في بيت أُمّ سلمة، وأُخرى في بيت السيّدة فاطمة الزهراء ﷺ، و مرّة تدعو فاطمة ﷺ علياً والحسن

والحسين، ومرّة زينب بنت أُمّ سلمة تكون هي التي تدعوهم، ومرّة تستأذن أُمّ سلمة أن تدخل في جماعة أصحاب الكساء، ومرّة تكون عائشة هي التي استأذنت.

ولا يبعد أن يكون أصل القضية قد وقع في بيت أُمّ سلمة، ونزلت الآية هناك، ثمّ كرّر النبي ﷺ هذا العمل في مواضع أُخرى ليشيع أمرُها أكثر، ويتّضح للجميع من هو الذي يصدق عليهم عنوان (أهل البيت) حتّى لا يقول قائل: إنّ المراد من أهل البيت كان أزواج النبي، أو يقولوا: إنّ الأمر كان مجرد قضية عائلية أو حادثة إجتماعية عادية و عابرة.[1]

التأكيد على الموضوع

لقد وقعت حادثة اجتماع أهل البيت تحت الكساء ونزول آية التطهير في داخل البيت، ولهذا لم يكن شهودها سوى أفراد معدودين ولكن رسولَ الله ﷺ نظراً لأهميّة الموضوع ولأجل أن تشيع هذه القضية في عدد أكبر من الناس ـ عمد إلى ابتكار رائع وهو أنّه كان إذا خرج إلى المسجد كلّ صباح لصلاة الصبح مرّ على بيت فاطمة ؑ وخاطب أهل البيت بقوله: «الصلاة رحمكم الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾».[2]

يقول أبو الحمراء، قال: رأيت رسول الله ﷺ يأتي باب فاطمة ستّة أشهر،

---

(١) يمكن الاطّلاع على الأحاديث في هذا المجال في مصادر الشيعة والسنة المعتبرة مثل:
صحيح مسلم ومسند أحمد والدر المنثور والمستدرك على الصحيحين وجامع الاصول وذخائر العقبى والصواعق المحرقة وينابيع المودة وكفاية الطالب وسنن الترمذي ونور الابصار وإسعاف الراغبين ومجمع الزوائد والمناقب للخوارزمي واصول الكافي وبحار الانوار وكشف الغمة وتفسير نور الثقلين وتفسير العياشي وغاية المرام للسيد هاشم البحراني و. و.

(٢) غاية المرام ج٣ ص ١٩٠

فيقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.(١)

وعن أبي برزة، قال: صلّيت مع رسول الله ﷺ سبعة عشر شهراً، فإذا خرج من بيته أتى باب فاطمة، فقال: «الصلاة عليكم، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾.(٢)

وعن عليّ عليه السلام قال: كان رسولُ الله ﷺ يأتينا كلَّ غداة فيقول: «الصلاة رحمكم الله، الصلاة، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.(٣)

وعن أبي سعيد الخدري، أنّه قال: لمّا نزل قولُه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾، كان رسولُ الله يأتي باب فاطمة وعلي تسعة أشهر في كلّ صلاة، فيقول: «الصلاة يرحمُكم الله، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.(٤)

ولقد استمرّ رسولُ الله ﷺ في القيام بهذا العمل لمدّة أشهر عديدة أوّلاً: لكي يُخرج هذه القضية من إطار الحادثة الطبيعية العادية، وليُلفت نظرَ أصحابه إلى أهميّتها لكي لا يقول أحد: إنّ قضية الكساء اليمانيّ لم تكن أكثرَ من جلسة أُنس عائلية.

وثانياً: أراد النبي ﷺ أن يبيِّن مصداق (أهل البيت) لئلّا يقول أحدٌ: إنّها نزلت في أزواج النبي ﷺ وثالثاً: أراد أن يطّلع جماعة من أصحابه على هذه الحادثة الهامّة فينقلونها إلى الآخرين.

---

(١) مجمع الزوائد ج٩ ص١٦٨
(٢) مجمع الزوائد ج٩ ص١٦٩
(٣) غاية المرام ج٣ ص٢٠٠
(٤) غاية المرام ج٣ ص١٨٥

مصاديق «أهل البيت»

كانت كلّ واحدة من أزواج رسول الله ﷺ تعيش في حجرة صغيرة عُرفت وسُمّيت بها مثل: بيت عائشة، بيت أُمّ سلمة، بيت زينب، بيت صفيّة.

والآن ينطرح هذا السؤال ما المراد من أهل البيت، وأي واحد من تلك البيوت كان هو المقصود؟ لأنّ «الالف و اللام» في لفظه (البيت) هو للعهد (كما في علم النحو)، أي البيت المعهود، وليس كلّ البيوت.

يُستفاد من أحاديث كثيرة في مجال شأن نزول الآية المبحوثة و نعني بها آية التطهير، والتي أشرنا إلى طائفة منها سابقاً أنّ البيت المعهود كان هو «بيت أُمّ سلمة» ففي ذلك البيت دعا رسولُ الله ﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسين وجمعهم عنده، ثمّ جلّلَهم بعباء أو كساءٍ من صوف ثمّ تلا عليهم آيةَ التطهير التي نزلت بواسطة جبرئيل في هذه المناسبة وقال: «**أللهمّ هؤلاء أهل بيتي، فَأذهِبْ عنهم الرجسَ وطهِّرْهم تطهيراً**».

ثمّ إنّ النبي ﷺ لم يسمح حتّى لأُمّ سلمة صاحبةِ البيت بأن تدخل تحت العباء وتنضَم إلى هذه المجموعة وقال لها: «**قومي فَتَنَحّي عن أهل بيتي!**».

قالت: فقمتُ وتنحّيتُ في البيت قريباً.[1]

هذا ويستفاد من بعض الأحاديث أنّ أُمّ سلمة كانت في حجرة مجاورة أو في زاوية من هذه الحجرة.

ثمّ إنّ النبيَّ ﷺ كان يمكن أن يُجلِس هؤلاء الأربعة على فراشٍ واحدٍ ويتلو عليهم هذه الآية فقط، ولكنّه ﷺ لم يكتف بهذا القدر بل ـ علاوة على ذلكِ ـ عمد إلى إلقاء الكساء على رأسه ورؤوسهم، وجلّلهم به، ليحصر مصداق أهل البيت

---

(١) مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٦

فيهم دون غيرهم، ويسدّ الباب في وجه كل التـفسيرات الخـاطئة و التأويـلات المغرضة و لكيلا تدَّعي ـ فيما بعد ـ زوجاته بأنّهنّ أهل بيته، أو أنّ الآية تشملهم أيضاً.

بل صرّح رسولُ الله ﷺ بأسماء من تعنيهم آية التطهير.

عن أبي سعيد الخدري قال: قـال رسـول الله ﷺ: «نـزلت هـذه الآيـة فـي خمسة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾: فـيّ وفـي عليٍّ وفاطمة وحسن وحسين».[1]

ويقول جابر: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ وليس فـي البـيت إلّا فـاطمة والحسن والحسين وعليّ ﷺ.[2]

و عن شريك بن عبدالله، قال: رأيت أميرَ المؤمنين ﷺ ذات يوم وهـو قـائم وأصحابُ رسول الله ﷺ جلوس وهو يقول (في حديث إلى أن قال): «فأُنشِـدكمُ اللهَ هل فيكم من طهّره اللهُ تعالى في كتابه حيث قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِـيُذْهِبَ عَـنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ غيري وأهل بيتي ؟».

قالوا: «لا».[3]

و في احتجاج عليٍّ ﷺ على أبي بكر قال: «فأُنشِدك بالله! ألي ولأهلي وولدي آية التطهير عن الرجس أم لكَ ولأهل بيتك؟»

قال: بل لك ولأهل بيتك.

قال: «فأُنشدكَ بالله ! أنا صاحبُ دعوةِ رسـول الله ﷺ وأهـلي وولديَّ يـوم الكساء: أللهمّ هؤلاء أهلي إليك لا إلى النار، أم أنت ؟»

---

(١) مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٧

(٢) تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٢٧٧

(٣) غاية المرام ج ٣ ص ١٩١

قال: أنت وأهل بيتك.[١]

وعن أبي الطفيل، قال: خطبنا الحسن بن علي (إلى أن قال): «وأنا من أهل البيت الذين أذهبَ الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً».[٢]

بعد هذه الحادثة المهمّة (أي اجتماع أهل البيت في منزل أُمّ سلمة ونزول آية التطهير صارت كلمة (أهل البيت) لقباً شريفاً، وعنواناً منيفاً كانوا يفتخرون بل ويحتجّون به.

وهذا هو ما يُشاهَد بوضوح في كلمات النبي والإمام عليّ والإمام الحسن والإمام الحسين وغيرهم من الأئمّة ﷺ.

جواب على إشكال

قال البعض: لقد جاءت آية التطهير في سياق الآيات المرتبطة بأزواج النبي ﷺ والمخاطبة إيّاهنّ، وبقرينة هذا السياق لابدّ من القول بأنّ هذه الآية إن لم تكن تخصهنّ فعلى الأقل تشملهنّ، وعلى هذا الأساس لا يمكن حصرها على هؤلاء الخمسة، فإمّا أن تعتبروا أزواج النبي ﷺ معصومات أيضاً، وإمّا أن تغضّوا الطرفَ عن إثبات العصمة لهذه الخمسة.

و في الإجابة على هذه الشبهة يمكن القول بأنّ هذا الاحتمال هو من الإجتهاد في مقابل النصّ، لأنّنا قرأنا في أحاديث كثيرة بلغت حدّ التواتر قد اطلعتَ على بعضها سابقاً، أنّ آية التطهير نزلت في النبيّ وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين دون سواهم، ولأجل إبطال و تفنيد أيّة أوهام، و تصوّرات خاصّة، جلّلهم

(١) تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٢٧١

(٢) مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٤٦

بكساء يمانيّ وتلا الآية المذكورة، وقال في الردّ على طلب أُمّ سلمة أو عائشة، أو زينب بالدخول تحت ذلك العباء بقوله: «مكانكِ ولا تقتربي».

ومع أنّ النبي الأكرم ﷺ قال مراراً: «إنّ هذه الآية نزلت فيّ وفي علي وفاطمة والحسن والحسين» فإنّه يدعو إلى العجب والدهشة أن يقول أشخاصٌ: يجب القول بأنّ هذه الآية بقرينة السياق نزلت في شأن أزواج النبي!

وثانياً: إذا كانت الآية قد نزلت في أزواج النبي، وَجَبَ أن يُصاغ الخطابُ فيها بصيغة الخطاب إلى الإناث فيقول: «إنّما يريد الله ليذهب عنكنّ الرجس» لا بصيغة الخطاب إلى المذكور «عنكم».

وثالثاً: صحيح أنّ الآية جاءت خلال آيات ترتبط بأزواج النبي ﷺ ولكن يجب اعتبار هذه العبارة جملةً معترضة وهي طريقةٌ درج عليها العرب الفصحاء في خطاباتهم ومحاوراتهم، وقد جاء نظيرُه في القرآن الكريم: ﴿فلما رأىٰ قميصَه قُدّ من دُبُرٍ قال: إنّه من كيدِكنّ إنّ كيدكنّ عظيمٌ، يوسُفُ أعرِضْ عَن هذا، واستغفِري لذنبكِ إنّكِ كُنتِ من الخاطِئين﴾.[1]

إنّ جملة ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ هي جملة معترضة استعمِلَت في أثناء الكلام.

تفسير آية التطهير

نشير في تفسير آية التطهير إلى عدّة نقاط:

---

(١) يوسف / ٢٩

«الرِجس» في اللغة.

يُطلق الرجسُ في اللغة العربية على كلّ شيء قذِر وخبيث، سواء تكون لوثةً ظاهريةً و تسمّى نجساً في الاصطلاح، أو قذارة باطنية و تسمّى حسب الاصطلاح بالذنب.

جاء في أقرب الموارد: الرجس: القَذَر، أيضاً المأثم والعمل المؤدّي إلى العذاب والشك والعقاب والغضب.

وجاء في المنجد: (الرجس: العمل القبيح).

وقال إبن الأثير في النهاية: (الرجس: القذر وقد يُعبَّر به عن الحرام والفعل القبيح).

وجاء في لسان العرب لابن منظور: (الرجس: القذِر، وقد يُعبَّر به عن الحرام والفعل القبيح).

وقال الراغبُ الأصفهاني في مفردات القرآن: (الرجس: الشيء القذر، والرجس يكون على أربعة أوجه (أنواع): إمّا من حيث الطبع و إمّا من جهة العقل و إمّا من جهة الشرع و إمّا من كلّ ذلك كالميتة).

«الرِجس» في القرآن.

لقد استعمِل لفظةُ «الرِجس» في القرآن الكريم في كلا المعنيين، فمرّة جاءت بمعنى النجاسة الظاهرية مثل قوله سبحانه:

١ ـ ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾[1]

وتارة استعمِلت في اللَوثة النفسانية والقذارة الباطنية مثل قوله سبحانه:

---

(١) الأنعام / ١٤٥

٢ ـ ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.(١)

و قوله عزوجلّ:

٣ ـ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.(٢)

و قوله تعالى:

٤ ـ ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾.(٣)

وبهذا يكون لفظ الرجس ـ كما تلاحظون ـ قد استعمِل ـ في آيات عديدة ـ في القذارة النفسانية.

معنى «الرجس» في هذه الآية

والآن يجب أن نرى ماذا تعني لفظةُ الرجس في الآية الراهنة، هل هي بمعنى القذارة والنجاسة الظاهرية أم بمعنى اللَّوثة النفسانية والقذارة الباطنية؟.

إنّ أقلّ إمعان في الآية يقودنا إلى أنّ الرجس في هذه الآية ليس بمعنى النجاسة الظاهرية، بل المراد منه هو القذارة الباطنية، لأنّ وجوب الاجتناب عن النجاسة الظاهرية لا يختصّ بأهل البيت، بل هو واجب على جميع المكلّفين، والحال أنّ لفظ «إنّما» التي تصدّرت الآية تفيد الحصر.

هذا مضافاً إلى أنّ اجتناب أهل البيت عن النجاسات ليست فضيلة لأهل البيت، ولا هي مزيّة لهم حتّى يفتخروا بها ويقولوا: نحن الذين أراد الله منّا أن

(١) الأنعام / ١٢٥

(٢) التوبة / ١٢٥

(٣) الأعراف / ٧١

نجتنب عن النجاسات.

ولو كان الرِجس بهذا المعنى لما كان الأمر بحاجة إلى كلّ تلك التمهيدات والتشريفات، والتحديد والحصر حتّى أنّ النبي ﷺ يلقي عباءته على رؤوس أشخاصٍ معينين، ويقرأ الآية المبحوثة، ويدعو لهم ليجنّبهم الله من النجاسات، ويولي هذا الأمر من الأهميّة بحيث لا يسمح حتّى لزوجته أُمّ سلمة بأنْ تنضمّ إلى تلك المجموعة، وتدخل تحت الكساء فتشملها هذه الآية أيضاً.

لو كانت لفظة الرجس في الآية بهذا المعنى فكيف افتخر الإمام عليٌّ والإمامُ الحسنُ والإمامُ الحسينُ مراراً عديدة بها، وقالوا بأنّهم مصاديق آية التطهير وأهلها وأنّها نزلت في حقّهم وشأنهم.

إنّ هذا المعنى لا يرتضيه عقلٌ حصيفٌ ولا يقبله لبٌّ سليمٌ.

فعلى هذا الأساس يجب أن نقول: إنّ الرجس في هذه الآية بمعنى اللّوثة النفسانية، والقذارة الباطنية و هي المعصية و الذنب.

المقصود من «الإرادة» في الآية

إنّ القرآن الكريم ينسب إلى الله نوعين من الإرادة: «الارادة التكوينية والإرادة التشريعية».

والمقصود من الإرادة التكوينية هو أن يتحقّق شيءٌ في صعيد النظام الكَونيّ ، والتكوينيّ مثل قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾.[1]

ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.[2]

(١) الرعد / ١١

(٢) يس / ٨٢

وفي الإرادة التكوينية لابدّ أن يتحقّق الشيء المراد حتماً، ولا يتخلّف عن الإرادة قطعاً ويقيناً، فإذا أراد الله أن يتحقّق، تحقّق بلا محالة.

وأمّا النوع الثاني من الإرادة فهو الإرادة التشريعية وهي أنّ الله تعالى يطلب من عباده أن يقوموا بأعمال مثل قوله سبحانه: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.(١)

ومثل قوله سبحانه: ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.(٢)

إنّ المراد الإلّهي في الإرادة التشريعية قد تحقّق في نظام التشريع والتقنين وقد صدرت الأوامر اللازمة.

فقد جاء في الآيتين المذكورتين أنّه لا وجود للعُسر والحرج في نظام التشريع، وأنّه لم يُشرَّع قطّ حكمٌ حرجيٌّ في الاسلام.

والآن يجب أن نرى من أي نوع تكون الإرادة في آية التطهير هل هي من نوع الإرادة التكوينية أم من نوع الإرادة التشريعية؟.

فإذا كانت من نوع الإرادة التشريعية كان معناها: إنّ الله تعالى أراد ـ في صعيد النظام التشريعيّ والقانوني أن تتجنّبوا ياأهل البيت ارتكاب الذنب والمعصية، يعني أنّكم إذا عملتم بالأحكام والقوانين التي جعلها الله سبحانه، فان ذلك يحفظكم من الذنوب، ويحصنكم من ارتكاب المعاصي.

ولكن بأقل قدر من الإمعان والإنصاف لا يمكن أن نصدّق بأنّ هذه الآية يمكن تفسيرها بهذا النوع من التفسير.

---

(١) البقرة / ١٨٥

(٢) المائدة / ٦

إنّنا ندعو القرّاء الكرام إلى التفكير مليّاً و إلى التزام الإنصاف في هذا الموقف فهل يمكن لله تعالى وهو يريد إثبات فضيلة لأهل البيت أن يقول: «أنا قد أكرمتكم بأن طلبتُ منكم في مقام التشريع أن لا تعصوا ولا ترتكبوا الذنب».

إنّ هذا الطلب لا يختصّ بأهل البيت خاصّة، بل هو موجّه إلى جميع المؤمنين والمكلَّفين، فهو سبحانه طلب منهم قاطبة أن يتورّعوا عن ارتكاب الذنوب واقتراف المعاصي.

ولو كان هذا هو المراد من الآية لما كانت هناك حاجة إلى كلّ تلك الترتيبات و إلى أن يعمَد رسولُ الله ﷺ إلى جمع ثلّة خاصّة تحت الكساء ويتلو عليهم الآية الحاضرة ويدعو لهم، ولا يسمح حتّى لزوجته الكريمة أُمّ سلمة بأن تنضمّ إليهم، وتدخُل معهم تحت الكساء.

ألم يردِ الله تعالى من أُمّ سلمة بأن تتجنّب ـ هي أيضاً ـ الذنوب والمعاصي؟

هل يمكن اعتبار مثل هذا الأمر فضيلة، ليسمح أهلُ البيت عليهم السلام لأنفسهم أن يفتخروا بها؟.

فلقد احتجّ الإمام عليٌّ عليه السلام على أبي بكر في قضية فدك وقال: «ياأبا بكر هل نزلت آية التطهير فيَّ وفي أهل بيتي أم فيك »؟

فأجاب أبو بكر قائلاً: بل نزلت فيك.

وفي يوم الشورى التي شُكّلت بعد موت عمر بن الخطاب لاختيار الخليفة احتجّ الإمام علي عليه السلام أيضاً على الحاضرين بها إذ قال: « هل تعرفون غيري وغير أهل بيتي نزلت فيهم آية التطهير؟» فقالوا: كلّا.

ألم يخطب الإمام الحسن عليه السلام ـ بعد رحيل والده العظيم ـ في الناس وقال ضمن ما قال: «أنا من أهل بيتٍ نزلت فيهم آيةُ التطهير، وطهّرَهم الله من الرِجس تطهيراً»؟.

هل يمكن حمل هذا النوع من الاحتجاجات والافتخارات على الإرادة التشريعية بتجنّب المعصية والذنب الذي هو أمرٌ عام؟.

بناءً على هذا لا يمكن حمل آية التطهير على الإرادة التشريعية، بل لابدّ من تفسير الإرادة في الآية بالإرادة التكوينية فيكون معنى الآية هو: أنّ الإرادة الإلٓهية التكوينية تعلّقت ـ في نظام التكوين ـ بأن يكون أهلُ البيت مصونين من الذنب محفوظين من المعصية وهذا هو معنىٰ العصمة.

بمثل هذا التفسير للآية يصح مَنّ الله تعالىٰ واهتمام النبيّ الكريم ﷺ بالتعريف بمصاديق أهل البيت ونفي الآخرين، كما تصبح افتخارات الأئمّة الأطهار أمراً مبرَّراً، وجديراً بالعناية أيضاً.

هذا علاوة علىٰ أن هذه الآية قد فُسِرت في بعض الروايات بالعصمة عن الذنب والإرادة التكوينيّة.

١ - قال عليُّ بن أبي طالب عليه السلام ـ في حديث ـ «والله عزّوجلّ يقول: ﴿إنّما يريدُ الله لِيُذهِب عنكم الرِجسَ أهلَ البيت ويطهّرَكم تطهيراً﴾، فقد طهَّرنا الله من الفواحش، ما ظهَر منها و مابطن، علىٰ منهاج الحقّ».[1]

٢ - عن النبي ﷺ، في قوله تعالىٰ ﴿إنّما يُريد الله ليُذهب عنكم الرِجس أهلَ البيت ويُطهِّركم تطهيراً﴾، قال: «فأنا وأهل بيتي مطهَّرون من الذنوب».[2]

٣ - الإمام الحسن عليه السلام قال: «إنّا أهل البيت أكرَمنا الله بالإسلام وآختارَنا وآصطفانا واجتبانا فأذهبَ عنّا الرجسَ وطهّرنا تطهيراً، والرِجس هو الشكّ فلا نشكّ في الله الحقّ، ودينِه أبداً، وطهرنا من كلّ أفَن وغيّة».[3]

(١) غاية المرام ج٣ ص١٩٩

(٢) البداية والنهاية ج٢ ص٢٥٧

(٣) أهل البيت في الكتاب والسنة ص١١٣

٤ – أبو بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : «الرجس هو الشكّ ولا نشكّ في ديننا أبداً».[١]

٥ – عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله النجوم أمان لأهل السماء فاذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الارض فاذا ذهب أهل بيتي ذهب اهل الارض».[٢]

إنّ أهل البيت – كما هو الملاحَظ بوضوح – قُدّموا في القرآن الكريم للنّاس علىٰ أنّهم أشخاصٌ معصومون من المعصية منزهون عن الخطأ.

وبهذا يكون قد تهيّأ الطريقُ لمعرفة خلفاء الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الحقيقيين ، وتهيّأت أرضيّة إمامتهم.

٢ ـ إتّباعُ أهل البيت عليهم السلام

لقد عمل رسولُ الله صلى الله عليه وآله طوال فترة نبوّته علىٰ التعريف بأهل بيته للناس وإعداد الأرضيّة لإمامتهم وقيادتهم.

فعن عليّ عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله «النجوم أمانٌ لأهل السماء فإذا ذهَبَتِ النجومُ ذهب أهلُ السماء، وأهلُ بيتي أمانٌ لأهل الأرض ، فإذا ذهب أهلُ بيتي ذهب أهلُ الأرض».[٣]

وعن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَثَل أهلِ بيتي كمَثَل سفينة نوح ، مَن ركبها نجا ومن تَعلّق بها فاز ، ومن تَخلّف عنها غَرِق».[٤]

---

(١) غاية المرام ج٣ ص١٩٤

(٢) ذخائر العقبى ص١٧: وينابيع المودة ج١ ص٢٢: المستدرك للحاكم النيسابوري ج٣ ص ١٥٠

(٣) ذخائر العقبىٰ ص١٧: و ينابيع المودّة ج١، ص٢٢ : والمستدرك للحاكم النيسابوري ج٣ ص ١٥٠

(٤) ذخائر العقبىٰ ص ٢٠ : وإسعاف الراغبين في حاشية نور الأبصار ص ١٢٠: والمستدرك للحاكم

٣ ـ محبّة أهل البيت عليهم السلام

لقد روى ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا تَزولُ قدَما عَبدٍ يوم القيامة حتّىٰ يُسئَل عن أربع: عن عُمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله فيما أنفَقه، ومن أين اكتسَبه، وعن حبّنا أهل البيت».[1]

ومن المعلوم أن المراد من المحبة ليس هو الحبُّ القلبي فقط إنما هو الطاعة والاتباع.

٤ ـ مودّة ذوي القربىٰ

قال ابن عباس: لما نَزَلت: «قُل لا أسألُكُم عليه أجراً إلّا المودّةَ في القربىٰ» قالوا: يا رسول الله! مَنْ هؤلاء الذين يأمرنا الله بمودّتهم؟».

قال: «عليٌّ وفاطمة وأولادهما».[2]

و هكذا تلاحظون أن (مودّة القربىٰ) جُعلت عنواناً لأجر الرسالة. و لا يمكن أن يتلخص ذلك في إظهار المودة القَلبية، بل المقصود هو إطاعتهم و اتّباعُهُم.

← النيسابوري ج٣ ص١٥١

(١) غاية المرام ج٣ ص٩٢، نقلاً عن مناقب ابن المغازلي ص٩٣؛ وهذا الحديث قد نقل بأربع طرق عند أهل السنّة وخمس طرق عند الشيعة

(٢) غاية المرام ج٣ ص٢٣٣؛ وقد نقل هذا الحديث بعبارات مختلفة بسبعة عشر طريقاً عن أهل السنّة واثنين وعشرين طريقاً من الشيعة

تعيين الخليفة والإمام الأوّل

كان النبيّ الأكرم ﷺ علىٰ معرفة جيّدة وكاملة بما كان يتمتّع به عليّ عليه السلام من عِلم وعصمة وغير ذلك من الفضائل والكمالات، وبصلاحيّته وأهليّته لخلافة النبي، ومواصلته لأهدافه وخطواته ﷺ ولكن كان يعرف أنّ نصب عليٍّ عليه السلام والتعريف به للخلافة والإمامة عملٌ في غاية الصعوبة، وأنّه سيواجه مخالفة ومعارضة شديدتين من قِبل المتعطشين إلى الجاه والمنصب، لهذا كان يرىٰ أنّ من المصلَحة أن يتمّ هذا الأمر المهمّ والمصيري في مرحلتين:

المرحلة الأولىٰ الإعداد لقبول هذا الأمر.

والمرحلة الثانية النصب والتعيين الرسمي في الفرصة المناسبة.

و قد تم ذلك في مرحلتين فعلاً:

المرحلة الأولىٰ: الإعداد

لقد اجتهد النبيّ الكريم ﷺ في إبراز فضائل الإمام علي عليه السلام والإشارة إلىٰ كمالاته، وأثنىٰ عليه، وأشاد به.

وفي هذا الصدد نُقِلَت أحاديث كثيرة في كتب الحديث لا يمكن ذكرها هنا لوفرتها وكثرتها البالغة، إنما يمكن الوقوف عليها بمراجعة كتب الفضائل والسيرة،

ولكننا نذكر بعضها من باب المثال:

يقول الامام علي عليه السلام: «لما نَزَلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وأنذِر عشيرَتَك الأقربين﴾[1] دعاني رسولُ الله صلى الله عليه وآله وقال لي: إصنَع لنا طعاماً ثم آجمع لي بني عبدالمطلب.. ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً...

فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعتُ لهم.

قال: ثُمَّ تكلَّم رسولُ الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا بني عبدالمطلب! إنّي والله ما أعلمُ شاباً في العرب جاء قومَه بأفضل ممّا قد جئتُكم به، فقد جئتكُم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالىٰ أن أدعوَكم إليه، فأيّكم يؤازرني علىٰ هذا الأمر علىٰ أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟».

قال: فأحجَم القومُ عنها جميعاً وقلتُ ـ وإنّي أحدثهم سنّاً ـ أنا يا نبيَّ الله أكون وزيرَك عليه.

فأخذ برقبتي ثم قال: «إنَّ هذا أخي ووصِييّ وخليفتي فيكُم فاسمعُوا له وأطيعوا».

قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمركَ أن تسمع لإبنك وتطيع».[2]

التوصية بعليّ عليه السلام

روى ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال: «من سَرَّه أن يَحيا حياتي ويموتَ مماتي ويسكن جنة عَدن غرسها ربّي، فليوالِ عليّاً من بعدي وليوالِ وليَّه

---

(١) سورة الشعراء / ٢١٤

(٢) تاريخ الطبري ج٢ ص ٣٢٠

وليقتدِ بالأئمّة من بعدي، فإنّهم عترتي، خُلقوا من طينتي، ورُزقوا فهماً وعلماً. وويلٌ للمكذِبين بفضلهم من أمّتي، القاطعين فيهم صِلتي، لا أنالهم الله شفاعتي».[١]

وروى حذيفة عن رسول الله ﷺ انه قال: «مَنْ سَرّه أن يحيا حياتي، ويموت ميتتي، ويتمسّك بالقصبة الياقوتة التي خلقها الله بيده، ثمّ قال لها: كوني فكانت، فليتولَّ عليَّ بن أبي‌طالب عليه السلام من بعدي».[٢]

وقال رسولُ الله ﷺ: «يا معشرَ الأنصار! ألا أدعوكم الىٰ ما إنْ تمسّكتُمْ به لن تضِلّوا بعده أبداً؟».

قالوا: بلىٰ يا رسولَ الله.

قال: «هذا عليّ فأحِبوه بحبّي وأكرِموه بكرامتي، فإنّ جبرئيل أمرني بالذي قلتُ لكم عن الله عزّوجلّ».[٣]

وروي عن حذيفة بن اليمان أنه قال: قالوا: يا رسول الله! ألا تستخلف عليّاً؟

قال: «إن تُولُّوا عليّاً تجدوه هادياً مهديّاً يسلك بكم الطريقَ المستقيمَ».[٤]

وروى أبوسعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال لعليّ وضرب بين كتفيه: «يا عليّ لك سبع خصال لا يحاجُّك فيهن أحدٌ يوم القيامة: أنتَ أوّل المؤمنين بالله إيماناً، وأوفاهم بعهد الله، وأقومُهم بأمر الله، وأرأفهم بالرَّعية، وأقسمُهم بالسويَّة، وأعلمُهم بالقضيّة، وأعظمُهم مزيةً يوم القيامة».[٥]

وقال أنس بن مالك: بعثني النبّي ﷺ إلىٰ أبي‌برزة الأسلمي، فقال له ـ وأنا

(١) حلية الأولياء ج١ ص١٢٨
(٢) حلية الأولياء ص١٢٧
(٣) حلية الأولياء ج١ ص١٠٢
(٤) حلية الأولياء ج١ ص١٠٤
(٥) حلية الأولياء ج ص١٠٦

أسمع ـ «يا أبا بَرزة إنَّ ربَّ العالمين عَهِد إليَّ عهداً في عليّ بن أبيطالب، فقال: «إنّه رايةُ الهدىٰ، ومنارُ الإيمان، وإمامُ أوليائي، ونورُ جميع مَنْ أطاعني.

يا برزة! عليّ بن أبي طالب أميني غداً في القيامة، وصاحب رايتي في القيامة، علىٰ مفاتيح خزائن رحمة ربّي».(١)

وروى عن أم سلمة، أنها قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «عليٌّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لا يفترقان حتّىٰ يَرِدا عليَّ الحوضَ».(٢)

وعن عليّ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أنا مدينة العِلم وعليٌّ بابُها، فمن أراد العلمَ فليأتِ البابَ».(٣)

و عن عايشة، أنهاقالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «عليٌّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ لن يفترقا حتّىٰ يَرِدا عليَّ الحوضَ».(٤)

و عن ابن عمر، قال: لمّا آخىٰ رسولُ الله ﷺ بين الصحابة فجاء علىّ ﷺ تدمع عيناه. فقال: «يا رسول الله! آخيتَ بين أصحابك ولم تؤاخِ بيني وبين أحد؟» فسمعتُ النبيّ ﷺ يقول: «أنتَ أخي في الدنيا والآخرة».(٥)

وروى أسعد بن زرارة، قال: قال رسول الله ﷺ «انتهيتُ ليلةَ أُسري بي إلىٰ سدرة المنتهىٰ، فأوحىٰ إليَّ في عليٌّ ثلاثاً: أنّه إمام المتّقين، وسيّد المسلمين،

(١) حلية الأولياء ج١ ص١٠٧

(٢) نور الأبصار ص٨٨؛ والمستدرك للحاكم النيسابوري ج٣ ص١٢٤

(٣) ينابيع المودّة ج١ ص٣٣٨؛ والمستدرك، للحاكم النيسابوري ج٣ ١٢٦

(٤) غاية المرام ج٥ ص٢٨٣. (نقلاً عن فرائد السمطين) ونقل في هذا الباب خمسة عشر حديثاً من طريق أهل السنّة وأحد عشر حديثاً من طريق الشيعة

(٥) غاية المرام ج٥ ص٩٣ (نقلاً عن الجمع بين الصحاح الستة) وقد نُقِل في هذا الباب إحدى وعشرون رواية من طريق أهل السنة وخمسة أحاديث من طريق الشيعة

وقائد الغرّ المحجّلين إلىٰ جنّات النعيم».[١]

قال رسول الله ﷺ: «يا عليّ! أنت سيّد المسلمين وإمام المتّقين وقائد الغرّ المحجّلين ويعسوب الدين».[٢]

وقال رسول الله ﷺ: «مَن أحبَّ أن يتمسَّك بديني ويركب سفينَة النجاة بعدي فلْيقتدِ بعليِّ بن أبي‌طالب ولْيُعادِ عدوّه ولْيوالِ وليّه؛ فإنّه وصيي وخليفتي علىٰ أُمّتي في حياتي وبعد وفاتي، وهو إمام كلّ مُسلم وأمير كلّ مؤمنٍ بعدي، قولُه قولي، وأمرُه أمري، ونهيُه نَهيي، وتابِعُه تابعي، وناصرُه ناصري، وخاذله خاذلي».[٣]

وعن أبي‌ذرّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أطاعني فقد أطاع الله، ومَنْ عصاني فقد عصىٰ الله، ومَن أطاع عليّاً فقد أطاعني، ومَنْ عصا عليّاً فقد عصاني»[٤]

وعن أنس بن مالك: إنّ النبيّ ﷺ قال لعليّ ﷺ: «أنتَ تبيِّن لأمّتي ما اختلَفوا من بعدي».[٥]

وعن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن يريد أنْ يحيا حياتي ويموتَ موتي ويسكنَ جنة الخلد التي وَعَدني ربّي فليتولَّ عليَّ بن أبي‌طالب؛ فإنّه لن يُخرجَكم من هدًىٰ ولن يُدخلكم في ضلالة».[٦]

---

(١) غاية المرام ج١ ص١١٩

(٢) غاية المرام ج١ ص١٢٧

(٣) غاية المرام ج١ ص١٣١. ورد في هذا الباب ستّة وستّون حديثاً من طريق أهل السنّة وستة وسبعون حديثاً من طريق الشيعة.

(٤) المستدرك للحاكم النيسابوري ج٣ ص١٢١

(٥) المستدرك للحاكم النيسابوري ج٣ ص١٢٢

(٦) المستدرك للحاكم النيسابوري ج٣ ص١٢٨

يُستفاد بوضوح من الأحاديث السالفة التي ذكرناها من باب المثال لا الحصر بل و من مئات الأحاديث من نظائرها والتي يمكن اعتبارها متواترةً معنىً، أنّ رسولَ الإسلام ﷺ كان مكلّفاً من جانب الله تعالىٰ أن ينصب علياً عليه السلام للإمامة، والأحاديث المذكورة التي صَدَرت بعباراتٍ متنوّعةٍ وفي أوقاتٍ مختلفةٍ تُعدّ بمثابة تمهيد وإعداد لهذه المهمّة الكبرىٰ التي قام بها في الوقت المناسب.

المرحلة الثانية: التنصيب الرسمي

رغم أنّ نبيَّ الإسلام ظلَّ - طوال عشرين عاماً من عهد رسالته - يسعى سعياً بليغاً للتعريف بشخصيّة عليّ عليه السلام المتميّزة، وتهيئة الرأي العام لقبول ولاية تلك الشخصيّة، كان يريد أن يقوم بمهمته الإلٰهيّة (و هي التنصيب الرسميّ للإمام) في وقت أسرع، ولكن كان من المحسوس أنّ الأرضيّة لم تكن متوفّرةً ومهيّئةً لذلك، وأنّ بعض أقطاب قريش، وصحابة النبيّ ﷺ الذين كانوا يحلمون أحياناً بالخلافة، سوف لن يرطلوا بهذا الاختيار، وأنّهم سيعارضونه بدليل وآخر.

لقد كان رسولُ الله ﷺ قلقاً من الوضع الموجود، فكان يؤخّر القيام بهذه المهمّة الكبرىٰ خشية حدوث الاختلاف في الأُمّة ووقوع الفرقة في صفوفهم، وريثما تتهيّأ الفرصة المؤاتية لذلك، وقد استمرّ هذا الوضع إلىٰ السنة العاشرة من الهجرة.

حجّة الوداع

في هذه السنة عزم رسول الله ﷺ علىٰ السفر إلىٰ مكّة المكرّمة بهدف أداء فريضة الحجّ، علّه تتهيّأ ـ خلال مراسم الحجّ ـ الفرصة المناسبة لنصب عليّ عليه السلام للإمامة والولاية بصورة رسميّة، وقد أخبر المسلمين في المدينة وغيرها من بلاد

المسلمين بأنّه ﷺ سيحجّ هذه السنة، فمن قدر فليخرج إلىٰ الحج.

كتب المؤرخون أنّه قصد مكّة في تلك السنة أكثر من مائة ألف، وأحرموا في الميقات للعمرة وطافوا حول الكعبة المعظّمة، وصلّوا ركعتي الطواف وسعوا بين الصفا والمروة وقصّروا مع رسول الله ﷺ، وبعد ذلك أحرموا مجدّداً لأداء مراسم الحج، ووقفوا بعرفات و المزدلفة ثمّ توجّهوا إلىٰ منىٰ، ورموا الجمار وبعد أن ضحّوا وخرجوا من الإحرام بالتقصير الواجب، ثمّ استعدّوا بعد ذلك للقيام بالطواف وغير ذلك من الواجبات الأخيرة من الحج.

وكانوا في جميع هذه المراحل يستفيدون من تعاليم رسول الله ﷺ العلميّة والفقهيّة، وطوال هذه المراسم كان رسول الله ﷺ يفيد المسلمين بخطبه ومواعظه، ويؤكّد علىٰ حفظ الوحدة والدفاع عن الإسلام، و قد كرّر مراراً التوصية المؤكّدة علىٰ حراسة القرآن، والعمل به، واتباع عترته وأهل بيته.

ولقد كان رسول الله ﷺ يتحدّث ويعمل وكأنّه يرىٰ أن موته قد بات قريباً، وانّ هذه الحِجّة هي الحِجّة الأخيرة.

ومع أنّه كان من الممكن أن يقوم بالمهمّة الإلٰهيّة الملقاة علىٰ عاتقه في عرفات أو منىٰ أو في المسجد الحرام، وينصب عليّاً عليه السلام للخلافة والإمامة أمام جميع الحجاج إلّا أنّه أحجم عن القيام بهذه المهمّة.

ولعلّه لم يرَ الأرضيّة المناسبة لذلك وكان يخشىٰ معارضة طلاب السياسة ومخالفتهم، وعرقلتهم لهذه الخطوة الهامّة، وعلىٰ كلّ حال انتهىٰ موسم الحج، وأخذت قوافل الحجّاج العظيمة تعود إلىٰ بلادها وأقطارها و بدأ النبي الكريم ﷺ يعود هو أيضاً إلىٰ المدينة مع القافلة، وهو يعاني من قلق كبير لعدم توفر فرصة مناسبة لنصب عليّ عليه السلام لمقام الخلافة و الإمامة من بعده.

غدير خمّ

وصل رسول الله ﷺ ومرافقوه إلىٰ (غدير خم) وهي قريبة إلىٰ منطقة الجحفة و منها تتفرق الطرق إلىٰ البلاد الإسلاميّة المختلفة، ويتوجّه الحجيج إلىٰ مناطق مختلفة.. وكان هذا آخر فرصة لنَصب الإمام علي عليه السلام للخلافة في مرأىٰ ومسمع من جميع حُجاج البلاد.

كان الوقت قريباً من الظهر وكان الحَرّ شديداً جدّاً، وفي هذا المكان بالذات نزل جبرئيل و هبط بهذه الآية علىٰ رسول الله ﷺ و هي قوله تعالىٰ: ﴿يا أيُّها الرسول بَلِّغ ما أُنزل إليكَ من ربِّكَ وإن لم تَفعلْ فما بلّغتَ رسالتَه والله يعصمُك من الناس إنّ الله لا يَهدي القومَ الكافِرين﴾[1]

فنزل رسولُ الله ﷺ في تلك المنطقة وطلب من الحُجاج الذين تَـقَدّموا أن يعودوا، كما أمر الحُجاج الذين لم يصِلوا بعد أن يجدّوا في السير ويتوقفوا حيث نزل و توقف.

لم تكن هناك سوىٰ أشجار كبيرة يابسة (سمرات) فقمم تحتها من أجل إقامة الصلاة، فتعجب الحجاج من توقّف النبيّ غير المناسب في تلك الأجواء الساخنة بل والحارّة جدّاً، وكانوا يقولون: إنّه لابدّ من أمر هام.

ثمّ أعدوا منبراً من حدوج الإبل وأقتابها، وصعد عليه النبيّ ﷺ وقام خطيباً في تلك الجموع العظيمة، وكان جماعة ممّن يسمعون كلامه ينقلونه إلىٰ البعيدين عنه.

هذه الحادثة وقعت في اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجّة.

---

(١) المائدة / ٦٧.

حديث الغدير

خطب النبي الكريم ﷺ في ذلك المكان خطبةً مفصلة عُرفت فيما بعد بحديث الغدير، و قد نقل نصها بعبارات مختلفة في كتب الشيعة والسنة المعتبرة.

وقد روىٰ بعض الرواة هذه القضية علىٰ نحو التفصيل، وبعض رواها بصورة مختصرة إلّا أنّهم اشتركوا جميعاً في نقل العبارات الدالّة علىٰ ولاية عليّ عليه السلام ونكتفي هنا ـ بنقل واحدة من هذه الروايات:

قال زيد بن أرقم، رضي الله عنه، لمّا رجع رسول الله ﷺ من حجّة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقُمِمن، فقال: «**كأنّي دُعيتُ فأجيبُ، إنّي قد تركتُ فيكم الثقلين أحدَهما أكبر من الآخر: كتابَ الله وعترتي. فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتّىٰ يردا عليّ الحوضَ**».

ثمّ قال: «**إنّ الله عزّوجلّ مولاي وأنا مولىٰ كلّ مؤمن**».

ثمّ أخذ بيد عليّ، رضي الله عنه، فقال: «**مَنْ كُنتُ مولاه فهذا وليّه، اللّهمّ والِ منْ والاه، وعادِ مَن عاداه**».[1]

وللبراء بن عازب ـ في الحديث نفسه ـ عبارة إضافيّة هي: انّ رسول الله ﷺ قال أوّلاً: «**ألستُ أوْلىٰ بالمؤمنين من أنفسهم**»؟.

قالوا: بلىٰ. قال: «**ألستُ أولىٰ بكلّ مؤمن من نفسه؟**»

قالوا: بلىٰ. قال: «**فهذا وليّ من أنا مولاه**».[2]

وجاء في ذيل حديثٍ آخر عن البراء هذه العبارة: فلقيه عمر بن الخطاب،

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ج٣ ص١١٩؛ البداية والنهاية ج٣ ص٢٢٨

(٢) البداية والنهاية ج٣ ص٢٢٩

فقال: هنيئاً لك، أصبحتَ وأمسيتَ مولىٰ كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ.[١]

رواة حديث الغدير

و حديث الغدير هذا حديث متواتر وقطعيّ الصدور وقد رواه أكثر من مائةٍ وعشرة من الصحابة الكبار منهم:

أبوهريرة؛ أبويعلى الأنصاري، أبوالهيثم بن التيهان؛ أبوبكر بن ابـي قحافة؛ عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، الإمام الحسن المجتبىٰ، الإمام الحسين، فاطمة الزهراء، أُسامة بن زيد، أُمّ سلمة (زوجة النبي)، أنس بن مالك (خادم النبي)، براء بن عازب، جابر بن سمرة، جابر بن عبدالله الأنصاري، حذيفة بن أسيد، حسان بن ثابت، خزيمة بن ثابت الأنصاري، الزبير بن العـوام، زيد بن الأرقم، زيد بن ثابت، أبوسعيد الخدري، سلمان الفارسي، مقداد بن عمرو الكندي، عباس بن عبدالمطلب، عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، عبدالله بن عباس، عبدالله بن عمر بن الخطاب، عمار بن ياسر.[٢]

أسناد الحديث

ولقد نقل مؤلّفو السنّة والشيعة هذا الحديث في كتبهم في مجال الحـديث والتاريخ والتفسير والكلام، واستدلوا به، بل واُلّفت كتبٌ مستقلةٌ في هذا الحديث.

وحيث أنّ هذا الحديث متواتر وقطعيّ الصدور لذلك لسنا بحاجة الى البحث في أسناده، ومع ذلك فإنّ كثيراً من العلماء بحثوا في هذا السند ووصفوه بالحسن

(١) البداية والنهاية ج٣ ص٢٢٩

(٢) الغدير ج١ ص٤١ـ٤٤

والصحة، ونشير إلىٰ بعضها من باب المثال:

١ ـ الحافظ أبوعيسىٰ الترمذي في السنن.

٢ ـ الحافظ أبوجعفر الطحاوي في مشكل الآثار.

٣ـ أبوعبدالله الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين.

٤ـ أبومحمّد أحمد بن محمّد العاصي في زين الفتىٰ.

٥ـ الحافظ ابن عبدالبرّ القرطبي في الإستيعاب.

٦ ـ أبوالحسن بن المغازلي الشافعي في المناقب.

٧ـ أبو حامد الغزالي في سِرّ العالمين.

٨ـ أبوالفرج إبن الجوزي الحنبلي في المناقب.

٩ـ سبط ابن الجوزي الحنفي في التذكرة.

١٠ـ إبن أبيالحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة.

١١ـ أبوعبدالله الكنجي الشافعي فيكفاية الطالب.

١٢ـ علاء الدين السمناني في العروة.

١٣ـ السيّد محمود الآلوسي في روح المعاني.

١٤ـ الشيخ محمّد الحوت البيروتي الشافعي في أسنىٰ المطالب.

١٥ـ شهاب الدين أبوالفيض أحمد بن محمّد الصديق في تشنيف الآذان.

١٦ـ الحافظ عماد الدين بن كثير الشافعي في البداية والنهاية.

١٧ـ الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد.

١٨ـ شمس الدين الجزري الشافعي في أسنىٰ المطالب.

١٩ـ الحافظ ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب.

٢٠ـ أبوالخير الشيرازي الشافعي في إبطال الباطل.

٢١ـ الحافظ أبوالعباس شهاب الدين القسطلاني في المواهب اللدنّية.

٢٢ـ الحافظ شهاب الدين ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة.

٢٣ـ جمال الدين الحسيني الشيرازي في الأربعين.

٢٤ـ جمال الدين أبوالمحاسن يوسف بن صلاح الدين الحنفي في المعتصر من المختصر.

٢٥ـ الشيخ نور الدين الهروي القاري الحنفي في المرقاة في شرح المشكاة.

٢٦ـ الشيخ محمّد صدر العالم في معارج العلىٰ في مناقب المرتضىٰ.

٢٧ـ السيّد ابن حمزة الحراني في البيان والتعريف.

٢٨ـ أبوعبدالله الزرقاني في شرح المواهب.

٢٩ـ شهاب الدين الحفظي الشافعي في شرح عقد جواهر الآل.

٣٠ـ الميرزا محمّد البدخشي في نزل الأبرار.

٣١ـ مفتي الشام العمادي الحنفي في الصلاة الفاخرة.

٣٢ـ أبوالعرفان ابن الصبان الشافعي في إسعاف الراغبين.

٣٣ـ زين الدين المناوي الشافعي في فيض القدير.

٣٤ـ نور الدين الحلبي الشافعي في السيرة الحلبية.

٣٥ـ الشيخ أحمد بن باكثير في وسيلة المآل في مناقب الآل.

٣٦ـ الشيخ عبدالحقّ الدهلوي البخاري في شرح المشكاة.

٣٧ـ الشيخ محمود بن محمّد الشيخاني في الصراط السويّ في مناقب آل النبيّ.(١)

---

(١) للإطلاع علىٰ العنوان الدقيق في المصادر المذكورة والوقوف علىٰ تفاصيل أكثر يراجع كتاب الغدير ج ١ ص ٥٤٣

سؤال أمير المؤمنين ومناشدته

ولقد ناشد الامامُ عليٌّ عليه السلام الناسَ في مواضع متعدّدة، وأقسم عليهم بأن يشهد من حضر منهم في حادثة الغدير وسمع حديث رسول صلى الله عليه وآله فشهد جماعة من الحضور، وقالوا: بلى سمعنا رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاهُ فعليٌّ مولاهُ».

ومن جملة هذه المناشدات ما فعله في يوم الشورى وفي زمان عثمان بن عفان ويوم الرحبة بالكوفة، ويوم الجمل و يوم صفّين وفي حديث الركبان.

وكان في كل مرة يشهد جماعة بهذه الواقعة ففي يوم الرحبة شهد أربعة وعشرون شخصاً نذكر أسماءهم فيما يأتي:

١ -أبو زينب بن عوف الانصاري.

٢ -أبو عمرة بن عمرو بن محصن الانصاري.

٣ -أبو فضالة الانصاري.

٤ -أبو قدامة الانصاري.

٥ -أبو يعلى الانصاري.

٦ -أبو هريرة الدوسي.

٧ - أبو الهيثم بن التيهان.

٨ - ثابت بن وديعة الانصاري.

٩ - حبشي بن جنادة السلولي.

١٠ -أبو ايوب خالد الانصاري.

١١ -خزيمة بن ثابت الانصاري.

١٢ -أبو شريح خويلد بن عَمْرو الخزاعي.

١٣ -زيد أو يزيد بن شراحيل الانصاري.

١٤ -سهل بن حنيف الانصاري.

١٥ - أبو سعيد سعد بن مالك الخدري.

١٦ - أبو العباس سهل بن سعد الانصاري.

١٧ - عامر بن ليلي الغفاري.

١٨ - عبدالرحمان بن عبد ربّ الانصاري.

١٩ - عبدالله بن ثابت الانصاري (خادم رسول الله ﷺ).

٢٠ - عبيد بن عازب الانصاري.

٢١ - أبو طريف عدي بن حاتم.

٢٢ - عقبة بن عامر الجهني.

٢٣ - ناجية بن عَمْرو الخزاعي.

٢٤ - نعمان بن عجلان الانصاري.[1]

الاحتجاج المتكرر بالحديث

لقد وقع الاحتجاج بحديث الغدير بصورة مستمرة من قِبَل الامام علي عليه السلام و أهل بيته و المدافعين عنه وعن ولايته.

فالسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام قالت: «أنسيتم قولَ رسول الله ﷺ يوم غدير خُمّ، وقوله ﷺ أنت مِنّي بمنزلة هارون مِن موسى»؟!.[2]

كما قال الإمامُ الحسن عليه السلام: «وقد سمعتْ هذه الأُمة جدّي ﷺ يقول لأبي: أنت مِنّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبيّ بعدي. وقد رأوه و سمعوه حين أخذ بيد أبي بغدير خُمّ وقال لهم: مَن كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ، أللّهمّ والِ مَن والاهُ

---

(١) الغدير ج ١ ص ٣٧٦ هذا و يمكن للوقوف على تفاصيل حديث الغدير مراجعة موسوعة الغدير ج ١ ص ٣٢٧ إلى ٣٩٩ وكتاب الامام علي بن أبي طالب، ج ٢ ص ٥ الى ٩٠ و غاية المرام ج ١ ص ٢٦٧ إلى ٣٤٤

(٢) الغدير ج ١ ص ٣٩٧

وعادِ من عاداه».[١]

وقال الامامُ الحسين (ع) في مكّة: «أُنشدكم الله، أتعلمون أنّ رسول الله نصبه يوم غدير خُم فنادى له بالولاية وقال: ليبلِّغ الشاهدُ الغائبَ؟».

قالوا: اللّهم، نعم.[٢]

وقد احتج بهذا الحديث آخرون أيضاً منهم: عبدالله بن جعفر وعمرو بن العاص، و الاصبغ بن نباتة وقيس بن سعد على معاوية وعمار بن ياسر على عمرو بن العاص.[٣]

مفاد الحديث

قال رسولُ الله ﷺ في هذه الخطبة: «كأنّي دعيتُ فأجبتُ إنّي تركتُ فيكم الثقلين أحدَهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي. فأنظروا كيف تُخلفوني فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض ﷺ.[٤]

لقد وصف نبيُ الاسلام في هذه القطعة من الخطبة القرآنَ والعترةَ بأنهما أمران عظيمان ووديعتان ثمينتان، و عرّفهما للأمة، وقال: «أستودع عندَكم هاتين الوديعتين فأحفظوهما و اجتهدوا في حفظهما».

القرآن

إن توصية النبي ﷺ في ذلك الوقت لم يكن مجرد عمل تشريفاتي، كما لم

---

(١) الغدير ج١ ص٣٩٨

(٢) الغدير ج ١ ص ٣٩٩

(٣) الغدير ج ١ ص ٤٠٠ـ٤١٤

(٤) المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٣ ص ١٠٩

يكن ﷺ يريد أن يوصيَ المسلمين بأن يطبعوا القرآن طباعةً جيدةً و يقتنوه و يحتفظوا به في بيوتهم وغرَفهم و يقوموا باحترامه، و قرائته أحياناً بصوت جميل.. والقرآن لم ينزل لهذا الغرض، بل القرآن كتاب هداية و منهاج حياة، و قد نزل ليُخرج الناسَ ـ بما ينطوي عليه من محتوىً غنيّ و مضمونٍ شفافٍ ـ من الضلالة والفساد، ويهديهم إلى عالم النور و السرور، ويضمن سعادتهم دنيويّاً و أُخرويّاً.

إنّ القرآن الكريم أكبر وأعظم مصدر للعلوم والمعارف الدينية، وقد جاء ليبقى و يهدي البشرية في كل مكان وكل زمان.

و من هنا يجب القول بأن رسول الله ﷺ أراد في ذلك الوقت الحساس أن يقدِّم القرآن الكريم كمصدر علميّ و دينيّ موثوق به لأجل أن يرجع إليه المسلمون لحل مشاكلهم المتنوعة، و يستفيدوا منه .

لقد طلب من الناس أن يواصلوا الاهتمام بأهداف القرآن الكريم، ويعملوا بجدّ على تحقيقها، ولقد كان النبيّ ﷺ يتوقع من الأمة مثل هذا الموقف.

العترة والمرجعية العلميّة

إنّ المراد من العترة هم أهل البيت الذين سبق الحديث عنهم، و قد ثبتت عصمتهم وعلمهم، وقد أسلفنا أن النبيّ الكريم ﷺ نقل إلى علي عليه السلام علومَ الدين و معارفه ونُقلت تلك العلوم عبره إلى الأئمة المعصومين من أبنائه، و على هذا الاساس يُعتبر العترة حملةُ العلوم النبوّية، و لم يوصِ رسول الله ﷺ في هذه الخطبة و سائرِ أحاديثه بهم إلا لهذه الصفة التي كانوا يتحلّون بها، ولهذه الخصوصية التي كانوا يختصون بامتلاكها دون غيرهم، فهم لكونهم خزانة علوم الدين، أوصى بهم الأُمة، ودعاهم إلى اتخاذهم مرجَعاً عِلمياً وموثوقاً به، والإستفادة من معارفهم و علومهم.

إن تلك التوصيات المكرَّرة لاتعني الدعوة إلى مجرد احترامهم، والاحسان اليهم، أو إظهار المودة لهم بشكل صوريٍّ وشكليٍّ.

و إذا ما رأينا الله تعالى يطلب في كتابه العزيز «مودَّة ذوى القربىٰ» والاحسان إلى «أهل البيت» فانه أيضاً بهذا المعنى أيْ بهدف اتباعهم، والقبول بهم كمراجع دين.

إن وجوب القبول بمرجعية أهل البيت ـ الدينية لاينحصر في أولئك الذين رضوا بإمامتهم وأعتقدوا بها، بل يشمل كل المسلمين، فقد طُلب منهم جميعاً أن يرجعوا إليهم لأخذ علوم الدين وشرائعه منهم، فحتى أُولئك الذين لم يعتقدوا بإمامتهم بسبب الجهل بمنزلتهم، أو بأي سببٍ آخر، مكلّفون كذلك بأخذ معارف الدين و تعاليمه من أهل البيت.

ثم إنّ رسول الله ﷺ بعد التعريف بهم و وصفهم بأنهم الموئل والمرجع بعده قال: «**وإنهما لن يفترقا حتى يَرِدا عليَّ الحوضَ يوم القيامة**».

يعني أن أحداً لا يجوز له ان يقول: «حَسبُنا كتاب الله» وبذلك يلغي دور العترة فى المرجعيّة، أو يقول: «حَسبُنا محبةُ أهل البيت»، ويقصّر في الأَخذ بالقرآن، والرجوع إليه.

ويتضح هذا المعنى أكثر بالإمعان في العبارة التي نَقَلها بعض الرواة وهي قول رسول الله ﷺ «**ما إن تمسَّكتمْ بهما لن تضِلُوا بعدي أبداً**».

لقد كشفَ رسول الله ﷺ – طوال حياته مراتٍ ومراتٍ – النقابَ عن مقام الأئمة وأهل بيته – العلمية، ولفت انتباههم إليهم، وقد أوصى بهذا المعنى في خطبة الغدير التاريخية والمهمة وأكد عليه أبلغ تأكيد.

تفسير لفظة «المَولىٰ»

إن أهم نقطة في خطبة الغدير هي جملة: «من كنتُ مولاهُ فهذا عليٌّ مولاهُ» و هذه العبارة موجودة في نص حديث الغدير بجميع صوره مع شيء بسيط من الاختلاف، وهو أمرٌ متفق عليه.

إن صدور هذه العبارة عن رسول الله ﷺ موضعُ اتفاق بين الشيعة و أهل السُّنة ، فهم متفقون في نقلها عن النبي الكريم ﷺ ولكنهم اختلفوا في معناها ومفادها، فالشيعة يعتبرونها نصاً صريحاً في خلافة عليٍّ ﵇ لرسول الله ﷺ وإمامته وولايته من بعده، بينما لا يقول أهلُ السنة بذلك.

إن منشأ الإختلاف في تفسير هذه اللفظة هو الإختلاف في تفسير كلمة (المَولىٰ)، فأهلُ السنة يفسرون هذه اللفظة بالمحبّ والناصر، ولكن الشيعة فسروها بالأولى بالتصرف.

وقد وقعت في هذه المسألة حوارات عديدة ومناظرات كثيرة ومناقشات واحتجاجات لا تحصى بين الفريقين، مذكورة ومدونة في كتب علم الكلام. (أي علم العقيدة).

ونحن هنا نورد أولاً جميع المعاني المتنوعة للفظة المولى، ثم نعمد إلى البحث فيها ونقدها.

لقد سردَ مؤلف كتاب الغدير جميع موارد استعمال هذه اللفظة (المولى) فكانت سبعةً وعشرين معنى كالتالي:

١ - الربّ.

٢ - العمّ.

٣ - إبن العمّ.

٤ - الابن.

٥ – ابن الأُخت.

٦ – المُعتِق.

٧ – المُعتَق.

٨ – العبد.

٩ – المالك.

١٠ – التابع.

١١ – المُنعَم عليه.

١٢ – الشريك.

١٣ – الحليف.

١٤ – الصاحب.

١٥ – الجار.

١٦ – النزيل.

١٧ – الصهر.

١٨ – القريب.

١٩ – المنعِم.

٢٠ – العقيد.

٢١ – الولّي.

٢٢ – الأوْلى بالشيء.

٢٣ – السيّد.

٢٤ – المحبّ.

٢٥ – الناصر.

٢٦ – المتصرف في الأمْر.

٢٧ - المتولي في الأمر.[١]

بعد الإمعان الدقيق يتضح أن لفظة «المولىٰ» الواردة في حديث الغدير لا تناسب أي واحدٍ من المعاني المذكورة بدءً من الرقم ١ إلى الرقم ٢٠ ولا هي قابلة للتفسير بها، ذلك لأن المعنى الأول يستلزم الشرك، ولا يمكن نسبته إلى النبي ﷺ فربّ العالمين هو الله فقط، ولا ربَّ سواه.

والمعنى السابع والثامن والثاني عشر كذلك لا تصدق في حق النبي ﷺ أيضاً لانه ﷺ لم يكن لا محرَّراً معتَقاً، ولا عبداً، وكما أنه لم يشارك أحداً طيلة حياته.

وأما بقية المعاني إلى رقم ٢٠ وإن كان فى النظرة الابتدائية يمكن تفسير لفظة (المولىٰ) بأحدها ولكن لا يكون هناك تلازم بين النبي والإمام علي عليه السلام فيها، اذ ليس من الضروري إذا كان النبيُّ ﷺ عمّاً لأحد أن يكون عليٌّ عليه السلام عمّاً له أيضاً ليصح أن يقال: من كان النبي عمّاً له فعليٌّ عمٌّ له أيضاً وهكذابالنسبة الى البقية.

وامّا بقية المعاني من ٢١ إلى ٢٧، فيمكن - حسب النظرة الإبتدائية - الاستفادة منها في تفسير اللفظة المبحوث فيها.

وقد اختار أهلُ السنة من بين المعاني السبعة المعنى رقم ٢٤ و ٢٥ و فسّروا لفظة المولىٰ بالمحبّ والناصر، وقالوا إنَّ النبي ﷺ أراد أن يصِف علياً عليه السلام في هذا الموقف بأنه ناصرُ الناس أو محبهم، فهو ﷺ قصد من قوله: «إن من كنتُ محبَّه أو ناصرَه فعليٌّ محبُّه وناصرُه، فاعتبروه أنتم مُحِبّاً لكم وأنصرُوه.»

ولكن وبعد تمعُّن قليل يتضح أن الاحتمال المذكور هو الآخر احتمال غير مقبول و غير مفيد، لأنه لابد من التأمل فى ماكان يقصده رسول الله ﷺ من هذا الكلام؟ هل كان مراده أن يقول: «يا أيها الناس من كنت أنا محبُّه فعليٌّ محبّه»

(١) الغدير ج ١ ص ٦٤١

أيضاً.

ترى هل هذا الكلام يستحق ان يجمع النبيّ ﷺ بأمر الله تعالى في غدير خُم ويوقف تلك الجموع العظيمة وبإصرار كبير في ذلك الوقت الشديد الحرارة ويخطب ويقول: أيها الناس من كنت محبَّه فعلي محبُّه؟!.

هل كان إلقاء هذا الكلام - في ذلك المشهد الاستثنائي - من الأهمية بحيث تنزل من أجله هذه الآية: «يا أيها الرَّسُولُ بَلِّغْ ماأُنْزِلَ إلَيْكَ مِن رَبّكَ وإن لم تَفْعَل فما بلّغتَ رِسَالتَهُ واللهُ يعصِمُكَ مِن الناس»؟!.[1]

ثم بناءً على هذا الإحتمال كيف يمكن أن نبرّر قول النبي ﷺ: «هَنِّئوني هَنِّئوني »؟

بماذا نفسر فعل عمر الذي تقدم ـ حسب رواية أبي الفداء ـ إلى عليٍّ ﷺ بعد خطبة النبي ﷺ وقال: هنيئاً لك أصبحتَ وأمسيتَ مولى كلِّ مؤمن و مؤمنة؟[2]

هل أراد أن يهنيء علياً ﷺ لأنه كان محبّاً وناصراً لجميع المؤمنين فحسب؟ هل يمكن لأحد أن يَنسِبَ إلى رسول الله ﷺ مثل هذا الكلام؟.

لقد افتخر عليٌّ وأولاده ﷺ و أصحابه بهذا الكلام النبويّ: «من كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ» واحتجوا به، مراراً، فهل كون عليٍّ ﷺ محبّاً للناس أو ناصراً لهم فضيلة ومبعث اعتزاز وفخر، للإمام ﷺ وهل يمكن أن يكون ذلك دليلاً لإثبات خلافته وإمامته؟!

إذاكان هدف النبي ﷺ من هذا الكلام هو التوصية بأن يحب الناس عليّاً لم تفد هذه الجملة ذلك المقصود، بل كان عليه ﷺ أن يقول: «من كنت محبوبَه فعليٌّ

(١) المائدة / ٦٧

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٢٩

يكون محبوبَه» أو «من أحبَّني فلْيحبَّ علياً». او ما شابه ذلك من التعابير.

إن الشيعة فسّروا لفظة: «المولى» بالأولى بالتصرّف، والذي يعني الحاكمية الدينية والإمامة.

ومن الشواهد التي يقيمونها على هذا التفسير هو قول النبيّ ﷺ قُبيل هذه العبارة وهي: «ألستُ أولى بكم من أنفسِكم» وهي إشارة إلى قول الله تعالى: «النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنْفسِهم».(١)

فقد قُصِدَ في الآية المذكورة أن للنبي ﷺ ولايةً على المؤمنين في القيام بشؤون الناس الإجتماعية، وهذه هي الحاكمية الإلٓهية والإمامة.

وعلى هذا الأساس أراد النبي ﷺ في هذه الخطبة بعبارة: «من كنت مولاهُ فعليٌ مولاه» أن ينصب علياً ﷺ لمنصب الإمامة والحاكمية الإلٓهية التي كانت له نفسه ﷺ.

وبارتضاء هذا النوع من التفسير تُحَلّ كلُّ المشاكل في هذا الصعيد، إذ بذلك يصبح لنصب الامام علي ﷺ للامامة والزعامة، والخلافة، قيمة ، فهذه الخلافة هي التي نزل لبيانها والتأكيد عليها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ ﴾(٢) وجمع رسولُ الله ﷺ الناس من أجل القيام بمهمة إبلاغها إليهم في غدير خم، تحت أشعة الشمس الحارقة، وأورد خطبته التاريخية المعروفة في تلك المنطقة.

و بقبول هذا المعنى تصبح مسألة أخذ البيعة من الناس، ومطالبتهم بالتهنئة أمراً مقبولاً ومعقولاً.

---

(١) الأحزاب / ٦

(٢) المائدة / ٦٧

قال زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ بعد أن انتهى من خطبته يوم الغدير طلب من الناس أن يبايعوا علياً عليه السلام، فعند ذلك بادر الناس بقولهم: نعم سمعنا وأطعنا على أمر الله و رسوله بقلوبنا، و كان أول من صافق النبي ﷺ و علياً: أبوبكر و عمر و عثمان و طلحة و الزبير و باقي المهاجرين و الانصار و باقي الناس إلى أن صلى الظُهرين في وقت واحد، و امتدّ ذلك الى أن صلّى بالناس العشائين في وقت واحد.[1]

بقبول مثل هذا المعنى يبرّر نزولُ قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾.[2]

يقول أبو سعيد الخُدري: نزلت هذه الآية في يوم الغدير و بعد قول رسول‌الله ﷺ: **«من كنتُ مولاهُ فعليٌ مولاه»** قال رسول الله ﷺ: **«الله أكبر على إكمال الدين و إتمام النعمة و رضا الرب برسالتي و الولايه لعلي من بعدي»**.[3]

و قال علي عليه السلام في الرحبة و قد ناشد الناس: **«من سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خمّ إلّا قامَ»**.

فقام اثنا عشر و قالوا: نحن سمعنا رسول الله ﷺ يقول: **«من كنتُ مولاهُ فعليٌ مولاه»**.[4]

ففي حالة تفسير لفظة «المولى» بالأَولى بالتصرّف و الحاكِم و الإمام تتجه أيضا مسألة النصب الذي ورد في بعض الاحاديث و يجد اللفظُ معناه.

لقد قال الإمام عليٌّ عليه السلام في يوم الشورى: **«أُنشدكم اللهَ مَن منكم نَصبَه رسولُ**

---

(١) الغدير ج١ ص٥٠٨ (نقلاً من كتاب الولاية لمحمد بن جرير الطبري)

(٢) المائدة / ٣

(٣) الغدير ج١ ص١٠٥

(٤) البداية والنهاية لأبي الفداء ج٣ ص٢٢٩

الله ﷺ يوم غدير خم للولاية غيري؟».

قالوا: اللّهم، لا.[١]

و خطب الامام الحسين ﷺ في الناس بمكة قبل موت معاوية بسنتين فقال: أُنشدكم اللهَ أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ نَصبَه يوم غدير خُم فنادى له بالولاية و قال: ليبلِّغ الشاهدُ الغائبَ»؟.

قالوا: اللّهمّ نعم.[٢]

فاذاكان المولى بمعنى (الامام و الحاكم) يصبح للنصب معنى، لا ما إذا كان هذا اللفظ بمعنى (المحبّ و الناصر).

إذ لو كان المولى بمعنى (المحبّ و الناصر) لم يكن للنصب مبرّر ولا معنى، فكيف يمكن أن نقول: إنّ النبيَّ نصبَ عليّاً على أنه محبٌ و ناصرٌ للمسلمين.

إن الشيعة - بالنظر إلى هذه القرائن و الشواهد - و نظائرها يحملون لفظة (المولى) في حديث الغدير على (الأولى بالتصرف) أي مَن له الإمامة و الحاكمية الآلهية و يعتقدون أن النبي الاكرم ﷺقدَّم الامام علياً ﷺللمسلمين في ذلك الاجتماع العظيم قائداً و زعيماً، و نصبه لذلك المنصب الرفيع بصورة رسميّة.

و في الخاتمة نرى من الضروري التذكير بهذه النقطة المهمّة و هي أن علماء الشيعة و ان كانوا يصرّون على تفسير لفظة المولى - في هذا الحديث - بالأولى بالتصرّف، و لكن لايبدو للنظر أن هذه المسألة مسألة بديهية، بل لو استفدنا من المعاني الأُخرى مثل: (الوليّ) و (المتصرف في الأمر) و (المتولّي في الأمر) بل و حتى لو استفدنا من لفظة (المولى) نفسها لحصلنا على النتيجة المطلوبة أيضاً.

---

(١) الغدير ج ١ ص ٣٢٩ (نقلاً من الدرّ النظيم، لابن حاتم الشافعي ج ١ ص ١١٦)

(٢) الغدير ج ١ ص ٤٠٠ (نقلاً عن كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٧٨٨ ح ٢٦)

و نقول – في توضيح هذا الموضوع – أن لفظة (المولى) ونظائرها مشتقة من (وليه، يليه) و تعني في أصل الكلمة: (الشيء القريب للشيء و الكائن في جنبه)، و قد يراد منه (الكينونة إلى الجنب) بهدف المساعدة و القيام بما يرتبط بالفرد و الأفراد أو الأشياء الأُخرى.

و يُفهم هذا المطلب من كلمة (الولاية) و غيرها من مشتقاتها.

و من هنا و بهذا المعنى يقال: وليّ المرأة، وليّ الصغير، وليّ اليتيم، وليّ الاولاد، وليّ المجنون، وليّ الميّت.

ففي مثل هذه الموارد يحتاج من تكون الولاية من أجله في القيام بأُموره إلى شخص آخر يكون الى جنبه ليقوم بالامور المتعلقة به. فالصغير واليتيم مثلاً يحتاج للوصول إلى حاجاته إلى من يكون إلى جانبه(وهو الوليّ).

وقد يكون شعاع الولاية ومداها أوسع وأكثر شمولية مثل: والي البلد، أو وليّ الأُمّة، أو وليّ المسلمين، فيكون الوالي أو وليّ الامور الاجتماعية المرتبطة بالناس في بلد أو الأُمة في هذه الموراد أيضا قد أخذ في عهدته القيام بشؤونها.

فيكون المراد في جميع مشتقات لفظة الولاية – في الحقيقة – معناها الكنائي و هو القيام بالأُمور و الادارة، و ليس معناه المطابقي.

مثل هذا الكلام بعينه يمكن قوله في تفسير كلمة (المولى) أيضاً فالمولى – و هو على وزن مَفْعَل وهو اسمٌ للزمان و المكان – يعني مقام إعمال الحاكمية و منصب الادارة، يعني أن النبي الأكرم محمد ﷺكان مولى المسلمين أي حاكمهم و القائم بتدبير أمورهم، والمتعهد لإدارة شؤونهم الإجتماعية، و في خطبة الغدير اختار عليّاً عليه السلام لهذا المنصب، و عرّفه للناس بهذا العنوان.

و بناءً على هذا لا حاجة إلى أن نفسر المولى بالأَولى بالتّصرف، بل يمكن أن تكون هذه اللفظة بنفس معناها الأصليّ، ومع ذلك يثبُت هدف النبيّ ﷺ و هو أنّ

نصب عليٍّ عليه السلام هو لمقام الامامة و الحاكميّة الاسلامية.

إنّ إطلاق لفظة (المولى) على الحاكم و الإمام إنما هو لأنه كائن في مقام إدارة الأُمور الإجتماعية، و لهذا فهو أولى من غيره.

التوجّه نحو المدينة

لقد توجّه رسولُ الله صلى الله عليه وآله و معه عائلته و غيرُهم من الحجيج بعد ليلة واحدة من التوقف في أرض غدير خم المباركة، نحو المدينة المنوّرة.

كان النبي الكريم صلى الله عليه وآله مسروراً لأنه قام بهذه المهمّة الالّهية و نصب عليّاً عليه السلام لمقام الخلافة من دون أن يلقى معارضةً من جانب الناس، أو يواجه ردة فعل منهم، و لكن المنافقين و معهم بعضُ أقطاب قريش الذين كانوا يحلمون بالخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله استاؤوا بشدة من هذا العمل، و راحوا يُظهرون استياءهم أحياناً في اجتماعاتهم الخاصة، و يتناجون فيما بينهم في هذه المسألة، و لكن من دون أن يتجرّأوا على البوح بها، وطرحها علناً.

و كان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله على علم بغضب المنافقين، و استياء كبراء قريش من هذه الخطوة.

كما أنه كان على علم بحقد أُولئك الذين قُتل أقرباؤهم على يد علي عليه السلام.

و لهذا كان صلى الله عليه وآله على قلقٍ دائمٍ من احتمال حصول مؤامرة من قِبَل هذه الجماعات ضد خلافة عليّ عليه السلام و إمامته.

لقد كان عليٌّ عليه السلام حصيلَة عُمُر النبي صلى الله عليه وآله وكان الشخصَ الذي استودع عنده - طيلة فترة رسالته - علوم الاسلام و معارفه، على أمل أن يواصل خطواته من بعده، و يسير بالأُمة الاسلامية قُدُماً في مسار الاسلام الأصيل، و يهديها نحو شواطىء الخير و السعادة الدنيوية و الأُخروية.

و لقد قام النبي ﷺ من أجل تحقيق هذا الهدف بـالتعريف بـه مـن خـلال خطوات تمهيدية كثيرة، و فعل كل ما يلزم فِعله في هذا السبيل، و لكنه -كان رغم ذلك قَلِقا جداً من احتمال وقوع مؤامرة ضدّه، و من تفرُّق الأُمة، و إزاحة عليّ عليه السلام من مقام الإمامة و الخلافة.

و يمكن الاحساس بهذا القلق في قول رسول الله ﷺو فعله منذ وروده إلى المدينة، إلى آخر لحظة من حياته.

فقد ظل يكرر و باستمرار الوصية بأهل بيته و عترته، و يحذّر النـاس مـن التفرق و الاختلاف، و يظهر القلق من الفتن التي تنتظر الأُمة.

يقول أبو مويهبة عتيقُ رسول الله ﷺ دعاني رسول الله ﷺفي منتصف إحدى الليالي و قال لي: «**أمرني ربي أن أزور أهلَ البقيع و أدعو لهم**»

فذهبنا معاً إلى البقيع، فخاطب الموتى قائلاً: «**السلام عليكم يا أهل المقابر! لِيهنَ لكم ما أصبحتم فيه ممّا أصبح الناسُ فيه. أقبَلتِ الفِتنُ كِقطَع الليل المـظلِم، يتبَع آخرُها أولَها، الآخرة شرٌّ من الأُولى**».(١)

المؤامرات تبدأ

لقد قرر جماعة من كبار قريش، و الطامحون إلى الخلافة أن يخالفوا و صايا رسول‌الله ﷺ في ما يرتبط بخلافة علي بن أبي طالب و أهل بيته و ولايتهم، و قد بدأت مؤامرتهم هذه منذ بدأ مرضُ النبي ﷺ

لقد مرض النبي ﷺوكان هذا المرض يشتد يوماً بعد يوم دون أن يتضح نوع هذا المرض و يُعرف على وجه التحديد، غير أن بعض النصوص تقول انه ﷺكان

---

(١) البداية و النهاية ج ٥ ص ٢٤٣

يشكو من الحمّىٰ و الصُداع.

و مع حلول المرض ازداد قلق النبي ﷺ و ازدادت مخاوفه.

ولم يكن قلقه و خَوفه ﷺ من الموت و من لقاء رب العالمين بل كان من إختلاف الأمة و تفرقها، و من الفتن القادمة.

الوصيّة التي لم تُكتَبْ

لقد بدر إلى ذهن النبي الأكرم ﷺ أن يُقدم على كتابة كتاب، وأن يترك بين الأمة وصية مكتوبة للتأكيد على ولاية الامام علي بن أبي طالب عليه السلام وترسيخاً لمسألة إمامته، ولأجل أن يُستفاد منها بعد وفاته.

فلقد روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس، أنه قال: لمّا حضر رسولُ الله ﷺ في البيت رجالٌ فيهم عمرُ بن الخطاب، قال النبي ﷺ: «هلمّ أكتب لكم كتاباً لا تَضِلّوا بعده؟».

فقال عمر: إنّ النبيّ قد غلب عليه الوجعُ! وعندكم القرآن. حَسبُنا كتابُ الله!.

فاختلف الحاضرون في البيت واختصموا: مِنْهم مَنْ يقول: قرّبوا يكتب لكم النبيُّ كتاباً لنْ تضلوا بعده.

ومنهم مَنْ يقول ما قاله عمر. فلما أكثروا اللغو و الاختلاف عند النبيّ ﷺ قال رسول الله ﷺ: «قوموا».[1]

وعن ابن عباس، قال: يومُ الخميس وما يومُ الخميس! ثم جعل تسيل دموعُه، حتّى رئيت على خديه كأنّها نظام اللؤلؤ، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «إيتوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ابداً».

---

(۱) صحيح مسلم ج ۳ ص ۱۲۵۹

فقالوا: إنَّ رسولَ الله يهجر.[١]

و روى مسلم أيضاً عن ابن عباس، أنه قال: دخلت على عمر في أوّل خلافته (إلى أن قال): قال عمر: أيزعم (ابنُ عمك) أنَّ رسول الله ﷺ نص عليه؟.

قلتُ: نعم وأزيدك. سألتُ أبي عمّا يدّعيه، فقال: صدق.

فقال عمر: لقد كان من رسول الله في أمره ذروٌ من قول لا يُثبت حجةً ولا يقطع عذراً، ولقد كان يربع في أمره وقتاً مّا، ولقد أراد في مرضه أنْ يصرِّح باسمه فَمَنَعْتُ من ذلك إشفاقاً وحِيطة على الإسلام. لا و ربِّ هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها لا نتقضت عليه العربُ من أقطارها، فعلم رسول الله ﷺ أنّي علمت ما في نفسه فأمسك، وأبى الله إلاّ إمضاءَ ما حَتَم.[٢]

وكتب الشيخ المفيد في هذا المجال يقول: إن رسول الله ﷺ قال: «إيتوني بدواةٍ وكتِفٍ أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً»، ثم أُغمي عليه. فقام بعض مَنْ حضر يلتمس دواةً وكتفاً، فقال له عمر: إرجع! فإنّه يهجر! فرجع، وندم من حضره على ماكان منهم من التضجيع في إحضار الدواة والكتف، فتلاوموا بينهم، فقالوا: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، لقد أشفقنا من خلاف رسول الله ﷺ!.

فلما أفاق ﷺ قال بعضهم: ألا نأتيك بكتف يا رسول الله و دواة؟

فقال: «أبعد الذي قلتم؟! لا، ولكنّي أوصيكم بأهل بيتي خيراً»!!. ثم أعرض بوجهه عن القوم فنهضوا».[٣]

لقد فعل عمر فعلته بقوله: (إنه يهجر) لأنه من جهةٍ حال دون كتابة وصيّة النبي المهمة و الحسّاسة و من جهة أُخرى اتهم رسول الله ﷺ المعصوم و الذي قال

---

(١) صحيح مسلم ج٣ ص ١٢٥٩

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج١٢ ص٢١ ويقصد من ابن عمك الإمامَ علياً عليه السلام.

(٣) الإرشاد ج١ ص ١٨٤

الله في شأنه: «و ماينطق عن الهوى » بالهذيان ووصفه بالهجر!!

و من المعلوم أنه لن تنفع وصية للنبي الكريم ﷺ بعد هذا الاتـهام الوقـح، لأنهم سيقولون: و ما قيمة الوصيّة الصادرة في حالة الهُجر و الهذيان؟؟

و لهذا فإن النبي ﷺ لم يجد بُدّاً من تكرار توصياته العامة المكررة بأهل بيته، و هو في اللحظات الأخيرة من حياته، و لكن لاحظْ أيها القارئ الكريم مافعلت هذه الجماعة في مقابل القضايا المشابهة؟

كتب ابن أبي الحديد في هذا الصدد يقول: لما احتضر أبوبكر قال للكاتب (و هو عثمان بن عفان): أُكتب هذا ما عهد عبدالله بن عثمان آخر عهده بالدنيا، و أول عهده بالآخرة في الساعة التي يُبر فيها الفاجر و يسلم فيها الكافر.

ثم أُغمي عليه فكتب الكاتب: عمر بن الخطاب.

ثم أفاق أبوبكر فقال: إقرَأْ ما كتبتَ، فقرأ و ذكَرَ اسمَ عمر.

فقال أبوبكر: أنّى لك هذا؟ (أي من أين لك هذا و من قال لك تكتب اسم عمر؟)

قال: ما كنتَ لتعدوهُ.

فقال: أصبتَ.[1]

بدءُ الفتن و شروعها

وكان النبيُّ الأكرم ﷺ كما أسلفنا - و بخاصة في أُخريات حياته و بعد حِجة الوَداع - يُظهر القلق باستمرار من الفتن التي تُقبل كقطع الغيوم الداكنة في طلائع الليل المظلم، و للأسف ظهرت هذه الفتنُ بُعيد وفاة رسول الله ﷺ فوراً.

---

(١) شرح نهج البلاغه ج١ ص١٦٣

و أكبر هذه الفتن هي فتنة تعيين الخليفة و التي بدأت و جثمان رسول الله ﷺلم يوسَّد الثرى بعدُ، و فيما كانت عائلتُه وذووه مشغولين بالعزاء و بإعداد المقدمات اللازمة لكفنه و دفنه.

في مثل هذا الوقت الحسّاس و المقرون بالحزن والأسى خرج عمرُ بن الخطاب و أبوبكر و أبوعبيدة الجراح، من منزل رسول الله ﷺ من دون أن يخبروا بذلك أهلَ بيت النبيّ ﷺ و بني هاشم، و ذهبوا بسرعة إلى سقيفة بني ساعدة، و في ذلك الوقت، و لعله قبل ذلك كان عددٌ من الانصار قد اجتمع في السقيفة، وكان رئيس الخزرج من الانصار سعد بن عبادة - و الذي كان مريضاً - ممن حضر في ذلك المكان آنذاك.

و بعد مدة التحق بهم جماعة من الخزرج و المهاجرين و كان من جملتهم معاذ بن جبل، و أسيد بن حضير، و بشير بن سعد و خالد بن الوليد، و عبدالرحمان بن عوف، و المغيرة بن شعبة.

و لم يحضر من بني هاشم و بني أُميّة، و أصحاب بدر، و المهاجرين إلى الحبشة أحدٌ.

كما لم يحضر في ذلك الجمع سلمان الفارسي و عمار بن ياسر و المقداد، و طلحة و عبدالله بن مسعود، وأُبي بن كعب و أشخاصٌ آخرون غيرهم أيضاً.

و بعد شيىء من الحوار و النقاش تبيّن أن الهدف من هذا الاجتماع كان هو اختيار الخليفة .

لم يكن هناك أيُّ أثر للمشورة و لا أي شيء من الشورى و لا أيّ كلام عن من هو الأصلح لخلافة رسول الله ﷺ و أنه ماذا قال رسول الله في هذا الصعيد ؟ بل كانت الجلسة أشبه ما تكون بحلبة التنافس على اقتناص كرة الخلافة من المنافِس.

و كان أبطال هذه الحلبة هم أبوبكر و عُمر، وأبوعبيدة الجراح، من المهاجرين و كان في الجانب الآخر منافسوهم: سعد بن عبادة من الخزرج من الانصار و كان المحور الأصلي في النقاش هو: (المهاجرون أولى بالخلافة أم الأنصار؟).

ولقد خطب كل واحد من رؤوساء الفريقين المتنافسَين على السلطة، أعني أبابكر و سعد بن عبادة في الحضور، وذكر مايمتاز به من مميِّزات ثم اشتدّ الاختلاف، و تصاعدت عملية الأخذ و الرَدّ، وارتفعت وتيرة التنافس والتنازع، وفي هذه اللحظة بالذات بادر أبوبكر الى الإمساك بزمام الأمر وقال: هذا عُمر و أبوعبيدة بايعوا أيّهما شئتم.

فقالا: لا، والله! لا نتولّى هذا الأمر عليك وأنت أفضل المهاجرين وخليفة رسول الله ﷺ في الصلاة وهي أفضل الدين. إبسط يدك..

فلما بسط يده ليبايعاه سبقهما بشير بن سعد الانصاري (من الأوس) فبايعه.(١)

وكتب ابن أبي الحديد في هذا الصدد يقول:

لما أخذ أبوبكر بيد عُمر و أبي عبيدة وقال للناس: قد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين، قال أبوعبيدة لعمر: أُمدد يدك نبايعك.

فقال عمر: مالَكَ في الإسلام فهة غيرها. أتقول هذا و أبوبكر حاضر؟.

ثم قال للناس: أيّكم تطيب نفسه أنْ يتقدم قدمين قدَّمهما رسولُ الله للصلاة، رضيك رسول الله لديننا فلا نرضاك لدنيانا؟.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٣٩

ثم مدَّ يده إلى أبي بكر فبايعه.[١]

و بهذه الصورة تمت المرحلة الأُولى من البيعة بصورة سلميّة بين أبي بكر و عمر و أبي عبيدة الجراح وكأنّه لا يصلح غيرُ هؤلاء الثلاثة للخلافة!!.

وفي هذا الأثناء نادى عُمر بالناس بأنكم قد عرفتم خليفة رسول الله ﷺ فماذا تنتظرون، قوموا وسارعوا إلى بيعته.

و لكي لا يخسر (الأوس) من الانصار الحاضرين ازدحموا المبايعة أبي بكر بحيث كاد سعد بن عبادة الانصاري (من الخزرج) أن يُسحَق تحت الأقدام فنادى أحدُ الحضور: مهلاً، لقد قتلتم سعداً.

فقال عمر: أُقتلوه! قَتَله اللهُ![٢]

وبهذا الشكل العنيف بايع الحاضرون في السقيفة أبابكر وتمت المرحلة الثانية من البيعة بنجاح .

ولكن الخزرج من الانصار امتنعوا عن بيعة أبى بكر وقالوا: لا نبايع إلا عليّاً.[٣]

و أما في المرحلة الثالثة فكان يجب أن يذهب أبوبكر الى مسجد رسول الله ﷺ ليبايعه عامة المسلمين.

و لكن كان عليه أن يصبر قليلاً ريثما تذهب قبيلة (أسلم) إلى المسجد، و تتوفر أرضية البيعة بشكل أفضل، و عندما بلغ أبابكر نبأُ توجه قبيلة أسلم إلى المسجد، تأكد هو والجماعة من الإنتصار الكامل.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٧

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٥

(٣) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٢٥؛ شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٢

فقال عُمر: ما هو إلاّ أن رأيتُ (أسلم) فأيقنتُ بالنصر وهكذا بايعه الناس.(١)

أجل، لقد وصلت طائفة أسلم إلى المسجد و بايعتْ أبابكر، و بمبايعتهم إياه تقوّىٰ جانبُ أبي‌بكر و بايعه بقيةُ الناس.

هذا و يستفاد من التاريخ أنه كان لعمربن الخطاب دورٌ مهمٌ في تنظيم حادثة السقيفة و إدارتها، فهذا ابن أبي الحديد يقول:

عمر هو الذي شيّد بيعة أبي بكر، و قمع المخالفين فيها فكسر سيفَ الزبير لما جرّده، و دفع في صدر المقداد و وطيء في السقيفة سعدَ بن عبادة و قال: أُقتلوا سعداً قتلَ اللهُ سعداً، و حطّم أنفَ الحباب بن المنذر الذي قال يوم السقيفة: أنا جذيلها المحكَّك و عذيقُها المرجَّب، و توعّد من لجأ إلى دار فاطمة عليها السلام من الهاشميين و أخرجهم منها، و لولاه لم يثبت لأبي‌بكر أمرٌ، ولا قامت له قائمةٌ.(٢)

نعم كل هذه الأعمال تمت بسرعة فائقة و بعجل كبير، و من الطريف أن عُمر نفسه اعترف بعد ذلك بأن بيعة أبي بكر تمت بسرعة و من دون مشورة مع أحد.

فذات يوم لما جلس عمر على المنبر قال ضمن خطبة له: إنه قد بلغني أن قائلاً منكم يقول: لومات أميرُ المؤمنين بايعتُ فلاناً (يعني عليّاً) فلا يغرنَّ امرءٌ أن يقول: إن بيعة أبي‌بكر كانت فلتةً، فلقد كانت كذلك، و لكن الله و قى شرَّها.(٣)

و يكتب ابن أبي الحديد قائلاً: إن الذي قال: لو مات عمر لبايعتُ فلاناً (هو) عمار بن ياسر (فهو الذي) قال: لو قدمات عمر لبايعت عليّاً.(٤)

ثم يبحث ابن أبي الحديد في معنى الفَلْتَة بشكل مفصّل و يقول: «الفلْتة ليست

---

(١) تاريخ الطبري ج٣ص ٣٢٢؛ الكامل ج٢ ص٣٣١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦ ص٢٨٧

(٢) شرح نهج البلاغة ج١ ص ١٧٤

(٣) شرح نهج البلاغة ج٢ ص ٢٣

(٤) شرح نهج البلاغة ج٢ ص ٢٣

الزلّة و الخطيئة بل هي البغتة».[١]

هذا و ينبغي التذكير بأن جماعة كبيرة من المهاجرين و الأنصار امتنعوا عن مبايعة أبي بكر في قضية السقيفة، و يمكن تسمية بعضهم و هم: علي بن أبي طالب، كل بني هاشم، الزبير بن العوام، أبوسفيان بن حرب، خالد بن العاص، عباس بن عبدالمطلب و أبناؤه و أبوسفيان بن عبد المطلب.[٢]

ثم إن هناك نقاطاً عديدةً - في حادثة السقيفة - تتطلب التأمل و هي:

١- لماذا خرج أبوبكر و عمر و أبوعبيدة من بيت رسول الله ﷺ و توجّهوا نحو السقيفة، وكان جثمان رسول الله ﷺ لم يوارَ بعدُ؟!

٢- إذا كانوا يعتبرون الخلافة أمراً مهماً و ضرورياً، فلماذا لم يخبروا بني هاشم و غيرهم من المسلمين بهدفهم ؟

ترى هل كانت هذه المسألة محرّمة على غير أُولئك الثلاثة ؟

٣- هل كانوا يريدون انتخاب الخليفة بالشورى و المشورة؟ أم كانوا يريدون حيازة مقام الخلافة لأنفسهم خاصّة دون غيرهم؟

وإذاكان الهدف هو المشورة و الشورى فلماذا لم يُرَ أيّ أثر من ذلك ؟

٤- لماذا نُسيت كلُّ الوصايا التي أوصى بها رسولُ الله ﷺ حول عليٍّ عليه السلام و لماذا لانرى لها ذِكراً ؟

و على فرض أنهم لم يرتضوا النصوص المربوطة بشأن خلافته، فهل يمكن تجاهل فضائله الشخصية وكمالاته الذاتية؟

ألم يكن عليٌّ عليه السلام أحد الشخصيات الصالحة لطرحها على الساحة في مجال

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٦

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢١

تولّي الخلافة و ممارسة القيادة لو كان الأمر اختياراً شورائياً و عن طريق التشاور حول الأصلح ؟

٥- إذا كان المقصود هو انتخاب الخليفة عن طريق الشورى و المشورة فلماذا تجاهلوا معارضة جلّة الأنصار و الخزرج بالذات بصورة كاملة، بل وصل إقصاؤهم إلى درجة قال عمر بن الخطاب فى شأن سعد بن عبادة كبير الخزرج من الأنصار: أُقتلوه، قتله الله؟!

٦-لماذا أصبح أبطال هذه المعركة أبوبكر و عمر و ابوعبيدة فقط ، ولم يكن للآخرين أي دور فعّال أبداً ؟

هل غير هؤلاء الثلاثة كانوا لايصلحون للخلافة، و كانوا لا يملكون المؤهلات اللازمة لها؟.

٧- لقد كان لحضور قبيلة «أسلم» و مبايعتهم دورٌ أساسيٌّ في تقوية ودعم خلافة أبي‌بكر بحيث أن عمر بن الخطاب كان ينتظر وصول هذه القبيلة وكان يرى النجاح الحقيقي و الكامل في مبايعتهم لأبي‌بكر، فمن أين كان يعرف عمر أنهم سيبايعون أبابكر؟

هل هذا كان مجرد احتمال ؟ أم أنه كان هناك تواطُؤٌ مسبَّق مع زعيم هذه القبيلة ؟

٨- هل يمكن اعتبار هذاالنوع من المبايعة أمراً عادياً، بأن يقول أبوبكر للحضور أولاً و من دون مشورة مع الآخرين: هذا عمر و أبوعبيدة بايعوا أيّهما شئتم .

فيقول عمر لأبي عبيدة: أعطني يدك أبايعك.

فيقول أبوعبيدة معترضاً على عمر: أتقول هذا و أبوبكر حاضر؟ و يضيف قائلاً: ثم يمدّيده إلى أبي‌بكر و يبايعه ؟

هل يُعَيَّن الخليفة بهذه الطريقة؟

ألا تحتملون أنّ هناك تنسيقاً مسبقاً قد تم بين هؤلاء بحيث رتّبوا الأمور بهذا الشكل المطلوب فوراً، و بمجرد وفاة رسول الله ﷺ جعلوا بني هاشم أمام الامر الواقع؟؟.

٩- ألا تحتملون أنَّ حادثة سقيفة بني ساعدة - المؤسفة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بما جرى قُبيل وفاة رسول الله ﷺأي في حال مرضه، حيث إن رسولَالله ﷺ طلب دواة و قرطاساً فقال: «إيتوني بقلمٍ و قرطاس لأكتبَ لكم ما إنْ تمسّكتمْ به لن تضلّوا أبداً» فقال عمر: إنَّ الرجل ليهجر، حسبنا كتاب الله.

و بهذا منع من وصية النبي؟

أليست هاتان الحادثتان تهدفان إلى أمرٍ واحدٍ؟

الحجج المعلَنة لإقصاءِ عليّ

قال عمر لابن عباس: أما والله إنْ كان صاحبك هذا أولى الناس بالأمر بعد وفاة رسول الله إلاّ أنّا خفناه على اثنين.

قال ابن عباس: فجاء بمنطقٍ لم أجد بداً من مسألته عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين! ما هما؟.

قال: خشيناه على حداثة سنه و حبّه بني عبدالمطلب.(١)

وعن ابن عباس، قال: تفرَّق الناس ليلة الجابية عن عمر فسار كل واحد مع إلفه، ثمّ صادفتُ عمر تلك الليلة في مسيرنا فحادثتُه، فشكا إليَّ تخلّف عليٍّ عنه، فقلت: ألم يعتذر إليك ؟

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٧

قال: بلى.

فقلت: ما هو ما اعتذر به.

قال: يا ابن عباس! إنّ أوّل مَنْ ريّثكم (منعكم) عن هذا الأمر أبوبكر. إنّ قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافةَ والنبوةَ.

قلت: لِمَ ذلك يا أميرالمؤمنين؟ ألم نُنِلهم خيراً؟

قال: بلى؛ ولكنهم لو فعلوا لكنتم عليهم جُحفاً جُحفاً!(1)

وكتب ابن أبي الحديد قائلاً:

فخرج الناس من عند عمر، ثم راحوا إليه، فقالوا له: لو عهدتَ عهداً.

قال: قد كنتُ أجمعتُ بعد مقالتي أنّ أولّي أمركم رجلاً هو أحراكم أنْ يحملكم على الحق ـ و أشار إلى عليٍّ ـ فرهقتني غشيةٌ، فرأيت رجلاً يدخل جنةً قد غرسها فجعل يقطف كل عضّة ويانعة فيضمُّها إليه ويصيرّها تحته، فخفت أنْ أتحمّلها حيّاً وميّتاً.(2)

أجل مع الأخذ بنظر الاعتبار بأن فضائل عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام وكمالاته النفسية و الخلقية، و توصيات النبي صلى الله عليه وآله المتكررة في شأنه ما كان يمكن لأحد إنكارها فقدعَمَد أبطال معركة الخلافة بداية إلى تناسي هذه الفضائل و المناقب، و عدم التطرّق إليها بالمرّة، و عندما راحوا يواجَهون باعتراضات من قِبَل بعض الأشخاص أحياناً كانوا يبرّرون عملهم المخالِف للنصوص و الحقائق بحجج ثلاث:

أولاً: أن عليّاً كان شاباً

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٥٧ (جحفاً جحفاً أي كانوا يستعلون عليهم)!!!

(2) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ١٩٠

ثانياً: أن الناس لايحبُّون أبناء عبدالمطلب

ثالثاً: أن الناس لايرغبون في أن تجتمع النبوة و الخلافة في بيت واحد.!!

طبعاً لم تكن أيةُ واحدة من تلك الحجج و الأعذار صحيحةً و مقبولةً لأن المعيار في استحقاق الخلافة و الولاية هي الكمالات الذاتية، و المؤهلات النفسية و الروحية، والعقلية و الأخلاقية، وليس السنَّ و مقدارَ العمر. و لقد كانَ عليٌّ عليه السلام متفوِّقاً على الجميع من حيث العلم و العمل و سائر الكمالات و المؤهلات، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أعدّه و ربّاه لتحمّل مسؤولية الخلافة، و التصدِّي لمقام الإمامة، و كان صلى الله عليه وآله مع كونه عارفاً بسنّ عليٍّ و مقدارِ عمره، وكونه شاباً، عيّنه للخلافة و نصبه للولاية.

كما أن اجتماع الخلافة و النبوة في بيت واحد لم يكن فيه أيُّ محذور، و لا أيّ مانع منه إلا الحسد و البغض الذي كان ينطوي عليه طلاب السلطة و عشاق المنصب والساعون الى الجاه.

أجل، لم تكن ثمت علةٌ حقيقيةٌ وراء إقصاء الإمام عليٍّ عليه السلام إلا حبّ المنصب و الحسد و البغض لأهل بيت النبوة.

الآثار المشؤومة لحادثة السقيفة:

لقد كانت حادثة السقيفة المؤسفة أعظمَ الفتن التي جرّت وراءها فتناً أُخرى، وكان لها من الآثار المشؤومة التي لزمت الأُمة الإسلامية على طول التاريخ و لاتزال وأهمها:

١- إنحراف الحكومة النبوية المعصومة الولائية عن مسارها الأصليّ، وتبدّلها إلى حاكمية غير المعصومين، و تهيّؤ الأرضية لظهور المَلَكية الوراثية، و الحكومات العَلمانية و اللادينية على طول التاريخ، و ما تبعها من عواقب مُرّةٍ.

٢- الفصل بين القرآن و العترة خلافاً لصريح النص النبويّ.

٣- حرمان أحكام الاسلام و قوانينه السياسية و الاجتماعية من ضمانة للتنفيذ مدعومةٍ بالعصمة، و بالتالي عدم وجود من يواصل خطى النبي الاكرم ﷺ و يسعى لتحقيق أهدافه الكبرى، كالتوحيد العالميّ، والعدالة الاجتماعية، وانتشار الاسلام في العالم و الغلبة على سائر الأديان.

٤- إنعزال العترة و خزّان علوم الاسلام و معارفه و أحكامه و قوانينه الاصيلة من مقام المرجعية العلمية، و سيادة المنطق الخاطىء القائل: حسبُنا كتابُ الله.

٥- وقوع الفرقة و الاختلاف بين الأُمة، و ظهور المذاهب المختلفة و ما تبعها من الآثار المشؤومة من قبيل الاختلافات و المشادّات المذهبية، و حتى الحروب و المجازر الدموية الداخلية، و ظهور الانشقاقات و حالات سوء الظن، و بالنتيجة ذهاب الشوكة، و زوال القوة والعظمة و العزة الاسلامية، و توفر الأَرضية للوقوع تحت نير الاستعمار، و تقبُّل السيادة الأَجنبية.

بدء ظهور الشيعة و السنة

إن النبي ﷺ - حسب الآيات و الاحاديث العديدة - مفروضُ الطاعة بمعنى أنه يجب طاعته و تنفيذ أوامره.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.[1]

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ

(١) النساء / ٥٩

أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً ﴾.(١)

لقد كان المسلمون - في صدر الاسلام - يعتبرون أوامر رسول الله ﷺ ونواهيه نابعةً من الوحي الإلَهيّ، و لهذا كان يطيعونه فيها طاعةً مطلقةً، و يسلّمون له تسليماً محضاً، و يعتبرون التخلُّف عنها معصيةً و ذنباً.

على أن وجوب طاعة رسول الله ﷺ لا يختص بزمان حياته، بل يستمر وجوب طاعته ﷺ حتى بعد مماتهِ أيضاً، و لكن الأمرَ لم يكن هكذا وللأسف، فقد انتهُكِت هذه الحرمة لأول مرة بعد وفاة رسول الله ﷺ في سقيفة بني ساعدة حيث اجتمع جماعة من الأصحاب و عملوا خلاف ما أراده النبي الاكرم ﷺ بصورة علنية، و عيّنوا خليفةً من عند أنفسهم، خلافاً للنصوص النبوية الواضحة القاطعة.

لقد أخبر رسولُ الله ﷺ - و كما أسلفنا - المسلمين مراراً بإمامة عليٍّ عليه السلام وولايته على المؤمنين، و صرّح بأنه خليفته و وصيّه، وأقامه ولياً للمسلمين بصورة رسمية في يوم الغدير بخُمّ، أمام عشرات الآلاف من المسلمين ، وأخذ البيعة من الحضور على الاقرار بولايته عليهم، و أولويّته بالتصرف في أمورهم، و شؤونهم.

كما وعرّف النبي ﷺ بأهل بيته و عترته مراراً في مواضع عديدة منها يوم غدير خُم و وصفهم بأنهم أحد الثقلين، المهمَّين، و أنهم مرجعٌ علميٌّ غنيٌّ مُعتبر إلى جانب القرآن الكريم و قال: «**إنهما لن يفترقا حتى يَرِدا عليَّ الحوضَ يوم القيامة**».

و لكن رغم كل هذه التأكيدات المتواصِلة و التوصيات المكررة تناسى جماعة من الصحابة - بعد وفاة رسول الله ﷺ - وصاياه و تعاليمه، و عَمَدوا بمنتهى التجاهل إلى اختيار خليفة منهم، و عزل أهل بيت النبي عن مقام المرجعية العلمية و السياسية و بذلك فصلوا بين الثقلين: القرآن الكريم و العترة، و غلّبوا

---

(١) الاحزاب / ٣٦

منطق (حسبنا كتاب الله) الذي تمتموا به في فترة مرض النبي عملياً.

لقد تصرّف المجتمعون في السقيفة، وعملوا و كأن رسول الله ﷺ لم يتحدث حول الخلافة من بعده أبداً و لم يقل شيئاً في شأن عليّ بن أبي طالب ﷺ أصلاً.

فهل للإعراض عن أوامر النبيّ ﷺ و تجاهل وصاياه و تأكيداته صورةٌ أوضح من هذا؟

نعم، لم يخضع كلُّ صحابة النبي ﷺ لهذا الجو الذي أوجده جماعة منهم، بل بقوا على مواصلة طاعة النبي ﷺ فلم يسلّموا لما حدث و وقع، و امتنعوا عن بيعة أبي بكر، معتقدين - بقوة - أن الامام علياً ﵇ هو خليفة رسول الله ﷺ بلا فصل.

و لكن هذا الفريق كانوا أقليّةً، و لم تُجدِ معارضتُهم للتيار الذي حدث و لذلك سكت كل هؤلاء أو أكثرهم ـ فيما بعد ـ على الوضع الحاكم، و لكن التصور الاسلامي الاصيل عن الإمامة بقي مع ذلك و هو باق إلى الآن.

و من هنا وُجدت فرقتان دينيّتان في الاسلام، و ظهرت جذورُهما شيئاً فشيئاً، و قد اشتهرت الأكثرية بأهل السنة، و أُشتهرت الاقليةُ باسم الشيعة فيما بعد.

لقد اعتقد الشيعة بحجية النصوص النبوية حول إمامة الامام علي ﵇ و التزموا بها، و اعتبروا أي تأويل لها أمراً غير صائب، واجتهاداً في مقابل النص، و لهذا اعتقدوا بأن الامام علياً ﵇ هو خليفة رسول الله بلافصل، وأنه أوّل الائمة الذين يجب أخذ معارف الاسلام و علومه منهم، و دأبوا على الرجوع إلى أهل البيت ﵈، و هم يستنبطون المسائل الفقهية بالرجوع إلى القرآن الكريم و إلى الأَحاديث المروية عن رسول الله ﷺ وعن الأئمة المعصومين ﵈ أيضاً.

و لم يكن الشيعة في البداية و إلى فترة من الزمان سوى فرقة واحدة و مذهب واحد إلّا أنهم تشعبوا - فيما بعد - تدريجاً إلى فرق و شُعَب، شأنهم في ذلك شأن كل جماعة، ولكن أصح هذه الفرق و الشُعب هم الإمامية (الإثنا عشرية).

الاثنا عشرية

إنما سمّيت هذه الطائفة بالإثني عشريّة لأنهم يعتقدون بإمامة اثـني عشـر شخصاً بعد رسول الله ﷺ و خلافتهم له و هم:

١ – عليُّ بن أبي طالب عليه السلام

٢ – الحسن بن علي عليه السلام

٣ – الحسين بن علي عليه السلام

٤ – عليّ بن الحسين عليه السلام

٥ – محمّد بن عليّ عليه السلام

٦ – جعفر بن محمّد عليه السلام

٧ – موسى بن جعفر عليه السلام

٨ – عليّ بن موسى عليه السلام

٩ – محمّد بن عليّ عليه السلام

١٠ – عليّ بن محمّد عليه السلام

١١ – الحسن بن عليّ عليه السلام

١٢ – الحجة بن الحسن (المهدي) عليه السلام

والشـيعة يـعتقدون بـأن هـؤلاء الذيـن تـناوَبوا الإمـامة والخـلافة بـعد رسول الله ﷺ كلّهم مفروضو الطاعة، و أنـهم مـعصومون عـن الذنب و الخـطأ و عارفون بكل العلوم النبوية، و المعارف الدينية.

أدلّة الإمامة و التعريف بالأئمة

تُعتبر إمامة أول إمام (أي عليّ بن أبي طالب) و خلافته بالنظر إلى مـا مـرّ، مسألةٌ قطعيةٌ و أمراً واضحاً ، و لا حاجة إلى تكرار ما قيل في هذا المجال، و لكن إثبات إمامة سائر الأئمة ﷺ تحتاج حتماً إلى البحث و الإستدلال، و يـمكن ـ لإثبات إمامة الائمة الأطهار ـ الاستفادة من الأدلة المختلفة.

١ - الأحاديث النبوية:

فهناك أحاديث كثيرة صرح فيها رسولُ الله ﷺبأن الخلفاء من بعده اثنا عشر و أن كلّهم من قريش.

و هذا النوع من الأحاديث ورد في مصادر الشيعة و السُنّة.

الأئمة إثنا عشر وكلّهم من قريش

قال جابر بن سمرة: دخلتُ مع أبي على النبيّ ﷺفسمعته يقول: «إنّ هذا الأمر لا يَنقضي حتّى يمضيَ منهم إثنا عشر خليفة».

قال: ثم تكلم بكلامٍ خفيَ عليَّ، فقلتُ لأبي: ماقال؟

قال: قال: «**كلُّهم من قريش**».[١]

وقال سماك بن حرب: سمعت جابر سمرة يقول: سمعت رسول الله يقول: «**لا يزال الإسلام عزيزاً إلى إثنى عشر خليفة**».

ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلتُ لأبي: ما قال؟.

فقال: قال: «**كلّهم من قريش.**».[٢]

وقال عامر بن سعد بن أبي وقاص: كتبتُ إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع: أن أخبِرني بشيء سمعتَه من رسول الله ﷺ.

قال: فكتب إليَّ: سمعتُ رسول الله ﷺ يوم جمعة عشية رجم الأسلمي يقول: «**لايزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعةُ، أو يكونَ عليكم إثنا عشر خليفة كلُّهم من قريش**».[٣]

ولا يخفى على المحققين أن عدد (أثني عشر خليفة أو أمير) غير قابل للانطباق لا على الخلفاء الأربعة الذين تولّوا الأمر بعد رحيل النبي ﷺ ولا على خلفاء بني أُمية وبني مروان ولا على خلفاء بني العباس ولا على الخلفاء والسلاطين الذين جاؤُوا فيما بعد، ولابضمِّ بعض الى بعض، أو بالانتقاء، فيبقى طريقٌ واحدٌ لتبرير هذا العدد و هو تفسيره بأئمة الشيعة الاثني عشر الذين هم من قريش ومن بني هاشم.

هم اثناعشر

لقد وصف النبيُّ الاكرم ﷺ الأَئمة من بعده - في أحاديث كثيرة - بأنهم

(١) صحيح مسلم ج٣ص١٤٥٢

(٢) صحيح مسلم ج٣ص١٤٥٣

(٣) صحيح مسلم ج٣ص١٤٥٣

اثناعشر.

وقال سلمان المحمديّ (الفارسيّ): دخلت على النبيّ ﷺ و إذاً الحسين على فخذه و هو يقبّل عينيه ويلثم فاه ويقول: «أنت سيّد ابن سيّد أبو سادة، أنت إمام إبن إمام أبو أئمة، أنت حجة ابن حجة أبو حجج تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم».(١)

وقال عبدالله بن عباس ناقلاً عن النبيّ: قال رسول الله ﷺ «إنّ خلفائي و أوصيائي و حجج الله على الخلق بعدي اثنا عشر: أوّلهم أخي وآخرهم ولدي».

قيل: يا رسول الله! ومن أخوك؟

قال: «علي بن أبي طالب».

قيل: فَمنْ وَلدُك؟

قال: «المهدي الذي يملأوها قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً و ظلماً».(٢)

وقال الحسن بن عليّ عليه السلام: قال رسول الله ﷺ «الأئمة بعدي بعدد نقباء بني إسرائيل و حواريّ عيسى. مَن أحبهم فهو مؤمنٌ، و مَن أبغضهم فهو منافقٌ. هم حججُ الله في خَلقه، و أعلامُه على بريّته».(٣)

الأشخاص الاثنا عشر وأسماؤهم

وقال جابرُ بن عبدالله الأنصاري: يا رسول الله! و مَنِ الأئمةُ من وُلد عليّ بن أبي طالب؟.

فقال: «الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنة، ثم سيّد العابدين في زمانه

(١) غاية المرام ج١ ص١٠٣.(نقلاً من ينابيع المودة)

(٢) غاية المرام ج١ ص١٠٦ (نقلاً من فرائد السمطين)

(٣) غاية المرام ج١ ص١١٣

عليّ بن الحسين، ثم الباقر محمّد بن عليّ ـ ستدركه يا جابر! فإذا أدركته فَاقرَأْه مِنّي السلامَ ـ ثم الصادق جعفر بن محمّد، ثم الكاظم موسى بن جعفر، ثم الرِّضا على بن موسى، ثم التقيّ محمّد بن علي، ثم النقيُّ علي بن محمّد، ثم الزكيُّ الحسن بن عليّ، ثم ابنه القائم بالحق مهديُّ أُمّتي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئَتْ ظلماً وجوراً.[1]

هؤلاء ـ يا جابر ـ خلفائي و أوصيائي و أولادي و عترتي. من أطاعهم فقد أطاعني، ومَن عصاهم فقد عصاني، ومَن أنكرهم أو أنكر واحداً منهم فقد أنكرني، بهم يمسك اللهُ السماءَ أنْ تَقَعَ على الأرض إلاّ بإذنه، وبهم يحفظ اللهُ الأرضَ أنْ تميدَ بأهلها.».

وعن الحسن بن عليّ عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ عليه السلام «أنت وارثُ علمي و معدنُ حكمي والإمام بعدي. فإذا استُشهدتَ فابنُك الحسن، فإذا استُشهِد حسن فابنك الحسينُ، و إذا استُشهِد الحسين فابنه عليٌّ، يتلوه تسعة من صُلب الحسين أئمةٌ أطهارٌ».

فقلت: «يا رسول الله فما أسماؤهم؟».

قال: «عليّ و محمّد و جعفر و موسى و عليّ ومحمّد و عليّ والحسن و المهديّ من صلب الحسين، يملأُ الله به الأرض قسطاً و عدلاً كما مُلِئت ظلماً وجوراً».[2]

وقال الحسين بن على عليه السلام: «لما أنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية: ﴿وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾[3] في كتاب الله، سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله عن تأويلها، فقال:

---

(١) غاية المرام ج١ ص١٦٣

(٢) غاية المرام ج١ ص١٩٣

(٣) الأنفال / ٧٥

«والله ! ما يُعنى بها غيرُكم، وأنتم أولو الأرحام، فاذا متُّ فأبوك عليٌّ أولى بي و بمكاني،

فإذا مضى أبوك فأخوك الحسنُ أولى به،

فإذا مضى الحسنُ فأنْتَ أولى به،

فقلت: يا رسول الله! فمَن بعدي؟.

قال: ابنُك من بعدك، فإذا مضى فابنه محمّد وليّ به من بعده،

فإذا مضى محمّد فابنُه جعفر أولى به و بمكانه من بعده،

فاذا مضى جعفر فابنُه موسى أوْلى به من بعده،

فاذا مضى محمّد فابنُه علي أولى به من بعده،

فاذا مضى عليٌّ فابنُه الحسن أولى به من بعد،

وإذا مضى موسىٰ فابنُه عليّ أولى به،

فإذا مضى عليٌّ فابنه محمّد أولى به من بعده،

فإذا مضى الحسنُ وقعت الغيبة في التاسع من وُلدك.

فهذه الأئمة التسعة من صلبك، أعطاهم الله عِلمي و فَهمي، طينتُهم من طينتي. ما لقوم يؤذونني فيهم؟ لا أنالَهم اللهُ شفاعتي يومَ القيامة».[1]

وقال سهل بن سعد الانصاري،: سألت فاطمة بنت رسول الله ﷺ عن الأئمّة، فقالت: كان رسول الله ﷺ يقول لعلي: «يا عليّ أنت الإمام والخليفة بعدي وأنت أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم. فإذا مضيتَ فابنُك الحسنُ أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم،

فإذا مضىٰ الحسن فالحسين أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم،

(۱) غاية المرام ج ۱ ص ۱۹٤

فإذا مضىٰ الحسين فابنُه عليٌّ بن الحسين أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم،

فإذا مضىٰ علي فابنه محمّد أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم،

فإذا مضىٰ محمّد فابنه جعفر أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم،

فإذا مضىٰ جعفر فابنه موسىٰ أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم،

فإذا مضىٰ محمّد فابنُه عليّ أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم،

فإذا مضىٰ عليّ فابنُه الحسن أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم،

فإذا مضى موسىٰ فابنه عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم،

فإذا مضى عليّ فابنه محمّد أولى بالمؤمنين من أنفسهم،

فإذا مضىٰ محمّد فابنه القائم المهديُّ أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم، يفتحُ الله به مشارقَ الأرض ومغاربها».[1]

وعن عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «من أحبَّ أن يلقىٰ الله عزّوجلّ وهو مُقبِلٌ عليه غيرُ معرِض فليتولَّك،

ومَن سرّه أنْ يلقىٰ الله عزّوجلّ وهو راضٍ عنه فليتولَّ ابنَك الحسن،

ومَن أُحبّ أن يلقىٰ الله عزّوجلّ ولا خوف عليه فليتولَّ ابنَك الحسين،

ومن أحبّ أنْ يلقىٰ الله وقد تمحص عنه ذنوبه فليتولّ عليَّ بن الحسين، فإنّه كما قال الله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ سيماهُم﴾،

ومن أحبّ أن يلقىٰ الله عزّوجلّ وهو قريرُ العين فليتولَّ محمّدَ بن عليّ،

ومن أحبّ أن يلقىٰ اللهَ فيعطيه كتابَه بيمينه فليتولَّ جعفرَ بن محمّد الصادق،

ومَن أحبّ أن يلقىٰ الله طاهراً مطهّراً فليتولَّ موسىٰ بن جعفر الكاظم،

ومَن أحبَّ أن يلقىٰ الله وهو ضاحكٌ فليتولّ عليّ بن موسىٰ الرضا،

---

(١) غاية المرام ج١ ص٢١٦

ومن أحبّ أن يلقىٰ الله وقد رُفعت درجاته و بُدلتْ سيئاته حسنات فليتولَّ ابنه محمّد،

وَمَن أحبّ أن يلقىٰ الله عزّوجلّ فيُحاسبه حساباً يسيراً ويُدخله جنّةً عرضُها السماواتُ والأرضُ أُعِدّت للمتّقين فليتولّ ابنه عليّاً،

ومَن أحبّ أن يلقىٰ الله عـزّوجلّ وهـو مـن الفـائزين فـليتولَّ ابـنه الحسـنَ العَسكريَّ،

ومَن أحبّ أن يلقىٰ الله عزوجّل وقد كَمُل إيمانُه وحسن إسلامُه فليتولَّ ابنَه المنتظر محمّداً صاحبَ الزمان المهديَّ.

فهولاء مصابيح الدجىٰ وأئمّة الهُدىٰ وأعلام التُقىٰ، فَـمَن أحـبَّهم وتـولّاهم كنتُ ضامِناً له علىٰ الله الجنّةَ».[1]

هذا وثمت أحاديث أخرى في هذا السياق.

الأئمة هم اثنا عشر وهم معصومون

قال عبدالله بن عباس: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أنـا وعـليٌّ والحسـنُ والحسينُ وتسعةٌ من وُلد الحسين مطهَّرونَ معصومونَ».[2]

وعن عمّار، قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة ؈ عند وفاته: «لا تَـبكي ولا تحزني! فإنّكِ سيّدةُ نساء أهل الجنّة، وأباكِ سيّدُ الأنبياء وابن عمّك سيّدُ الأوصياء وابنيكِ سيّدا شباب أهل الجنّة ومـن صُـلب الحسـين يُـخرجُ الله الأئـمّةَ التسـعةَ مطهَّرونَ معصومونَ ومنّا مهديُّ هذه الأمّة».[3]

وقال أنس بن مالك،: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لعليّ ؇: «أنت وصيّي و

---

(١) جامع أحاديث الشيعة ج١ص١٠٣

(٢) غاية المرام ج٢ ص١٦٢

(٣) غاية المرام ج٢ ص٢٣٩

أخي في الدنيا والآخرة تقضي ديني، وتُنجز عدتي، وتقاتل علىٰ سنّتي، تقاتل علىٰ التأويل كما قاتلتُ علىٰ التنزيل.

فأنا خير الأنبياء وأنت خير الأوصياء وسبطاي خيرُ الأسباط، ومن صُلبهما تخرج الأئمّة التسعة مطهّرون معصومون قوامون بالقسط. والأئمّة بعدي علىٰ عدد نُقباء بني إسرائيل وحواريّي عيسىٰ هم عترتي من لحمي ودمي».[١]

وعن النبيّ ﷺ، قال: «مَنْ سَرَّه أنْ يَنظُرَ إلىٰ القضيب الأحمر الذي غرسَه الله بيده، ويكون متمسّكاً به فليتولَّ عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام. والأئمّةَ من وُلده، فإنّهم خِيرة الله عزّوجلّ وصفوته وهم المعصومون من كلّ ذنبٍ وخطيئة».[٢]

وعن أبي الطفيل، عن عليّ عليه السلام قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أنتَ الوصيّ علىٰ الأموات من أهل بيتي والخليفةُ علىٰ الأحياء من أمّتي؛ حربُك حربي، وسِلمُك سِلمي.

أنتَ الإمامُ أبوالأئمّة، أحد عشر من صلبك أئمّةٌ مطهّرون معصومون، ومنهم المهديُّ الذي يملأ الأرض قسطاً، وعدلاً فَالوَيْلُ لمبغضيهم».[٣]

إن الادلة على إثبات العصمة لأهل بيت النبي ﷺ يمكن أن تكون إحدى الأدلة التي يستفاد منها لإثبات إمامة الائمة الاثني عشر أيضاً وقد تم البحث والتحقيق - تفصيلاً فيما مضى - في هذه المسألة وأُثبتت هناك ثلاثة أمور، فقد أثبتنا:

أ) أن العصمة من الذنب والخطأ هي من الشروط الضرورية للامام.

ب) أنه لا يستطيع أحد غير أهل البيت عليهم السلام ادعاء العصمة كما أنه لم تثبت

---

(١) غاية المرام ج ٢ ص ٢٤٠
(٢) غاية المرام ج ٢ ص ٣٠٠
(٣) غاية المرام ج ١ ص ١٩٣

العصمة لأحد غيرهم عملياً.

ج) أن مصاديق أهل البيت ﷺ قد تم ذكرهم قبل هذا أيضاً.

بانضمام هذه الامور الثلاثة بعضها الى بعض وبالنظر اليها جميعاً يمكن الاستدلال لاثبات إمامة كل واحد من الائمة الاثني عشر على حدة.

وللتوضيح يمكنكم مراجعة البحث السابق.

وجوب التمسك بحديث الثقلين

قال أبوسعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ: **«إنّي قد تركتُ فيكم الثقلين أحدَهُما أكبر من الآخر: كتابَ الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلىٰ الأرض وعترتي أهلَ بيتي. ألا إنّهما لن يفترقا حتّىٰ يَردا عليّ الحوضَ».**(١)

و روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ أيضاً أنه قال: **«إنّي أُوشك أن أُدعىٰ فأُجيب وإنّي تاركٌ فيكم الثقلين: كتابَ الله وعترتي، كتابُ الله حبل ممدودٌ من السماء إلىٰ الأرض وعترتي أهلُ بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّىٰ يرِدا عليَّ الحوضَ فانظروا بِمَ تخلفوني فيهما».**(٢)

وعن زيد بن أرقم، رضي‌الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنّي تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلىٰ الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتّىٰ يرِدا عليَّ الحوضَ». فانظروا كيف تخلفوني فيهما».**(٣)

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٣ ص٢٦؛ غاية المرام ج٢ ص٣٠٤

(٢) مسند أحمد ج٣ ص٢٧. و قد نقل في غاية المرام في هذا المجال تسعة و ثلاثون حديثاً من طريق اهل السنة و اثنان و ثمانون حديثاً من طريق الشيعة

(٣) الجامع الصحيح للترمذي ج٥ ص٦٦٣

٣ - بقاء أهل البيت الى يوم القيامة

عن عليٍّ ؏ قال: قال رسول الله ﷺ: «النجومُ أمانٌ لأهل السماء، فإذا ذهبت النجومُ ذهب أهلُ السماء، وأهلُ بيتي أمانٌ لأهل الأرض فإذا ذهب أهلُ بيتي ذهب أهلُ الأرض».[١]

وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَل أهل بيتي كَمَثَل سفينة نوح، مَن ركبها نَجا، ومن تعلّق بها فاز، وَمَن تَخَلّفَ عنها غرق».[٢]

يُستفاد من هذا الحديث ونظائره أن أهل البيت باقون إلى يوم القيامة وأن على المسلمين أن يتبعوهم إذا أرادوا النجاة و الفوز.

وعن رسول الله ﷺقال: «من أراد أن يحيا حياتي ويموتَ مماتي ويدخل جنة عَدن التي غرسها الله ربي بيده فليتولَّ عليَّ بن أبي طالب وليتولَّ وليَّه وليعادِ عدوه وليسلِّمْ للأوصياء من بعده فإنهم عترتي من لحمي ودمي، أعطاهمُ اللهُ فهمي وعلْمي، إلى الله أشكو أمّتي المنكرين لفضلهم، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي».[٣]

٤ - المعجزات

كان رسول الله ﷺ -كما جاء في كتب التاريخ والكلام والحديث - يقوم عند الضرورة بأعمال خارقة للعادة يعجز الناس العاديّون عن القيام بها وذلك من أجل إثبات نبوته، وقدنُقِلَت أمثال هذه المعاجز للائمة الاثني عشر في كتب التاريخ

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ج٣ ص١٥٠

(٢) المستدرك للحاكم النيسابوري ج٣ ص١٥١؛ وذخائر العقبى ص٢٠

(٣) الإمام علي بن أبي طالب ص٢٢٦

والسيرة والحديث، وهي تصلح لإثبات إمامتهم .

ولا تسع هذه الأوراق القليلة لعرض هذه المعاجز، ويمكن لمن يحب الاطلاع عليها أن يراجع المصادر المرتبطة بذلك .

٥ - النص عليه من الإمام السابق

لقد نصب النبي الاكرم ﷺ في أيام حياته عليَّ بن أبي طالب عليه السلام للخلافة والإمامة من بعده، وكان نصبه من جانب الله، وكان حجةً على الناس.

وقد أخبر ﷺ بإمامة الحسن والحسين و غيرهم أيضاً، وقد نصَّ الإمامُ عليُّ بن أبي طالب عليه السلام بناءً على وصية النبي ﷺ على إمامة ابنِه الحسن عليه السلام و عرّفه للناس، وقام الامام الحسن عليه السلام بالتعريف بالامام الحسين عليه السلام والنص على إمامته أيضاً.

وهكذا كان كل إمام من الأئمة عليهم السلام مكلَّفاً بالتعريف بالإمام الذي يخلفه وسيأتي ذلك بالتفصيل، مستقبلاً .

ولابد من التذكير في الخاتمة بأننا سنستفيد في الأبحاث القادمة، من هذا الدليل فقط، ولا نكرر الأدلة السابقة.

عقيدتنا حول الأئمة

بالنظر إلى الدليل العقلي على لزوم وجود الإمام في المجتمع و هو الذي أسلفنا الإشارة إليه فيما مضى، ومع الالتفات إلى بعض الآيات المرتبطة بالإمامة وبالنظر إلى الأحاديث الكثيرة التي وصلت إلينا من النبي ﷺ والأئمة الأطهار ﻹ حول موضوع الإمامة والتي سبق وأن أشرنا إليها تكون عقيدتُنا حول الأئمة الاثني عشر هي كالتالي:

١- أنهم كالنّبي الأكرم ﷺ معصومون ومصونون عن ارتكاب المعصية والخطأ، مصونيةً كاملةً، وعصمةً مطلقةً.

٢- أنهم - في مجال معرفة الله تعالى وتوحيده وصفاته الكمالية والجلالية - في الذروة و الدرجة العليا، وأن الإيمان بالله والمعاد والنبوة قد نفذ إلى أعماق نفوسهم، وأنهم شاهدوا حقائق عالم الغيب بأبصار أفئدتهم.

٣- أنهم يتحَلّون بجميع الفضائل وبجميع مكارم الأخلاق، وأنهم منزَّهون ومطهرون من جميع الصفات والأخلاق الرذيلة.

٤- أنهم عارفون بجميع الأحكام والقوانين والمسائل الكلية، وبفروع الدين، والواجبات والمحرمات والمستحبات والمكروهات، معرفةً كاملةً، وأنهم لا ينزل عليهم الوحيُ، وليسوا بمشرِّعين، إنما هم يستخرجون معارفهم وعلومهم من القرآن الكريم، أو يأخذونها من علوم النبي ﷺ عن طريق آبائهم ﻹ أو

يستفيدونها من الكتب التي ورثوها من رسول الله ﷺ.

٥- أنهم عارفون بجميع الأحكام والقوانين والمسائل المرتبطة بالحكومة وإدارة المجتمع، معرفةً كاملةً كما أنهم يتمتعون أيضاً في هذا الصعيد باختيارات وصلاحيات من جانب الله تعالى.

هذا و لقد كانت تقع على عاتق الأئمة مسؤوليتان كبيرتان:

الأُولى - حراسة أحكام الدين وقوانينه والحفاظ عليها، ونشر معارف الاسلام وأحكامه وقوانينه وعلومه، ومواصلة أهداف رسول الله ﷺ وكان الإمام عليٌّ ﷺ وغيرُه من الأئمة من أبنائه مهيَّئين، ومستعِدِّين للقيام بهذه المسؤولية، كما أنه كان لديهم ما يحتاج إليه ذلك من العلوم والمعارف اللازمة.

وكان النبي ﷺ -كما أسلفنا- قد هيّأ وربّى جملةً منهم وهم قد هيأوا وربُّوا من جاء بعدهم للقيام بهذه المسؤولية.

ولقد وصف النبيّ الأكرم ﷺ عترتَه وأهلَ بيته في حديث الثقلين وحديث السفينة وعشرات الأحاديث بكون أهل بيته و عترته أكثر المراجع العلمية اعتباراً، وأوصى المسلمين بالاستفادة من علومهم ومعارفهم، وأكّد على ذلك بقوة، ولكن -وللأسف- لم يتحقق هدف رسول الله ﷺ بصورة كاملة، بل لم يقم طلاب السلطة والمنصب بإزاحة الإمام عليٍّ والأئمة من بعده، عن مسند الخلافة فحسب، بل وضعوا شتى أنواع العراقيل في وجه مرجعيّتهم العلمية، وبهذه الطريقة حرموا الأُمة الإسلامية من علوم النبوة الأصيلة، ولكن رغم كل محاولات الإقصاء و المحاصرة سعى كل إمام في نشر معارف الدين و علومه وأحكام الاسلام وقوانينه، واجتهد في تربية الأشخاص والكوادر بقدر ما سمحت لهم به الظروف والأوضاع، وبقدر ما أتاحته لهم الإمكانيات وشرائط الزمان من فرص.

و بفضل هذه الجهود المضنية و المستمرة على طول التاريخ انتشرت مئات

الآلاف من الأحاديث في مختلف المجالات و قد دوّن وضبط أكثرها في كتب الحديث، وبقيت في متناول أيدي الناس إلى هذ اليوم.

ولوكانت تتاح للائمة المعصومين فرصة أكبر لانتفعت الأُمة الاسلامية من علومهم أكثر فأكثر.

الثانية - المسؤولية الثانية المهمة للائمة عليهم السلام هي تولّي منصب الخلافة والقيام بإدارة البلاد و تنفيذ أحكام الاسلام وقوانينه الاجتماعية والسياسية، وهذا هو بعض المسؤولية التي كان يضطلع بها النبي الاكرم صلى الله عليه وآله.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد قدَّم قبل ذلك - وتحقيقاً لهذاالهدف - كل التعاليم والتوصيات اللازمة، ونصب - في واقعة غدير خم - عليَّ بن أبي طالب عليه السلام لمقام الخلافة من بعده.

وقد كانت تلك الشخصية العظيمة مهيّأة ومستعدة لمواصلة أهداف النبي صلى الله عليه وآله وتولّي هذاالمنصب الخطير استعدادا كاملاً، ولكن تحقق ذلك كان يتوقف على مناصرة الناس له، و مساعدتهم وسعيهم لتوفير الارضية المناسبة لذلك.

وللأسف تجاهل جماعة من طلاب المنصب توصيات النبي صلى الله عليه وآله واستغلوا جهل الناس وغفلتهم، وحرّفوا الخلافة عن مسارها الذي رسمه النبي صلى الله عليه وآله ولم يكن أمام الإمام علي بن أبي طالب من حيلة تجاه تلك الاوضاع والشرائط سوى الصبر والتحمُّل.

ولقد انقضت خمسة وعشرون عاماً على هذا المنوال حتى انتبه الناس على وضعهم، وأقبلوا بكل رغبة وإصرار على مبايعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام على الخلافة.

ولكن لم يمض زمان حتى نهض ضده جماعة من الانتهازيين وعشاق السلطة ممن كانوا يستفيدون قبل ذلك من حالة التمييز الظالمة وفقدان العدالة ولم

ترقْ لهم سياسات النبي ﷺ والامام علي عليه السلام العادلة والمناهِضة للتمييز، فواجهوا حكومته بمجموعة من الحروب والمعارضات الداخلية الشديدة، وبعد مايقارب من خمسة أعوام استشهد الامام علي عليه السلام في محراب العبادة بمسجد الكوفة بالعراق لا لشيء إلا بسبب عدالته، وعادت الخلافة الى مسارها المنحرف السابق، واستمرت و لمدة طويلة تدار بواسطة الأمويين والعباسيين، ولم تتوفر الأرضية والفرصة لخلافة أي واحد من الأئمة المعصومين عليهم السلام.

لقد كان كلُ واحد من الائمةُ يرى خلافته للنبي ﷺ حقاً مشروعاً له، وكانوا على أتم الاستعداد والجاهزية لإدارة هذا المنصب، ولكنه على أثر تقصير المسلمين لم يتمكن أيٌّ واحد منهم شغل هذا المنصب.

بعض علائم الشيعة الواقعيين

يُطلَق عنوان الشيعة على من يعتقد بامامة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وخلافته للنبي ﷺ بلا فصل، وكذا بإمامة الأئمة الأحد عشر من أبنائه الطاهرين ويُظهر لهم المودة والمحبة، فمثل هؤلاء يوصفون بالشيعة الإمامية الاثني عشرية ويُعرَفون بهذا الإسم.

ولكننا يجب أن نعلم أن مجرّد هذا الإيمان المفهومي والاعتراف الشكلي لا يكفي في تحقق مصداق الشيعي الواقعي، كما لا يضمن السعادة الاخروية، والنجاة من المهالك الدنيوية والأخروية.

وأساساً ليس الايمان الخالي عن العمل سوى مفهوم ذهني بحت.

إن لفظة (الشيعة) تنطوي بذاتها على نوع من الالتزام العملي، فالتشيع تعني (الإتباع) وقد سُمِّيت الشيعة بهذا الوصف لكونهم يتبعون النبي الاكرم ﷺ والامام عليّ عليه السلام والأئمة الأطهار عليهم السلام في مجال القول والعمل والأخلاق و هذا من لوازم

الإيمان الواقعي، وإذا لم يكن هناك عمل فهذا يعني أن ايمان مدّعي التشيّع هو أمر مفهومي وانتساب صوريٌّ وشكلي.

إن المحبة والمودة الواقعية تستتبع كسبَ رضا المحبوب و تحقيق مطاليبه، والعمل طبق مشيئته، فهل يمكن أن يعتبر أحدٌ نفسه محباً واقعياً لأهل البيت عليهم السلام وهو يعمل خلافاً لأوامرهم؟.

هذا ولمعرفة الشيعة الواقعيين بصورة أفضل، من الأحسن أن نرجع الى كلمات الأئمة المعصومين أنفسِهم، وفي هذا المجال أحاديث كثيرة نشير الى بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال لي: «يا جابر! أيكتفي مَن ينتحل التشيع أن يقول بحبّنا أهل البيت؟ فوالله ما شيعتنا إلّا من اتّقىٰ اللهَ وأطاعَه، وما كانوا يُعرفون يا جابر! ـ إلّا بالتواضع والتخشّع والأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبرّ بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وصِدق الحديث إلا من خير. وكانوا أُمناءَ عشائرهم في الأشياء».

قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله! مانعرف اليوم أحداً بهذه الصفة؟

فقال: «يا جابر! لا تذهب بك المذاهب، فما حسبُ الرجل أنْ يقولَ: أُحِبُّ عليّاً وأتولّاه ثمّ لا يكون مع ذلك فعالاً؟

فلو قال: إنّي أحبّ رسولَ الله، فرسولُ الله صلى الله عليه وآله خير من عليّ عليه السلام ثمّ لا يتّبع سيرتَه ولا يعمل بسنّته، ما نفعه حُبّه إيّاه شيئاً. فاتّقوا الله واعملوا لما عند الله! ليس بين الله وبين أحدٍ قرابة. أحبُّ العباد إلىٰ الله عزّوجلّ وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملهم بطاعته.

يا جابر! والله ما يُتقرب إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ إلّا بالطاعة. وما معنا براءةٌ من النار ولا علىٰ الله لأحد من حجّة، مَن كان لله مطيعاً فهو لنا وليٌّ. ومن كان لله عاصياً

فهو لنا عدوٌّ، وما تُنال ولايتُنا إلّا بالعمل والورع.[1]

وعن فضيل، قال: قال أبوعبدالله عليه السلام «بلّغ من لقيتَ من موالينا عنّا السلامَ وقُل لهم: إنّي لا أُغني عنكم من الله شيئاً إلّا بورعٍ، فاحفظوا ألسنتكم وكفّوا أيديَكم، وعليكم بالصبر والصلاة؛ إنّ الله مع الصابرين».[2]

و قال أبوعبدالله (الصادق) عليه السلام: «يا ابن جندَب! بلّغ معاشرَ شيعتنا وقل لهم: لا تذهبنّ بكم المذاهبُ! فوالله! لا تُنال ولايتُنا إلّا بالورع والاجتهاد في الدنيا ومواساة الإخوان في الله. وليس من شيعتنا مَن يظلم الناسَ».[3]

و عن الصادق عليه السلام قال: «معاشر الشيعة! إنّكم نُسِبتم إلينا، كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً».[4]

وقال أبوأسامة: سمعتُ أباعبدالله عليه السلام يقول: «عليكَ بتقوى الله والورع والاجتهاد وصِدق الحديث وأداء الأمانة وحُسن الخلق وحسن الجوار، وكونوا دعاةً إلىٰ أنفسكم بغير ألسنتكم، وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً.

وعليكم بطول الركوع والسجود، فإنّ أحدَكم إذا أطال الركوع والسجود هتف إبليس من خلفه، وقال: يا وَيلَه! أطاع وعصيتُ وسجد وأبيتُ».[5]

وعن هشام الكندي، قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: «إيّاكُمْ أن تَعملوا عملاً يعيّروننا به؛ فإنّ ولد السوء يُعيّر والدُه بعمله. كونوا لمن انقطعتم إليه زيناً ولا تكونوا عليه شيناً».[6]

---

(1) الكافي ج2 ص740

(2) مشكاة الانوار ص44

(3) تحف العقول ص314

(4) مشكاة الأنوار ص67

(5) الكافي ج2 ص77

(6) الكافي ج2 ص219

وقال الإمام العسكري عليه السلام (لشيعته): «أوصيكم بتقوىٰ الله والورع في دينكم والإجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة إلىٰ مَن ائتمنكم من برٍّ أو فاجر وطولِ السجود وحسن الجوار. فبهذا جاء محمّد صلى الله عليه وآله.

صَلّوا في عشائرهم وآشهَدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدّوا حقوقَهم؛ فإنّ الرجل منكم إذا وَرِع في دينه وصدق في حديثه وأدّىٰ الأمانةَ وحسُنَ خُـلقُه مع الناس قيل: هذا شيعيّ فيسرُّني ذلك.

إتّقوا الله وكونوا زَيناً ولا تكونوا شَيناً! جُرّوا إلينا كلَّ مودّة وادفعوا عـنّا كـلّ قبيح؛ فإنّه ما قيل فينا من حَسَن فنحن أهلُه، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك.

لنا حقّ في كتاب الله وقرابةٌ من رسول الله وتطهيرٌ من الله لا يدعيه أحدٌ غيرُنا إلّا كذّاب.

أكثِروا ذكرَ الله وذكرَ الموت وتلاوةَ القرآن والصلاة علىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله؛ فإنّ الصلاة علىٰ رسول الله عشر حسنات.

إحفَظوا ما وصيّتُكم به وأستودعكم الله وأقرأُ عليكم السلامَ».[١]

وكتب أبوعبدالله عليه السلام في رسالته إلىٰ جماعة من شيعته: «وعليكم بالمحافظة علىٰ الصَلَوات والصلاةِ الوسطىٰ وقوموا لله قانتين كما أمر الله به المؤمنين في كتابه من قَبلكم.

وعليكم بحبّ المساكين المسلمين، فإنّ مَنْ حقَّرهم وتكبّر عليهم فـقد زلّ عن دين الله، والله له حاقرٌ ماقتٌ. وقد قال أبونا رسولُ الله صلى الله عليه وآله: أمرَني ربّي بـحبّ المساكين المسلمين منهم.

وأعلموا أنّ من حقّر أحداً من المسلمين ألقىٰ الله عليه المقتَ منه والمحقرة

(١) تحف العقول ص ٤٨٧

حتّىٰ يمقته الناس أشدّ مقتاً».[١]

قال أبوعبدالله عليه السلام (الصادق): «يا شيعة آل محمّد! إنّه ليس منّا مَنْ لم يملك نفسَه عند الغضب ولم يُحسِن صحبة مَنْ صَحِبَهُ، ومرافقة مَنْ رافَقَه، ومصالحة من صالَحَهُ، ومخالفةَ منْ خالَفَهُ.

يا شيعة آل محمّد! إتّقوا الله ما استطعتم ولا حول ولا قوّة إلّا بالله».[٢]

يُستفاد من الاحاديث المذكورة والعشرات من نظائرها عدة أمور مهمة هي:

١- أن مجرّد إظهار التشيع والولاء لاهل البيت عليهم السلام لا يكفي لإثبات وصف الشيعة، بل أهم علامة من علائم التشيع هو العمل بالوظائف الدينية والترك للذنوب والمعاصي.

٢- أن اظهار المودة والمحبة لأهل البيت مالم يقترن بالعمل بالوظائف الدينية واجتناب الذنوب لا يوجب السعادةَ الأخروية، والنجاةَ من المهالك.

٣- أن ولاية اهل البيت عليهم السلام لا تحصل الّا عن طريق القيام بالوظائف الدينية واجتناب المعاصي.

٤- أن كل من أطاع الأوامر الإلٓهية كان وليّاً للائمة ومحبّاً لهم، وكل من عصى الله كان عدواً لهم وإن تظاهر بمودتهم ومحبتهم.

٥- أن البراءة من النار وان مفتاح الدخول الى الجنة ليسا ملكاً لأي واحد من الائمة الأطهار عليهم السلام ليُدخلوا من شاؤوا الى الجنة، ويُرسلوا من أرادوا الى النار بل الجنة والنار رهنٌ بأعمال الأشخاص أنفسِهم.

٦- لقد طلب أئمةُ اهل البيت أنفسُهم من أتباعهم أن يجعلوا الناس بحيث

---

(١) تحف العقول ص٣١٣

(٢) تحف العقول ص٤٠١

يحسنون الظن بالتشيع من خلال عملهم الصالح وأخلاقهم الحسنة وأن لا يتسببوا في ارتكاب الآثام في تشويه سمعتهم.

٧- لقد كان الرسول الاكرم ﷺ والأئمة ﷺ أنفسُهم أهلَ عمل، فقد كانوا يجتهدون في العمل بالواجبات، والابتعاد عن المعاصي، بل كانوا جادّين في الإتيان بالمستحبات وترك المكروهات، كما كانوا يفوقون الناس في عصورهم في الأعمال الحسنة والأخلاق الفاضلة، ومنزّهين عن مساوىء الأخلاق.

إن على المسلمين ـ والشيعة خاصة - أن يتخذوا من تلك الشخصيات الطاهرة قدوات يتأسون بها و أُسوات يتبعونها، لأن ضمان السعادة الأخروية والدنيوية لا يمكن إلا بهذا الطريق.

الفصل الثالث

لمحة تاريخية عن حياة الأئمة (ع)

* الاسم والخصوصيات
* الفضائل والكمالات
* أدلة الإمامة

الإمام الأَول

أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام

وُلد الامامُ الاول عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام في اليوم الثالث عشر من شهر رجب، ثلاثين سنة بعد عام الفيل في داخل الكعبة المعظمة بمكة المكرمة.

اسم أبيه: أبو طالب واسم أمه: فاطمة بنت أسد. وكنيته: أبو تراب وأبو الحسن وأبو الحسين وأبو السبطين وأبو الريحانتين.

وألقابه هي: أمير المؤمنين وسيد المسلمين وإمام المتقين وسيد الأوصياء.[1]

و قد ضُرب بالسيف ليلة التاسع عشر من شهر رمضان عام أربعين من الهجرة، عند أدائه لصلاة الفجر في محراب مسجد الكوفة بالعراق، على يد عبدالرحمان بن ملجم المرادي الخارجي، وحظي بالشهادة في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان من نفس العام و دُفن في ظهر الكوفة (النجف حالياً) حيث مرقده الآن.[2]

---

(١) إعلام الورى ج ١ ص ٣٠٦ـ٣٠٧ والارشاد ج ١ ص ٥

(٢) الارشاد ج ١ ص ٩ وإعلام الورى ج ١ ص ٣٠٩

عليٌّ عليه السلام في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله

إن الدراسة الدقيقة والنظرة الشاملة لحياة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام تحتاج إلى عشرات الكتب، ولا يمكن ذلك في هذه الصفحات القلائل، وفي هذه الفرصة العابرة، ولكن للاطلاع الإجمالي على ذلك لابدّ من الاشارة الى الحوادث المهمة ولو بعجل.

لقد انتقل الامام عليبن أبي طالب عليه السلام في السنة السادسة من عُمُره من بيت والده أبي طالب إلى بيت النبي الكريم صلى الله عليه وآله وباقتراح وطلب من النبي صلى الله عليه وآله ووقع منذئذ تحت كفالة النبي الاكرم صلى الله عليه وآله و قد تولّى بنفسه تربيته.

كان علي عليه السلام في هذه الفترة يتلقى الدرس تلو الدرس من أخلاق النبي صلى الله عليه وآله ومن سلوكه العظيم ويتبعه اتباع الفصيل لأُمه كما قال هو عن نفسه.

وكان يرافق رسولَ الله صلى الله عليه وآله غالباً، عندما يعتكف في غار حراء، ويرى آثار الوحي والنبوة.(١)

كان أول رجل أسلمَ وأول من صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وكان آنئذ في العاشرة من عمره تقريباً.(٢)

وكان في خدمة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وكان أفضلَ نصير له و أقوى مساعد في جميع الحوادث وفي جميع اللحظات العصيبة والصعبة بدءً من انطلاق رسالته ومبدأ نبوته، وكان إلى جنبه في سنوات الحصار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي ضربه المشركون على رسول الله صلى الله عليه وآله ومن معه في شعب أبي طالب،

(١) مناقب آل ابي طالب ج٢ ص٢٠٥ – ٢٠٦

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٧

أيضاً.

و عندما تعرّضت حياة النبي ﷺ للخطر من قِبَل الاعداء، وتقرر أن يهاجر إلى المدينة المنورة، نام علي عليه السلام في فراش رسول الله ﷺ وفداه بنفسه وسمّيت تلك الليلة بليلة المبيت.

كما كُلّف من قِبَل النبي ﷺ بأن يقوم بإنجاز بعض ما لم يمكن لرسول الله ﷺ إنجازه ثم هاجر برفقة جماعة من النساء إلى المدينة ليلتحق برسول الله ﷺ.(١)

ولقد آخى رسولُ الله ﷺ عليّاً عليه السلام في المدينة.(٢)

و في العام الثاني من الهجرة حظي الامامُ عليّ عليه السلام بمصاهرة النبي الاكرم ﷺ إذ تزوج بأفضل نساء العالمين السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.(٣)

لقد كان الامامُ علي عليه السلام آنذاك شاباً قوياً، ومجاهداً شجاعاً، مستعداً على الدوام للدفاع والجهاد، و قد شارك في جميع الحروب، وكان يقاتل بمنتهى البطولة والبسالة، ويردي أعداء الاسلام ويوردهم موارد الموت والهلاك.

ولقدكان لعليٍّ عليه السلام أكبرُ الدور في انتصار الاسلام على الكفار والمشركين وقد حاز قصب السبق، وفاق الجميع في هذا المجال.(٤)

لقد وضع رسول الله ﷺ في عصر رسالته مسؤوليّتين عظيمتين ومهمتين على عاتق الامام عليٍّ عليه السلام إحداهما: تدوين وكتابة الآيات والسور القرآنية وجمعها وتنظيمها.

والأُخرى: حفظ العلوم والمعارف والأحكام والقوانين الدينية التي كانت

---

(١) مناقب آل ابي طالب ج ٢ ص ٦٨ - ٧٨

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢١٠

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢٠٦

(٤) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٩٤

توحى الى النبي ﷺ.

ولقد نهض الامام عليٌّ ﷺ بهاتين المسؤوليتين المهمتين، وقام بهما خير قيام بتأييد الله وتوفيقه، وتحت إشراف النبي الكريم ﷺ.

عليٌّ بعد رسول الله ﷺ

كان عُمرُ الامام علي ﷺ يوم رحل رسولُ الله ﷺ والتحق بربّه ثلاثاً وثلاثين سنة، وكان النبيُّ الكريم ﷺ قد أعلن عن إمامته وخلافته -طيلة حياته المباركة- مرّات عديدة، ولهذا فقد انتقل إليه مقامُ الخلافة والإمامة عقيب وفاة النبي ﷺ لذلك فهو كان -طبقاً لهذه النصوص- خليفة رسول الله ﷺ بلا فصل، وكان على الناس أن يعملوا على إيجاد الارضية المناسبة لتحقق خلافته وإمامته و زعامته ولكن المؤسف أن جماعة من طلاب السلطة تجاهلوا وصايا رسول الله ﷺ ونصوصه، وأقصوا علياً ﷺ عن مقام الخلافة بحجة كونه شاباً، وبايعوا أبابكر ثم شغلَ عمر منصبَ الخلافة بعد أبي بكر وبعده عثمان، واستغرقت مدة خلافتهم أربعاً وعشرين عاماً وبضعة أشهر.

ورغم أن عليّاً ﷺ كان - طوال هذه الفترة - يعتبر الخلافة حقاً مشروعاً لنفسه إلا أنه -بهدف الحفاظ على الاسلام- كان يتجنب اتخاذ أي إجراء حاد، أو إطلاق أيّ تصريح يوجب الفرقة والاختلاف، كما أنه لم يعمد إلى المعارضة، بل كان يبادر في المواقع الضرورية إلى مساعدة السلطات الحاكمة، ولا يبخل عن إعطاء المشورة لهم وإرشادهم، وتقديم العون إليهم علمياً وثقافياً.

كان الإمام يعمل -طوال هذه الفترة- على نشر العلوم والمعارف والأحكام والقوانين الاسلامية الأصيلة بين الناس، و يقوم بتربية الأشخاص الكاملين الفضلاء بمنتهى الجد و الإجتهاد.

وفي العام الخامس والثلاثين قُتل عثمان بن عفان على أثر ثورة جماعة من المسلمين عليه، فبايع المسلمون - بعد مقتله - عليَّ بن أبي طالب عن رغبة و إصرار واتخذوه إماماً وخليفةً.(١)

ومن هذا الوقت عادت الخلافة إلى مسارها الحقيقي، وغدى من المؤمّل أن تنجبر النواقص وتزول العيوب بقيادة الإمام عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام وبفضل توجيهاته، وتعاون صحابة النبي صلى الله عليه وآله المخلصين معه، وتتسنى مواصلة أهداف النبيِّ الكريم الأصلية.

ولكن لم يحدث ذلك وللأسف، بل لم ترقْ رغبةُ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في إجراء العدالة وازالة كل أشكال التمييز - و هي مطلب الاسلام الأصيل كما هي سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله - لأشخاص نفعيّين ومصلحيّين، كانوا يعشقون الجاه ويحرصون على المنصب وكانوا قد اعتادوا على الوَضع السابق، ورغم أن هؤلاء كانوا من الذين بايعوا الإمام عليه السلام فإنهم رفعوا لواء المعارضة و ورّطوا الحكومة العلوية الناشئة في ثلاث حروب مدمّرة هي حروب الجمل وصفّين، والخوارج المتظاهرين بالتدين.

ولم يكن للإمام عليه السلام من حيلة تجاه هذه الحروب الداخلية المفروضة عليه سوى الدفاع وإطفاء نار الفتن.

و على كل حال فإن تلك القوى لم تعط لمظهر العدل الإلهي الفرصةَ لتسيير حكومته في الطريق الذي يحقق أهداف الاسلام الأصيل، وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله يعني تطبيق العدالة والمساواة ورفع التمييز الظالم، والتقريب بين الطبقات الاجتماعية، والدفاع عن المحرومين والمستضعفين.

---

(١) تذكرة خواص الأمة ص ٥٦

وأخيراً استُشهد الإمام عليٌّ عليه السلام على يد أحد عناصر النفاق لا لشيء إلاّ لأنه كان عليه السلام يريد العدالة، وذلك في محراب العبادة، وبذلك سكت صوت العدالة الصادح والجميل إلى الأبد.

إن دراسة هذه الحروب الثلاثة المدمّرة والمفاجئة بحاجة إلى فرصة أوسع ومن أراد المزيد فعليه مراجعة كتب التاريخ.

النصوص على إمامته

قلنا فيما مضى أن الادلة والشواهد على الإمامة يمكن أن تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: هي الأدلة العامة التي يمكن الاستفادة منها لإثبات إمامة كل واحد من الأئمة عليهم السلام ونحن نعرض عن تكرارها هنا.

القسم الثاني: وهي الأدلة الخاصة يعني النصوص التي أصدرها كلُ إمام لإثبات إمامة من أتى من بعده ونستفيد منها خاصة عند التحدث عن كل واحد من الأئمة عليهم السلام ومن جملتهم الامام عليّ عليه السلام.

ولقد مهد النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم كما أسلفنا - طيلة أيام نبوته - الأرضية لإمامة عليّ عليه السلام فقد نوّه صلى الله عليه وآله وسلم مراراً وتكراراً بفضائله ومناقبه، وأخبر الأُمة بإمامته وخلافته وأوصى أصحابه باتباعه، وفي النهاية نصبه للولاية في حجة الوداع، في واقعة غدير خمٍّ بشكل رسميّ.

وحيث أننا أشرنا فيما مضى إلى طائفة من هذه الأحاديث من باب النموذج والمثال، وأعطينا توضيحات ضرورية، لذلك فإننا نعرض عن إيرادها وتكرارها هنا، ويمكن لمن يحب الاطلاع عليها الرجوع إلى الابحاث السابقة والكتب

المرتبطة بها.(١)

فضائله ومكارم أخلاقه

لقد كان الإمام عليٌّ عليه السلام - بشهادة كتب الحديث والتاريخ والسيرة - إنساناً كاملاً، كما كان تجسيداً تاماً لجميع مكارم الأخلاق و محاسن الصفات.

لقد كان الإمام علي عليه السلام متصفاً بجميع الكمالات والفضائل في أعلى مراتبها، ومنزَّهاً من جميع النقائص والعيوب.

ورغم أن أعداءه كانوا يمنعون من نشر فضائله، ويقعون فيه في الخطب من على صهوات المنابر، ويسبُّونه في الصلوات، واستمرّ ذلك لسنوات عديدة، ورغم أن محبيه ماكانوا يجرأون على ذكر فضائله خوفاً من الأعداء، فلطالما قُتِلوا بتهمة التشيع، فإن كتب السنة والشيعة بقيت مشحونة بفضائله ومناقبه.

يقول محمد بن منصور الطوسي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما جاء لأحدٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من الفضائل ما جاء لعليٍّ بن أبي طالب.(٢)

وعن الأصبغ بن نباتة قال: دخل ضرار بن ضمرة النهشلي على معاوية بن أبي سفيان فقال له: صف لي عليّاً:

قال: أو تعفيني؟

فقال: لا بل صفه لي،

قال ضرار: رحِم الله عليّاً كان والله فينا كأحدنا، يُدنينا إذا أتيناه، و يجيبنا إذا سألناه، و يقرّبنا إذا زرناه، لا يُغلَق له دوننا بابٌ، ولا يحجبنا عنه حاجبٌ، و نحن

---

(١) ترجمة الامام علي بن أبي طالب ج٣ ص٦٣

(٢) ترجمة الامام علي بن أبي طالب ج٣ ص٦٣

والله مع تقريبه لنا و قربه منّا لانكلّمه لهيبته، ولانبتديه لعظمته، فإذا تبسّم فمن مثل اللّؤلؤ المنظوم.

فقال معاوية: زدني في صفته.

فقال ضرار: رحِمَ الله عليّاً كان والله طويلَ السُّهاد، قليل الرُّقاد، يتلو كتاب الله آناء اللّيل و أطراف النهار، و يجود لله بمهجته، و يبوء إليه بـعَبرته، لاتُـغلق له الستور، ولايدّخر عنّا البدور، ولايستلين الاتّكاء، ولايستخشن الجفاء، و لو رأيتَه إذ مَثُل في محرابه و قد أرخى اللّيل سُدولَه، و غارت نجومُه، و هو قابضٌ على لحيته يتململ تململُ السليم، و يبكي بكاء الحزين و هو يقول: «يا دنيا أبي تعرّضتِ أم إليّ تَشَوّقتِ؟ هيهات هيهات لاحاجة لي فيكِ، أبَنْتُكِ ثلاثاً لارجعة لي عليك، ثم يقول: «واهٍ واه لبُعد السفر و قلّة الزاد و خشونة الطريق».

قال: فبكى معاوية و قال: حسبك يا ضرار، كذلك والله كان عليٌّ، رَحِم الله أباالحسن.[١]

وقال سعيد بن كلثوم: كنت عند الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فذكر أميرالمؤمنين عليه السلام فأطراه و مدحه بما هو أهله، ثم قال: «والله ما أكل عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام من الدنيا حراماً قط حتّى مضىٰ لسبيله، و ما عرض له أمران قط هما لله رضاً إلّا أخذ بأشدّهما عليه في دينه.

و ما نزلت برسول الله صلى الله عليه وآله نازلةٌ قطّ إلا دعاه ثقةً به.

و ما أطاق عملَ رسول الله صلى الله عليه وآله من هذه الأُمة غيرُه.

و أن كان ليعمل عملَ رجلٍ كان وجهه بين الجنّة و النار، يرجو ثواب هذه و يخاف عقاب هذه.

---

(١) بحارالأنوارج ٤١ ص ١٤

ولقد أعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه الله و النجاة من النار مما كدّ بيديه و رشح منه جبينُه.

و ان كان ليقوت أهلَه بالزيت و الخَلّ و العجوة.

و ما كان لباسه إلّا الكرابيس.».[١]

علم عليّ عليه السلام

لقد قلنا سابقاً أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كُلِّف من جانب الله تعالى أن يعلِّم معارف الاسلام وعلومه، وأحكامه وقوانينه للامام عليّ عليه السلام، ولقد قام رسول الله صلى الله عليه وآله في عهد نبوته بهذه الوظيفة.

ولقد استوعب الإمامُ عليّ عليه السلام وبتوفيقٍ من الله تعالى، وبفضل مراقبة النبي صلى الله عليه وآله المستمرة واهتمامه به، وحفظ تلك العلوم والمعارف بكاملها، وقد قام بنقل هذه العلوم وبتوصية من النبي صلى الله عليه وآله إلى الأئمة من بعده وقد نشأت من خلال ذلك كتبٌ عديدةٌ حتى أنه سمّي عليه السلام بعيبة العلم.

ولقد نوّه النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله مراراً بمكانة الإمام عليّ عليه السلام العلمية، وأشاد به. ومن جملة ذلك ما قاله صلى الله عليه وآله في حديث هو: قوله صلى الله عليه وآله: **«أنا مدينةُ العلم و عليٌّ بابُها، فمن أراد العلمَ فَليأتِ البابَ».**[٢]

كما اعترف صحابة النبي صلى الله عليه وآله بمكانة عليّ عليه السلام العلمية أيضاً في مجال القضاء.

قال أبوهريرة،: قال عمر بن الخطاب: عليّ أقضانا.[٣]

وقال سعيد بن المسيب: كان عمر يتعوذ بالله من معضلةٍ ليس فيها

---

(١) بحارالأنوار ج ٤١ ص ١١٠

(٢) المناقب للخوارزمي ص ٤٠ والمستدرك للحاكم النسابوري ج ٣ ص ١٢٧ وعشرات الاحاديث المشابهة

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٣٣٩

أبو حسن.[١]

وروى علقمة عن عبدالله أنه كان يقول: كنا نتحدث أنّ مِنْ أقضى أهل المدينة ابنُ أبي طالب.[٢]

وقال أبان بن عياش سألت الحسَنَ البصري عن علي عليه السلام فقال: ما أقول فيه؟ كانت له السابقةُ والفضلُ والعلمُ والحكمةُ والفقهُ والصحبةُ والنجدة والبلاءُ والزهدُ والقضاءُ والقرابةُ.[٣]

وقال ابن عباس أيضاً: إذا حدّثنا ثقةٌ عن عليّ بفتياً لانعدوها.[٤]

قال ابنُ عباس: علمُ النبي ﷺ من علم الله و علمُ عليّ من علم النبي، و علمي من علم عليّ، و ما علمي و علم الصّحابة في علم عليٍّ إلّا كقطرة في سبعة أبحر.[٥]

و عن ابن أُذينة العبدي قال: أتيت عمر فسألتُه من أين أعتمِر؟

قال ائتِ عليّاً فسَلْهُ.[٦]

و عن أبي حازم قال: جاء رجل إلى معاوية فسأله عن مسألةٍ، فقال: سلْ عنها عليَّ بن أبي طالب فهو أعلم.

قال: ياأمير المؤمنين جوابُك فيها أحبُّ إليّ من جواب عليّ.

قال: بئس ماقلتَ، لقدكرهتَ رجلاًكان رسول الله يغرزه العلم غرزاً، ولقد قال له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي»

---

(١) الطبقات لابن سعد ج ٢ ص ٣٣٩

(٢) الطبقات لابن سعد ج ٢ ص ٣٣٨

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٤ ص ٩٦

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٣٤٨

(٥) ينابيع المودة ص ٨٠

(٦) ذخائر العقبى ص ٧٩

وكان عمر إذا أشكل عليه شيىءٌ أخذ منه.[1]

ينبوع العلوم جميعاً

ولابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة بحثٌ مكثفٌ و رائعٌ حول فضائل علي عليه السلام وكمالاته، و حول علمه نرى من المناسب ذكره هنا:

فقد كتب يقول: ... فهو رئيسُ الفضائل و ينبوعُها، و أبوعذرها، و سابقُ مضمارها و مجلِّي حَلبتها، كل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ وله اقتفى، و على مثاله احتذى، و قد عرفتَ أن أشرف العلوم هو العلم الإلٰهيّ، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، و معلومه أشرف الموجودات، فكان هو أشرف العلوم، ومن كلامه عليه السلام اقتبس، و عنه نقل، و إليه انتهى، و منه ابتدأ.

فإن المعتزلة الذين هم أهلُ التوحيد و العدل و أربابُ النظر و منهم تعلَّم الناسُ هذا الفنّ، تلامذته و أصحابه لأن كبيرهم واصل بن عطاء تلميذُ أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية و أبوهاشم تلميذ أبيه و أبوه تلميذه عليه السلام.

و أما الأشعرية فإنهم ينتمون إلى أبي الحسن عليّ بن أبي بشر الأشعري و هو تلميذ أبي عليّ الجبائي و أبو عليّ أحد مشايخ المعتزلة فالأشعرية ينتهون بآخرة الى استاذ المعتزلة و معلمهم و هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

و أما الإمامية و الزيدية فانتماؤهم اليه ظاهرٌ.

و من العلوم علمُ الفقه و هو عليه السلام أصلُه و أساسُه، و كلُّ فقيه في الإسلام فهو عيالٌ عليه، و مستفيدٌ من فقهه.

أما أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف و محمد و غيرهما فأخذوا عن أبي

---

(۱) ذخائر العقبى ص ۷۹

حنيفة.

و أما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن فيرجع فقهُهُ أيضاً إلى أبي حنيفة.

و أما أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعي فيرجع فقهُه أيضاً إلى أبي حنيفة.

و أبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد عليه‌السلام، و قرأ جعفر على أبيه عليه‌السلام و ينتهي الامر إلى علي عليه‌السلام.

و أما مالك بن أنس فقرأ على ربيعة الرأى و قرأ ربيعة على عكرمة و قرأ عكرمة على عبدالله بن عباس و قرأ عبدالله بن عباس على عليّ عليه‌السلام و إن شئتَ رددتَ إليه فقهَ الشافعي بقراءته على مالك كان لك ذلك، فهؤلاء الفقهاء الأربعة.

و أما فقهُ الشيعة فرجوعُه إليه ظاهر.

و أيضاً فإن فقهاء الصحابة كانوا عمر بن الخطاب و عبدالله بن عباس و كلاهما أخذا عن عليّ عليه‌السلام.

أما ابن عباس فظاهر، و أما عمَر فقد عرف كلُ أحدٍ رجوعَه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه، و على غيره من الصحابة و قوله غير مرة: (لولا عليٌّ لهلَكَ عمر).

و قوله: (لابقيتُ لمعضلة ليس لها أبوالحسن).

و قوله: (لايفتينَّ أحدٌ في المسجد و عليٌّ حاضر) فقد عُرف بهذا الوجه أيضاً انتهاء الفقه إليه.

و قد روت العامةُ و الخاصةُ قوله صلى‌الله‌عليه‌وآله: (أقضاكم عليّ)و القضاء هو الفقه فهو إذن أفقهُهم.

و روى الكل أيضاً أنه صلى‌الله‌عليه‌وآله قال له و قد بعثه إلى اليمن قاضياً: «أللهمَّ اهدِ قلبَه و ثبّت لسانَه»

قال عليه السلام: «فما شَككتُ بعدها في قضاء بين اثنين».

و من العلوم علمُ تفسير القرآن و عنه أخذ و منه فرّع.

و إذا رجعت إلى كتب التفسير علمتَ صحة ذلك لأن أكثره عنه و عن عبدالله ابن عباس وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له و انقطاعه اليـه وأنـه تلميذه و خرِّيجه، و قيل له: أين علمُك من علم ابن عمك ؟

فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط.

و من العلوم علمُ الطريقة و الحقيقة و أحوال التصوف و قد عرفت أن أرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون و عنده يقفون، و قد صرح بذلك الشبلي و الجنيد و سريّ و أبو يزيد البسطامي و أبومحفوظ معروف الكرخي و غيرهم، و يكفيك دلالةً على ذلك الخِرقة التي هي شعارهم إلى اليوم، و كـونهم يسـندونها بإسناد متصل إليه عليه السلام.

و من العلوم علم النحو و العربية و قد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه و أنشأه و أملى على أبي الاسود الدؤلي جوامعَه و أصولَه، من جملتها: الكلام كله ثلاثة أشياء اسمٌ و فعلٌ و حرفٌ، ومن جملتها تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة و تقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع و النصب و الجرّ و الجـزم و هـذا يكـاد يـلحق بالمعجزات لأن القوة البشرية لاتفي بهذا الحصر و لا تنهض بهذا الاستنباط.[1]

هذا وللتعرف على مكانة الإمام عليٍّ ﷺ العليا في مجال العـلم والمـعرفة يمكن مراجعة كتاب (نهج البلاغة) فهو بشهادة العلماء أغنى كتاب علميّ.

كما أن بامكانك أن تراجع مئات بل آلاف الاحاديث التي نُقلت عـنه فـي مجال العلوم والمعارف المتنوعة، والتي حُفظت ودُونت في الكتب.

(١) شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد ج ١ ص ١٧ - ٢٠

عبادة علي عليه السلام

كان الإمام علي عليه السلام أكبر عُبّاد عصره من حيث مقدار العبادة وكمّها، ومن حيث كيفها، ونوعها، ونقصد به الإخلاص في العبادة وحضور القلب ومشاهدة المعبود.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«إنّ قوماً عَبَدوا الله رغبةً فتلك عبادةُ التجار، و إنّ قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، و إنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار.»**.(١)

وقال في موضع آخر عليه السلام: **«إلَهي ماعبدتُك خوفاً من عقابك و لاطمعاً في ثوابك و لكن وجدتُك أهلاً للعبادة فعبدتُك»**.(٢)

وجاء إليه عليه السلام حَبرٌ فقال: ياأميرالمؤمنين! هل رأيتَ ربَّكَ حين عبدتَه؟.

فقال: **«ويلَك! ما كنتُ أعبدُ رباً لم أرَه»**.

قال: وكيف رأيتَه؟.

قال: **«ويلكَ! لاتدركه العيونُ في مشاهدة الأبصار و لكن رأته القلوبُ بحقائق الإيمان»**.(٣)

و نُقل عن تفسير القشيرى أنه: كان عليٌّ عليه السلام إذا حضر وقت الصلاة تلوَّنَ و تزلزلَ، فقيل له: مالكَ؟

فقالَ: **« جاء وقتُ أمانةٍ عرضَها اللهُ تعالى على السماوات والأرض والجبال فأبَينَ أن يحملنَها وحملها الإنسانُ في ضعفٍ، فلا أدري أحَسَنٌ اذاً ماحملتُ**

(١) بحارالأنوار ج ٤١ ص ١٤

(٢) بحارالأنوار ج ٤١ ص ١٤

(٣) بحارالأنوار ج ٤١ ص ١٦

أم لا؟».[١]

وقد أخذ زين العابدين عليه السلام بعض صحف عبادة علي عليه السلام فقرأ فيها يسيراً ثم تركها من يده تضجُّراً و قال: «مَن يقوى على عبادة علي بن ابي طالب عليه السلام».[٢]

ورُوي عن ابن عباس، أنه قال: «أُهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ناقتان عظيمتان فجعل إحداهما لِمَن يصلي ركعتين لا يهمُّ فيهما بشيء من أمر الدنيا. ولم يجبه أحد سوى علي عليه السلام فأعطاه كلتيهما».[٣]

وعن حبة العُرني قال: بينا أنا ونوف (البكالي) نائمَين في رحبة القصر إذ نحن بأمير المؤمنين عليه السلام في بقيّة من اللّيل، واضعاً يده على الحائط شبيهَ الواله، و هو يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٤] إلى آخر الآية.[٥]

قال: ثم جعل يقرأ هذه الآيات و يمرُّ شبه الطّائر عقلُه، فقال لي: أراقدٌ أنتَ يا حَبَة أم رامق؟

قال: قلت: رامقٌ، هذا أنت تعمل هذا العمل فكيف نحن ؟!

فأرخى عينيه فبكى ثمَّ قال لي: « يا حَبَة إنَّ لله موقِفاً و لَنا بين يديه موقفاً لا يخفى عليه شيء من أعمالنا.

يا حَبَة إنَّ الله أقرب إليكم من حبل الوريد

يا حَبَة إنّه لن يحجبَني و لا إيّاك عن الله شيءٌ»

قال: ثم قال: أراقدٌ أنت يا نوف ؟

---

(١) بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٧

(٢) بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٧

(٣) بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٨

(٤) البقرة / ١٦٤

(٥) بحار الانوار ج ٤١ ص ١٨

قال: قلتُ: لا ياأميرالمؤمنين ما أنا براقد، و لقد أطلتُ بكائي هذه اللّيلة.

فقال: «يا نوف، إن طال بكاؤك في هذا اللّيل مخافةً من الله تعالى قرَّت عيناك غداً بين يدي الله عزّوجلّ.

يا نوف إنّه ليس من قطرة قَطَرت من عين رجلٍ من خشية الله إلّا أطفأت بحاراً من النيران.

يا نوف، إنّه ليس من رجلٍ أعظمَ منزلةً عندالله من رجلٍ بكى من خشية الله، و أحبّ في الله و أبغض في الله.

يا نوف، إنّه من أحبّ في الله لم يَستأثر على محبَّته، و من أبغض فيالله لم ينل ببغضه خيراً، عند ذلك استكملتم حقائقَ الايمان.

ثمّ وعظهما و ذكّرهما و قال في أواخره: «فكونوا من الله على حذر، فقد أنذرتكما».

ثمّ جعل يمرّ و هو يقول: «ليتَ شِعري في غفلاتي أمعرضٌ أنتَ عنّي أم ناظرٌ إليّ ؟ و ليت شعري في طول منامي و قلّة شكري في نِعمك عليّ، ما حالي»؟!

قال: فوالله ما زال في هذا الحال حتى طلع الفجر.[1]

وقال معاوية لضرار بن ضمرة (وكان من أصحاب عليٍّ) صف لي عليّاً، فقال ضِرار: أشهد لقد رأيتُه في بعض مواقفه ولقد أرخى الليلُ سدولَه وهو قائم في محرابه قابضٌ على لِحيته يتملمَل تململ السليم (أي الملدوغ)ويبكي بكاء الحزين ويقول: «يا دنيا إليكِ عني أبيِ تعرضتِ أم اليّ تشوقتِ؟ لا حان حَينكِ، غُرّي غيري لا حاجة لي فيكِ فعيشكِ حقير وخطركِ كبير وأمَدُكِ قصير، آه من قلّة

(١) بحارالأنوار ج ١ ٤ ص ٢٣

الزاد، وطول الطريق، وبُعد السفر، وعِظم المورد، وخشونة المضجَع».[١]

زهد علي عليه السلام

الزهد يعني عدم التعلّق بالأمور الدنيوية كالمال والمنصب والأهل والولد، وقد كان الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام من أكبر الزهاد.

قال الحسن بن صالح: تذاكروا الزّهاد عند عمر بن عبد العزيز، فقال عمر: أزهد الناس في الدنيا عليُّ بن أبي طالب[٢].

وعن سفيان قال: إن علياً عليه السلام لم يبن آجرّة على آجرّة، ولا لَبِنة على لَبِنة، ولاقصبة على قصبة، وان كان ليُؤتى بحبوبه من المدينة في جِراب.[٣]

وقال الأصبغ بن نباتة: أتى (عليٌّ) البزّازين فوقف على غلام فأخذ ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين فقال: «ياقنبر خذ الذي بثلاثة».

فقال: أنت أولى به، تصعد المنبر، وتخطب الناس .

فقال: «وأنت شابٌ ولك شره الشباب، وأنا أستحيي من ربّي أن أتفضّل عليك».[٤]

وقال الامام الصادق عليه السلام: «كان أمير المؤمنين عليه السلام أشبه الناس طُعمة برسول الله صلى الله عليه وآله يأكل الخبز والخَل والزيت ويطعم الناسُ الخبزَ واللحم».[٥]

(١) بحار الانوار ج ٤٠ ص ٣٤٥
(٢) ترجمة الامام علي بن أبي طالب ج ٣ ص ٢٠٢
(٣) ترجمة الامام علي بن أبي طالب ج ٣ ص ١٨٨
(٤) ترجمة الامام علي بن أبي طالب ج ٣ ص ١٩١
(٥) بحار الانوار ج ٤٠ ص ٣٢٤

وعن جعفر الصادق ﷺ قال: « أُتي علي ﷺ بخبيص (وهو طعام مصنوع من التمر والزبيب والسمن) فأبى أن يأكله.

قالوا: تحرّمه ؟

قال: «لا، ولكني أخشى أن تتوق إليه نفسي ثم تلا هذه الاية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾.[1][2]

ويقول سويد بن غفلة: دخلت عليه يومَ عيد فاذا عنده فاثور (أي طست) عليه خبز السمراء وصفحة فيه خطيفة (وهو لبن يُطبخ بدقيق) وملبنة، فقلت: يا أمير المؤمنين يوم عيد وخطيفة؟!

فقال: «هذا عيد من غُفر له».[3]

الحاكم الزاهد

كان الامام عليٌّ ﷺ مضافاً إلى كونه زاهداً في حياته الشخصية يرى زهد الحاكم أمراً ضرورياً أيضاً.

يقول ﷺ في هذا الصدد: «إنَّ الله جعلني إماماً لخَلقه، ففرض عليَّ التقديرَ في نفسي و مطعمي و مشربي و ملبسي كضعفاء الناس، كي يقتدي الفقيرُ بفقري ولايُطغي الغنيَّ غناه».[4]

وقد رئي على الإمام ﷺ إزارٌ غليظ اشتراه بخمسة دراهم فقيل له في ذلك، فقال: «يقتدي به المؤمنون ويخشع له القلب، وتذل به النفس، ويقصد به المبالغ».

(١) الاحقاف / ٢٠

(٢) الغارات للثقفي ج١ ص ٩٠

(٣) بحار الانوار ج٤٠ ص٣٢٦

(٤) بحار الأنوار ج٤٠ ص٣٢٦

وفي رواية: «أشبه بشعار الصالحين، وأبعد لي من الكبر، وأجدر أن يقتدي به المسلم».[١]

وكتب عليه السلام في رسالة إلى عثمان بن حنيف يقول:

«أَلاو إنَّ لكلِّ مأموم إماماً يَقتدي به، و يستضيءُ بنورِ علمِه، ألا و إنَّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، و مِن طعمهِ بقرصَيهِ. ألا و إنَّكم لاتقدرونَ على ذلك، و لكن أعينوني بورع و اجتهاد، و عفَّة وَ سداد. فَوَالله ماكنزت من دنـياكـم تِـبراً، و لاادَّخرْتُ من غنائمها وَ فراً، و لاأعْددْت لبالي ثوبي طِمراً.

أأقنع من نفسي بأن يقال: (هذا أميرالمؤمنين) ولا أشاركهم في مكاره الدّهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش؟ فما خُلقت ليشغلني أكل الطيباتِ كالبهيمة المربوطة همُّها علفها، أو المرسَلة شغلُها تقمُّمها، تكترش من أعلافها، و تلهو عما يُراد بها.».[٢]

وكتب عليه السلام في موضع آخر من هذه الرسالة يقول:

«و لو شئتُ لاهتديت الطريق إلى مصفّى هذا العسل و لُباب هـذا القـمح و نسائج هذا القزِّ، و لكن هيهات أن يَغلبني هـوايَ و يـقودني جشـعي إلى تـخيّر الأطعمة و لعلَّ بالحجاز أو اليمامة من لاطمع له في القرص، و لا عهد له بالشِّبع، أوَ أبيتُ مبطاناً و حولي بطونٌ غرثى و أكبادٌ حرّىٰ؟».[٣]

الغنيُّ الزاهد

قد يتصور الذين سمعوا عن زهد الامام علي عليه السلام أنه كـان إنسـاناً عـاطلاً،

(١) بحار الانوار ج ٤٠ ص ٣٢٣

(٢) نهج البلاغة الكتاب رقم ٤٥

(٣) نهج البلاغة الكتاب رقم ٤٥

معتزلاً للحياة وفقيراً معدماً، وأن زهده كان بسبب فقره أو يتصوروا أن الامام تركَ الدنيا وترهب، وتفرغ للعبادة في زاوية، والحال أن هذا التصور ليس بصحيح مطلقاً، فإن الإمام عليّاً ﷺلم يكن كذلك، بل كان يعمل بجدّ، وكان مزارعاً، عالي الهمة رفيع الذوق، كبير الدُؤوب.

فعندما لم تكن ثمت حروب في العهد النبويّ كان يقضي أوقات فراغه في الزراعة والفلاحة، وحفر الآبار، واستخراج الينابيع، وشقّ القنوات، وغرس نخيل التمر.

وقد أوجد من هذا الطريق بساتين كثيرة، ومزارع عديدة.

و في عصر الخلفاء الثلاثة - بعد وفاة رسول الله ﷺ - لم يعتزل العمل أيضاً،

بل ظلّ يعمل فيها وربما عمّرها ووسّعها.

وقد كانت هذه البساتين والمزارع تعود إلى الإمام ﷺ بالنفع الكثير والعائدات الكبيرة ولكنه مع ذلك لم يكن متعلقاً بها ولامشدوداً اليها، فهو لم يصرف عائدات هذه الممتلكات على حياته الشخصية ولا على الكماليات ولا في سبيل تحسين معيشته أو معيشة أهله وذويه، كما أنه لم يدخر منها لمستقبل نفسه وأولاده، بل كان يتزهد في صرفها على مأكله وملبسه، ويصرف الباقي في سبيل الله، وكان يصل بها الرحم، ويساعد بها الأيتام والمساكين و المعوزين، ويشتري مئات العبيد ويعتقها في سبيل الله، وقد وقف بعض الممتلكات لهذا الغرض.

فقد كتب المؤرخون أنه كانت غلّة الامام عليٍّ ﷺ أربعين ألف دينار فجعلها صدقة[1] قال الامام الصادق ﷺ: «قسّم نبيُّ الله ﷺ الفيء فأصاب عليّاً أرضً

(١) بحار الانوار ج ٤١ ص ٢٦

فاحتفر فيها عيناً، فخرج ماءٌ ينبع في السماء كهيئة عنق البعير فسمّاها ينبع فجاءالبشير يبشره فقال عليه السلام: بشّر الوارث، هي صدقة بتّة بتلاء في حجيج بيت الله وعابر سبيل الله، لا تباع ولا تُوهب ولا تورث، فمن باعها أو وَهَبها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبلُ الله منه صَرفاً ولا عَدلاً».[1]

ولقد أوصى عليه السلام قبيل استشهاده ببعض ممتلكاته لتكون صدقة في سبيل الله وبعضها جعلها لأولاده من فاطمة وبعضها الآخر لأولاده من غير فاطمة وقسم منها جعله لبني هاشم وقسم آخر منها لبني عبد المطلب.[2]

الامام علي عليه السلام و تقسيم الغنائم

كانت سيرة الإمام علي عليه السلام في تقسيم بيت المال على النحو التالي:

أولا: كان الإمام عليه السلام يعتبر الغنائم من أموال العامة الذين كانوا في ذلك الزمان من المعوزين غالباً، ولهذا كان من دأبه أنه كلما وصل اليه شيءٌ منها عمد إلى تقسيمها بين الناس وكان لا يهدأ مالم يقسّمها.

ثانياً: أنه كان يقسم الأموال الموجودة بين الناس مراعِياً في ذلك العدالة والمساواة، وكان لا يرجّح شريفاً على وضيع، ولا قوياً على مستضعف، وكان يرى في تقسيم بيت المال أنه يجب أن لا يقسّم على نحوٍ يورث الاختلاف الطبقيّ.

لقد ألقى الامام عليه السلام في اليوم الثاني من مبايعة الناس له خطاباً جاء فيه:

«فأنتم عبادُ لله و المال مالُ الله، يقسَّم بينكم بالسوية، لا فضلَ فيه لأحدٍ على

(١) بحار الانوار ج ٤١ ص ٣٩

(٢) بحار الانوار ج ٤١ ص ٤٠

أحدٍ، و للمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء، و أفضل الثواب، لم يجعل الله الدنـيا للمتقين أجراً و لا ثواباً، و ما عند الله خيرٌ للأبرار». [١]

وقال في موضع آخر:

«أمّا هذا الفيء فليس لأحد فيه إثرة، ولقد فرغ الله من قسمته فهو مال الله.

أنتم عباد الله المسلمون، و هذا كتابُ الله به أقرَرنا و له أسلمنا و عهدُ نبيِّنا بين أظهُرنا، فمَن لم يرض به فَلْيتولَ كيف شاء، فإن العاملَ لطاعة الله و الحاكم بحكم الله لا وحشة عليه». [٢]

وعن مجمّع أن علياً عليه السلام كان يكنس بيت المال كل يوم جمعة ثم ينضحه بالماء ثم يصلّي فيه ركعتين ثم يقول: «تشهدانِ لي يوم القيامة». [٣]

وعن الضحاك بن مزاحم عن علي عليه السلام أنه قال: «كان خـليلي رسـولُ الله صلى الله عليه وآله لا يحبس شيئا لغدٍ». [٤]

وعن أبي صالح السمان قال: رأيت عليّاً عليه السلام دخل بيت المال، فرأى فيه مالاً، فقال عليه السلام: « هذا ها هنا والناسُ يحتاجون؟!».

فأمر به فقّسم بين الناس، ثم أمر بالبيت فكُنِس، ونُضِح، وصلّى فيه. [٥]

وعن أبي حكيم عن أبيه أن عليّاً أعطى العطاء في سنةٍ ثلاث مرات، ثم أتاه مالٌ من إصبهان، فقال عليه السلام: «أغدوا إلى العطاء الرابع، إني لست لكم بخازن». [٦]

(١) بحار الأنوار ج٣٢ ص١٧-١٨

(٢) بحار الأنوار ج٣٢ ص٢٠

(٣) الغارات ج١ ص٤٦

(٤) الغارات ج١ ص٤٧

(٥) ترجمة الامام علي بن أبي طالب ج٣ ص١٨٠

(٦) ترجمة الامام علي بن أبي طالب ج٣ ص١٨١

وأتى علياً مالٌ من إصفهان فقسّمه فوجد فيه رغيفاً فكسره سبع كسر.[١]

و روي أن امرأتين أتتا عليّاً عليه السلام عند القسمة إحداهما من العرب. والأُخرى من الموالي، فأعطى كلَّ واحدة خمسةً وعشرين درهماً وكُرّاً من الطعام فقالت العربية: يا أميرالمؤمنين إني امرأة من العرب وهذه امرأة من العجم؟

فقال عليٌّ عليه السلام: «إني لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفَيء فضلاً على بني إسحاق».[٢]

وجاء أن سهل بن حنيف أخذ بيد عبده فقال: يا أميرَ المؤمنين، قد أعتقتُ هذا الغلام فأعطاه ثلاثة دنانير مثل ما أعطى سهل بن حنيف.[٣]

وروي أنَّ طائفة من أصحاب عليّ عليه السلام مشوا إليه فقالوا: يا أميرالمؤمنين، أعطِ هذه الأموال و فضِّل هؤلاء الأشراف من العرب و قريش على الموالي و العجم مَنْ تخاف خلافَه من الناس و فرارَه.

قال: و إنّما قالوا له ذلك، للذي كان معاوية يصنع مع مَن أتاه. فقال لهم عليّ عليه السلام: «أتأمروني أن أطلب النَصر بالجَور؟ والله لاأفعل ما طلعت شمسٌ وما لاح في السماء نجمٌ.

والله! لو كان مالُهم لي لواسَيْتُ بينهم فكيف وإنما هي أموالُهم؟».

قال: ثم أزمَّ طويلاً ساكتاً، ثم قال: «مَن كان له مالٌ فإياه و الفساد، فإنَّ إعطاء المال في غير حقّه تبذير و إسراف، و هو ذكرٌ لصاحبه في الناس و يضعه عند الله. و لم يضعْ رجل مالَه في غير حقّه و عند غير أهله إلّا حرَمه الله شكرَهم، وكان لغيره ودُّهم، فإن بقي معهم من يودُهم و يظهر لهم الشكر، فإنما هو ملقٌ و كذبٌ، و إنّما

---

(١) الغارات ج ١ ص ٥١

(٢) الغارات ج ١ ص ٧٠

(٣) بحار الانوار ج ٤١ ص ١١٧

ينوي أن ينال من صاحبه مثل الذي كان يأتي إليه من قبل، فإن زلّت بصاحبه النعل فاحتاج إلى معونته و مكافأته، فشرُّ خليلٍ و ألأمُ خدينٍ.

و من صنع المعروف فيما آتاه الله، فَليصلْ به القرابة، ولْيحسن فيه الضيافة ، و ليفكّ به العاني، و لْيعن به الغارم و ابن السبيل و الفقراء و المهاجرين، و لْيصبر نفسه على النوائب و الخُطوب، فإنَّ الفوز بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا، ودرك فضائل الآخرة.».(١)

وشكا عليّ عليه السلام الى الأشتر فرار الناس إلى معاوية فقال الأشتر: يا أمير المؤمنين إنا قاتلنا أهل البصرة وأهل الكوفة والرأي واحد، وقد اختلفوا بعد، وتعادوا، وضعفت النية، وقلّ العدل وأنت تأخذهم بالعدل، وتعمل فيهم بالحق وتنصف الوضيع من الشريف، وليس للشريف عندك فضلُ منزلةٍ على الوضيع، فضجّت طائفة ممن معك على الحق اذ عُمّوا به، وأغتموا من العدل إذ صاروا فيه، وصارت صنائعُ معاوية عند أهل الغنى والشرف، فتاقت أنفسُ الناس إلى الدنيا، وقلَّ من الناس من ليس للدنيا بصاحب، وأكثرهم ممن يجتوي الحق ويستمرىء الباطل ويؤثر الدنيا، فإن تبذل المال يا أمير المؤمنين تمل إليك أعناق الناس وتصف نصيحتهم وتستخلص ودَّهم، صنع الله لك ياأمير المؤمنين وكبت عدوَّك، وفضّ جمعَهم، وأوهنَ كيدهم، وشتَّت أمورهم، إنه بما يعملون خبير.

فأجابه عليٌ عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وقال:

«أما ما ذكرت من عَمَلنا وسيرتنا بالعدل، فان الله يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ وأنا مِنْ أنْ أكون مقصراً فيما ذكرتَ أخوف.

(١) الغارات ج ١ ص ٧٥

وأما ما ذكرتَ من أن الحقَّ ثقُل عليهم ففارقونا لذلك فقد علم الله أنَّـهم لم يفارقونا من جَور، ولم يُدعَوا اذا فارقونا إلى عدَل، ولم يلتمسوا إلاّ دنياً زائلة عنهم كأن قد فارقوها، وليُسألنَّ يوم القيامة: أللدنيا أرادوا أم لله عملوا؟

وأما ما ذكرت من بذل الاموال واْصطناع الرجال فأنّا لا يسعنا أن نؤتي امرءً من الفيء أكثر من حقه، وقد قال الله وقوله الحق: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ وبعث محمداً ﷺ وحده فكثّره بعد القلة وأعز فئته بعد الذلة، وإنْ يرد اللهُ أن يولينا هذا الامر يذلّل لنا صَعبه، ويسهِّل لنا حَزَنَه، وأنا قابلٌ من رأيك ما كان لله رضىً، وأنت من آمَن أصحابي، وأوثقُهم في نفسي وأنصحُهم وأرآهم عندي».[1]

صرف الأموال العامة في مجال الحياة الشخصية

كان من حق الإمام عليّ ؑ شرعاً أن يصرف – شأنه شأن سائر الحكام الشرعيين – من أموال بيت المال، على شؤونه الشخصية بالمقدار المتعارفَ، ولكنه على خلاف سيرة سائر الخلفاء إما أنه لم يستفد نهائياً من الاموال العامة.

وإما أنه استفاد منها أحياناً وبمقدار قليل جداً.

لقد كانت حياة الإمام – في ذلك الزمان – حياةً بسيطةً وزاهدةً جداً، وكان ؑ يؤمّن نفقات حياته اليومية من محاصيل مزرعته وعائدات بستانه الذي كان قد أحدثه – قبل ذلك – في المدينة.

عن زاذان قال: انطلقت مع قنبر إلى عليّ فقال: قم يا أمير المؤمنين فقد خبَّأتُ لك خبيئة قال: قم معي.

---

(١) الغارات ج١ ص ٧١

فقام وانطلق إلى بيته فاذا بأسنة مملوءة جامات من ذهب وفضة، فقال، ياأمير المؤمنين إنك لا تترك شيئاً إلا قسّمتَه فادخرتُ هذا لك.

قال علي ﷺ: «لقد أحببتَ أن تُدخل بيتي ناراًكثيرة»؟!

فسلّ سيفه فضربها، فانتثرت من بين إناء مقطوع نصفه أوثلثه ثم قال: «اقسموه بالحصص» ففعلوا، فجعل يقول:

هذا جناي وخياره فيه إذ كل جانٍ يده إلى فيه

يا بيضاء (غري غيري) وياصفراء غري غيري.[1]

وروى هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على عليٍّ بالخَورنَق وعليه سمل قطيفة وهو يُر عَد فيها، فقلت: يا أميرالمؤمنين، إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال نصيباً وأنت تفعل هذا بنفسك؟!

قال: فقال ﷺ: «إني والله ما أرزؤكم شيئاً، وما هي إلاّ قطيفتي التيأخرجتها من بيتي (أو قال: من المدينة).[2]

وروى الأصبغ بن نباتة عن عليّ ﷺ أنه قال: «دخلتُ بلادَكم بأسمالي هذه وراحلتي، وراحلتي ها هي، فإن أنا خرجتُ من بلادكم بغير ما دخلتُ فإنني من الخائنين».

وفي رواية قال ﷺ: «يا أهل البصرة ما تنقِمون مني؟ إنّ هذا لمِن غزل أهلي».[3]

لقد كانت نفقته تأتيه من غلّته بالمدينة من «ينبع» وكان يُطعم الناسَ الخبزَ

---

(1) الغارات ج ١ ص ٥٦

(2) ترجمة الامام علي بن ابي طالب ج ٣ ص ١٨١

(3) بحار الانوار ج ٤١ ص ٣٢٥

واللحم ويأكل من الثريد بالزيت ويكلّلها بالتمر من العجوة وكان ذلك طعامه.[١]

سهم الأولاد والأقرباء من بيت المال

لم يكن الإمام علي عليه السلام يرى لأولاده وذويه الآخرين أي امتياز على غيرهم فقد كان يعطي الإمامُ للحسن والحسين نفسَ ماكان يعطيه للآخرين من الناس.

فعن حبيب بن أبي ثابت أنه قال: قال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لعلي عليه السلام: يا أميرالمؤمنين لو أمرتَ لي بمعونة أونفقة، فو الله ما عندي الاّ أن أبيعَ بعض علوفتي ؟

قال: «لا والله ماأجد لك شيئاً إلا أن تأمرَ عمك أن يسرق فيعطيَك».[٢]

وعن عبد لله بن أبي سفيان قال: أهدى إليَّ دهقان من دهاقين السواد بُرداً، و الى الحسن والحسين مثله، فقام علي عليه السلام يخطب بالمدائن يوم الجمعة فرآه عليهما، فبعث إليّ وإلى الحسن والحسين فقال: ما هذان البردان؟

قال: بعثهما إليّ وإلى الحسن والحسين دهقانٌ من دهاقين السواد.

قال: فأخذهما فجَعَلهما في بيت المال.[٣]

وروى جعفر عن أبيه عليه السلام قال: «كسا عليٌّ عليه السلام الناسَ بالكوفة وكان في الكسوة برنس خزّ. فسأله الحسنُ، فأبى أن يعطيه إياه، و أسهم عليه بين المسلمين، فصار إلى فتىً من همدان، فانقلب به الهمداني.

فقيل له: إنَّ حسناً كان سأله أباه فمنعه إياه، فأرسل به الهمداني إلى الحسن عليه السلام

(١) الغارات ج١ ص ٦٨

(٢) الغارات ج١ ص ٦٦

(٣) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب ج٣ص ١٨٢

فقَبِله».[1]

وعن علي بن أبي رافع قال: كنتُ على بيت مال عليٍّ بـن أبـي طـالب عليه السلام وكاتبه، وكان في بيت ماله عِقد لؤلؤ كان أصابه يوم البصرة، قال: فأرسلت إليَّ بنتُ علي بن أبي طالب عليه السلام فقالت لي: بلغني أنّ في بيت مال أمير المؤمنين عِقدَ لؤلؤ وهو في يدك، وأنا أحب أن تعيرنيه أتجمَّل به في أيام عيد الأضحى، فأرسلتُ به إليها و قلت: عاريةٌ مضمونة يابنت أمير المؤمنين؟.

فقالت: نعم؛ عاريةً، مضمونةً، مردودةً بعد ثلاثة أيام، فدفعته إليها، وإن أمير المؤمنين رآه عليها فعرفه. فقال لها: من أين صار إليكِ هذا العِقد؟!

فقالت: إستعرتُه من ابن أبي رافع خازن بيت مال أمير المؤمنين لأتزينَ به في هذا العيد ثم أردَّه.

قال: فبعث إليَّ أميرُ المؤمنين فجئتُه.

فقال: أتخون المسلمين ياابن أبي رافع؟!!

فقلت: معاذ الله أن أخون المسلمين!

قال: كيف أعرتَ بنت أمير المؤمنين العِقدَ الذي في بيت مال المسلمين بغير اذني ورضاي؟

فقلت: يا أمير المؤمنين إنها ابنتك وسألتني أن أُعيرها إياه تتزيّن به، فأعرتها إياه عاريةً مضمونةً مردودةً، وضمنتُه في مالي، وعليَّ أن أردّه سليماً إلى موضعه.

قال: « فرُدَّه من يومك، وإياك أن تعودَ لمثل هذا فتنالُك عقوبتي ».

ثم قال: « أولي لابنتي لو كانت أخذت العقدَ على غير عارية مضمونة مردودة لكانت اذاً أول هاشمية قطِعت يدُها في سرقة ».

---

(١) بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٠٤

قال: فبلغ مقالتُه ابنتَه، فقالت له: يا أمير المؤمنين أنا ابنتك، وبضعةٌ منك، فمن أحقّ بلبسه منّي؟

فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: «يابنت علي بن أبي طالب! لا تذهبنَّ بك نفسكِ عن الحق، أكلُّ نساء المهاجرين تتزيّنَّ في هذا العيد بمثل هذا العقد»؟

قال: فقبضتُه منها ورددتُه إلى موضعه.[1]

ولقد قدم عقيلٌ عليه ذات يوم فقال للحسن: أُكس عمَّك، فكساه قميصاً من قُمُصه ورداءً من أردِيته، فلما حضر العشاءُ فاذا هو خبزٌ وملحٌ.

فقال عقيل: ليس إلاّ ما أرى ؟

فقال: «أوليس هذا من نعمة الله ؟وله الحمد كثيراً؟»

فقال: إعطني ماأقضي به ديني وعجِّل سراحي حتى أرحلَ عنك.

قال: «فكم دَينُك يا أبايزيد؟»

قال: مائة ألف درهم.

قال: «لا والله ماهي عندي ولا أملكها ولكن إصبر حتى يخرج عطائي فأواسيكه، ولولا أنه لابدَّ من العيال من شيىء لاعطيتك كله».

فقال عقيل: بيت المال في يدك وأنت تسوّفني إلى عطائك ؟ وما عساه يكون لو أعطيتنيه كلّه ؟

فقال: «ما أنا وأنت إلّا بمنزلة رجلٍ من المسلمين».

وكانا يتحدثان من فوق قصر الإمارة مشرفين على صناديق أهل السوق، فقال له علي عليه السلام: «إن أبيتَ يا أبايزيد ما أقول فانزلْ إلى بعض هذه الصناديق فاكسرْ أقفالَه وخذ ما فيه ».

---

(١) بحارالأنوار ج٠٤ ص٣٣٧ و أولي اي أحلف و أقسمُ

فقال: وما في هذه الصناديق؟

قال: «فيها أموالُ التجار».

قال: أتأمرني أن أكسِرَ صناديقَ قوم قد توكّلوا على الله و جعلوا فيها أموالَهم؟!

فقال أمير المؤمنين: «أتامرني أن أفتح لك بيتَ مال المسلمين فأعطيك أموالَهم وقد توكّلوا على الله وأقفلوا عليها؟ وإن شئتَ أخذتَ سيفَك وأخذت سيفي وخرجنا معاً إلى الحيرة فإن بها تجاراً مياسير، فدخلنا على بعضهم فأخذنا ماله ».

فقال: أوَ سارقاً جئتُ؟

قال: « تسرقُ من واحدٍ خيرٌ من أن تسرقَ من المسلمين جميعاً».

قال: أفتأذن لي أن أخرج إلى معاوية ؟

فقال له: « قد أذنتُ لك».

قال: فأعنّي على سَفرَي هذا.

فقال: «يا حسن إعط عمَّك أربعمائة درهم».[1]

وذات يوم جاء إليه أخوه عقيل هذا وطلب منه مساعدةً من بيت المال، فرفض الإمام عليه السلام طلبه وأحمىٰ حديدةً وأدناها منه - تذكيراً له بعذاب جهنم.

وقد تحدث الامامُ عليه السلام عن هذا المشهد قائلاً: « والله لقد رأيت عقيلاً و قد أملَقَ حتّى استماحني من بُرّكم صاعاً و رأيت صبيانَه شعثَ الشعور غبرَ الألوان من فقرهم كأنما سوّدت وجوههم بالعِظلم، و عاودني مؤكداً و كرّر عليّ القولَ مردّداً، فاصغيتُ إليه سمعي، فظنّ أنّي أبيعُه ديني و أتبع قيادَه مفارقاً طريقتي، فقلتُ له:

---

(١) بحار الانوار ج ٤١ ص ١١٣

ثكلتكَ الثواكل . يا عقيل! أتَئِنّ من حديدة أحماها إنسانُها لِلَعبه وتجرّني إلى نارٍ سجَّرها جبارُها لغضبه؟! أتئِنُّ من الأذى و لاأئنُّ من لظى؟!

و أعجب من ذلك طارقٌ طرَقنا بملفوفة في وعائها، و معجونة شنأتها، كأنّما عُجِنَت بريق حيَّةٍ أو قيئها. فقلت: أصلةٌ أمْ زكاةٌ أم صدقةٌ ؟ فـذلك مـحرَّم عـلينا أهلَ البيت، فقال: لاذا و لاذاك و لكنّها هديةٌ، فقلت: هبلتكَ الهبول! أعن ديـن الله أتيتني لتخدعني؟ أمختبطٌ أنت أم ذو جِنّة أم تهجر؟

والله لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصيَ اللهَ في نملةٍ أسلِبُها جُلب شعيرةٍ ما فعلتُه، و إنّ دُنياكم عندي لأهونُ من ورقة في فـمِ جـرادة تقضمها!

ما لِعليّ و لنعيمٍ يفنىٰ و لَذّةٍ لاتبقى! نعوذ بالله من سُبات العقل و قُبح الزَّلَل و به نستعين».[1]

الحزم في الدفاع عن الحق

إن من أهمّ خصائص الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو الحزم والقاطعية في مكافحة الظلم، والدفاع عن المحرومين والمظلومين.

فقد كان الإمام علي عليه السلام يعتقد بأنه لا يمكن الوقوف في وجه الظلم بالتسامح بل لابدّ من استخدام الحزم والقاطعية.

و في هذا المجال قال عليه السلام: «الذّليلُ عندي عزيزٌ حتّى آخذ الحقَّ له، و القويُّ عندي ضعيفٌ حتى آخذ الحقَّ منه».[2]

(١) نهج البلاغة الخطبة ٢٢٤

(٢) نهج البلاغة الخطبة ٣٧

وذات يوم جاء المغيرة بن شعبة إلى الإمام علي عليه السلام وقال له - ناصحاً -:

يا أمير المؤمنين، إن معاوية من قد عرفتَ وقد ولّاه الشام من كان قبلك، فولِّهِ أنت كيما تتسق عرى الأمور ثم اعزله إن بدا لك.

فقال له الإمام: «أتضمنُ لي عُمُري يامغيرة فيما بين توليته إلى خلعه» ؟

قال: لا.

قال: « لا يسألني الله عزّوجل عن توليته على رجلين من المسلمين ليلة سوداء أبداً، وماكنتُ متخذ المضلين عضداً، لكن أبعث إليه وأدعوه إلى ما في يدي من الحق فإن أجاب فرجلٌ من المسلمين له ما لَهم وعليه ما عليهم، وإن أبى حاكمتُهُ إلى الله».[1]

وقال أيضاً:

«و أيمُ الله لأنصفنَّ المظلومَ من ظالمِهِ و لأقودنَّ الظالمَ بخزامته حتّى أُورِدَه منهلَ الحق و إن كان كارهاً».[2]

لقد كان الدفاع عن المحرومين والمظلومين أحدَ أهم برامج الإمام عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام الأصلية التي لم يَعدل عنها قط، فهو ماكان يتحمل مشاهدة الظلم في الأُمور الكبيرة، بل حتى في الأُمور الصغيرة.

ولقد رجع الإمام علي عليه السلام ذات يوم إلى داره في وقت القيظ فإذا امرأةٌ قائمةٌ تقول: إن زوجي ظلمني وأخافني وتعدّى عليّ وحلف ليضربني فقال: «يا أمة الله إصبري حتى يبردَ النهار ثم أذهبُ معكِ ان شاء الله » .

فقالت: يشتد غضبُه وحردُه عليّ.

---

(١) بحار الأنوار ج ٣٢ ص ٣٨٦

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٣٦

فطأطأ رأسه ثم رفعه، وهو يقول: « لا والله أو يؤخذ للمظلوم حقُّه غير متعتَع...، أين منزلكِ »؟.

فمضى إلى بابه فوقف فقال: «السلام عليكم»، فخرج شابٌ، فقال علي عليه السلام: «يا عبد الله إتقِ الله فإنك قد أخفْتها وأخرجْتها».

فقال: وما أنت وذاك؟ والله لأُحرقنَّها لكلامك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: « آمرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر وتستقبلُني بالمنكر وتنكرُ المعروف »؟

فأقبل الناس من الطرق ويقولون: سلام عليكم ياأمير المؤمنين.

فسقط الرجل في يديه، فقال: يا أمير المؤمنين أقِلني عثرتي، فوالله لأكوننَّ لها أرضاً تطأني.

فأغمد سيفَه وقال: «يا أمة الله، أدخلي منزلكِ ولا تلجئِني زوجَكِ إلى مثل هذا وشبهِه».[1]

المساواة أمام القانون

كان الإمام علي عليه السلام يعتبر الجميعَ متساويين أمام القانون وحتى أنه كان يرى نفسَه متساوياً مع الآخرين في مجال رعاية القانون.

فعن الشعبي أنه وجد علي عليه السلام دِرعاً له عند نصراني، فأقبل به إلى شريح وجلس إلى جانبه وقال: «هذه درعي لم أبِعْ ولم أهبْ».

فقال للنصراني: مايقول أمير المؤمنين؟

فقال النصراني: ما الدرع إلّا درعي وما أمير المؤمنين بكاذب؟

---

(١) بحار الأنوار ج ٤١ ص ٥٧

فالتفت شريح إلى علي عليه السلام وقال: ألك بينة ؟

قال: لا

فقضى بها للنصراني فأخذ النصرانيُّ الدرعَ ومشى يسيراً ثم عاد وقال: أشهد أن لا اله الا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الدرعُ والله درعُك يا أمير المؤمنين.

واعترف أنَّ الدرع سقطت من علي عند مسيره الى صفين. ثم أسلم .

فقال عليه السلام: « أما اذا أسلمتَ فهي لك » وحمله على فرس.

قال صاحب الكامل: وشهد معه قتال الخوارج.(١)

وجاء جعدة بن هبيرة الى علي عليه السلام فقال: ياأمير المؤمنين، يأتيك الرجلان، إن أنت أحب الى أحدهما من نفسه - أو أهله وماله - والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك فتقضي لهذا على هذا؟

فلهَزَهَ علي عليه السلام وقال: «إن هذا شيءٌ لو كانَ لي فعلتُ، ولكن إنما ذا شيءٌ لله».(٢)

---

(١) الكامل في التاريخ ج٢ ص٤٤٣

(٢) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب ج٣ ص٢٠٠

الإمام الثاني

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

وُلد الإمام الحسن عليه السلام في المدينة المنورة في منتصف شهر رمضان عام ثلاث من الهجرة.

والده: عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام ووالدته: فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيته: أبو محمد.

وأشهر ألقابه: التقيّ والطيّب والزّكي والسيد والسبط والوليّ.

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأسماء بنت عميس وأُم سلمة عند ولادة الامام الحسن عليه السلام: «إحضَروا فاطمة فاذا وقع ولدُها واستهلَّ صارخاً فأذِّنا في أُذنه اليمنى، و أقيما في أذنه اليسرى، فإنه لا يُفعل ذلك بمثله إلّا عُصِم من الشيطان ولا تُحدثا شيئاً حتى آتيكما».

ثم ان النبي صلى الله عليه وآله قطع سُرَّته وحنّكه وأطعمه بريقه الشّريف، وضمّه الى صدره، ورفع يديه بالدعاء له قائلاً: «أللّهم: إني أُعيذه بك، وذريّته من الشيطان الرجيم»

ثم سمّاه حَسَناً، وَعقَّ عنه بكبش واحد، ووزَّع لحمه بين الفقراء.

ولم يُسرّ رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام علي والسيدة فاطمة عليهما السلام حسب بهذا المولود المبارك بل سُرّ به كل أعضاء البيت النبويّ.

لقد عاش الامامُ الحسن عليه السلام مدة سبع سنوات وأشهراً مع جده رسول الله صلى الله عليه وآله،

وآل اليه أمرُ الإمامة بعد والده علي عليه السلام وكان له من العمر ثلاثٌ وثلاثون سنة، واستمرت خلافته (من بعد استشهاد والده أميرالمؤمنين وإلى يوم مصالحته لمعاوية) مدة ستة أشهر وثلاثة أيام.

ففي السنة الواحدة والاربعين من الهجرة اضطُر الامامُ الحسن عليه السلام للتصالح مع معاوية ثم عاد إلى المدينة من الكوفة، ومكث في المدينة عشر سنوات ثم استُشهد في اليوم الثامن والعشرين من شهر صفر، عام خمسين هجرية.

وكان سبب وفاته عليه السلام أن معاوية أرسل مبلغ مائة ألف درهماً إلى جعدة بنت الأشعث الكندي(زوجة الامام) مع سُمّ قاتل لتسم به الامامَ، ووعدها بأن تزوجه من ابنه يزيد، وفعلت ماطلبه منها.[1]

حبُّ رسول الله صلى الله عليه وآله

يظهر من الأحاديث الوافرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يُكنّ حباً شديداً لابنته فاطمة الزهراء وولديه الحسن والحسين عليهما السلام ولطالما أظهر ذلك الحب.

فعن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **« مَنْ أحبَّ الحسنَ و الحسين فقد أحبّني، و من أبغضهما فقد أبغضني».**[2]

عن أبي بكرة، قال: بينما النبيُّ صلى الله عليه وآله يخطب إذ صعد إليه الحسن فضّمه إليه و قال: **«إنّ ابني هذا سيّد، و إنّ الله تعالى يُصلح به بين فئتين من المسلمين عظميتين.»**[3]

---

(١) إعلام الورى ج١ص٤٠٢-٤٠٣ ومناقب آل ابي طالب ج٤ ص٣٣، كشف الغمة ج٢ص١٤٠-١٤٤ بحار الأنوار ج٤٣ص٢٥٥

(٢) كشف الغمة ج٢ص١٥٣

(٣) كشف الغمة ج٢ص١٧٢

وعن أبي هريرة قال: مارأيت الحسن بن علي عليه السلام إلاّ فاضت عيناي دموعاً، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج ذات يوم فوجدني في المسجد، فأخذ بيدي فاتكأ عليَّ ثم انطلقت معه حتى جئنا سوق بني قينقاع فما كلمني فطاف ونظر ثم رجع ورجعت معه وجلس في المسجد، فاحتبى ثم قال: «أدعُ لي لكع».

قال: فأتى حَسَن يشتد حتى وقع في حجره فجعل يُدخل يده في لحية رسول الله صلى الله عليه وآله، وجعل رسول الله يفتح فمه في فمه ويقول: «أللهم أُحبه وأُحب من يحبُه» ثلاثاً.(١)

وقال أبو ذر الغفاري: أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله بحب الحسن والحسين فأحببتهما وأناأحب من يحبهما لحب رسول الله إياهما.(٢)

وقال سلمان الفارسي (المحمدي): سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في الحسن و الحسين عليهما السلام: «اللّهم! إني أحبهما فأحِبَّهما و أحبب من أحبَّهما».

و قال صلى الله عليه وآله: «من أحب الحسن و الحسين أحبَه، و من أُحبُّه أحبَه الله، و مَن أحبه الله أدخله الجنة، و من أبغضهما أبغضته، و مَن أبغضتُه أبغضه الله، و من أبغضه الله أدخله النار».(٣)

وهناك عشرات الاحاديث نظير ماأدرجناه ولقد اكتفينا بهذا القدر.

النصوص على إمامته

هناك أحاديث كثيرة صرح فيها رسول الاسلام الكريم صلى الله عليه وآله بإمامة الحسن والحسين عليهما السلام وقد أوصى الامام عليٌّ قبيل استشهاده -أيضاً- بإمامة ابنه

---

(١) كشف الغمة ج٢ ص ١٤٩

(٢) بحار الأنوار ج٤٣ ص ٢٦٩

(٣) بحار الانوار ج٤٣ ص ٢٧٥

الحسن عليه السلام.

فلقد قال النبي صلى الله عليه وآله حول الحسن و الحسين عليهما السلام: **«إبناي هذان إمامان قاما أوقعدا».**(١)

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **«أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عليٍّ عليه السلام وحده، و أوصى علي إلى الحسن والحسين جميعاً».**(٢)

وعن سليم بن قيس قال: شهدت أمير المؤمنين حين أوصى الى ابنه الحسن وأشهد على وصيته الحسين ومحمد وجميع ولده وروؤساء شيعته وأهل بيته، ثم دفع اليه الكتاب والسلاح وقال له: **«يابني أمرني رسول الله أن أوصي اليك وأدفع اليك كتبي وسلاحي كما أوصى اليّ ودفع إليّ كتبه وسلاحه».**(٣)

وعن شهر بن حوشب أن علياً حين سار الى الكوفة استودع أم سلمة كتبه والوصية، فلما رجع الحسن دفعتها اليه.(٤)

وقد قال محمد بن الحنفية للامام علي بن الحسين عليه السلام قد علمت ان رسول الله دفع الوصية والامامة الى امير المؤمنين ثم الى الحسن ثم الى الحسين.(٥)

وقال طارق بن شهاب: قال أمير المؤمنين عليه السلام للحسن و الحسين عليهما السلام: **«أنتما إمامان بعدي و سيدا شباب أهل الجنة و المعصومون. حفظكما الله و لعنة الله على مَن عاداكما».**(٦)

وكتب الفضل بن الحسن الطبرسي في كتابه (إعلام الورى) يقول: تواتر نقل

---

(١) إثبات الهداة ج ٥ ص ١٣٤

(٢) إثبات الهداة ج ٥ ص ١٢٦

(٣) إثبات الهداة ج ٥ ص ١٢٦

(٤) إثبات الهداة ج ٥ ص ١٢٢

(٥) إثبات الهداة ج ٥ ص ١٢٣

(٦) إثبات الهداة ج ٥ ص ١٣٣

الشيعة خلفاً عن سلف أن أمير المؤمنين علياً نص على ابنه الحسن بحضرة شيعته واستخلفه عليهم بصريح القول.[١]

وخطب الحسن في صبيحة الليلة التي قبض فيها أمير المؤمنين ثم قام عبد الله بن العباس فقال: معاشر الناس هذا ابن نبيكم ووصيُّ إمامكم فبايعوه. فتبادر الناس إليه بالبيعة له بالخلافة.[٢]

وعن أبي عبد الله الجدلي في حديث أنه قال: حضرت أمير المؤمنين عليه السلام وهو يوصي الحسن ثم ذكر الوصية.[٣]

و لما ضرب ابن ملجم المرادي أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**دعوني و أهل بيتي أعهد إليهم.**».

فقام الناس إلا قليل من شيعته. فحمدالله و أثنى عليه وقال: « **إني أوصى إلى الحسن والحسين فاسمعوا لهما وأطيعوا أمرهما فقد كان النبي نص عليهما بالإمامة من بعدي**».[٤]

وقال الأصبغ بن نباتة: إنَّ علياً عليه السلام لما ضربه الملعون ابن ملجم دعا بالحسن و الحسين فقال: «**إنّي مقبوض في ليلتي هذه فاسمعا قولي. و أنت يا حسن! وصيّي و القائم بالأمر بعدي. و أنت يا حسين! شريكه في الوصية، فأصمت و كن لأمره تابعاً مابقي. فإذا خرج من الدنيا، فأنتَ الناطق من بعده و القائم بالأمر عنه**».[٥]

---

(١) إثبات الهداة ج ٥ ص ١٣٣

(٢) إثبات الهداة ج ٥ ص ١٣٤

(٣) إثبات الهداة ج ٥ ص ١٣٧

(٤) إثبات الهداة ج ٥ ص ١٣٨

(٥) إثبات الهداة ج ٥ ص ١٤٠

عبادته

لقد نُقل عن كمال الدين بن طلحة أنه قسم العبادة الى ثلاثة انواع: بدنية ومالية ومركبة منهما.

فالبدنية كالصلاة والصوم وتلاوة القرآن وأنواع الذكر.

والمالية كالصدقات والصِلات والمبرّات.

والمركب منهما كالحج والجهاد والاعتمار.

وقد كان الحسن ضارباً في كل واحد من هذه الانواع بالقدح الفائز.

أما الصلاة والاذكار وما في معناهما فقيامه بهما مشهور، واسمه في أربابهما مذكور.

وأما الصدقات فقد صح النقل في ما رواه أبو نعيم بسنده في حليته أنه خرج من ماله مرتين، وقاسم الله تعالى ثلاث مرات، وتصدق به حتى أنه كان ليعطي نعلاً ويمسك نعلاً.

وأما العبادة المركبة فقد نقل الحافظ المذكور في كتابه: (حلية الأولياء) بسنده أنه قال «إني لأستحي من ربي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته، فمشى عشرين مرة من المدينة إلى مكة على رجليه وإن النجائب تُساق بين يديه».[1]

وجاء في التواريخ أنه كان الحسن أشبه الناس برسول الله ﷺ خلقاً وهدياً وسؤدداً.[2]

وروى الإمام الصادق عن أبيه وهو عن أبيه علي بن أبي الحسين عليهما

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ١٨١

(٢) كشف الغمة ج ٢ ص ١٤٢

السلام أنه قال: «كان الحسنُ بن علي بن أبي طالب كان أعبد الناس في زمانه وأزهدهم وأفضلهم وكان إذا حج حج ماشياً وربما مشى حافياً و كان اذا ذكر الموت بكى واذا ذكر القبر بكى وإذا ذكر البعث والنشور بكى وإذا ذكر الممر على الصراط بكى وإذا ذكر العرض على الله تعالى ذكره شهق شهقة يُغشى عليه منها وكان إذا قام في صلاته ترتعد فرائصه بين يدي ربه عزوجل وكان إذا ذكر الجنة والنار إضطرب اضطراب السليم وسأل الله الجنة وتعوذ به من النار، وكان لا يقرأ من كتاب الله عز وجل «يا أيها الذين آمنوا» إلاّ قال: اللّهم لبيك ولم يُر في شيء من أحواله إلا ذاكراً لله سبحانه وكان أصدق الناس لهجةً».[١]

وعن الرضا عن آبائه قال لما حضرت الحسن بن علي بن أبي طالب الوفاة بكى فقيل له: يابن رسول الله أتبكي ومكانك من رسول الله الذي أنت به وقد قال، فيك رسول الله ما قال، وقد حججتَ عشرين مرة ماشياً، وقد قاسمتَ ربك مالك ثلاث مرات حتى النعل والنعل ؟

فقال: أبكي لخصلتين؛ لهول المطّلع وفراق الأحبة».[٢]

وكان عليه السلام إذا بلغ باب المسجد رفع رأسه ويقول: إلهي ضيفك ببابك يامحسن قد أتاك المسيء فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك ياكريم.[٣]

وكان اذا فرغ من الفجر لم يتكلم حتى تطلع الشمس.[٤]

---

(١) بحارالأنوار ج ٤٣ ص ٣٣١

(٢) بحارالأنوار ج ٤٣ ص ٣٣٢

(٣) بحارالأنوار ج ٤٣ ص ٣٣٩

(٤) بحارالأنوار ج ٤٣ ص ٣٣٩

سخاؤه وإحسانه

قال الإمام أبوعبدالله الصادق عليه السلام: «إنّ رجلاً مرّ بعثمان بن عفان و هو قاعد على باب المسجد فسأله فأمر له بخمسة دراهم فقال له: أرشدني.

فقال له عثمان: دونك الفتية الذين ترى، و أومأ بيده إلى ناحية من المسجد فيها الحسن و الحسين و عبدالله بن جعفر عليه السلام فمضى الرجل نحوهم حتى سلّم عليهم و سألهم.

فقال له الحسن عليه السلام يا هذا إن المسألة لاتحلّ إلّا في إحدى ثلاث: دمٌ مفجع أو دَينٌ مقرح أو فقر مدقع، ففي أيها تسأل؟

فقال: في وجهٍ من هذه الثلاث، فأمر له الحسن عليه السلام بخمسين ديناراً، و أمر له الحسين عليه السلام بتسعة و أربعين ديناراً، و أمر له عبدالله بن جعفر بثمانية و أربعين ديناراً فانصرف الرجلُ، فمر بعثمان فقال له: ما صنعتَ؟

فقال: مررتُ بك فسألتك فأمرت لي بما أمرت و لم تسألني فيما أسأل و إن صاحب الوفرة لما سألتُه قال لي: يا هذا فيما تسأل فإن المسألة لاتحلّ إلّا في إحدى ثلاث، فأخبرته بالوجه الذي أسأله من الثلاثة فأعطاني خمسين ديناراً و أعطاني الثاني تسعةً و أربعين ديناراً، و أعطاني الثالث ثمانية و أربعين ديناراً.

فقال عثمان و من لك بمثل هؤلاء الفتية، أولئك فُطِموا العلم فَطماً، وحازوا الخير و الحكمة».[1]

و قال سعيد بن عبدالعزيز: و سمع رجلاً إلى جنبه عليه السلام في المسجد الحرام يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم فانصرف إلى بيته و بعث إليه بعشرة آلاف

(١) بحارالأنوار ج٤٣ ص٣٣٢

درهم.[١]

و وقف رجل على الحسن بن علي عليه السلام فقال يا ابن أميرالمؤمنين بالذي أنعم عليك بهذه النعمة التي ما تليها منه بشفيع منك إليه، بل إنعاماً منه عليك إلا ما أنصفتني من خصمي فإنه غشومٌ ظلومٌ لايوقر الشيخ الكبير و لايرحم الطفل الصغير.

وكان الاما م متكئاً فاستوى جالساً و قال له: من خصمُك حتى انتصِف لك منه؟

فقال له: الفقر.

فأطرق ساعة ثم رفع رأسه إلى خادمه و قال له: أحضر ما عندك من موجود فأحضر خمسةَ آلاف درهم فقال: ادفعها إليه.

ثم قال: «بحق هذه الأقسام التي أقسمتَ بها عليَّ متى أتاك خصمُك جائراً إلا ما أتيتني منه متظلماً».[٢]

وروى ابنُ عائشة أن شاميّاً رآه راكباً فجعل يلعنُه و الحسن عليه السلام لايرد فلما فرغ أقبل الحسن عليه السلام فسلم عليه و ضحك فقال: «أيها الشيخ أظنك غريباً و لعلك شبّهتَ فلو استعتبتَنا أعتبناكَ و لو سألتنا أعطيناكَ و لواسترشدتنا أرشدناك و لو استحملتنا أحملناكَ وإن كنتَ جائعاً أشبعناكَ و إن كنتَ عرياناً كسوناكَ و إن كنتَ محتاجاً أغنيناكَ و إن كنتَ طريداً آويناكَ و إن كان لك حاجة قضيناها لك فلو حرّكت رَحلك إلينا و كنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعودَ عليك لأن لنا موضعاً رحباً و جاهاً عريضاً و مالاً كثيراً».

---

(١) بحارالأنوار ج٤٣ ص٣٤٢

(٢) بحارالأنوار ج٤٣ ص٣٥٠

فلما سمع الرجل كلامه بكى ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه، اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ، وكنت أنت و أبوك أبغضَ خلق الله إليّ و الآن أنتَ أحبّ خلق الله إليّ و حوّل رَحله إليه و كان ضيفه إلى أن ارتحل و صار معتقداً لمحبتهم.(١)

الامام الحسن بعد والده

استُشهد الامام علي عليه السلام ليلة الحادي عشر من شهر رمضان من عام أربعين هجرية.

ودُفن ليلاً ومن دون علم الناس بناءً على وصيته عليه السلام ثم خطب ابنُه الحسن عليه السلام صبيحة ذلك اليوم في الناس، و بعد الحمد والثناء على الله تعالى اخبرهم بوفاة والده وأشار الى بعض مناقبه وفضائله، وبكى الناس ايضاً وتحدث عن فضائل أهل البيت كذلك، ثم نزل عن المنبر وجلس على الارض، وهنا قام عبد الله بن عباس وقال: معاشر الناس هذا ابن نبيكم ووصي إمامكم فبايعوه.

فاستجاب له الناسُ وبايعوا الامام الحسن عليه السلام ومنذئذ شغل مسند الخلافة عملياً، فرتب العمال وأمّر الأُمراء و نصب ولاةً جدداً، وأنفذ عبد الله بن عباس الى مكان عمله (البصرة).

ولما بلغ معاوية -الذي أقام حكومة قوية في الشام- موتُ أمير المؤمنين علي عليه السلام ومبايعة الناس للحسن عليه السلام قام بمعارضة الامام فأنفذ جاسوسين مجرّبين من جواسيسه الى الكوفة والبصرة ليطلعاه على الاخبار هناك ويفسدا على الامام الحسن أمره، فعرف الامام بهما وأمر بالقبض عليهما وقتلهما، فوراً، ثم كتب كتاباً الى معاوية اعترض فيه على عمله.

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٣٤٤

ثم جرت مكاتبات بين الامام عليه السلام وبين معاوية بعد ذلك، وقدذكر الامام في رسائله اليه - بعد الاشارة الى فضائله - بأولويته بالحكم وشغل مسند الخلافة.

و لم يكن معاوية - الذى دأب سنيناً عديدة على معارضة حكومة الامام عليٍّ الحقة والشرعية والمنع من استقرارها واتساع رقعتها- ليصغي الى ما يقوله الإمام الحسن عليه السلام ويخضع للحق، بل قد عزم على ان يناهض حكومة الحسنَ الفتية الناشئة، ويزحزحه عن ميدان السياسة بكل وسيلة ممكنة ومهما بلغ الثمن، ولهذا توجه على رأس جيش عظيم نحو الكوفة.

ولما سمع الامام الحسن بذلك اضطُر لدفع جيش معاوية الى إعداد جيش والتحرك صوب معاوية وبعد اعلان الحرب أمر حجر بن عديٍّ بأن يعبِّىء الناس للقتال، ويتوجه الى ساحة الحرب، ولكن أكثر الناس - وللأسف - أحجموا عن نصرة الامام والخروج للقتال، فلم يتوفر نتيجة ذلك العددُ اللازم من الرجال الذين كان الامام يحتاج اليهم لمواجهة معاوية وجيشه الكبير جداً.

إلا أن الأسوأ من ذلك هو ان هذاالعدد القليل هو الآخر لم يكن يتصف بالتناسق والتجانس والوحدة الفكرية والانسجام فى الهدف والغاية .

فقد قسّم أحد المحققين جيش الامام الحسن عليه السلام على النحو التالي:

١- من كانوا من شيعته وشيعة أبيه عليهما السلام.

٢- من كانوا على عقيدة الخوارج الذين كانوا أعداءً لمعاوية و يؤ ثرون قتاله بكل حيلة ، لا بهدف الدفاع عن حكومةالامام الحسن عليه السلام.

٣- من كانوا أصحاب طمع في الغنائم.

٤- من كانوا شُكّاكاً.

٥ - من كانوا أصحاب عصبية وطاعة لرؤساء قبائلهم، ولا يرجعون إلى

دين.[١]

وعلى كل لم يكن للامام الحسن عليه السلام من بُدّ من أن يتوجه مع مثل هذا الجيش لمواجهة العدو، ويسعى لدفعه ومقاومته.

فعمد إلى تنظيمه وترتيبه، فوجّه أوّلاً أربعة آلاف منهم بقيادة رجل من بني كندة إلى الانبار وقال له: لا تفعل شيئاً حتى يأتيك أمري.

ولقد استفاد معاوية من حيلته الدائمية وسلاحه النافذ اذ بعث بمبلغ خمسمائة ألف دينار الى قائد جيش الامام الحسن عليه السلام وطلب منه أن يعتزل القتال، ويلتحق به، فاستلم الرجل الكندي المال والتحق مع مائتين من رجاله بمعاوية.

ولما بلغ الحسن ذلك تأسف وأمّر على الجيش قائداً آخر (من قبيلة مُراد) مكانه، فاشتراه معاوية بالمال أيضاً، بخمسمائه درهم، و وعده بإمارة إحدى محافظاته بعد القتال، فأخذ هو الآخر المال والتحق بصاحبه.

ولقد تعرض عددٌ آخر من اصحابه لحيلة معاوية وتطميعه بالمال والتحقوا به أيضاً مثل عبيد الله بن العباس.

ولقد كتب جمعٌ من روساء القبائل الكوفية الى معاوية سراً قائلون له بعد ان استحثوه للتوجه اليهم: نحن معك وانا مُسْلموه اليك، أو قاتلوه ان شاء.

مصالحة معاوية

عندما كان الامام الحسن عليه السلام مع جيشه البالغ أربعة آلاف في (ساباط) أرسل معاوية مابعث به أهل الكوفة ورؤساء القبايل بها اليه وكتب اليه قائلاً: يا ابن عمّ لاتقطع الرحِم الذي بينك و بيني فإن الناس قد غدروا بك و بأبيك من قبلك، فقالوا:

(١) كشف الغمة ج٢ ص ١٦٤ - ١٦٥

إن خانك الرجلان و غدروا بك فإنا مناصحون لك.

ثم اقترح الصُلح وأبدى استعداده له .

ولقد كان الامام الحسن عليه السلام يراقب بدقة أوضاع جنوده ويدرس أحـوالهـم باستمرار، وكان على علم بخيانة بعض قادتهم والتحاقهم بمعاوية و مطلعاً عـلى عدم وفاء أهل الكوفة وخلافاتهم الفكرية وأهدافهم المختلفة فأحس عليه السلام في مثل هذه الظروف ان مواصلة القتال لا ينطوي إلا على مصرع جمع كبير من المسلمين، وينتصر معسكر العدو في المآل وسيواصل مضايقته وأذاه للشيعة بصورة أشـد، واكثر قسوة، على ان المصالحة ليست هي الأخرى أمراً سهلاً.

فقرر الامام عليه السلام أن يختبر أصحابه ويقف على حقيقة رأيهم من خلال خطبة يلقيها فيهم، فدعا الناس الى الاجتماع وخطب فيهم وذكر أُموراً.

فلم ترق هذه الخطبة لجماعة من الحضور، وظنوا أن الامام يريد مصالحة معاوية وتسليم الأمر اليه!!.

فقامت جماعة غاضبة وصاحت: ألله اكبر أشركتَ ياحسن،كما أشرك أبوك، ثم شدوا على فسطاطه فانتهبوه حتى أخذوا سجادته من تحته، ثم شدوا عـليه واخذوا عباءته من عاتقه.

ولما رأى أن حياته في خطر، اضطر الى ركوب فـرسه لـينجو بـنفسه مـن الموت، واحاط به جماعة من شيعته وخواص أصحابه، ليحافظوا عليه من كـيد الأعداء المتظاهرين في صورة الاصدقاء.

وفي جنح الظلام وفيما كان قدانقضى ردحٌ من ليل ساباط هـاجمه رجـل فجأة وطعنه بخنجر في فخذه عليه السلام أحدث فيه جرحاً عـميقاً فسـاعده مـرافـقوه وأنقذوه من شر ذلك الرجل الخبيث ومساعديه وأخذوه الى المدائن، ونزلوا في بيت أحد الشيعة من ولاته وأخذوا في معالجته.

وعلى أثر هذه الإساءات وارتكاب مثل هذه الإهانات وقف الإمام الحسن على وضع جنوده بصورة أفضل، فكيف يمكن قتال العدو بجيش فيه أشخاص مثل هؤلاء يكفّرون قائدهم الأعلى ويسبونه، ويبيحون دمه وينهبون أمواله، وينتصر عليهم.؟

أم هل يمكن الاعتماد على مثل هذا الجيش غيرالمخلص وغير الخالص؟

في هذا الوقت بعث معاوية الى الامام الحسن بكتب أُرسلت إليه من قِبل بعض رؤساء القبائل من أصحابه وفيها أنهم يضمنون تسليمه الى معاوية او يفتكوا به، وكتب اليه: أبمثل هؤلاء تريد قتالي، فمن مصلحته ومصلحة الامة تجنيب الامة الحرب والدخول معه في الصلح، وأنه يقبل أي شرط يشترطه الامام عليه، وأنه سيفي بها جميعاً.

ومع ان الامام كان عارفاً بمكر معاوية وحيله لم يكن له بدٌّ من قبول هذا الاقتراح.

لقد كان الامام الحسن عليه السلام يعلم جيداً انه لا يمكنه الغلبة على جيش معاوية بمن كان معه من الجنود فمن الأفضل ان يقبل بالصلح حقناً للدماء، وحفظاً للنفوس.

ولذا اعلن عن استعداده للصلح واشترط الامور التالية:

١- أن لا يسمي معاوية نفسه بأمير المؤمنين.

٢- أن لا يطلب منه الحضور عنده للشهادة.

٣- أن يؤمن شيعة علي عليه السلام ولا يتعرض لأذاهم في كل مكان.

٤- ان يوزع الف الف درهم بين أبناء الشهداء الذين استُشهدوا في وقعة الجمل وصفين في جيش عليّ عليه السلام.

٥- أن يعمل بكتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وآله و سيرة الخلفاء الصالحين.

٦- ليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحدٍ من بعده عهداً، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين.

٧- أن لا يبغي للحسن بن علي و لا يكيد له، ولأخيه الحسين عليه السلام و لا لأحدٍ من أهل بيت رسول الله ﷺ غائلة سراً و لا جهراً، و لا يخيف أحداً منهم في أُفق من الآفاق.

وهكذا تم تنظيم وثيقة الصلح هذه والتوقيع عليها من الطرفين.

ولكن معاوية لم يف بالتزامه وتعهده بالعمل طبق تلك الوثيقة بل كشف عن سوء نيته وخيانته فهو عندما نزل (النخيلة) قال بعد الصلاة جماعة - في خطبته -: إني و الله ماقاتلتُكم لتصلُّوا و لاالتصوموا و لا لتحجُّوا و لا لتزكوا إنكم لتفعلون ذلك، و لكني قاتلتُكم لأتأمَّر عليكم، و قد أعطاني الله ذلك و أنتم له كارهون، ألا و إني كنتُ منّيتُ الحسن و أعطيته أشياء و جميعها تحت قدمي لاأفي بشيىء منها له!!.[1]

(١) بحارالأنوار ج ٤٤ ص ١-٦٩ وكشف الغمة ص ١٦٤-١٦٩ ومناقب آل ابي طالب. ج ٤ ص ٣٦-٤٠

الإمام الثالث

الإمام الحسين عليه السلام

وُلد الإمامُ الحسين عليه السلام فى المدينة في اليوم الثالث أو الخامس من شهر شعبان من السنة الرابعة للهجرة النبوية الشريفة.

والده: عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

و أُمّه: فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله

كنيته: أبوعبدالله وكان من ألقابه الرضيّ و الرشيد و الطيّب و السيّد و السبط و الوفيّ و المبارك.

ولقد نزل جبرئيلُ على رسولِ الله صلى الله عليه وآله ليهننه بميلاده من جانب الله تعالى طالباً منه أن يسمّيه (حسيناً) وقد أذّن النبي صلى الله عليه وآله في أُذنه اليمنى وأقام في أُذنه اليسرى. وعقَّ عنه في اليوم السابع من ولادته بكبشين، و فرّق لحمهما على الفقراء و المساكين.

عاش الإمام الحسين - حسب بعض الأقوال - ستاً و خمسين سنة، و أشهراً، ستة أعوام و أشهراً قضاها مع جده رسول الله صلى الله عليه وآله و ثلاثين سنة بعد جده مع والده علي عليه السلام و عشر سنوات بعد والده مع أخيه و عشر سنوات بعد أخيه .

و قد استُشهد عليه السلام في يوم عاشوراء عام ٦١ هجرية في كربلاء و دفن جثمانه

الطاهر في نفس تلك الارض، التي استُشهِد فيها.[١]

النصوص على إمامته

لإثبات إمامة الامام الحسين عليه السلام يمكن الاستفادة من الأدلة العامّة التي أشرنا إليها في مجال الإمامة مضافاً إلى الأحاديث المتضافرة التي صرّح بها رسولُ الله صلى الله عليه وآله بإمامة الحسَن و الحسين عليهما السلام.

فقد قال النبي صلى الله عليه وآله للحسن الحسين عليه السلام: «هذان ابناي إمامان قاما أو قعدا».[٢]

هذا مضافاً الى أن الامام الحسن عليه السلام عرَّف به على أنه الامام من بعده وذلك قبيل وفاته عليه السلام.

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال – في حديث – لما حضَرت الحسنُ الوفاة دعا محمدَ بن علي – يعنى ابن الحنفية فقال له – بعد كلام: «يا محمد بن علي أما علمتَ أن الحسين بن علي بعد وفاة نفسي و مفارقة روحي جسمي، إمامٌ من بعدي و عند الله في الكتاب، وراثة من النبي أضافها الله عزوجل له في وراثة أبيه و أُمه فعلم الله أنكم خيرة خلقه فاصطفى منكم محمداً واختار محمد صلى الله عليه وآله علياً و اختارني عليٌّ للامامة و اخترتُ أنا الحسينَ».

فقال له محمد بن الحنفية: أنت إمامي و سيدي و أنت وسيلتي إلى محمد صلى الله عليه وآله[٣]

وكتب علي بن يونس العاملي في كتابه – الصراط المستقيم –: لقد نص

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٠٠ – ٢٠١ وكشف الغُمة ج ٢ ص ٢١٦ – ٢٥٢ وإعلام الورى ج ١ ص ٢٤٠ ومطالب السُؤول ج ٢ ص ٤٩ و ٥١ و ٧٠

(٢) إثبات الهداة ج ٥ ص ١٣٤ – ١٧١

(٣) إثبات الهداة ج ٥ ص ١٦٩ وبحار الأنوار ج ٤٤ ص ١٧٤

أمير المؤمنين عليه السلام على الحسين عليه السلام كما مر في الحسن عليه السلام ثم قال: و روتِ الشيعةُ أن الحسن عليه السلام أوصى إلى أخيه الحسين عند وفاته و دفع إليه مواثيق النبوة و عهود الإمامة و دل شيعته على استخلافه، و نصبه لهم علماً من بعده و ذلك مشهور لاخفاء به.(١)

و كتب المسعودي في كتابه إثبات الوصية يقول: ان الحسن لما اعتل دخل عليه أخوه ابوعبدالله عليه السلام ثم جرى بينهما كلام الى أن قال: ثم أوصى اليه و سلّم اليه الاسم الأعظم و مواريث الأنبياء و الوصيّة التي كان أمير المؤمنين عليه السلام سلّمها اليه.(٢)

و قال محمد بن الحنفية لعلي بن الحسين عليه السلام: يا ابن أخي قد علمتَ أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان جعل الوصية و الامامة من بعده لعلي بن أبي طالب عليه السلام ثم إلى الحسن ثم إلى الحسين.(٣)

فضائل الإمام الحسين عليه السلام

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حسينٌ منّي و أنا من حسينٌ أحبَّ الله من أحب حسيناً حسينٌ سبط من الأسباط».(٤)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أحب أن ينظر إلى أحب أهل الأرض إلى السماء فلينظر إلى الحسين».(٥)

(١) إثبات الهداة ج ٥ ص ١٧٣
(٢) إثبات الهداة ج ٥ ص ١٧٤
(٣) إثبات الهداة ج ٥ ص ١٧٠
(٤) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٦١
(٥) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٩٧

وروى حذيفة عنه ﷺ انه قال: «الحسينُ أُعطيَ من الفضل ما لم يُعط أحد من ولد آدم ما خلا يوسف بن يعقوب».[1]

وقال حذيفة بن اليمان أيضا: رأيتُ النبي ﷺ آخذاً بيد الحسين بن علي عليه السلام وهو يقول: «يا أيها الناس هذا الحسينُ بن علي فاعرفوه فو الذي نفسي بيده إنه لفي الجنة و محبُّوه في الجنة ومحبُّو محبيه في الجنة».[2]

وقال رسولُ الله ﷺ: «الحسنُ والحسينُ خيرُ أهل الأرض بعدي وبعد أبيهما، وأُمُّهما أفضل نساء أهل الأرض».[3]

وقال ابن عمر: قال رسول الله ﷺ عن الحسن و الحسين: «هما ريحانتاي من الدنيا».[4]

وقال رسول الله ﷺ «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة و أبوهما خيرٌ منهما».[5]

عبادته

روي أنه قيل للحسين عليه السلام: ما أعظم خوفَك من ربِّك؟

قال: لا يأمن يوم القيامة إلا من خاف الله في الدنيا.[6]

ويقول عبيد الله بن عباس: لقد حج الحسين بن علي عليه السلام خمسة وعشرين حجة ماشياً و إن النجائب لتقاد معه.

---

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص٣١٦
(٢) بحار الأنوار ج٤٣ ص٢٦٢
(٣) بحار الأنوار ج٤٣ ص٢٦٤
(٤) بحار الأنوار ج٤٣ ص٣١٦
(٥) بحار الأنوار ج٤٣ ص٢٤٦
(٦) بحار الأنوار ج٤٣ ص١٩٢

وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام: ما أقل وُلد أبيك؟

فقال: «العَجبُ كيفَ وُلدتُ؟ كان يُصلي في اليوم و الليلة ألفَ ركعة».[1]

يقول الراوي: رأيت الحسن والحسين عليهما السلام يمشيان الى الحج فلم يمرا برجل راكب إلا نزل يمشي فثقل ذلك على بعضهم فقالوا لسعد بن أبي وقاص: قد ثقل علينا المشي ولا نستحسن أن نركب وهاذان السيدان يمشيان.

فقال سعد للحسن عليه السلام: «يا أبامحمد إن المشي قد ثقل على جماعة ممن معك والناس إذا رأوكما تمشيان لم تطب أنفسُهم أن يركبوا فلو ركبتما؟

فقال الحسن عليه السلام: لانركبُ، قد جعلنا على أنفسنا المشيَ إلى بيت الله الحرام على أقدامنا، ولكنا نتنكب عن الطريق».

ثم أخذا جانباً من الناس.[2]

إحسانه وسخاؤه

دخل الحسين عليه السلام على أُسامة بن زيد ذات يوم – و هو مريضٌ – و هو يقول: واغماه.

فقال له الحسينُ عليه السلام: «و ما غمُّك يا أخي؟»

قال: دَيني و هو ستون ألف درهم.

فقال الحسن عليه السلام: «هو عليَّ».

قال: إني أخشى أن أموت.

فقال الحسين: «لن تموتَ حتى أقضيَها عنك».

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ١٩٢

(٢) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٧٦

قال: فقضاها قبل موته.[١]

و عن شعيب بن عبدالرحمن الخزاعي قال: وُجد على ظهر الحسين بن علي يوم الطف أثر فسألوا زين العابدين ﷺ عن ذلك.

فقال: هذا مما كان ينقل الجِراب على ظهره الى منازل الأرامل واليتامى والمساكين.[٢]

و روي عن الحسين بن علي ﷺ أنه قال: **«صحّ عندي قول النبي ﷺ أفضل الأَعمال بعد الصلاة إدخال السُّرور في قلب المؤمن بما لا إثم فيه، فإني رأيت غلاماً يؤاكل كلباً فقلت له في ذلك».**

فقال: يا ابن رسول الله إني مغموم أطلب سروراً بسروره لأَن صاحبي يهوديٌّ أريد أن أُفارقه.

فأتى الحسين ﷺ إلى صاحبه بمائتي دينار ثمناً له.

فقال اليهوديُّ: الغلامُ فداء لخطاك و هذا البستان له و رددت عليك المالَ.

فقال ﷺ: و أنا قد وهبتُ لك المال.

قال: قبلتُ المال و وهبتُه للغلام.

فقال الحسين ﷺ: أعتقت الغلامَ و وهبتُه له جميعاً.

فقالت امرأته: قد أسلمتُ و وهبت زوجي مهري.

فقال اليهوديُّ: و أنا أيضا أسلمتُ و أعطيتها هذه الدار.[٣]

و قال أنس: كنت عند الحسين بن علي ﷺ فدَخَلت عليه جاريةٌ فحيّته بطاقة ريحان فقال لها: أنت حرة لوجه الله.

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ١٨٩

(٢) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ١٩٠

(٣) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ١٩٤

فقلت له في ذلك.

فقال: كذا أدبنا الله تعالى قال تعالى: ﴿و إذا حُيِّيتُمْ بِتَحيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أوردُّوها﴾ و كان أحسن منها إعتاقها.[١]

هذا وقد جنى غلامٌ له جناية توجب العقاب عليها فأمر به أن يُضرب فقال: يا مولاي ﴿وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾.

قال: خلوا عنه فقال: يا مولاي ﴿وَالْعافِينَ عَنِ النّاسِ﴾ قال: قد عفوت عنك قال: يا مولاي ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمحسِنِينَ﴾.

قال: أنتَ حرٌّ لوجه الله و لك ضعفُ ما كنتُ أعطيك.[٢]

وروي أن أعرابياً جاء إلى الحسين بن علي عليه السلام فقال: يا ابن رسول الله قد ضمنتُ ديّة كاملة وعجزت عن أدائها، فقلت في نفسي: أسأل أكرم الناس و مارأيت أكرم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال الحسين: « يا أخا العرب أسألك عن ثلاث مسائل فإن أجبتَ عن واحدة أعطيتُك ثلث المال، و إن أجبتَ عن اثنتين أعطيتك ثلثي المال، و إن أجبتَ عن الكل أعطيتك الكلّ ».

فقال الأعرابي: يا ابن رسول الله يُسأل مثلي و أنتَ من أهل العلم و الشرف.

فقال الحسينُ عليه السلام: « بلى سمعتُ جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: المعروف بقدر المعرفة ».

فقال الأعرابي: سل عما بدالكَ فإن أجبتُ و إلاّ تعلمتُ منك و لاقُوَّةَ إلّا بِاللهِ.

فقال الحسينُ عليه السلام: « أيُّ الأعمال أفضل؟ »

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ١٩٥

(٢) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ١٩٥

فقال الأعرابي: الإيمانُ بالله.

فقال الحسين عليه السلام: «**فما النجاة من المهلكة؟**»

فقال الأعرابي: الثقة بالله.

فقال الحسين عليه السلام: «**فما يزيّن الرجلَ؟**»

فقال الأعرابي: علمٌ معه حِلم.

فقال: «**فإن أخطأه ذلك؟**»

فقال: مالٌ معه مروءة،

فقال: «**فإن أخطأه ذلك؟**»

فقال: فقرٌ معه صبرٌ.

فقال الحسين عليه السلام: «**فإن أخطأه ذلك؟**»

فقال الأعرابي: فصاعقةٌ تنزل من السماء و تحرقه فإنه أهلٌ لذلك.

فضحك الحسينُ عليه السلام و رمى بصرة إليه فيه ألف دينار و أعطاه خاتَمَه و فيه فُص قيمته مائتا درهم و قال: «**يا أعرابي إعطِ الذهبَ إلى غرمائك و اصرف الخاتم في نفقتك**».

فأخذ الأعرابي و قال: ﴿**اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ**﴾.[1]

الإمام الحسين بعد وفاة أخيه

إستُشهد الإمام الحسن عليه السلام في اليوم الثامن و العشرين من شهر صفر من عام ٤٩ هجرية، و منذ ذلك الحين وصَلَت الإمامة و الخلافة إلى الإمام الحسين عليه السلام بصورة رسميّة – حسب النصوص والوصايا عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله و أبيه عليّ بن

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ١٩٨

أبي طالب عليه السلام و أخيه الحسن بن عليّ عليه السلام و كان على الناس أن يقوموا بتهيئة الأرضية المناسبة لتحقيق خلافته و إقرار حاكميته في المجتمع، و لكن لم يحصل مثل هذا عمليّاً بسبب دعايات معاوية الواسعة ضدّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام و بني هاشم من جهة، وبسبب نفوذ السلطة الطاغوتية الغاشمة لمعاوية في البلاد الإسلامية من جهة أُخرى، هذا مضافاً إلى ماقام به معاوية من إنفاق واسع للأموال، لشراء الضمائر، و جذب الشخصيّات الإجتماعيّة الكبرى مما ولّد رعباً واسعاً في أوساط الناس، إلى درجة أنه لم يجرؤ أحد على مخالفته، ومعارضته، ص بالإضافة إلى ما كان بين الإمام الحسن عليه السلام و بين معاوية من معاهدة صُلح تنص على أن لا يستخلف الأخير أحداً من بعده، ولا يتخذ وليَّ عهدٍ له، بل يترك الناس أحراراً في اختيار الخليفة من بعده.

وقد شكل الأمرُ الأخير نافذة أمل لمؤيّدي البيت العَلَويّ.

بالنظر إلى هذه النقاط رأى الامام الحسين عليه السلام أن من صلاح الإسلام و المسلمين أن يلتزم بعهد أخيه، ويحجم عن أية حركة حادّة و أية مبادرة عنيفة لاستنقاذ حقه المشروع في الخلافة ريثما تتوفر الظروف المناسبة، و لهذا امتنع من الاستجابة لاقتراح جماعة من شيعة العراق الداعي الى خلع معاوية وعزله عن الحكم، و النهوض لاستلام زمام الخلافة و القيادة و الحكومة.

ولقد بقي الامام الحسين عليه السلام على هذا المنوال مدّة عشر سنوات، حتى مات معاوية في منتصف شهر رجب من عام ٦٠ هجرية.[١]

وبَعد أن مات معاوية توفّرت ظروفٌ جديدة واستجدت أوضاع مناسبة أولدت أملاً لدى الإمام الحسين عليه السلام ومؤيّدي الحكومة العَلَويّة، بحيث أحسّوا في

---

(١) أُسد الغابة ج ٤ ص ٣٨٧ والإرشاد ج ٢ ص ٣٢

ظلّها بأن ظروف الثورة على الحكومة الأُمويّة، وإقـامة حكـومةٍ عـلويةٍ عـلى أنقاضها قد تهيّأت إلى حدّ ما، وهذه الاسباب هي:

أولاً: ان المدة المقررة لمعاهدة الصُلح بين الإمام الحسن عليه السلام و معاوية قد انتهت، ولم يعد هناك مبرر للالتزام بها.

ثـانياً: ان معاوية تعهد في عقد الصلح أن لا يستخلف من بعده أحداً، و لكنه لم يعمل بهذا البند، وأقدم على استخلاف ابنه يزيد، وقد عرف كثيرٌ من الناس بتخلّفه هذا، وكانوا غير راضين به.

ثالثاً: إنّ معاوية تعهّد أن لا يحمل الناس على سبّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام و لم يتحقق هذا الأمر.

رابـعاً: إنّ معاوية تعهّد أن يعمل بالكتاب و السُنّة، و لكنه عـمل عـلى خلاف ذلك.

خامساً: ان يزيد الذي استخلفه معاوية كان غلاماً قليل التجربة، معروفاً بالفسق والفجور، و شارباً للخمر، ومثل هذا كان غير صالح لأن يـتصدى لمـقام الخلافة و يكون خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله.

ولاجل هذا كان الإمامُ الحسين عليه السلام يرى مبايعته ليزيد هذا، وتأييد حكومته أمراً غير صحيح مطلقاً.

حادثة عاشوراء

تُعتبر حادثة عاشوراء من أفجع حوادث التاريخ الاسـلامي، بـل تـاريخ البشرية على الإطلاق، اذ كانت فريدة في نوعها.

ففي هذه الفاجعة قُتل الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء و هو ابن رسول الله و نبيّ الاسلام صلى الله عليه وآله – رغم كل تلك التوصيات التي وردت في حقه – كما قُتل أيضاً جمع

من أبنائه و إخوانه، وأبناء إخوته و أبناء عمومته و جمع آخر من اقربائه و عشيرته، وأنصاره و أصحابه، على يد من كان يعتبر نفسه خليفة رسول الله ﷺ وأيدي جنود كانوا يعتبرون أنفسهم مسلمين وأتباعاً لذلك النبي الكريم، بأفضع طريقة و في مذبحة جد قاسية سوَّدت وجه التاريخ البشريّ.

إن دراسة هذه الحادثة المرّة، خطوةٌ ضروريةٌ لمعرفة الإمام الحسين عليه السلام إلا أن الدراسة التفصيلية لهذه الحادثة تحتاج إلى كتاب مفصّل غير مُيَسرّ لنا - في الوقت الحاضر - ولكننا نسعى إلى أن نشير هنا إلى أبرز و أهم الأحداث في هذه الواقعة.

إحضار الإمام الحسين إلى دار الإمارة

بعد أن تربع يزيد على مسند الخلافة بعد موت أبيه معاوية، كتب كتاباً إلى الوليد بن عتبة والي المدينة أن: خذ البيعة لي من الحسين بن علي كيفما كان.

فلما وصلت هذه الرسالة إلى الوليد استدعى الامام الحسين عليه السلام إلى مكان إمارته وحكمه، وبعد أن أخبره بموت معاوية طلب منه أن يبايع يزيداً، فاستمهله الإمامُ عليه السلام لينظر في الأمر. فقبل الوليد اقتراح الإمام عليه السلام ثم غادر دار الإمارة وهو عازمٌ على عدم مبايعة يزيد، وعدم تاييد حكومته، لأنه لم يره صالحاً، ولا مؤهّلاً لهذا المنصب.

وفي يوم آخر التقى مروان بن الحكم الأمامَ الحسين عليه السلام في أثناء الطريق في المدينة فقال له: إني لك ناصح فأطعني ترشد.. إني آمرك ببيعة يزيد أمير المؤمنين، فإنه خيرٌ لك في دينك و دنياك!!

فرد عليه الامام الحسين عليه السلام قائلاً: «إنا لله و انا اليه راجعون و على الاسلام

السلام اذ قد بُليت الأُمة براعٍ مثل يزيد ... و لقد سمعتُ جدّي رسولَ الله ﷺ يقول: الخلافةُ محرَّمةٌ على آل أبي سفيان».[١]

ثم ان الوليد حاكم المدينة استدعى الامام الحسين عليه السلام إلى دار الإمارة في يوم آخر، و أصرّ عليه ناصحاً بأن يبايع يزيداً فاستمهله الإمام ثانية و خرج من دارالإمارة.

لقد كان الحسين عليه السلام عازماً على ان لا يبايع يزيداً، ولهذا رأى أن من الصالح أن يخرج من المدينة، ولا يبقى فيها، فعلم أخوه محمدُ بن الحنفية بعزم أخيه الحسين هذا، فقال له: إن كنتَ لاتريد ان تبايع يزيداً ولاتهاجر إلى غيرها فانزل بمكّة أو اليمن.

فقال له الحسين عليه السلام: **يا أخي! والله لو لم يكن لي ملجأ و لا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية.**[٢]

وصيّة الإمام و الخروج من المدينة

قال الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية: **أنتَ يا أخي فلا عليك أن تُقيم بالمدينة فتكون لي عيناً لاتخفي عني شيئاً من أمورهم.**

ثم دعا عليه السلام بدواة و بياض و كتب هذه الوصية لأخيه محمد: **بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمداً عبده و رسوله جاء بالحق من عند الحق و أن الجنة و النار حق و ﴿أنَّ السّاعَةَ آتِيَةٌ لارَيْبَ**

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٢٦

(٢) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٢٩

فيها ﴾ وَ ﴿أَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ و أني لم أخرج أشِراً ولابطِراً ولامفسداً و لاظالماً و إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ أريد أن آمر بالمعروف و أنهى عن المنكر و أسير بسيرة جدي و أبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن ردَّ علي أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين، وهذه وصيتي يا اخي اليك وما توفيقي الا بالله عليه توكلتُ وإليه أُنيب ».[1]

وبعد أن ودّع الإمامُ الحسين عليه السلام قبرجدِّهِ رسول الله ﷺ وأُمّه فاطمة وأخيه الإمام الحسن صلوات الله عليهم أجمعين خرج من المدينة المنورة في منتصف الليلة الثالثة من شهر شعبان أو في ٢٨ رجب سنة ستين من الهجرة النبوية قاصداً مكة المكرمة.

وقد رافقه في هذا السفرعائلتُه وأبناؤه وإخوته، وأبناءُ إخوته وأخواته، وأبناء أخته وبنو عمومته، وأكثر أهل بيته.

وكانت قافلةُ الحسين عليه السلام تتحرك بسرعة حتى وصلت إلى مكة بعد أيام قلائل، و سكنت هناك، وكان عبدالله بن الزبير قد نزل بمكة قبل ذلك، و لجأ إلى الحرم المكّي ، وكان يتوقع أن يبايعه المسلمون، و لهذا انزعج من دخول الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة ، لأنه كان يعلم أن لاأحد يبايعه على الخلافة مع وجود ذلك الإمام العظيم.

ولماعلم أهلُ مكة، وزائرو البيت المعظم بقدوم الإمام الحسين عليه السلام الى مكة أخذوا يتوافدون عليه ، ويزورونه في منزله .

ومكث الإمامُ الحسين عليه السلام في مكة طوال شهر شعبان و رمضان و شوال و ذي

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٢٩

القعدة و ثمانية أيام من شهر ذي الحجة ينتظر الحوادث المقبلة.

دعوة الكوفيين للإمام الحسين

خلال هذه الفترة، عرف أهلُ الكوفة بموت معاوية و استخلافه لولده يزيد، و بعد أن بلغهم أن الإمام الحسين عليه السلام امتنع من مبايعة يزيد، و هاجر إلى مكة، اجتمعوا في منزل أحد الشيعة، و تشاوروا فيما بينهم حول دعوة الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق و نصرته، و اتفقوا في نهاية الحوار على أن يدعو الإمام إلى الكوفة، و يعاونوه في تأسيس حكومته و اقامة دولته.

وبعد اتخاذ هذا القرار عمدوا إلى كتابة رسالة إلى الإمام عليه السلام جاء فيها: إنه ليس علينا إمام، فأقبِل إلينا لعلَّ الله أن يجمعَنا بك على الحق.

ثم وقّعوا على تلك الرسالة و ختموها بأختامهم ووجهوها على يد جماعة من الشيعة إلى الامام الحسين عليه السلام في مكة، ثم أُرسِلت - على أثر هذه الرسالة - كتب ورسائل كثيرة الى الامام عليه السلام بنفس المضمون زاد عددُها - في بدايات الأمر - على ستمائة كتاب وبلغت -في النهاية- اثني عشر ألف كتاب أو تزيد.

جواب الإمام الحسين على رسائل اهل الكوفة

و لما كثرت الكتب وتلاقت الرسُل كلها عند الإمام عليه السلام، وقرأها واطلع على مضامينها، و سأل الرسُل عن الناس، كتب مع هانيء بن هانيء و سعيد بن عبدالله و كانا آخر الرسل: «بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ من الحسين بن علي إلى الملإ من المؤمنين والمسلمين أما بعد فإن هانئاً و سعيداً قدما عليَّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليَّ من رسلكم، و قد فهمتُ كل الذي اقتصصتم و ذكرتم و مقالة جلكم أنه ليس علينا إمامٌ فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق و الهدى، و أنا باعث إليكم

أخي و ابن عمي و ثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، فإن كتب إليَّ بأنه قد اجتمع رأي ملأكم و ذوي الحجى و الفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم و قرأتُ في كتبكم، فإني أقدم إليكم و شيكا إن شاءالله فلعمري ماالإمامُ إلا الحاكم بالكتاب القائم بالقسط الدائن بدين الحق الحابس نفسه على ذات الله و السلام».[١]

ثم سلّم الكتابَ المذكور إلى مسلم بن عقيل، وأمره بالتوجه إلى الكوفة برفقة قيس بن مسهّر الصيداويّ، وعمارة بن عبدالله السلولي، وعبد الرحمان بن عبدالله الأزدي، و إيصال ذلك الكتاب إلى أهل الكوفة، و تقصّي الحقائق من كثب، وإخباره بها.

توجه مسلم بالرسالة صوب الكوفة، و نزل -بعد وصوله إلى الكوفة- أولاً في بيت رجل من الشيعة يدعى المختار بن أبي عبيدةَ الثقفي فكرّم الشيعة قدومه، ورحبوا به، وبادروا إلى زيارته، و قام مسلم -بدوره- بقرائة كتاب الإمام الحسين عليه السلام عليهم، فكانوا يبكون عند سماع ما فيه، ثم بايعوه على أنه نائب الإمام الحسين عليه السلام ووكيله، وبلغ عدد الذين بايعوه ثمانية عشر ألفاً، و قيل بلغ عددهم أربعين ألفاً.

كتاب مسلم إلى الإمام الحسين عليه السلام

عندما رأى مسلم بن عقيل ترحيب الناس الهائل به في الكوفة، واستقبالهم الكبيرله كتب رسالة إلى الإمام الحسين عليه السلام يخبره بذلك الإستقبال العظيم وطلب منه أن يقدم إلى الكوفة بسرعة.

ومن جهة أُخرى بادر بعضُ أنصار الحزب الأُموي إلى إرسال رسالة إلى

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٣٤

يزيد يخبرونه فيها بقدوم مسلم بن عقيل إلى الكوفة ومبايعة الناس له، جاء فيها: ان كان لك في الكوفه حاجة فابعث اليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك.

ولما وصلت هذه الرسالة إلى يزيد عمد الى مشاورة أعوانه في ما يجب اتخاذه في هذه المسألة، فاقترح أحدُهم عليه أن يختار عبيدالله بن زياد لإمارة الكوفة، فأخذ يزيد بهذا الإقتراح و أصدر حكماً بتولية عبيدالله بن زياد على الكوفة مع الاحتفاظ بولاية البصرة، وأرسل ذلك الحكم إليه وقد كتب ضمن ذلك أن: سِر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي الكوفة فتطلب ابن عقيل طلب الخرزة حتى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه.

دخول عبيد الله بن زياد الكوفة

دخل عبيدالله بن زياد الكوفة ليلاً، و في صبيحة تلك الليلة استدعى جماعة من أعيان الكوفة إلى دار الإمارة و عاتبهم قائلاً: سمعت أن مسلم نزل بالكوفة وفرَّق بين الناس، أبلغوه أن يكف عن ذلك وإلا فليستعد لعقابي، ثم دعاهم الى التعاون معه ليحظَوا بالإحسان واللطف من جانب يزيد.

ثم أمر ابن زياد جواسيسه بأن يبحثوا عن مكان مسلم بن عقيل و دفع لهم مبالغ من المال لصرفها في هذا السبيل.

ولما عرف مسلم بدخول ابن زياد الكوفة وما قاله في أنصاره أحس بالخطر، فعمد إلى تغيير مكانه، و انتقل في الخفاء إلى منزل هانيء بن عروة، و قد اكتشف أحدُ الجواسيس صدفةً مخبأ مسلم وأخبر ابن زياد بذلك.

وقد أحضر ابنُ زياد هانيَ بن عروة وعاتبه على إيواء مسلم قائلاً: إيهٍ ياهاني بن عروة ماهذه الأُمور؟ جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته في دارك وجمعت له الجموع والسلاح والرجال في الدور حولك وظننت ان ذلك يخفى عليَّ ؟

وقد أنكر هانيء الموضوع في البداية ، إلا أن ابن زياد أحضر الجاسوس فلما رآه هانيء بن عروة عرف بأن أمره قد انكشف فقال: ما فعلتُ ذلك وما مسلم عندي.

فقال له ابن زياد: والله لا تفارقني أبدا حتى تاتي به.

فقال هاني: والله لا أجيئك به أبدا لا أجيبك بضيفي تقتله.

فضرب ابن زياد وجهَ هانيء بقضيب كان بيده ضربة هشمت أنفه، وأحدثت فيه جراحةً نازفة، و أمر بأيداعه السجن.

قيام مسلم و استشهاده

عندما عرف مسلم بن عقيل بما جرى لهانئ بن عروة أمر أصحابه و كانوا أربعة آلاف بالتهيؤ للمواجهة والاستعداد للجهاد ، فاجتمعوا في المسجد و أطرافه، و استعدوا لمهاجمة دار الإمارة.[1]

فلما واجه ابنُ زياد هذا الوضع قال لأنصاره: أن أدخلوا بين جماعة مسلم وفرّقوهم عنه كيفما كان.

فدخل جماعة منهم بين صفوف أنصار مسلم بن عقيل و أشاعوا فيهم أن جند الشام قد أقبلت ، وأنه سيقتلكم جميعاً ، وسوف لن يرحم كبيرَكم ولا يكف عن صغيركم ، فانصرفوا وأرجعوا إلى بيوتكم ، لتحظوا بعناية يزيد.

فلما سمع الناس هذا الكلام أُرعبوا وخافوا ، و أخذوا يتفرقون بحيث كانت المرأة تأتي ابنها أو أخاها فتأخذ بيده فتذهب به إلى بيتها، فما زالوا يتفرقون حتى أمسى ابنُ عقيل و صلّى المغرب و ما معه إلاّ ثلاثون نفساً في المسجد وعندما أراد

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٤٨

أن يخرج من المسجد لم يبلغ الأبواب إلا و معه منهم عشرة، ثم خرج من الباب وإذا ليس معه إنسانٌ.

فمضى مسلم يمشي في أزقة الكوفة متحيّراً، لا يدري أين يذهب، حتى أتى إلى باب بيت امرأة يقال لها طوعة، فلما عرفته استضافته في بيتها، و لم يمض يوم إلّاوعرف ابنُ زياد بمكانه، فأرسل جماعة للقبض عليه وأسره فقاتلهم مسلم بمفرده، ولما عجزوا عن إمساكه أعطوه الأمانَ بعد أن تحمل جراحات كثيرة، فسلّم لهم، فأخذوه إلى ابن زياد، و قُتل بصورة فضيعة وكان استشهاده في اليوم التاسع من شهر ذي الحجة[١] و قد استشهد معه هاني بن عروة أيضاً.

و لقد جاء في التاريخ أن مسلم بن عقيل بكى حين أسروه فلما سألوه عن سبب بكائه قال: والله ما لنفسي بكيت ولا لها من القتل أرثي ولكنني أبكي لأهلي المقبلين، إني ابكي للحسين وآل الحسين .

ثم انه التفت الى محمد بن الأشعث وقال له: تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً على لساني ان يبلغ حسيناً ويقول له: ارجع فداك أبي وأُمي بأهل بيتك ولا يغررك أهل الكوفه. يقصد انه لا وفاء لهم.[٢]

ولقد صادف يومُ خروج الإمام الحسين و أهل بيته من مكة يومَ خروج مسلم على ابن زياد في الكوفة واستشهاده وهو يوم التروية.[٣]

عزم الإمام الحسين على السفر إلى العراق

١ـ الكتب والرسائل الكثيرة و المتواترة التي كتبها شيعة الكوفة إلى الإمام

---

(١) بحارالأنوار ج ٤٤ ص ٣٥٠ـ٣٦٣

(٢) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٥٣

(٣) بحارالأنوار ج ٤٤ ص ٣٦٣

الحسين تدعوه إلى التوجه إلى العراق و أنه لا إمام لنا، فعجل في القدوم إلينا.

٢ـ الاستقبال العظيم الذي أظهره أهل الكوفة في مبايعة مسلم بن عقيل، و رسالته إلى الحسين عليه السلام يخبره بأنه بايعني إلى الآن ثمانية عشر ألفاً.

٣ـ موت معاوية، و خلافة يزيد الغلام الفاسق الفاجر، و الماجن المستهتر، و الفجّ المتعجرف، العديم التجربة الفاقد للقدرة اللازمة للادارة و التدبير...

كل هذه الامور عزّزت الاحتمال التالي وهو ان المسلمين –وبخاصّة الشيعة– قد أخذوا العبرة اللازمة من ظلم الطغاة و عَسفهم، و تطاولهم على الثروة العامة، و عدم الاكتراث بالقيم الإسلامية، بل سحقها من قِبَل معاوية و عمّاله، وقد تبرموا بكل ذلك، كما أنهم قد شاهدوا بالعيان نتائج فقدان الحكومة الاسلامية الأصيلة و أنهم بالتالي بصدد جبران ما فات.

بالنّظر إلى أمثال هذه الشواهد كانت الاوضاع تبدو وكأن الارضيّة تهيّأت للقيام بنهضة عامة، وإقامة حكومة إسلامية.

في ظل هذه الاوضاع والظروف أحسّ الإمام الحسين عليه السلام بالمسؤوليّة وهي مسؤوليّة جدّ ثقيلة، وجدّ صعبة و خطيرة.

في ظل هذا الوضع كانت الحجة على الإمام قد تمت، و كان عليه أن يستجيب لدعوة أهل الكوفة المشروعة والمصيرية ويلبّي دعوتهم ويتوجه إلى العراق.

ولم تكن عاقبة هذا العمل خارجة عن أحد حالين: إما أن يفي أهلُ الكوفة بوعودهم، و يؤيدوه في تأسيس وإقامة الحكومة الاسلاميّة، وفي هذه الصورة تعود الحكومةُ الاسلاميّة الأصيلة إلى مسيرها الأصليّ، و على الأقل تقوم في العراق حكومة شبيهة بحكومة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، و يمكن أن تمتد هذه الحكومة إلى سائر البلاد الاسلاميّة، و، منها الشام، وفي مثل هذا الفرض يحظى

الاسلام والمسلمون بتوفيق عظيم جدّاً.

والفرض الثاني هو أن يخيسَ أهـل الكـوفة بـوعودهم و يـخذلوا الإمـام الحسين عليه السلام في هذه النهضة المشروعة المهمّة، وتنتهي باستشهاده في نهاية الأمر.

وفي مثل هذا الفرض يكون الإمام الحسين عليه السلام قد قام بواجبه الإلهي و يكون قد كشف للعالم - بنهضته الدموية ضد حكـومة يـزيد - عـن عـدم مشـروعية الحكومة الأمويّة، ويزلزل بذلك قواعدها، لأن قيام ابن رسول الله و عليّ و فاطمة صلوات الله عليهم، ضد حكومة مّا دليل صارخ و واضح على عدم مشروعيتها.

لقد رأى الإمام الحسين عليه السلام أنه يـمكن فـي مـثل هـذا الفـرض أن يـعطي المسلمين درساً في التدين والالتزام الديني، وفي الأمر بالمعروف و النهي عـن المنكر، و الدفاع عن الاسلام و قيمه العظيمة، و الجهاد في سبيل إقامة حكومة إسلامية، وهذا لاشك نوع من الانتصار.

هذا ويُستفاد من بعض خطب الامام الحسين عليه السلام - عند الخروج من المدينة، وعند التوجه إلى مكة المكرمة نحو العراق و في طول الطريق - أنه لم يسـتبعد الفرض الثاني، بل كان يشم ريح الشهادة و القتل، وكان يهيىء نفسه ورفقاءه لقبول مثل هذه النهاية، إلا أنه حيث كان عليه السلام يشعر بالمسؤولية، لم يكن له بد من ذلك.

ولهذا خطب في أصحابه يوم تحرك من مكة المكرمة متوجهاً نحو العـراق وقال - بعد بيان إحساسه من هذا السفر، واحتمال عواقبه الخطيرة: « من كان فينا باذلاً مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحلْ معنا فإني راحـلٌ مـصبحاً ان شـاء الله ».[1] وفى نفس الليلة التى اراد الامام الحسين الخروج فى صبيحتها من مكة، اتاه أخوه محمد بن الحنفية وقد كان يومذاك فى مكة وقال له: يا أخـي إن اهـل

(١) بحارالأنوار ج ٤٤ ص ٣٦٧

الكوفه قد عرفتَ غدرَهم بأبيك واخيك وقد خفت ان يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت ان تقيم فإنك أعز من بالحرم وأمنعه .

فقال له الامام عليه السلام: يا اخي قد خفت ان يغتالني يزيد بن معاوية فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت .

فقال ابن الحنفية: فإن خفتَ ذلك فِصر الى اليمن أو بعض نواحي البر فإنك أمنع الناس به، ولا يقدر عليك أحد.

قال: أنظرُ فيما قلت.[١]

و قد كان مثل هذه النظرية عند آخرين أيضاً و لكن لم يستطع أي واحد منهم أن يصرف الإمام الحسين عليه السلام عن عزمه الراسخ و إصراره على القيام بالواجب، وأن يثنيه عن التوجه إلى العراق.

التوجه إلى العراق

في وقت السحر من اليوم الثامن من شهر ذي الحجة (عام ٦٠هجرية) خرج الإمام الحسين عليه السلام برفقة عياله وأولاده و إخوته و أبناء إخوته وأخواته و أبناء أخواته و أبناء عمومته، و لم يكن قد بلغه خبر استشهاد مسلم بن عقيل إلى ذلك الوقت بعد.[٢]

ولقد التقى الإمام الحسين عليه السلام فى أثناء الطريق بأفراد و شخصيّات عديدة ممن تعجبوا لخروج الإمام المفاجئ، وكانوا يبدون قلقهم من توجهه عليه السلام إلى الكوفة في الأغلب، وربما عمد قسمٌ منهم إلى نصح الامام عليه السلام بالإنصراف عن

---

(١) بحارالأنوار ج ٤٤ ص ٣٦٤

(٢) بحارالأنوار ج ٤٤ ص ٣٦٦

السفر، بدافع الشفقة عليه والتخوف على مصيره، و لكن الإمام الحسين عليه السلام كان لايبدي اهتماماً بتلك النصائح والاقتراحات، فقد كان شعوره بالمسؤولية أقوى وأشدّ من أن تؤثّر فيه النصائح.

و في الثعلبية وهي منطقة في الطريق اطّلع الإمام عليه السلام على مصرع هانئ و مسلم و استشهادهما.

فقد روي عن عبدالله بن سليمان و المنذر بن المشمعل الأسديين أنهما قالا: إلتقينا – فى زرود – برجل من أهل الكوفة فقلنا له: السلام عليك.

فقال: و عليكما السلام.

قلنا: له أخبرنا عن الناس وراءك.

قال: نعم؛ لم أخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم بن عقيل و هانيء بن عروة و رأيتهما يجران بأرجلهما في السوق.

فأقبلنا حتى لحقنا بالحسين فسايرناه حتى نزل الثعلبية ممسياً فجئناه حين نزل فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا له: يرحمك‌الله إن عندنا خبراً إن شئت حدثناك به علانيةً و إن شئت سراً.

فنظر إلينا و إلى أصحابه ثم قال: ما دون هؤلاء سرٌّ.

فقلنا له: ان رجلاً هو امرؤ منّا ذو رأي و صدق و عقل قدم من الكوفة فسألناه عن أخبار الكوفه فحدثنا أنه لم يخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم و هانيء و رآهما يجرّان في السوق بأرجلهما.

فقال: إنّا للهِ وَ إنّا إلَيْهِ راجِعُونَ رحمة الله عليهما يردد ذلك مراراً.

فقلنا له: ننشدك الله في نفسك و أهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا و إنه ليس لك بالكوفة ناصرٌ و لاشيعة بل نتخوف أن يكونوا عليك.

فنظر إلى بني عقيل فقال: ما ترون فقد قتل مسلم ؟

فقالوا: والله ما نرجع حتى نصيب ثأرنا أو نذوق ما ذاق.

فأقبل علينا الحسين عليه السلام فقال: لا خير في العيش بعد هؤلاء.

فعلمنا أنه قد عزم رأيه على المسير فقلنا: له خار الله لك.

فقال: يرحمكم الله.

فقال له أصحابه: إنك و الله ما أنت مثل مسلم بن عقيل و لو قدمتَ الكوفة لكان أسرع الناس إليك فسكت.[1]

ومن ناحية أُخرى عندما اطلع عبيدُ الله بن زياد على خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة و توجهه نحو الكوفة سارع إلى ارسال الحصين بن نمير قائد جيشه إلى القادسيّة لينظم الجيش و يعدّه.[2]

لقد قرر ابن زياد أن يمنع الإمام الحسين عليه السلام من دخول الكوفة، و يمنع أهل الكوفة من الخروج منها والالتحاق بركب الإمام عليه السلام ليستطيع أن يحاصر الإمام الحسين عليه السلام و أصحابه خارج الكوفة، و يجبرهم على الاستسلام، ولهذا بعث الحر بن يزيد الرياحي على رأس ألف راكب إلى خارج الكوفة ليحاصر الإمام الحسين عليه السلام.

وكان الإمام الحسينُ عليه السلام قد قرر كذلك أن يدخل الكوفة – مركز الشيعة الذين دعوه، ووعدوا بنصرته.

ملاقاة الحرّ بن يزيد الرياحي

فيما كان الامام الحسين عليه السلام يسير بمن معه باتجاه الكوفة واجه فجأة الحر بن

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٧٣

(٢) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٦٩

يزيد الرياحي ومعه الف مقاتل قدموا من ناحية القادسية.

وعندما حضرت صلاة الظهر صلى الحسين عليه السلام بـأصحابه واقـتدى الحـرُّ وجماعته بالامام عليه السلام.

ثم ان الامام قام بعد الصلاة خطيباً فيمن حضر وقال: «**أيها النـاس إنـي لم آتكم حتى أتتني كتبُكم و قدمت علي رسلكم أن أقدمْ علينا فليس لنا إمام لعل الله أن يجمعنا و إياكم على الهدى و الحق فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم فأعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم و مواثيقكم و إن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفتُ عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم**».

فسكتوا عنه و لم يتكلموا كلمة.

ثم انه صلى العصر و اقتدى به الحرُّ وجماعته ايضا وبعد أن سـلم انـصرف إليهم بوجهه فحمد الله و أثنى عليه و قال: «**أما بعد أيها الناس فإنكم إن تتقوا الله و تعرفوا الحق لأهله يكن أرضىٰ لله عنكم و نحن أهل بيت محمد أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم و السائرين فيكم بالجور و العدوان فإن أبيتم إلا الكراهة لنا و الجهل بحقنا و كان رأيكم الآن غير ما أتتني به كتبكم و قدمت عليَّ به رسُلكم انصرفت عنكم**».

فقال له الحر: أنا و الله ما أدري ما هذه الكتب و الرسل التي تذكر.

فقال الحسين عليه السلام لبعض أصحابه: «**يا عقبة بن سمعان أخرج الخُرجين اللذين فيهما كتبهم إلي**». فأخرج خرجين مملوءين صحفاً فنثرت بين يديه.

فقال له الحر: لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك و قد أمرنا أنـا إذا لقـيناك لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد.

فقال الحسين عليه السلام: «**الموت أدنى إليك من ذلك**».

ثم قال عليه السلام لأصحابه: فقوموا فاركبوا فركبوا.

و لكن الامام الحسين عليه السلام سلك طريقاً غير سبيل الكوفة والمدينة وسـايره الحرُّ وجنوده.

وفي الأثناء وصلت الى الحر رسالة من عبيد الله بن زياد جاء فيها: أما بعد فجعجعْ بالحسين حين بلغك كتابي هذا في غير خضر وعلى غير ماء، فقرأ الحر الرسالة للامام الحسين عليه السلام وقال: له لابد من النزول هنا.

الامام الحسين في كربلاء

وهكذا فرض الحر على الامام الحسين عليه السلام واصحابه النـزولَ فـي ارض كربلاء، وكان ذلك في اليوم الثاني من المحرم سنة إحدى و ستين، فقام الحسين خطيباً في أصحابه فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: **«إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون و إن الدنيا تغيّرت و تنكرت و أدبر معروفُها، و لم يبق منها إلا صبابةٌ كصبابة الإناء و خسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا تـرون إلى الحـق لا يـعمل بـه و إلى البـاطل لايُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربه حقاً حقاً، فإني لا أرى الموت إلا سعادة و الحياة مع الظالمين إلا برماً».**

فقام بعض اصحابه مثل زهير بن القين و هلال بن نافع البجلي وبـرير بـن خضير فقالوا: والله يا ابن رسول الله لقد منّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك فتُقطع فيك أعضاؤنا ثم يكون جدُّك شفيعنا يوم القيامة.

لم يكن الامام الحسين عليه السلام الى ذلك الوقت مأيوساً من نصرة شيعته إياه في الكوفة بعد، وكان يتوقع أن يسعوا اليه اذا عرفوا بنزوله في كربلاء.

لهذا السبب ولأجل إتمام الحجة عليهم كتب اليهم كتاباً وارسله اليهم على يد أَحد اصحابه.

فقد كتب الامام اليهم:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ من الحسين بن علي إلى سليمان بن صرد و المسيب بن نجبة و رفاعة بن شداد و عبد الله بن وائل و جماعة المؤمنين: أما بعد فقد علمتم أن رسول الله ﷺ قد قال في حياته من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحُرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم و العدوان ثم لم يغيّر بقول و لا فعل كان حقيقاً على الله أن يُدخله مدخله و قد علمتم أن هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان و تولوا عن طاعة الرحمن و أظهروا الفساد و عطّلوا الحدود و استأثروا بالفيء و أحلوا حرامَ الله وحرموا حلالَه و إني أحق بهذا الأمر لقرابتي من رسول الله ﷺ و قد أتتني كتبكم و قدمتْ عليَّ رسلكم ببيعتكم أنكم لاتسلموني و لاتخذلوني فإن وفيتم لي ببيعتكم فقد أصبتم حظكم و رُشدكم و نفسي مع أنفسكم و أهلي و وُلدي مع أهاليكم و أولادكم فلكم بي أسوة و إن لم تفعلوا و نقضتم عهودكم و خلعتم بيعتكم فلعمري ما هي منكم بنكر لقد فعلتموها بأبي و أخي و ابن عمي و المغرور من اغتر بكم فحظَّكم أخطأتم و نصيبكم ضيعتم فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ و سيغني الله عنكم و السلام.»[1]

رسالة الحر الى ابن زياد

ثم إن الحر كتب إلى ابن زياد يخبره بنزول الحسين بكربلاء على غير ماء ولا كلاء وانه ينتظر اوامره.

فقررعبيد الله بعد استلامه لكتاب الحر أن يقاتل الامام الحسين ومع ان اصحاب الامام الحسين عليه السلام لم يكونوا الا قلة - اثنان وسبعون رجلاً او مائة على الاكثرَ وكان يكفي لمقاتلتهم من كان تحت امرة الحر بن يزيد الرياحي وهم الف

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٨١

رجل إلا أن ابن زياد قرر ان يبعث جيشاً اقوى و اكبر لمواجهة الامام وانصاره لأنه كان يعلم بماكان يتمتع به الحسين ومن معه من الشجاعه والبسالة والاستعداد للايثار، جيداً، وكان يعلم ان كل واحد من اولئك الابطال لن يموت حتى يقتل عدداً كبيراً من الأشخاص.

هذا مضافاً الى انه كان يحتمل أن يلتحق به فريق، من شيعته في أثناء الطريق بأي شكل ممكن.

ولعله كان يتصور ان الحسين سيرعَب اذا واجه عدداً هائلاً من المقاتلين فيسلّم ويستسلم.

لهذا السبب ولعل لأسباب غيرها رأى من الصالح ان يهيىء جيشاً اقوى وأكثر تجهيزاً.

ولهذا جمع ابن زياد الناس في جامع الكوفة ثم خرج فصعد المنبر ثم قال: أيها الناس إنكم بلوتم آل أبي سفيان فوجدتموهم كما تحبون و هذا أمير المؤمنين يزيد قد عرفتموه حسن السيرة محمود الطريقة محسناً إلى الرعية يعطي العطاء في حقه قد أمنت السبل على عهده و كذلك كان أبوه معاوية في عصره و هذا ابنه يزيد من بعده يكرم العباد و يغنيهم بالأموال و يكرمهم و قد زادكم في أرزاقكم مائة مائة و أمرني أن أوفرها عليكم و أخرجكم إلى حرب عدوه الحسين فاسمعوا له و أطيعوا.

ثم نزل من المنبر وقسم أموالاً هائلة بين الناس وأمرهم بالتوجه الى ميدان القتال مع الحسين تحت إمرة عمر بن سعد، وبهذا جهز عشرين أو ثلاثين الف شخص للقتال.

وكان قد استدعى عمرَ بن سعد الذى كان قد نصبه لولاية الريّ قبل ذلك وامره بقتال الحسين عليه السلام فلما استعفاه وطلب منه ايكال هذه المهمة الى غيره وقال

له ابن زياد: اذن اردد الينا عهدنا، فاستمهله ليلةً ثم قبل بعد يوم خوفاً من ان يعزل عن ولاية الريّ، ثم توجه على رأس اربعة آلاف فارس لقتال الامام.

ولما وصل جيش عمر بن سعد الى كربلاء واصطف في مقابل عسكر الامام عليه السلام بدأت كتائب اخرى تتوافد الى ارض كربلاء، تلتحق بعسكر ابن سعد بينما لم يجرؤ احد على الالتحاق بركب الحسين من جانب آخر.

ولما رأى الامام الحسين هذه الاوضاع ارسل إلى عمر بن سعد لعنه الله: إني أُريد أن أكلمك فألقني الليلة بين عسكري و عسكرك.

فخرج إليه ابن سعد في عشرين و خرج إليه الحسين في مثل ذلك فلما التقيا أمر الحسين عليه السلام أصحابه فتنحوا عنه و بقي معه أخوه العباس و ابنه علي الاكبر و أمر عمر بن سعد و أصحابه فتنحوا عنه و بقي معه ابنُه حفص و غلام له. فقال له الحسين عليه السلام: **ويلك يا ابن سعد أ ما تتقي الله الذي إليه معادك، تريد أ ن تقاتلني و أنا ابن من علمتَ؟ ذر هؤلاء القوم و كن معي فإنه أقرب لك إلى الله تعالى».**

فقال عمر بن سعد: أخاف أن يُهدم داري.

فقال الحسين عليه السلام: أنا أبنيها لك.

فقال: أخاف أن تؤخذ ضيعتي.

فقال الحسين عليه السلام: أنا أُخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز.

فقال: لي عيال واخاف عليهم.

ثم سكت ولم يجبه الى شيء.(١)

وفي رواية ان ابن سعد كتب إلى عبيد الله بن زياد قائلاً: أما بعد فإن الله قد أطفأ النائرة و جمع الكلمة و أصلح أمر الأمة، هذا حسينٌ قد أعطاني أن يرجع إلى

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٨٨

المكان الذي منه أتى، أو أن يسير إلى ثغر من الثغور فيكون رجلاً من المسلمين.

فلما قرأ عبيد الله الكتاب قال: هذا كتاب ناصحٍ مشفقٍ على قومه.

فقام إليه شمر بن ذي الجوشن فقال: أتقبل هذا منه و قد نزل بأرضك وأتى جنبك و الله لئن رحل عن بلادك و لم يضع يده في يدك ليكونن أولى بالقوة و لتكونن أولى بالضعف و العجز فلا تعطه هذه المنزلة فإنها من الوهن و لكن لينزل على حكمك هو و أصحابه فإن عاقبتَ فأنت أولى بالعقوبة و إن عفوتَ كان ذلك لك.

فقال ابن زياد: نِعم ما رأيت الرأي رأيك، أُخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد فليعرَض على الحسين و أصحابه النزول على حكمي فإن فعلوا فليبعث بهم إلي سَلماً، وإن هم أبوا فليقاتلهم فإن فعل فاسمع له و أطع و إن أبى أن يقاتلهم فأنت أمير الجيش فاضرب عنقه و ابعث إلي برأسه.

كتاب عبيد الله الى ابن سعد

وكتب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد كتاباً قال فيه: إني لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه و لا لتطاوله و لا لتمنيه السلامة و البقاء و لا لتعتذر عنه و لا لتكون له عندي شفيعاً، انظر فإن نزل حسين و أصحابه على حكمي و استسلموا فابعث بهم إلي سلماً وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم و تمثل بهم فإنهم لذلك مستحقون فإن قتلت حسيناً فأوطئ الخيل صدره و ظهره فإنه عات ظلوم و لست أرى أن هذا يضر بعد الموت شيئاً، ولكن على قول قد قلته لو قد قتلته لفعلت هذا به فإن أنتَ مضيتَ لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع و إن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا وخل بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر فإنا قد أمرناه بأمرنا والسلام.

فأقبل شمر بن ذي الجوشن بكتاب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد فلما

قدم عليه و قرأه قال له عمر: مالك ويلك لا قرّب الله دارك و قبح الله ما قدمتَ به عليَّ و الله إني لأظنك نهيته عما كتبت به إليه و أفسدت علينا أمراً قد كنا رجونا أن يصلح لا يستسلم و الله حسين، إن نفس أبيه لبين جنبيه.

فقال له شمر: أخبرني ما أنت صانع أ تمضي لأمر أميرك و تقاتل عدوه و إلا فخل بيني و بين الجند و العسكر.

فقال ابن سعد: لا ولا كرامة، ولكن انا اتولى ذلك فدونك فكن انت على الرجالة.

يوم تاسوعاء

حتى اليوم التاسع من شهر محرّم لم تكن مسألة الحرب قد اتضحت بعد، وفي ذلك اليوم وصلت رسالة من جانب عبيد الله بن زياد الى عمر بن سعد القائد العام للجيش الكوفي في كربلاء: إن نزل الحسين عليه السلام واصحابه علي حكمي واستسلموا فابعث بهم الي سلماً وان هم أبوا فازحف اليهم حتى تقتلهم و تمثل بهم فإنهم لذلك مستحقون.

وهنا عزم ابن سعد على قتال الحسين عليه السلام لأنه كان يعلم ان الامام لن يستسلم قط ولهذا نادى في جيشه، عصر اليوم التاسع من المحرم قائلاً: يا خيل الله اركبي وبالجنة فابشري.

فركب الناس ثم زحفوا نحوهم بعد العصر و كان الحسين عليه السلام جالساً أمام بيته محتبئاً بسيفه، وفيما هو في هذا الحال إذ خفق برأسه على ركبتيه، وسمعتْ اخته زينب الصيحة فدنت من اخيها وقالت: يا أخي أما تسمع هذه الاصوات قد اقتربت؟

فرفع الحسين عليه السلام رأسه فقال: «إني رأيت رسول الله الساعة في المنام و هو

يقول لي: إنك تروح إلينا».

ثم قال لأخيه العباس بن علي: **«اركب أنت يا أخي حتى تلقاهم و تقول لهم ما لكم و ما بدا لكم؟ و تسألهم عما جاء بهم».**

فأتاهم العباس في نحو من عشرين فارساً، فقال لهم العباس: ما بدا لكم و ما تريدون؟

قالوا: قد جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو نناجزكم.

قال: فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم.

ثم انصرف العباس راجعاً يركض إلى الحسين عليه السلام يخبره الخبر، فلما جاء و أخبره بما قال القوم.

قال له: **«ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرَهم إلى غد و تدفعهم عنا العشية لعلنا نصلّي لربنا الليلة و ندعوه و نستغفره، فهو يعلم أني أحب الصلاة له و تلاوة كتابه و كثرة الدعاء و الاستغفار».**

فمضى العباس إلى القوم وطلب منهم ما اراده الامام الحسين عليه السلام فقبلوا و رجع من عندهم و معه رسولٌ من قبل عمر بن سعد يقول: إنا قد أجلناكم إلى غد فإن استسلمتم سرحنا بكم إلى عبيد الله بن زياد و إن أبيتم فلسنا بتاركيكم فانصرفْ.

الأمر بالإستعداد و التهيُّؤ

وفي هذا الوقت اصبح وقوع الحرب امراً قطعياً وبالنظر الى أن جيش الامام الحسين عليه السلام كان محاصَراً من قِبل جيش العدو الكبير، بصورة كاملة لهذا لم يعد في مقدور أنصارالامام المتواجدين في الكوفة الالتحاق به، فكانت نتيجة الحرب - لذلك - واضحة جداً وهي: الموت بشرف والقتل في سبيل الله، لأن الإمام

الحسين عليه السلام لم يكن مستعداً للتسليم والاستسلام لابن زياد، في أي حال من الأحوال، ولهذا عزم على المقاومة والثبات والوقوف في وجه جيش العدو الضخم، بكل بسالة و شجاعة، رغم قلة أنصاره وأعوانه، وعدم الرضوخ للذلة حتى الشهادة، وكان عليه -لبلوغ هذا الهدف الكبير- من إعداد أسبابه ومقدماته اللازمة، وتهيئة أصحابه وأعوانه بل وحتى عائلته.

وعلى هذا الأساس قام عليه السلام بالامور التالية:

١- إختيار أصحابه وأنصاره: مع أن الإمام الحسين عليه السلام كان يعرف أصحابه وأنصاره، وأقرباءه معرفةً كاملةً، وكان يثق بمدى إيمانهم والتزامهم و وفائهم، فإنه - في ظل الاو ضاع والضروف الجديدة، وحتمية وقوع الشهادة - رأى من اللازم أن يُطلعهم على حقيقة الاوضاع حتى لا يكون في جماعته من لا يرغب في الشهادة، ولكنه يرى نفسه مضطراً للبقاء مع الحسين تحت طائلة الخجل أوبعض الاعتبارات الاخلاقية، وليتمكن أن ينجو بنفسه من يريد أن ينجو.

من هنا جمع أصحابه وأنصاره وأقرباءه - في خيمته - بعد أن غربت شمس اليوم التاسع من المحرم - وخطب فيهم وطرح عليهم الموضوع.

قال علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: **«فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم و أنا إذ ذاك مريض فسمعت أبي يقول لأصحابه: أثني على الله أحسن الثناء و أحمده على السراء و الضراء اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة و علمتنا القرآن و فقهتنا في الدين و جعلت لنا أسماعاً و أبصاراً و أفئدة فاجعلنا من الشاكرين، أما بعد فإني لا أعلم أصحاباً أوفى و لا خيراً من أصحابي و لا أهل بيت أبر و أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني خيراً ألا و إني لأظن يومنا من هؤلاء غداً.**

ألا و إني قد أذنت لكم فانطلِقوا جميعاً في حِل ليس عليكم حرج مني و لا

ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً».

فقام العباس بن علي وقال: لا نفعل ذلك ابداً، لا ابقا نا اللهبعدك، ولا كان ذلك اليوم أبداً».

و قام بعد ذلك إخوته وبنوه وبنو عمومته وابناء عبد الله بن جعفر وقالوا مثل ما قال العباس.

ثم خاطب الحسين عليه السلام أبناء عقيل قائلاً: «يا بني عقيل حسبكم من القتل بمسلم بن عقيل فاذهبوا انتم فقد اذنتم لكم».

فقالوا: سبحان الله ما يقول الناس؟ نقول إنا تركنا شيخنا و سيدنا و بني عمومتنا خير الأعمام و لم نرم معهم بسهم و لم نطعن معهم برمح و لم نضرب معهم بسيف و لا ندري ما صنعوا، لا و الله ما نفعل ذلك، و لكن نفديك بأنفسنا و أموالنا و أهلنا و نقاتل معك حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك.

ثم جاء دور اصحابه فقام إليه مسلم بن عوسجة فقال: أنحن نخليٌ عنك و بما نعتذر إلى الله في أداء حقك، لا و الله حتى أطعن في صدورهم برمحي و أضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي و لو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة، و الله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله فيك، أما و الله لو علمت أني أُقتل ثم أُحيا ثم أُحرق ثم أُحيا ثم أُذرى يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً.

و تكلم بعد ذلك جماعة من أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً في وجه واحد فجزّاهم الحسين خيراً ودعالهم.

وهكذا اختبر الامام الحسين عليه السلام وفي ذلك الظرف الحساس اصحابه وثبت له عليه السلام وفاؤهم.

٢- إحداث ملجأ: من أخطر ما يهدد أي جيش من الجيوش في حال القتال هو عدم وجود ملجأ، ولهذا السبب يحاول كل جيش أن يجعل ساحة القتال عند جبل او تلة مرتفعة أو با لقرب من نخيل أو غابة أوعند نهر عريض ليأمن من هجوم مباغت من جانب العدو المتربص من خلفه ويكون القتال من جهة الامام فقط.

وللأسف لم تكن ساحة القتال في كربلاء على هذا النحو، لأن جنود ابن زياد أجبروا الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وأهله على النزول في مكان ليس فيه اي جبل او تل اونخيل، فكان في مقدور العدو أن يهاجم معسكر الإمام في جميع الأطراف والنواحي.

ومن الواضح جداً مدى صعوبة القتال والمواجهة في مثل هذه الحالة.

ولحل هذه المشكلة أمر الامامُ الحسين عليه السلام أصحابه بأن يقاربوا بين الخيم والمضارب ويجعلوا حبالها متداخلة ليمنعوا بذلك من مهاجمتهم من الخلف.

ثم أمر بحفر خندق وراء الخيم وملئه بالحطب من أجل إشعاله عندما تقع الحرب ليكون ذلك ساتراً آخرَ أمام العدو.

هذا مضافاً إلى أن ذلك الخندق كان يمنع العدو من مهاجمة خيام الامام الحسين وخيام اصحابه وأنصاره.

٣- تعبئة الجيش وتنظيمه: كانت المعركة بين جيش ابن زياد والجيش الحسيني معركة غير متكافئة جداً، من حيث الامكانيات والعدد لأن عدد جند الإمام الحسين عليه السلام كان على اغلب التقادير اثنين وسبعين وعلى أكثر التقادير مائة وخمسة واربعين شخصاً فيما كان جيش العدو يُقدَّر باثنين و عشرين الى ثلاثين

ألفاً[١]

وهذه النسبة غير متكافئة جداً، ولكن عدم التكافؤ بكل أنواعه هذا لم يكن له أي تأثير في معنويات الامام الحسين وأصحابه وأعوانه ولم يُظهرالامـام أي ضعف تجاه هذا الأمر أبداً، بل كان عازماً على الدفاع عن نفسه وجاداً تمام الجد في هذا المجال ولذلك عمد الى تعبئة جنوده وتنظيم صفوفهم، فجعل زهير بـن القين على الميمنة وحبيب بن مظاهر الاسدي على الميسرة وجعل العباس بـن علي صاحب لواء جيشه.[٢]

وبعد الانتهاء من هذه الاعمال دخل كل من الامام الحسين عليه السلام وأصـحابه وأعوانه، خيمته واشتغل بالصلاة والدعاء وتلاوة القرآن ومناجاة الله تعالى.

ولقد بات الامام الحسين عليه السلام وأصحابه ليلة عـاشوراء ولهـم دويٌّ كـدوي النحل دعاءً وضراعةً وقراءةً وصلاةً وقياماً وقعوداً وركوعاً وسجوداً.[٣]

يوم عاشوراء

اليوم العاشر من شهر المحرم عام ٦١ هجرية يسمى بيوم عاشوراء.. في مثل هذا اليوم وقعت في أرض كربلاء حوادث في غاية الفضاعة وهي من الفـجاعة بحيث لن تزول من الاذهان.

ففي هذا اليوم وقعت بين اصحاب الامام الحسين عليه السلام من جانب وجنود عمر بن سعد من جانب آخر حرب ضارية استتبعت حوادث محزنة ومؤلمة.

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٤

(٢) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٣٩٤

(٣) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٩٢

فقد قُتل في هذه المعركة الامام الحسين عليه السلام وجميع شبابه وأصحابه الا عليّ بن الحسين [السجاد] الذي كان آنذاك مريضاً بشدة وقتلوا بأفجع صورة.

لقد سجل المؤرخون وارباب المقاتل حوادث ذلك اليوم بصورة دقيقة ومفصلة وخصصوا للحديث بإسهاب عن كل واحد من شهداء هذه الواقعة بصورة منفردة، وكتبوا عن كيفية خروجه الى القتال وعن رجزه وبطولاته وعدد من قتل من الاعداد وكيفية استشهاده، وقاتله على وجه التفصيل.

ونحن هنا وفي هذه الصفحات القلائل لا يمكننا ان نذكر جميع الحوادث المحزنة والأليمة التي وقعت في ذلك اليوم، ولهذا ينبغي لمن اراد الاطلاع على هذه التفاصيل ان يراجع مئات الكتب المدونة في هذا المجال ولكن لأجل أن يقف القارىء الكريم على ماهية وقعة كربلاء الدامية نقوم بإعطاء مقارنة ومقايسة قصيرة بين الامام الحسين عليه السلام واصحابه من جانب وبين يزيد بن معاوية واعوانه من جهة اخرى.

مقارنة بين قادة المعسكرين

لم يكن الإمامُ الحسين بن علي عليه السلام ويزيد بن معاوية من نمط واحد من حيث العائلة و طريقة التفكير و الهدف، بل كانا مختلفين تمام الاختلاف من حيث الشخصيّة، و على نوعين من التفكير.

لقد كان الحسين بن علي إنساناً شريفاً و رجلاً كريماً و متديّناً، و مؤمناً - من أعماقه - بالاسلام و بالقيم الدينية.

كان عليه السلام إنساناً طاهراً معصوماً، طافحاً بالعواطف و الأحاسيس الإنسانية و الإسلامية كما كان متقيداً بمراعاتها في جميع الأحوال وقد مدحه رسول الإسلام صلى الله عليه وآله مراراً و ضمن احاديث تفوق الحصر منها قوله صلى الله عليه وآله: « **الحسن و الحسين سيّدا**

شباب أهل الجنّة».[١]

ارجو ان تلتفتوا إلى النموذجين التاليين من السّلوك:

عندما التقى الحسين بجيش الحرّ بن يزيد الرّياحي، و أحسّ بأنهم عطاشى، أمر أصحابه بأن يسقوهم جميعاً، بل و يسقوا خيولهم، أيضاً، و حتى أن أحد جنود العدو عندما عجز عن شرب الماء ساعده الإمام على شرب الماء.[٢]

و لكن ابن زياد أمر قائد قواته عمر بن سعد أن يقطع الماء عن الحسين و أصحابه و عائلته ولم يسمح و لابقطرة ماء واحدة لهم.[٣]

لقد قلنا سابقاً إنّ الحسين عليه السلام لم يكن طالب حرب وقتال، بل كان يسعى دائماً أن لا يقع قتال ولا تكون هناك حرب، بل لما واجه – في بداية الحرب – شمر بن ذي الجوشن وهو من أخبث وأخطر افراد العدوّ، وأراد أحد أصحابه أن يستهدفه ويرميه لم يأذن له الإمام الحسين وقال: «إني أكره أن أبدأهم بالقتال».[٤]

و لكن عمر بن سعد أصدر أمراً ببدء القتال و صاح قائلاً: ما الانتظار؟ لماذا لاتبدأون القتال؟.[٥]

لقد كان يزيد شخصاً فاسقاً مستهتراً وغير ملتزم بالأحكام والقوانين والقيم الاسلامية.

لقد كتب زياد بن أبيه الذي اراد منه معاوية بن أبي سفيان أن يقوم بعمل في مجال الاعلان عن استخلافه لابنه يزيد و ابلاغ الناس بذلك فكتب إليه ابن زياد:

---

(١) بحارالأنوار ج ٤٣ ص ٢٦٣

(٢) بحارالأنوار ج ٤٤ ص ٣٧٦

(٣) بحارالأنوار ج ٤ ص ٣٨٩

(٤) بحارالأنوار ج ٤٥ ص ١٠

(٥) بحارالأنوار ج ٤٥ ص ١٠

ما يقول الناس اذا دعوناهم الى بيعة يزيد وهو يلعب بالكلاب والقرود، ويلبس المصبغ ويدمن الشراب ويمشي على الدفوف؟!![١]

لقد كان يزيد هو الشخص المتعجرف الذي - من أجل ارساء قواعد حكمه غير المشروع - كتب إلى واليه في المدينه أن أحضر الحسين وخذ منه البيعة لي فإن امتنع فاضرب عنقه.[٢]

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام مضطراً لأن يغادر مكة حفاظاً على نفسه و لكن يزيد بن معاوية كلّفَ أشخاصاً ليغتالوا الإمام عليه السلام في الحرم الإلهي الآمن مما اضطرّ معه الإمام عليه السلام إلى التوجّه نحو الكوفة.[٣]

و قد قُتِل الحسين عليه السلام و أصحابه في كربلاء في المآل بأمر يزيد و أُسر عياله و أُخذوا إلى الشام.

إنّ يزيد كانَ هو الذي أمر مسلم بن عقبة ليتوجّه على رأس خمسة آلاف إلى المدينة المنوّرة ليستبيحوا النساء و الفتيات مدة ثلاثة أيّام و ينتزعوا الاموال من أصحابها و يرتكبوا الجرائم التي لطخت التاريخ، حتى أُخذت البيعة من أهل المدينة على أنهم عبيد ليزيد.[٤]

لقد كان والد الإمام الحسين عليه السلام هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ثاني شخصية إسلامية سبق أن ذكرنا فضائله و كمالاته.

- لقد كان علي عليه السلام أول من أسلم و هو بعد لم يبلغ الحُلم.
- وكان في خدمة الاسلام و النّبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٢

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٤١

(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٤٩

(٤) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٥٠

– و نام على فراش النّبي ﷺ ليلة المبيت واقياً بنفسه النبيَّ ﷺ و ليحفظه من شر الأعداء و كيدهم.

– وكان زوج فاطمة الزهراء و صهر رسول الله ﷺ.

– وكان شجاعاً جداً و شارك في جميع الحروب و قُتل عدد كبير من العدوّ على يده.

– و قد استوعب كلَ علوم النبي ﷺ وكان عيبة علمه، و قد آمن بالاسلام و القيم الاسلامية من أعماقه، وكان بنفسه تجسيداً لكل الكمالات و القيم الاسلامية و الانسانية.

واما يزيد فقد كان والده معاوية بن أبي سفيان، وهو الذي وصفه ابن أبي الحديد بأوصاف ذميمة فهو يذكر:

– لبسه الحرير

– شربه في آنية الذهب و الفضة حتى أنكر عليه ذلك أبو الدرداء فقال له: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الشارب فيها ليجرجر في جوفه نار جهنم، و قال معاوية: أما أنا فلا أرى بذلك بأساً.

– استئثاره بمال الفيء.

– ضربه من لا حد عليه.

– إسقاط الحد عمن يستحق إقامة الحد عليه.

– حكمه برأيه في الرعية و في دين الله.

– استلحاقه زياداً و هو يعلم قول رسول الله ﷺ: «الولد للفراش و للعاهر الحجر».

– قتله حجر بن عدي و أصحابه و لم يجب عليهم القتل.

– إهانته لأبي ذر الغفاري و جبهه و شتمه و إشخاصه إلى المدينة على قتب

بعير ومن دون وطاء لإنكاره عليه.

- لعنه علياً و حسناً و حسيناً و عبد الله بن عباس على منابر الإسلام.

- عهده بالخلافة إلى ابنه يزيد مع ظهور فسقه و شربه المسكر جهاراً و لعبه بالنرد و نومه بين القيان المغنيات و اصطباحه معهن و لعبه بالطنبور بينهن.[١]

لقد كان جدّ يزيد ابوسفيان بن حرب، وكان من رؤوس الشرك الذين عادوا رسول الاسلام حيث كان يؤذيه و يؤذي أصحابه و يثير الفتن و الحروب في وجوههم.[٢]

و في معركة بدر كان يحرّض المشركين على قتال المسلمين، و في هذه المعركة قُتِل أحد أولاده و يدعى حنظلة، و أُسر له ولد آخر يدعى عمر بن أبي سفيان.[٣]

و في معركة أُحد ايضاً كان يحرض المشركين على مقاتلة المسلمين، و في هذه المعركة استشهد حمزة بن عبدالمطلب عم النبي و اهديت كبده إلى هند زوجة أبي سفيان و قد لاكته بين أسنانها لشدة بغضها له، و جاءت إلى جسده و مثلت به تمثيلاً فضيعاً، و صنعت من ذلك قلادة و خلخالاً و سواراً.[٤]

و قد أظهر أبوسفيان بعد واقعة أُحد التي استُشْهِد فيها كثيرٌ من المسلمين الفرح و السرور وكان ينادي أُعل هُبَل، أُعْلُ هُبَل .. لنا العُزّى، و لاعُزّى لكم.[٥]

و لقد بقي أبوسفيان على كفره - الى حين فتح مكة - حيث اسلم في الظاهر

---

(١) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد ج ٥ ص ١٢٩ الى ١٣٦

(٢) أنساب الأشراف ج ١ ص ١١٦

(٣) أنساب الأشراف ج ١ ٢٩٧ ـ ٣٠١

(٤) أنساب الأشراف ج ١ ٣٢٢ ٣٢٣

(٥) أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٢٧

خوفاً على نفسه، و قد قبل النبي اسلامه.(١)

و من ذلك الوقت كان رسول الله ﷺ يتفقد حاله، ويلطف به و إن كان اسلامه ظاهرياً، و ادعاءً، و لكن يظهر من بعض حوادث التاريخ انه لم يعتنق الاسلام.

يقول ابن أبي الحديد عنه: بعد أن اخذ عثمان البيعة من الناس دخل بيته ودخل اليه بنو امية حتى امتلأت بهم الدار ثم اغلقوها عليهم فقال ابو سفيان بن حرب: أعندكم أحد من غيركم ؟

قالوا: لا.

قال: يابني أُمية تلقّفوها تلقُّف الكُرة فوالذى يحلف به ابو سفيان ما من عذابٍ ولا حسابٍ ولا جنةٍ ولا نارٍ ولا بعثٍ ولا قيامة!!.(٢)

أهداف قادة المعسكرين

لم يكن الامامُ الحسين عليه السلام و يزيد أصحاب هدف واحد في هذه المعركة بل كانا يهدفان أمرين مختلفين تماماً.

فهدف الامام الحسين عليه السلام كما نعرف ذلك من وصيته لمحمد بن الحنفية ثلاثة أُمور:

١ـ إصلاح أُمة جده رسول الله ﷺ.

٢ـ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

٣ـ إحياء سيرة رسول الله و علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما المنسيّة.(٣)

---

(١) أنساب الأشراف ج١ ص ٣٥٥ – ٣٦١

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٩ ص٥٣

(٣) بحارالأنوار ج٤٤ ص ٣٢٩

ولقد كان الامام الحسين عليه السلام يقصد تحقيق أهدافه الثلاثة بطريقين هما:

الأول: تأسيس حكومة إسلامية واقعية إن أمكن و تهيّأت الظروف الملائمة و المناسبة لذلك.

الثاني: و اذا لم تتهيأ الظروف المناسبة و الملائمة لقيام الحكومة الاسلامية و آل الأمر الى القتال، ثبت الامام الحسين عليه السلام و أصحابه في وجه العدو بكل بسالة و قاوموا الى حدّ الشهادة، و بذلك يكونون قد علّموا المسلمين دروساً في الثبات على الدين و الجهاد في سبيل الله و الدفاع عن الاسلام و القيم الاسلامية.

هذا مضافاً إلى أن الإمام عليه السلام أثبت بثورته في وجه حكومة يزيد عدم مشروعيتها، و أظهر ظلمها و شرورها و كفرها و نفاقها الباطني و تهيّأت الارضية لثورات أُخرى ضدّ حكومات بني أُميّة.

و من الصّدف أن ثورة الامام الحسين عليه السلام لم تكن موفّقة في القسم الأوّل، و لكنها نحجت تمام النجاح في القسم الثاني.

و اما يزيد بن معاوية فقد كان يهدف في هذه المعركة الدامية أمرين:

١ـ ترسيخ قواعد حكومته غير المشروعة من خلال أخذ البيعة من الإمام الحسين بن علي عليه السلام و ابن رسول الله صلى الله عليه وآله و إضفاء طابع الشرعية على حكومته من خلال الاستمرار في الظلم و المجون.

كتب اليعقوبي في هذا المجال يقول: لقد كتب يزيد بن معاوية بعد وفاة والده الى واليه على المدينة ان أحضر الحسين بن علي و عبدالله بن الزبير فخذهما بالبيعة لي فان امتنعا فاضرب اعناقهما و ابعث لي برؤوسهما.[١]

٢ـ الانتقام من بني هاشم و بخاصه أبناء الامام علي عليه السلام لأن عم يزيد و جمعاً

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٤١

آخر من رؤوس قريش و أقرباءه مثل عتبة و شيبة و الوليد و أبي جهل قد قتلوا جميعاً في بدر.[١]

إن يزيد و معاوية وان كانا يدعيان الاسلام و لكنهما كانا ينطويان على احقاد جاهليّة كبيرة، و من هنا يمكن القول أن الانتقام من أبناء رسول الله ﷺ كان من أهداف يزيد في وقعة كربلاء الدامية.

و هناك شواهد كثيرة على هذا الاحتمال في التاريخ أصلاً.

لقد كتب المؤرخون أن أهل الإمام الحسين عليه السلام و عائلته عندما أُدخلوا أسرى في الشام أُخذ رأس الامام عليه السلام إلى مجلس يزيد، فأمر بمائدة الطعام أن تمدَّ و جعل الرأس المقدس على المائدة.[٢]

فكان يشرب الفقاع مع أصحابه و يأكلون الطعام، وكان يؤتى بالرأس المطهر في طست ثم يلعب الشطرنج إلى جانبه، و يسخر بالحسين و جدّه و أبيه و كان اذا انتصر على منافسه شرب كأساً من الفقاع، و صبّ مازاد منه عند الطست و ينشر ابياتاً كالتالي:

ليت أشياخي ببدر شهدوا — جزع الخزرج من وقع الأسلْ
لأهلّوا و استهلّوا فرحاً — و لقالوا يا يزيد لاتُشلْ[٣]

مقارنة بين جنود الطرفين

لقد كان أصحاب الامام الحسين عليه السلام وكذا أصحاب يزيد على غرار قادتهم من ناحية الشخصية الإجتماعية و طريقة التفكير و نمط الأهداف و السلوك.

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٦٧

(٢) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٧٦

(٣) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٨٦

لقد كان أصحاب الامام الحسين عليه السلام أشخاصاً متدينين و مؤمنين يتصفون بالعدالة، و الإيثار و الشجاعة و الوفاء، و المروءة و مناعة الطبع و الغيرة و بعيدين عن الطمع و الحرص، و موصوفين بالانصاف، و حب الخير.

إنهم لم يأتوا الى كربلاء مع الحسين طلباً للجاه و المقام و المال و الثروة، بل عرفوا هدفه المقدس، و رافقوه لتحقيق ذلك الهدف، و حاربوا إلى جانبه دفاعاً عن هدفه بمنتهى الشجاعة و البسالة و دافعوا عن حريم الولاية، حتى سُقوا - في المآل - كؤوس الشهادة والتحقوا بالرفيق الأعلى و حظوا بلقائه عن رغبة، و حب.

و لقد ذُكرت - في كتب التاريخ - عن أصحاب الامام الحسين نقاط رائعة و جميلة بل و مفيدة تحكي عن عمق ايمانهم، و اخلاصهم، وفضائلهم الاخلاقية لانجد هنا فرصة لذكرها و للأسف.

و لكننا نكتفي بذكر نموذجين هنا:

النموذج الاول: بعد ظهر العاشر من شهر محرّم اقترب شمرُ بن ذي الجوشن إلى مخيم الحسين عليه السلام و قال: اين بنو أُختنا وكان مقصوده: العباس و جعفر و عبدالله و عثمان أبناء علي عليه السلام من أم البنين، و كان بين ام البنين و شمر قرابة.

و اراد العباس أن لا يجيب شمراً، و لكن الإمام الحسين قال له: أجبه.

فاقترب العباس إلى شمر و قال له: ماتريد؟

فقال الشمر: أنتم يابني اختي آمنون.

فقال له: لعنك الله ولعن امانك، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له؟.[١]

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٩١

النموذج الثاني: عند ظهر عاشوراء و في ذروة القتال قال أحد أصحابه و هو أبو ثمامة الصيداوي للحسين ﷺ: يا ابا عبد الله، نفسي لنفسك الفداء، هؤلاء اقتربوا منك، ولا والله لا تُقتل حتى أُقتل دونك، وأُحب ان القى الله ربّي وقد صليتُ هذه الصلاة.

فرفع الحسين رأسه الى السماء وقال ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلّين، نعم؛ هذا أول اوقاتها.

ثم قال: سلوهم ان يكفوا عنا حتى نصليّ.

فقال الحصين بن نمير: إنها لا تُقبل.

فقال حبيب بن مظاهر: لا تُقبل الصلاة زعمتَ من ابن رسول الله وتُقبل منك يا ختار؟

وروي أن سعيد بن عبد الله الحنفي تقدم امام الحسين وجعل نفسه تُرساً للامام فأخذوا يرمون الحسين بالنبال كلما اخذ الحسين يميناً وشمالاً قام بين يديه فما زال يرمي حتى سقط الى الارض وهو يقول: اللهم العنهم لعن عاد وثمود، اللهم أبلغ نبيك السلام عنّي وأبلغه ما لقيت من الم الجراح فاني أردت بذلك نصرة ذرية نبيك ثم مات رضوان الله عليه فوُجد به ثلاثة عشر سهماً سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح.[1]

لقد كان أصحاب يزيد و جنوده على نمطه من حيث النفسيات الفاسدة و من حيث الأهداف الدنيوية و الحيوانية المنحطة، فقد كانوا على غراره طلاب شهوة و مال، عديمي الاخلاق، و الشخصية، لا يرتدعون عن اي نوع من انواع الجريمة في سبيل الوصول الى أهدافهم الحيوانية، كانوا يدافعون عن ما يقوم به يزيد لترسيخ

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٢٢

قوائم حكمه و تقوية قواعد دولته، ليصلوا في ظل ذلك إلى ما كانوا يفكرون فيه و يطمحون إليه من مزيد المال و الثروة و الجاه و المنصب.

و لقد قاد عبيدالله بن زياد المتعطش إلى الجاه و المنصب معركة كربلاء الدامية و ارتكب ما ارتكب فيها من الفضاعات، رداً منه لجميل الوصول إلى حكومة الكوفة من جانب يزيد.[1]

و عندما دخل ابن زياد الكوفة عمد إلى استخدام سلاح التهديد و الترغيب لتفريق الناس و إبعادهم عن مسلم بن عقيل و القبض عليه و قد استخدم نفس هذا الاسلوب لحضّ الناس على مقاتلة الامام الحسين عليه السلام أيضاً.[2]

على أن ضعف الإيمان و الجهل كانا بعض أسباب هذه الحالة، فعلى أثر ضعف الايمان و الجهل و حبّ الدنيا قام جنود ابن زياد بارتكاب كل جناية مخزية حتى أنهم لم يرتدعو عن العمليات القاسية التي تعتبر جرائم حرب:

- فقد حالوا بين ماء الفرات و بين أصحاب الامام الحسين عليه السلام وانصاره و نسائه و اولاده و أطفاله بحيث ارتفع صراخ الاطفال و هم يشكون العطش وهم يقولون: واعطشاه، و دوى هذا الصراخ في أرض كربلاء.

- انهم لم يرتدعوا عن قتل الأطفال الصغار بل و حتى الرضع، كما أنهم بعد أن قتلوا الإمام الحسين عليه السلام و أصحابه و أعوانه بكل قسوة و وحشيّة حزّوا رؤوسهم و قسّموا الرؤوس بين قادة الجيش، ليأخذوها إلى ابن زياد و يحظوا منه بالجوائز.

- انتزعوا ثياب القتلى و الشهداء و لم يتركوا حتى الألبسة الزهيدة القيمة.

(١) بحارالأنوار ج ٤٤ ص ٣٢٧

(٢) بحارالأنوار ج ٤٤ ص ٣٤١ - ٣٤٠

- أغارو على خيام الإمام الحسين عليه السلام و مضاربه و نهبوا مافيها.

- احرقوا الخيام و المضارب.

- للحصول على الأقراط لم يأبهوا انتزاعها من آذان البنات والصبايا بقوة وقسوة مما ادى إلى تمزيقها و جرحها.

- عمدوا إلى دفن قتلاهم و لكنهم تركوا جسم الإمام الحسين عليه السلام واجساد أصحابه على الرمال من دون دفنها و مواراتها و الحال أن كفن بدن الميت و دفنه أمر واجب شرعاً.

- أسروا عوائل الشهداء و اولادهم و حملوهم كالاسرى من كربلاء الى الكوفة وطافوا بهم في أزقة الكوفة أمام الناس و أدخلوهم إلى مجلس ابن زياد و أهانوهم في ذلك المجلس.

- عرضوهم على الناس عند حملهم اسرى من الكوفة إلى الشام في القرى و المدن، و عند ورودهم في الشام زينوا البلد و طافوا بأهل البيت في الطرقات و الاسواق، و الأزقة ثم أدخلوهم في مجلس يزيد و اهانوهم و احتقروهم في ذلك المجلس.

و العجب أن هذه الجرائم المشينة تمت على يد اشخاص كانوا يعتبرون أنفسهم مسلمين و مؤمنين برسول الله صلى الله عليه وآله وهو جدّ هؤلاء الشهداء و الاسرى الذين كانوا من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

أهداف الامام الحسين و طريقته في متابعتها

لكي نعرف - بصورة افضل -أهداف الامام الحسين عليه السلام في نهضه كربلاء الدامية من الأفضل أن نراجع كلماته عليه السلام.

فقد كتب المؤرخون لهذه النهضة الكبرى أن الامام الحسين عليه السلام عندما اراد

الخروج من المدينة كتب وصيّة الى أخيه محمد بن الحنفية جاء فيها: «اني لم اخرج أشراً ولابطراً ولا مفسداً ولاظالماً انما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي، أُريد ان آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام.[1]

لقد اشار الامام الحسين عليه السلام في هذه الوصية إلى ثلاثة أهداف لقيامه وهي: اصلاح أُمور المسلمين، والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، وإحياء سيرة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله و أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام.

بقليل من الامعان يمكن القول بأن أهمّ هدف للامام كان هو اصلاح أُمور الأُمة التي حرّفت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله في المجالات المختلفة العبادية، و الاجتماعية، و الأخلاقية و السياسية، والاقتصادية

و لقد قام الإمام الحسين عليه السلام بهذا المهمّ من خلال الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر بجميع مراحلها و مراتبها.

و على هذا الاساس يمكن وصف نهضة الإمام الحسين عليه السلام بأنها كانت عملاً اعتراضياً و نهضة إصلاحية و قد تمت ضمن مراحل مختلفة و طبقاً لمقتضيات الزمان و المكان.

المرحلة الأُولى: الهجرة من المدينة

فقد كتب يزيد إلى والي المدينة (الوليد) بعد موت أبيه معاوية أن يأخذ البيعة من الحسين بن علي، و أن يقتله إن امتنع من إعطاء البيعة و لكن الإمام الحسين عليه السلام كان يعتبر حكومة يزيد حكومة غير شرعيّة، و لم يكن مستعداً - لإضفاء

(١) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٢٩

الشرعية على هذه الحكومة و لهذا امتنع عن مبايعة يزيد و خرج من المدينة و اتجه الى مكة لإثبات عدم رضاه، بمبايعته، و كان هذا العمل يعدّ نوعاً من النهي عن المنكر.

المرحلة الثانية: الإقامة في مكة

لقد قصد الامام الحسين عليه السلام ان يبقى في مكة، و أن يثبت ضمن اعتراضه العمليّ - في صورة الإمكان إبداء اعتراضه، و إظهار عدم رضاه، بالخطابة في جماعة المسلمين الوافدين من البلاد المختلفة إلى مكة بقصد الحج وكان هذا نوعاً من الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و لكن حدثت حادثتان جديدتان في مكة كان من الممكن أن تؤثران على ارادة الأمام عليه السلام.

الاولى: أن شيعة الكوفة اطلعوا - خلال مدة توقف الامام الحسين عليه السلام فى مكة - على عدم مبايعته و حركته باتجاه مكة، فدعوه ضمن رسائل كثيرة جداً.

الثانية: ان الامام الحسين عليه السلام اطّلع على ان يزيد بن معاوية قد كلّف عدة أشخاص لاغتيال الإمام سرّاً.

المرحلة الثالثة: الحركة باتجاه الكوفة

بالنظر إلى الحادثة المذكورة تغيّرت الاوضاع فمن جانب لم يكن في امكان الامام أن يبقى في مكة لأنه في صورة اغتياله كانت تنهار قداسة الحرم و يذهب دمه هَدَراً، و من جانب آخر كان شيعة العراق قد دعوه، و لم يكن لديه اي حجة في رفض دعوتهم.

و بناء على هذا أحس الامام عليه السلام بالمسؤوليّة و رأى بأن يتحرك باتجاه الكوفة و يواصل حركته الاعتراضية. و في نفس الوقت و لأجل رعاية الاحتياط

بعث مسلم بن عقيل - في البداية - مع رسالة إلى الكوفة ليتقصّى الحقائق من قريب، و يطلعه على حقيقة الحال، و بعد مدة تلقى كتاباً من مسلم بن عقيل جاء فيه: أنه قد بايعه في الكوفة خلق كثير وهم ينتظرونه.

لقد احسّ الإمام الحسين عليه السلام بأن عليه أن يتوجّه إلى العراق لأنّه من جانب يمكنه أن يواصل - بذلك - حركته الإعتراضية، و من جانب آخر كانت رسائل أهل الكوفة و كتاب مسلم تكشف عن أن أرضية تأسيس الحكومة الاسلامية بدون التوسل بالحرب و سفك الدماء و من خلال مناصرة جماعات كبيرة من الشيعة كانت قد تهيّأت، و في النتيجة يتمكن الإمام من إحياء الحكومة الاسلامية و سيرة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله و اصلاح أوضاع المسلمين و هو أعلى مرتبة من مراتب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

في هذه الأثناء اذا لم يعمل الكوفيّون بوعودهم أو حصلت عراقيل و مشاكل في هذا المسار يكون الإمام قد عمل بمسؤوليته و وظيفته الجديدة طبق مقتضيات الزمان و المكان، و على كل حالٍ يفقد مبرّر حركته الاعتراضية.

المرحلة الرابعة: الإطّلاع على شهادة مسلم)

لقد اطّلع الأمام الحسين عليه السلام في التعلبيّة على خبر استشهاد مسلم، وواجه اوضاعاً جديدة، و في هذه المرحلة كان يجب عليه ان يقرر موقفاً متوافقاً مع المستجدّات، و كان اول خطوة اتخذها هي أنه أخبر أصحابه بمصرع مسلم بكل وضوح و شاورهم في الأمر. فقالوا له: والله ما نرجع حتى نصيب ثأرنا او نذوق ما ذاق. فقال الامام الحسين عليه السلام: «لا خير فى العيش بعد هؤلاء».

فقال له بعض اصحابه: انك والله ماانت مثل مسلم، ولو قدمت الكوفة لكان اسرع الناس اليك.

و في ظل الاوضاع الجديدة لم يكن مقابل الإمام الحسين إلا أمران: إما أن يواصل توجهه باتجاه الكوفة، او ينصرف عن الذهاب إلى الكوفة و يتوجه إلى مكان آخر، و يقوم هناك بواجبه طبقاً للظروف و الشرائط التي تتجدد.

و قد رجّح الإمام عليه السلام الطريقَ الأول، لأنه لم ييأس من نصرة أهل الكوفة له بالمرّة و قد أيّد أصحابُه و أعوانُه هذا الاحتمال و هذا الخيار.

و ثانياً: لقد فكّر الامام عليه السلام و رأى أن أهل الكوفة إذا لم يعملوا بوعودهم فإنه مع ذلك يتمكّن من أن يقوم بواجبه و فقاً للأوضاع و الشرائط المستجدة و يواصل حركته الاعتراضية، و لهذا قرر أن يتحرك نحو الكوفة.

لقد رأى الإمام الحسين عليه السلام أَن من اللازم هنا أن يقوم بعمل آخر و هو أنه كان بين أصحابه و أَعوانه شخص أَو أَشخاص يكرهون الاستمرار في هذا السفر الخطير، و كان لا يريد أن يسير معه أحد بدافع الحياء فلابد من تركه و لهذا قال لأصحابه و أنصاره: **إنه قد اتانا خبر فضيع: قتل مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة وعبد الله بن يقطر وقد خذلنا شيعتنا فمن أَحب منكم الانصراف فلينصرف في غير حرج و ليس عليه ذمام».**

فتفرق أفراد معدودون جداً، و واصل الإمام سفره الى الكوفة.

المرحلة الخامسة: ملاقاة الحرّ

لقد كان برنامج الحسين عليه السلام هو أن يصل إلى الكوفة في اسرع ما يكون، و لكنه قبل أن يصل إلى الكوفة التقى الحرّ و جنده، فمنعه الحر من السير فقال له الإمام: **«ايها الناس اني لم آتكم حتى أتتني كتبكم فان كنتم لمقدمي كارهين انصرفتُ عنكم الى المكان الذي جئت منه اليكم».**

فقال الحر: أَنا والله ما أَدري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر.

لقد تجدد واقع جديد جداً، وان التسليم لابن زياد لم تكن نتيجته الا البيعة مع الذلة و الصغار أو الشهادة باحتقار، و من البديهي ان الإمام الحسين عليه السلام ما كان ليقبل بمثل هذا الأمر و لهذا غير مسيره، و بدلاً من أن، يذهب إلى الكوفة اختار طريقاً أخر، لينجو من هذه الطريق المسدودة ويواصل حركته الاعتراضية في مناطق أُخرى.

المرحلة السادسة: النزول في أرض كربلاء

كانت قافلة الإمام الحسين عليه السلام تواصل طريقها و يرافقها جيش الحرّ من دون التوسل بالحرب، و يراقبها حتى وصلت إلى ارض كربلاء.

و في هذا الوقت بالذات وصلت رسالة من ابن زياد الى الحرّ تأمره بان يمنع الحسين من الحركة و يوقف حركته في تلك المنطقة.

بوصول هذه الرسالة تغيّرت الاوضاع بالكامل وحصل واقع جديد فالامام لم يعد بإمكانه الذهاب الى الكوفة، و لا الذهاب إلى نقطة أُخرى، و مرة أُخرى صار الإمام أمام طريقين:

إما أن يسلّم لابن زياد و يقبل بالذلة ليحيا و يبقى، او يعيش بضع سنوات، او يقاوم، و يرجح الدفاع المقدس و الشهادة بشرف على الحياة الذليلة.

و في هذا الظرف العصيب الخطير أيضاً لم يدع الامام الحسين عليه السلام مواصلة هدفه.

لقد آثر الامام الحسين عليه السلام القتال برجولة، و الدفاع المقدس حتى الشهادة ليعلّم المسلمين درساً في الحرية، و الالتزام الديني، و تحري العدالة و الوقوف ضد الاستبداد، وليزعزع قواعد الحكومة الأُموية غير المشروعة.

إن هذا هو أعلى مراحل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الإمام الرابع

الإمام زين العابدين عليه السلام

وُلد عليٌّ بن الحسين عليه السلام على بعض الاقوال في منتصف جمادى الأُولى من عام ثلاث وثلاثين أو واحد وثلاثين من الهجرة الشريفة في المدينة المنورة.(١)

والده: الامام الحسين بن علي عليه السلام وأُمُّه - على قول - هي شهربانو بنت يزد جرد.(٢)

الكنية: أبو الحسن وأبو القاسم وأبو محمد وابوبكر.

وأشهر القابه: زين العابدين وسيد العابدين وزين الصالحين والسجاد.(٣)

وبناء على بعض الاقوال تُوفي الإمام في المدينة (مسموماً) في اليوم الثاني عشر من شهر محرم الحرام عام أربعة وتسعين من الهجرة ودُفن في البقيع.(٤)

عاش عليه السلام في هذه الحياة سبعة وخمسين عاماً وكان عمره سنتين عندما استُشهد جده أمير المؤمنين عليّ بن ابي طالب عليه السلام وادرك عشر سنوات من فترة امامة عمه الامام الحسن بن علي عليه السلام وكان عمره يوم عاشوراء عام واحد وستين

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٤

(٢) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٣

(٣) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٤

(٤) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٨ و ١٥٤

من الهجرة اثنتين وعشرين سنة وعاش بعد والده خمساً وثلاثين سنة هي كل فترة امامته.

النصوص على امامته

لإثبات إمامة الامام علي بن الحسين عليه السلام هناك - مضافاً الى الادلة الكلية والمشتركة الدالة على امامة الائمة الاثني عشر عليهم السلام التي سبقت الإشارة اليها في ما مضي - ادلة خاصة استدل بها، ناتي بطائفة منها وهي عبارة عن نصوص وردت عن والده في هذا المجال:

عَن أَبي بكر الحَضرمي عَن أَبي عَبد الله عليه السلام قَال: «إن الحسين عليه السلام لَما صارَ إِلَى الْعراقِ اسْتَودعَ أُم سَلَمة رَضِيَ الله عَنْهَا الكُتبَ وَ الوَصيةَ فَلما رَجَع عَلِيُّ بْنُ الْحسَينِ دَفَعتهَا اليه».[١]

وعن الفضيل قال قال لي أبو جعفر عليه السلام: «لما توجّه الحسين عليه السلام إلى العراق دفع إلى أُم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله الوصيَّة و الكتب و غير ذلك و قال لها: إذا أتاكِ أكبر ولدي فادفعي إليه ما دفعت إليك فلما قتل الحسين عليه السلام أتى علي بن الحسين أم سلمة فدفعت إليه كل شيىء اعطاها الحسين».[٢]

وعن أبي الجارود قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إن الحسين بن علي عليه السلام لما حضَره الذي حضره دعا ابنته الكبرى فاطمة ابنة الحسين فدفع إليها كتاباً ملفوفاً و وصيةً ظاهرةً و كان علي بن الحسين مبطوناً معهم لا يرون إلا لما به فدفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين ثم صار ذلك الكتاب و الله إلينا».

(١) إثبات الهداة ج ٥ ص ٢١٢

(٢) إثبات الهداة ج ٥ ص ٢١٢

قال قلت: فما في ذلك الكتاب جعلني الله فداك ؟

قال: فيه و الله ما يحتاج إليه وُلد آدم منذ يوم خُلق آدم إلى أن تفنى الدنيا، و الله إن فيه الحدود حتى إن فيه أرش الخدش ».[١]

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: كنت عند الحسين بن علي عليه السلام إذ دخل علي بن الحسين الأصغر على الحسين عليه السلام فقلت: بأبي أنت وأُمي يا ابن رسول الله إن كان ما نعوذ بالله أن نراه فيك فإلى مَن؟

قال: علي ابني هذا هو الإمام أبو الأئمة ».[٢]

وروى المسعودي في كتابه (اثبات الوصية) أن الحسين عليه السلام في وقت قتاله بكربلاء أحضر علي بن الحسين عليه السلام وكان عليلاً فأوصى اليه بالاسم الأعظم ومواريث الانبياء عليهم السلام وعرَّفه انه قد دفع العلوم والصحف والسلاح الى أُم سلمة رضي الله عنها وأمَرها ان تدفع جميع ذلك اليه.[٣]

وكتب السيد المرتضى في كتاب (عيون المعجزات) يقول: روى اصحاب الحديث ان الحسين عليه السلام اوصى الى ابنه عليّ بن الحسين عليه السلام وسلَّم اليه الاسم الاعظم ومواريث الانبياء ونص عليه بالامامة من بعده.[٤]

---

(١) إثبات الهداة ج ٥ ص ٢١٣ وهنا ينبغي ان تكون لنا اشاره عابرة الى شبهة قد تتبادر الى بعض الاذهان والاجابة عليها وهي انه جاء في حديث ابي الجارود ان الامام الحسين اعطى الكتاب والوصية الى ابنته فاطمة في حين جاء في حديث ابي بكر الحضرمي والفضيل بن يسار ان الامام اعطى الكتاب والوصية الى ام سلمة فكيف يمكن التوفيق بين هذين الحديثين؟!

فنقول في الجواب على ذلك: يمكن ان تكون الكتب والوصايا متعددة وان الامام عليه السلام اعطى بعضها الى ام سلمة وبعضها الآخر الى ابنته فاطمة

(٢) إثبات الهداة ج ٥ ص ٢١٥

(٣) إثبات الهداة ج ٥ ص ٢١٦

(٤) إثبات الهداة ج ٥ ص ٢١٦

وعن محمد بن مسلم قال: سألت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن خاتم الحسين بن علي عليه السلام إلى من صار و ذكرت له أني سمعت أنه أُخذ من إصبعه فيما أُخذ.

قال عليه السلام: **«ليس كما قالوا، إن الحسين عليه السلام أوصى الى ابنه عليّ بن الحسين عليه السلام وجعل خاتمه في اصبعه وفوّض اليه أمره كما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله بأمير المؤمنين عليه السلام وفعله أمير المؤمنين بالحسن وفعله الحسن بالحسين عليه السلام ثم صار ذلك الخاتم إلى أبي عليه السلام بعد أبيه ومنه صار إلي فهو عندي و إني لألبسه كل جمعة و أُصلي فيه».**

قال محمد بن مسلم: فدخلت إليه يوم الجمعة و هو يصلي فلما فرغ من الصلاة مدّ إلي يده فرأيت في إصبعه خاتماً نقشه **(لا إله إلا الله عدة للقاء الله)**، فقال: **«هذا خاتم جدي أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام».**(١)

هذا، وقد استدل مؤلف كتاب (كشف الغمة) لإثبات امامة الامام زين العابدين أيضا، بعدة ادلة اخرى.

قال: و ثبتت له الامامة من وجوه:

أحدها: أنه كان أفضل خلق الله بعد أبيه علماً و عملاً، فالامامة للافضل دون المفضول بدلائل العقول.

وثانيها: وجوب وجود الامام – عقلاً ونقلاً – في كل زمان، لعدم خلوّ الزمان من الإمام والحجة في الارض من جهة، و فساد وبطلان دعوى كل مدّع للإمامة في أيام علي بن الحسين عليه السلام لعدم وجود دليل صحيح عليه من جهة اخرى فثبتت الامامة للامام زين العابدين عليه السلام لاستحالة خلوّ الارض من الامام.

وثالثها: ورود نصوص عن النبي صلى الله عليه وآله على امامة علي بن الحسين عليه السلام مثل

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٧

حديث اللوح الذي رواه جابر عن النبي ﷺ و رواه محمد بن علي الباقر ﷺ عن أبيه عن جده عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ والذي جاء فيه ذكر أسماء الأئمة الأثني عشر ومنها اسم الامام السجاد ﷺ.

و لقد أخبر جدُه أمير المؤمنين ﷺ في حياة أبيه الحسين ﷺ عن إمامته كما يُستفاد ذلك من الأخبار،

و كذا من وصية أبيه الحسين ﷺ قبيل استشهاده بإمامة عليّ بن الحسين ﷺ، نو إيداع تلك الوصية عند أُم سلمة رضي الله عنها، لتسلّمها اليه من بعده، و قد كان جعل التماسه من أم سلمة علامةً على إمامة الطالب لها من الأنام.[1]

وفي رواية مفصلة قال جابر بن عبد الله الأنصاري: يا رسول الله و من الائمة من ولد علي بن أبي طالب.

قال: «الحسنُ و الحسينُ سيدا شباب أهل الجنة ثم سيدُ العابدين في زمانه علي بن الحسين ثم الباقِر محمد بن علي و ستدركه يا جابر، فإذا أدركتَه فاقرئه مني السلام ثم الصادقُ جعفر بن محمد ثم الكاظِم موسى بن جعفر ثم الرضا علي بن موسى ثم التقي محمد بن علي ثم النقي علي بن محمد ثم الزكي الحسن بن علي ثم ابنه القائمُ بالحق مهدي أمتي الذي يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً.

هؤلاء يا جابر خلفائي و أوصيائي و أولادي و عترتي، من أطاعهم فقد أطاعني و من عصاهم فقد عصاني، و من أنكرهم أو أنكر واحداً منهم فقد أنكرني، بهم يُمسك الله عز و جل السماء أن تقع على الأرض إلا باذنه، و بهم يحفظ الله

---

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ٢٦٥

الأرض أن تميد بأهلها.[١]

فضائله ومكارم اخلاقه

كان علي بن الحسين عليه السلام اكرم واشرف أهل زمانه بحيث دُعي زين العابدين.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**ينادي منادٍ يوم القيامة أين زينُ العابدين فكأني أنظر إلى علي بن الحسين عليه السلام يخطر بين الصفوفِ**».[٢]

وقال عمر بن عبد العزيز يوماً و قد قام من عنده علي بن الحسين عليه السلام: مَن أشرفُ الناس؟

فقالوا: أنتم.

فقال: كلا فإن أشرف الناس هذا القائم من عندي.[٣]

و لما حج هشام بن عبد الملك قبل أن يلي الخلافة اجتهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يمكنه ذلك و جاء علي بن الحسين عليه السلام فتوقف له الناس، و تنحوا حتى استلم، فقال جماعة هشام لهشام: من هذا؟

فقال: لا أعرفه!!

فسمعه الفرزدق فقال: لكني أعرفه، هذا علي بن الحسين زين العابدين، و أنشد هشاماً الأبيات المعروفة التي قال فيها:

هــذا الذي تــعرف البــطحاءُ وطـأته | و البــيت يــعرفه و الحِــلُّ و الحــرمُ
هـــذا ابـــن خـــير عـــباد الله كُـلهمُ | هـــذا التـــقي النـــقي الطـــاهر العـــلمُ
يكـــاد يـــمسكه عـــرفانَ راحـــته | ركـــنُ الحـــطيم إذا مـــا جـاء يستلمُ

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة ج ١ ص ٣٧٢

(٢) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٣

(٣) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٣

إذا رأتــــه قـــــريشٌ قـــال قـــائلها: إلى مكـــــارم هـــذا يـــنتهي الكـــرمُ
إن عُـــدَّ أهـــل التـــقى كـــانوا أئـــمتهمْ أو قيل: من خير أهل الأرض قيل: همُ[1]

وعن أبي حازم و سفيان بن عيينة و الزهري قال كلٌّ واحد منهم: ما رأيت هاشمياً أفضل من زين العابدين و لا أفقه منه.[2]

عبادتُه وتهجده بالليل

كان الامام زين العابدين – بعد جده الامام علي بن أبى طالب عليه السلام – أعبد أهل زمانه بحيث لُقب بزين العابدين وسيدالساجدين.

فعن الصادق عليه السلام قال: «**كان عليٌّ بن الحسين عليه السلام إذا حضرالصلاة اقشعر جلدُه و اصفر لونُه و ارتعد كالسعفة**».[3]

و كان الامام محمد الباقر عليه السلام يقول: «**كان عليُّ بن الحسين عليه السلام إذا قام إلى الصلاة كأنه ساق شجرة لا يتحرك منه شيءٌ إلا ما حركت الريح منه**».[4]

وعن ابى حمزةالثمالي قال: رأيت علي بن الحسين عليه السلام يُصلي فسقط رداؤه عن أحد منكبيه فلم يسوِّه حتى فرغ من صلاته.

قال: فسألته عن ذلك:

فقال: «**ويحك أ تدري بين يدي من كنتُ، إن العبدَ لا يُقبل من صلاته إلا ما أقبل عليه منها بقلبه**».[5]

---

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ٧٩
(٢) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٢٥
(٣) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٥٥
(٤) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٦٤
(٥) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٦٦

وروي أنه كان إذا قام إلى الصلاة تغير لونه و أصابته رعدة، فربما سأله عن حاله من لا يعرف أمرَه في ذلك فيقول: «إني أريد الوقوف بين يدي ملك عظيم».

و كان إذا وقف في الصلاة لم يشتغل بغيرها، ولم يسمع شيئاً لشغله بالصلاة.[1]

و عن عبد الله بن علي بن الحسين قال: كان أبي يصلي بالليل حتى يزحف إلى فراشه.[2]

وكان يقضي ما فاته من صلاة نافلة النهار في الليل و يقول: «يا بُني ليس هذا عليكم بواجب، و لكن أحب لمن عوَّد منكم نفسَه عادةً من الخير أن يدوم عليها».

و كان لا يدع صلاة الليل في السفر و الحضر.[3]

وقال والد أبي حمزة الثمالي: رأيت علي بن الحسين عليه السلام في فناء الكعبة في الليل و هو يصلّي فأطال القيام حتى جعل مرة يتوكأ على رجله اليمنى و مرة على رجله اليسرى ثم سمعته يقول بصوت كأنه باك: «يا سيدي تعذبني و حبُّك في قلبي، أما و عزتك لئن فعلتَ لتجمعنّ بيني و بين قوم طال ما عاديتُهم فيك».[4]

وعن الزُهري قال قال علي بن الحسين عليه السلام: «لو مات مَن بين المشرق و المغرب لما استوحشتُ بعد أن يكون القرآن معي».

وكان عليه السلام إذا قرأ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يكررها حتى كاد أن يموت[5]

وعن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أن فاطمة بنت علي بن أبي طالب لما

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٨٠
(٢) بحار الأنوار ج٤٦ ص ٩٩
(٣) بحار الأنوار ج٤٦ ص ٩٨
(٤) بحار الأنوار ج٤٦ ص ١٠٧
(٥) بحار الأنوار ج ٤٦ص ١٠٧

نظرت إلى ما يفعل ابنُ أخيها علي بن الحسين بنفسه من الدأب في العـبادة أتت جابرَ بن عبد الله الانصاري فقالت له: يا صاحب رسول الله إن لنا عليكم حـقوقاً ومن حقنا عليكم أن إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهاداً أن تذكّروه الله و تـدعوه إلى البقيا على نفسه، و هذا علي بن الحسين بقية أبيه الحسين قد انخرم أنـفه، و ثفنت جبهته و ركبتاه و راحتاه إدءاباً منه لنفسه في العبادة.

فأتى جابرُ بن عبد الله باب علي بن الحسين فدخل عليه فوجده في محرابه قد أنضته العبادة فنهض عليٌ عليه السلام فسأله عن حاله سؤالاً حفياً، ثم أجلسه بـجنبه فأقبل جابر عليه يقول: يا ابن رسول الله أ ما علمت أن الله تعالى إنما خلق الجنة لكم و لمن أحبّكم و خلق النار لمن أبغضكم و عاداكم فما هذا الجهد الذي كلّفته نفسك؟

قال له علي بن الحسين عليه السلام: «**يا صاحب رسول الله أ مـا عـلمت أنّ جـدي رسول الله صلى الله عليه وآله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر فلم يدع الاجتهاد و تعبّد بأبي هو و أمي حتى انتفخ الساق و ورم القدم و قيل له: أتفعل هذا و قد غفر الله لك مٰا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مٰا تَأَخَّرَ؟ قال: أ فلا أكون عبداً شكورا؟**

فلما نظر جابر إلى عليٍّ بن الحسين عليه السلام و ليس يفيد فيه قولُ من يستميله من الجهد و التعب إلى القصد قال له: يا ابن رسول الله البقيا على نفسك فإنك من أُسرة بهم يُستدفع البلاء و يُستكشف اللأواء وبُهم يُستمطر السماء.

فقال له: يا جابر لا أزال على منهاج أبوي مؤتسياً بهما صـلوات الله عـليهما حتى ألقاهما».[1] هذا وقد حج علي بن الحسين عليه السلام ماشياً فسار عشرين يوماً من

(١) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٧٨ - ٨٩

المدينة إلى مكة.[١]

الإحسان إلى الفقراء والمعوزين

قال أبو جعفر عليه السلام: «إن أباه علي بن الحسين عليه السلام قاسَم الله ماله مرتين».[٢]

كان عليُّ بن الحسين عليه السلام يحمل معه جراباً فيه خبز فيتصدق به و يقول: «إن الصَّدقة لتطفئ غضب الرب».[٣]

عن عمرو بن دينار قال حضرت زيد بن أسامة بن زيد الوفاة فجعل يبكي فقال له عليُّ بن الحسين عليه السلام: ما يبكيك؟

قال: يُبكيني أن عليَّ خمسة عشر ألف دينار و لم أترك لها وفاءً.

فقال له علي بن الحسين: «لا تبك فهي عليَّ و أنت بريءٌ منها» فقضاها عنه.[٤]

احتضر عبدالله فاجتمع غرماؤه عنده فطالبوه بدَين لهم فقال: لا مال عندي أعطيكم و لكن إرضوا بمن شئتم من ابني عمي علي بن الحسين و عبد الله بن جعفر.

فقال الغرماء: عبدالله بن جعفر مليٌّ مطول و علي بن الحسين رجلٌ لا مال له صدوق فهو أحب إلينا. فأرسل إليه، فأخبره الخبر. فقال عليه السلام: «أضمن لكم المال إلى غلَّة»، و لم تكن له غلّة.

فقال القوم: قد رضينا و ضمنه.

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٧٦

(٢) بحارالأنوار ج ٤٦ ص ٩٠

(٣) بحارالأنوار ج ٤٦ ص ١٠٠

(٤) بحارالأنوار ج ٤٦ ص ٥٦

فلما أتت الغَلة أتاح الله له المال فأوفاه.(١)

و قال الامام الباقر عليه السلام: كان عليه السلام لَيَخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب على ظهره و فيه الصُرر من الدنانير و الدراهم و ربما حَمل على ظهره الطعام أو الحطب حتى يأتي ابواب الفقراء باباً باباً فيقرعه ثم يناول من يخرج إليه و كان يغطي وجهه إذا ناول فقيراً لئلا يعرفه فلما توفي عليه السلام فقدوا ذلك فعلموا أنه كان علي بن الحسين عليه السلام».(٢)

وقد رأى الزهري علي بن الحسين عليه السلام ليلة باردة مطيرة و على ظهره دقيق و هو يمشي فقال: يا ابن رسول الله ما هذا؟

قال: «أريد سفراً أعد له زادا أحمله إلى موضع حريز».

فقال الزهري: فهذا غلامي يحمله عنك، فأبى.

قال: أنا أحمله عنك فإني أرفعك عن حمله.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: «لكني لا أرفع نفسي عما ينجيني في سفري و يحسن ورودي على ما أرد عليه، أسألك بحق الله لما مضيت لحاجتك و تركتني».

فانصرف عنه، فلما كان بعد أيام قال له: يا ابن رسول الله لستُ أرى لذلك السفر الذي ذكرته أثراً؟.

قال: بلى يا زهري ليس ما ظننتَ و لكنه الموت و له أستعد إنما الاستعدادُ للموت تجنب الحرام و بذل الندى في الخير.(٣)

ولما وجه يزيد بن معاوية عسكره لاستباحة أهل المدينة – في قضية الحرَة – ضمَّ عليُّ بن الحسين عليه السلام إلى نفسه أربعمائة من العوائل إلى أن انقرض جيشُ

---

(١) بحارالأنوار ج ٤٦ ص ٩٤

(٢) بحارالأنوار ج ٤٦ ص ٦٢

(٣) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٠١

مسلم بن عقبة.[١]

تواضعه

كان الامام السجاد عليه السلام مع ما كان عليه من المكانة والمنزلة والحسب والنسب على تواضع كبير.

فقد مر عليه السلام - ذات يوم - على المجذومين و هو راكب حماراً و هم يتغدُّون فدعوه إلى الغذاء فقال: «إني صائم، و لو لا أني صائم لفعلتُ».

فلما صار إلى منزله أمر بطعام فصُنع و أمر أن يتنوقوا فيه ثم دعاهم فتغدَوا عنده و تغدّى معهم.[٢]

عفوه واحسانه

روى أحد اصحاب الامام علي بن الحسين عليه السلام أنه وقف على عليّ بن الحسين عليه السلام رجلٌ من أهل بيته فأسمعه و شتمه فلم يكلمه.

فلما انصرف قال لجلسائه: لقد سمعتم ما قال هذا الرجل و أنا أحبُّ أن تبلغوا معي إليه حتى تسمعوا مني ردّي عليه».

قال: فقالوا له: تفعل؟ ولقد كنا نحب أن يقول له و يقول، فأخذ نعليه و مشى و هو يقول: ﴿وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعافِينَ عَنِ النّاسِ وَ الله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، فعلمنا أنه لا يقول له شيئاً.

قال: فخرج حتى أتى منزل الرجل فصرخ به.

(١) بحارالأنوار ج ٤٦ ص ٩٤

(٢) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٩٤

فقال: قولوا له: هذا عليٌّ بن الحسين.

قال: فخرج إلينا متوثباً للشر و هو لا يشك أنه انما جاء مكافئاً له على بعض ما كان منه.

فقال له علي بن الحسين: يا أخي إنك كنتَ قد وقفتَ علي آنفا فقلتَ و قلتَ، فإن كنتَ قلتَ ما فيَّ فأستغفر الله منه، و إن كنت قلتَ ما ليس فيَّ فغفر الله لك.

قال: فقبّل الرجل بين عينيه و قال: بل قلتُ فيك ما ليس فيك و أنا أحق به.[(١)]

ولقد جعلت جارية لعلي بن الحسين عليه السلام تسكب الماء عليه و هو يتوضأ للصلاة فسقط الإبريقُ من يد الجارية على وجهه، فشجّه، فرفع علي بن الحسين عليه السلام رأسه إليها.

فقالت الجارية: إن الله عز و جل يقول: ﴿وَ الْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾.

فقال لها: قد كظمتُ غيظي.

قالت: ﴿وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾.

قال لها: قد عفا الله عنك.

قالت: ﴿وَ الله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

قال: اذهبي فأنتِ حرة.[(٢)]

وكان عنده عليه السلام قومٌ أضياف فاستعجل خادمٌ له بشواء كان في التنور فأقبل به مسرعاً فسقط السُّفود منه على رأس صبي لعلي بن الحسين عليه السلام تحت الدرجة فأصاب رأسه فقتله.

فقال علي للغلام و قد تحير ذلك الغلام و اضطرب: «أنتَ حرٌّ، فإنك لم

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٦٨

(٢) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٦٧

تتعمّده» وأخذ في جهاز ابنه و دفنه.[١]

وكان عليه السلام يوماً خارجاً فلقيه رجلٌ فسبَّه فثارت إليه العبيدُ و الموالي فقال لهم عليٌّ: مهلاً كفوا.

ثم أقبل على ذلك الرجل فقال له: «ما ستر عَنك من أمرنا أكثرُ، ألَكَ حاجة نعينك عليها».

فاستحيا الرجل، فألقى إليه عليٌّ عليه السلام خميصةً كانت عليه، و أمر له بألف درهم. فكان ذلك الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسل.[٢]

وكان له ابن عم يأتيه بالليل متنكّرا فيناوله شيئاً من الدنانير فيقول: لكن علي بن الحسين لا يواصلني، لا جزاه الله عني خيراً، فيسمع ذلك، و يحتمل و يصبر عليه، و لا يعرّفه بنفسه.

فلما ماتَ عليٌّ عليه السلام فَقَدها فحينئذ عُلم أنه هو كان فجاء إلى قبره و بكى عليه[٣]

وانتهى عليه السلام إلى قوم يغتابونه فوقف عليهم فقال لهم: «إن كنتم صادقين فغفرالله لي و إن كنتم كاذبين فغفرَ الله لكم».[٤]

مراحل حياة الامام الرابع

تنقسم حياةُ الامام زين العابدين عليه السلام الى مرحلتين: من الولادة الى الامامة ومن الامامة الى الوفاة والشهادة.

---

(١) بحارالأنوار ج ٤٦ ص ٩٩

(٢) بحار الانوار ج ٤٦ ص ٩٩

(٣) بحارالأنوار ج ٤٦ ص ١٠١

(٤) بحارالأنوار ج ٤٦ ص ٩٧

من الولادة الى الامامة

عاش الامام عليُّ بن الحسين سنتين مع جدّه الامام أميرالمؤ منين عليه السلام وكان عمره عامين عندما استشهد جده، وادرك عشر سنوات هي فترة امامة عمه الامام الحسن عليه السلام ايضاً، وشهد فى صغره وصباه كل حوادث تلك الفترة المرة

لقد شهد غصب معاوية بن ابى سفيان لحكومة عمّه الحسن الشرعية وسبّ ولعن جده أميرالمؤمنين علي عليه السلام على صهوات المنابر وفى الخطب، وفي قنوتات الصلاة.

كان فى الثانية عشرة من عمره عندما سمّوا عمّه الامام الحسن المجتبى عليه السلام وحتى انهم لم يسمحوا بدفن جثمانه الشريف عند قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله

وبعد الاثني عشر عاماً التي عاشها مع عمه الحسن عليه السلام عاش عشر سنوات مع والد الامام الحسين عليه السلام وقضى فترة شبابه مع والده وشاهد استمرار غصب الحكومة والظلم والقتل والجناية على يد معاوية .

و رافق والده الامام الحسين عليه السلام فى رحلته وسفره من المدينة الى مكة ومن مكة الى العراق.

وكان ذلك فى الربيع الثاني والعشرين من عمره وشاهد عن كثب ماوقع يوم عاشوراء من الفجائع، فقد شاهد مصرع والده واخوانه وأعمامه وأبناء عمومته وأصحاب أبيه وأنصاره، ولكنه بسبب مرضه الشديد، لم يستطع ان يحضر فى ساحة القتال، ونجى بذلك من الموت، وأراد الله أن لا تخلو الارضُ من الحجة والامام.

مرحلة الإمامة

لقد وصلت الامامةُ الى علي بن الحسين عليه السلام بعد استشهاد والده (أي في الحادي عشر من شهر محرم عام واحد وستين من الهجرة) ووقعت مسؤوليات الامامة الثقيلة على كاهله الشريف، وكان عليه قبل كل شيء أن يقوم بمسؤوليّتين جِد مهمتين وفوريّتين:

إحداهما: حفظ ما تبقى من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وعوائل شهداء كربلاء، الذين كانوا اسرى وسبايا في أيدي جنود يزيد الطاغية القساة الغاشمين، والدفاع عنهم في مقابل الأخطار الاحتمالية، ولقد قامَ الامام السجاد عليه السلام بمعونة من عمته البطلة والصابرة زينب واختها أُم كلثوم بهذه الوظيفة خير قيام.

والمسؤولية الثانية التي كان على الامام القيام بها قبل أي شيء هي التعريف بوالده الامام الحسين الشهيد عليه السلام وبيان أهدافه في نهضة كربلاء، وكشف النقاب عن جرائم جنود يزيد وقساواتهم التي كانت مخالفة حتى للموازين الحربية المعترف بها.

ولقد كان هذا أمراً مهماً وضرورياً جداً من أجل مواصلة أهداف الامام الحسين عليه السلام لأن يزيد وعملاءه كانوا ينوون تصوير قضية كربلاء الدامية على أنها عملية تمرّد وخروج شخصٍ مفسد ضد الحكومة، وبهدف الإخلال في الأمن والاستقرار، ولذلك فإنه كان مهدور الدم. وبهذه الطريقة يغطي يزيد على جريمته الكبرى وجنايته الفضيعة، ويخدع عقول الناس.

أجل لقد كان يأمل بهذه العملية التزويرية أن تنطفيء بسرعة جذوة حادثة كربلاء الفجيعة التي وقعت في زاوية نائية من ارض الطف، ويحول دون انتشار أخبارها الصحيحة وتفاصيلها المروعة.

واذا كان يزيد وانصاره يحرزون نجاحاً في برنامجهم لم يذهب دم الامام الحسين عليه السلام ودم اصحابه واعوانه هدراً فقط، بل بقلب صورة النهضة الحسينية المقدسة والهادفة كانت تضيع كل اهداف الامام الحسين عليه السلام المقدسة.

بالنظر الى ماقيل كان الامامُ السجاد يرى من وظيفته ان يستغل الفرص المناسبة – طوال سفره من كربلاء الى الكوفة ومن الكوفة الى الشام – ليقوم بفضح ماقام به جيشُ يزيد من جرائم وجنايات، ويكشف القناع عن ما قامت به تلك الطغمة الجائرة، ويعرِّف بوالده وأهدافه للناس .

ولقد استفاد الامام السجاد عليه السلام بمعونة زينب وأم كلثوم طوال هذا السفر من الفرص وكانوا يقومون بواجبهم خير قيام ولهذا خطب في اهل الكوفة والشام، وتحدّث في مجلس ابن زياد ويزيد وحاججهما.

ولقد تركتْ خُطب الامام السجاد وزينب وام كلثوم واحاديثهم، واحتجاجاتهم ومحاوراتهم، أثراً كبيرا في اهل الكوفة ودفعتهم الى البكاء والرثاء فبكى رجالهم ونساؤهم لمظلومية أهل البيت وماوقع عليهم من الظلم، والجور، ولطموا الوجوه وأظهروا الندامة على خذلانهم للامام الحسين عليه السلام وتقصيرهم في نصرته.

وحدث مثل هذه الحالة في الشام وانتهت الى حالة الاعتراض حتى اضطر يزيد الى الاعتذار والى إظهار التأسف لمصرع الامام الحسين عليه السلام وإلقاء اللوم على ابن زياد، وفي النهاية ترحيل اهل البيت باحترام وتكريم الى المدينة .

ان قصد يزيد وابن زياد من أخذ أهل البيت أسرى وسبايا، بعد مقتل الامام الحسين واصحابه، واخذهم من كربلاء الى الكوفة ثم من الكوفة الى الشام بتلك الصورة المذلة وان كان هو الظهور بمظهر القوة، واضعاف نفسية اهل البيت وانصارهم وأتباعهم، والحيلولة دون قيام ثورات وانتفاضات محتملة في

المستقبل ضد الحكومة الأموية، ولكن بعد ماقام به الامام السجاد والسيدة زينب طوال هذا السفر، واستغلال كل فرصة في توضيح الحقيقة فشلت خطة يزيد وابن زياد وقلبت المعادلة ضدهم حتى ان عملية الأسر والسبي هي نفسها أعطت نتيجة معكوسة ولم يستفد منها العدو إلا عكس ما كان يقصد.

الامامُ السجاد في المدينة

لقد عاد الامام زين العابدين عليه السلام بصحبة من تبقى من أهل البيت وعوائل شهداء كربلاء الى المدينة وتصدى للقيام بالامور المرتبطة بالامامة بصورة رسمية، اخذ ودائع الامامة من أم سلمة وبدأ ببرامجه، واول برامجه كان هو المحافظة على البقية الباقية من أهل البيت، وعوائل الشهداء الفاقدة لأوليائها.

وثاني برامجه كان هو الدعاية القوية لحادثة كربلاء بذكر ماجرى ووقع فيها من جنايات وشرح أخبارها، وماجرى في فترة الأسر لأهل المدينة والإبقاء على تلك الواقعة حيةً طريةً في القلوب والاذهان، ، فقد ذكر في حياة هذا الامام أنه كان يبكي على شهداء كربلاء وبخاصة أبيه ومصائب عاشوراء، دائماً وفي كل مناسبة،

قال الامام الصادق عليه السلام: «بكى علي بن الحسين عليه السلام عشرين سنة و ما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إني أخاف أن تَكُونَ مِنَ الْهَالِكين ».

قَالَ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اللهِ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾، إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة[1]

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٠٨

كان عليه السلام اذا أخذ إناء يشرب ماء بكى حتى يملأها دمعاً، فـقيل له فـي ذلك فقال: وكيف لا أبكي؟ وقد مُنع أبي من الماء الذي كان مطلقاً للسباع والوحوش.(١)

ان بكاء الامام السجاد عليه السلام ومراثيه لم يكن للعزاء فقط بـل كـان نـوعاً مـن الإعلام السلبي ونوعاً من عملية الفضح وضد الظـلم والجـريمة التـي ارتكـبها الامويون.

وثالث المسؤوليات التي كان على الامام السجاد عليه السلام القيام بها هي تأسيس الحكومة الاسلامية وادارة المجتمع طبق الضوابط والقوانين الاسلامية.

أجل لقد كان تأسيس الحكومة الاسلامية وادارة المجتمع احدى مسؤوليات الامام وقد كان الامام مهيّأً للقيام بهذه المهمة ولكن الأرضية لم تكن مؤاتية لذلك ولم يكن الناس على استعداد لحمايته وتأييده، ولذلك لم يقم بأية خطوة في هذا السبيل خاصة بالنظر الى أجواء الرعب والوحشة التي فَرضت على المجتمع من قِبل يزيد في وقعة كربلاء فلم يكن يجرؤ على التحرك، وكانت أية محاولة في هذا السبيل ستواجه الفشل قطعاً.

ورابع المسؤوليات هي نشر معارف الاسلام واحكامه وقوانـينه الأصـيلة وكان الامام على أتم التهيؤ والاستعداد للقيام بهذه المسؤولية المهمة الثقيلة ولكن على اثر خطط الغاصبين للحكومة لم يسـتطع المسـلمون أن يكـتسبوا العـلوم والمعارف من هذا الامام بالقدر الكافي.

فمن جانب عرّضوا الامام علي بن أبي طـالب عليه السلام للـتهم الكـاذبة والسب واللعن في ظل الدعاية الواسعة، وجعلوا الناس يسيئون الظن والرأي فـي أهـل البيت عليهم السلام.

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٠٩

ومن جانب آخر كانوا حساسين تجاه الشيعة وأنصار اهل البيت وكانوا يراقبون جميع تحركاتهم وتصرفاتهم واقوالهم وافعالهم لكيلا يترددوا على مساكن اهل البيت ولا يسمعوا لهم حديثاً، ولا ينقلوها لأحد، ولا ينطقوا بمدح لهم، ولو أن احداً منهم ارتكب شيئاً من ذلك واجه أشد العقوبات وعوقب بالحرمان.

ترى من كان يجرؤ في مثل هذا الوضع الخانق أن يراجع الامامَ السجاد عليه السلام ليكتسب العلم والمعرفة؟

كما أنه كيف كان يمكن للامام أن ينشر علومه ومعارفه بين الناس في المستوى المطلوب ؟

ولكن رغم كل هذه المحدوديات كان الامام مع ذلك يستغل الفُرَص المؤاتية ويفيد الراغبين والطالبين بعلومه بالمقدار الممكن.

وفي هذا المجال بقيت من هذا الامام أحاديث وروايات في مجالات مختلفة، مدونة في كتب الحديث وأهمها رسالة الحقوق، فقد ذكر الامام السجاد عليه السلام في هذه الرسالة القصيرة الغنية كل اصحاب الحقوق واشار بصورة دقيقة ومفصلة حقوقهم، بل ذهب الامام الى أبعد من هذا الحدّ حيث ذكر أعضاء الانسان وجوارحه كالعين واللسان والاذن واليد والبطن والرجل بل ذكر أفعال الانسان كالصلاة والصوم والصدقة والاحسان واعتبرها ذوات حقوق وذكر لكل منها حقاً، وهذه الرسالة رسالة غنية وقيِّمة جداً ويمكن للراغبين الاستفادة منها(١).

الدعاء والمناجاة

للتعرف الأفضل على الامام زين العابدين عليه السلام ينبغي مطالعة الأدعية

---

(١) يمكن مراجعة تحف العقول في هذا الصعيد

المأثورة عن ذلك الامام.

على أننا يجب أن لا نعتبر الدعاء أمراً بسيطاً ومنحصراً في إطار حاجات الفرد ومطالبه من الله كما يستفاد ذلك من الآيات والروايات، بل ان الدعاء نوع من العبادة بل هو أفضل العبادات، وهو وسيلة لتكامل النفوس والتقرب الى الله.

ان روح الانسان في حال الدعاء يطير من عالم المادة والماديات ويرتبط بخالق الكون ويعترف بفقره ويلجأ الى الغني المطلق ويستمد منه ويستعين به وليست العبادة سوى هذا المعنى ولهذا كان النبي الاكرم والأئمة المعصومون -كما نلاحظ في الأحاديث وكتب السيرة - اهل دعاء ومناجاة - وكانوا كثيراً ما يدعون.

ولقد اشتهر النبيُّ الاكرم والامام علي بن أبي طالب والإمام علي بن الحسين صلوات الله عليهم أجمعين من بين المعصومين بكثرة الدعاء.

فلقد زخرت كتب الحديث والادعية بأدعية هذه الشخصيات.

ولقد جمعت الادعية المأثورة عن رسول الله ﷺ في مجلد كبير ونشر باسم **الصحيفة النبوية** كما جمعت الادعية المأثورة عن الامام علي بن أبي طالب عليه السلام في كتاب كبير باسم **الصحيفة العلوية** واشتهر ما أُثر عن الامام على بن الحسين عليه السلام باسم **الصحيفة السجادية** وهذه الصحيفة من الاهمية والقيمة بحيث سُمّيت بزبور آل محمد.

من خلال مطالعة دقيقة لهذه الادعية يمكن استفادة أفضل الدروس في مجال التوحيد ومعرفة الله وصفاته الثبوتية والسلبية والمعاد وعالم الآخرة وكيفية عبادة الله تعالى وكيفية مناجاة الخالق ودعائه وكيفية السير والسلوك والتقرب الى الله، ومكارم الاخلاق ورذائل الاخلاق، والحاجات الواقعية للانسان فى الدنيا والآخرة، والعلاقات الصحيحة بين افراد المجتمع وحسن المعاشرة، و حقوق

الانسان وواجباته ووظائفه، تجاه غيره.

ان ادعية هذا الامام غنية و عجيبةٌ جداً، فإن البشر العاديّ لا يمكنه ان ينشيء مثل هذه الادعية، ويناجي الله ويدعوه بهذه الصورة.

نأمل ان يستطيع المسلمون وأتباع أهل البيت بخاصة، الاستفادة من هذه الأدعية بصورة أكبر وأعمق.

الامامُ الخامس

الامامُ محمد الباقر عليه السلام

وُلد محمد بن عليّ عليه السلام في المدينة المنورة، في الثالث من شهر صفر عام تسعة وخمسين من الهجرة أو في الاول من شهر رجب عام سبعة وخمسين للهجرة.

والده: علي بن الحسين عليه السلام.

وأمه: فاطمة أُم عبد الله بنت الامام الحسن المجتبى عليه السلام.

كنيته: أبو جعفر ولقبه: باقر العلوم والشاكر والهادي.[1]

عاش سبعة وخمسين عاماً ورحل الى ربه (شهيداً) في اليوم السابع من ذي الحجة سنة مائة واربعة عشر من الهجرة، النبوية، وذلك في المدينة المنورة، ودفن جسده الطاهر في مقبرة البقيع في المدينة نفسها.[2]

النصوص على امامته

تدل على إمامته - بالاضافة الى الادلة الكلية التي دلت على إمامة الائمة الاثني عشر - ثلّة من النصوص التي صرَّح فيها والدُه علي بن الحسين عليه السلام بإمامته

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٢١٦ و ٢١٧ و ٢٢٢

(٢) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٢١٧

وأوصى بها اليه.

فعن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لما حضرت عليَّ بن الحسين عليه السلام الوفاة أخرج سفطاً أو صندوقاً عنده فقال: يا محمد احمل هذا الصندوق.

ولما توفي جاء إخوته يدّعون في الصندوق سهماً.

قال: و الله ما لكم فيه شيء و لو كان لكم فيه شيء ما دفعه إليَّ و كان في الصندوق سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وكتبه».[١]

وعن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده قال: التفت عليُّ بن الحسين عليه السلام إلى ولده و هو في الموت و هم مجتمعون عنده ثم التفت إلى محمد بن علي عليه السلام ابنه فقال: « يا محمد هذا الصندوق فاذهب به إلى بيتك.

ثم قال: أما إنه لم يكن فيه دينار و لا درهم و لكنه كان مملوءاً علماً.[٢]

وقد روي عن محمد بن عبد الجبار نظير هذا الحديث.[٣]

وروى ابان بن عثمان عن الامام جعفر الصادق عليه السلام - في حديث - قال دخل جابر بن عبد الله على عليّ بن الحسين وعنده ولده محمد فقال: من هذا؟

فقال: « هذا ابني و صاحب الأمر بعدي محمد الباقر ».[٤]

وعَنْ عُثمان بنِ عُثمان بن خَالِد عَنْ أَبيهِ قالَ مَرِض عَليُّ بن الْحُسَينِ بْنِ عَليٍّ ابنِ أَبي طالِبٍ عليه السلام مَرَضَهُ الَّذي تُوفِّي فِيهِ فَجَمَعَ أَولادَهُ مُحَمَّداً عليه السلام و الْحَسَن و عَبْدَ الله وعُمَرَ وزَيْداً والْحُسَينَ وأَوْصَى إِلَى ابْنهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيّ عليه السلام و كَنَّاهُ بِالْباقِرِ و جَعَلَ

(١) إثبات الهداة ج ٥ ص ٢٦١

(٢) إثبات الهداة ج ٥ ص ٢٦٢

(٣) اثبات الهداه ج ٥ ص ٢٦٢

(٤) إثبات الهداة ج ٥ ص ٢٦٣

أمْرَهُمْ إِلَيْه.(١)

وعن مالكِ بن أعين الجهني قال: أوصى علي بن الحسين عليه السلام ابنَه محمد بن علي عليه السلام فقال: «بني إني جعلتك خليفتي من بعدي».(٢)

وعن الزهري قال: قلت لعلي بن الحسين عليه السلام: يا ابن رسول الله إن كان من أمر الله ما لا بدَّ لنا منه فإلى من نختلف بعدك؟

قال: «يا أبا عبدالله إلى ابني هذا - و أشار إلى محمد ابنه - انه وصيي و وارثي و عيبةُ علمي معدنُ العلم و باقرُ العلم عهدٌ عهده إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله».(٣)

وعن أبي بصير قال قال أبو جعفر عليه السلام: «كان فيما أوصى أبي إلي إذا أنا مُت فلا يلي غسلي أحدٌ غيرك فإن الإمام لا يغسله إلا إمام».(٤)

وكتب السيد المرتضى في كتاب (عيون المعجزات) عن علي بن الحسين عليه السلام يقول: «لما قربت أيامُه أحضر ابنه أبا جعفر محمد الباقر عليه السلام واوصى اليه بحضرة جماعة من شيعته وخواصه الوصية الظاهرة ونص عليه بالإمامة وسلم اليه بعد ذلك الاسم الأعظم ومواريث الانبياء».(٥)

وقد روى المسعودي في كتابه (اثبات الوصية) نظير هذا الحديث(٦)

فضائله ومكارم أخلاقه

لقد كان الامام محمد الباقر عليه السلام مثل غيره من الائمة المعصومين عليهم السلام انساناً

(١) إثبات الهداة ج ٥ ص ٢٦٤

(٢) إثبات الهداة ج ٥ ص ٢٦٤

(٣) إثبات الهداة ج ٥ص ٢٦٤

(٤) إثبات الهداة ج ٥ص ٢٦٥

(٥) إثبات الهداة ج ٥ ص ٢٦٤

(٦) إثبات الهداة ج ٥ ص ٢٦٥

كاملاً وشخصية منزهة عن كل عيب، ونقص، ومتصفة بجميع الكمالات الانسانية، وليس هذا هو ما يقوله الاصدقاء فحسب بل هو ما يعترف به المخالفون أيضا.

ولقد كتب حوله الشيخ المفيد رحمه الله فقال: كان الباقر أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام من بين إخوته خليفة أبيه عليٍّ بن الحسين عليه السلام ووصيه و القائم بالإمامة من بعده و برز على جماعتهم بالفضل في العلم و الزهد و السؤدد و كان أنبههم ذكراً و أجلهم في العامة و الخاصة، و أعظمهم قدراً و لم يظهر عن أحد من ولد الحسن و الحسين عليهما السلام من علم الدين و الآثار و السنة و علم القرآن و السيرة و فنون الآداب ما ظهر عن أبي جعفر عليه السلام و روى عنه معالمَ الدين بقايا الصحابة و وجوهُ التابعين و رؤساءُ فقهاء المسلمين و صار بالفضل به علماً لأهله تُضرب به الأمثال و تسير بوصفه الآثار و الأشعار.[1]

وكتب عنه ابو الفداء يقول: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي أبو جعفر الباقر وهو تابعيٌّ جليل كبير القدر كثيراً. أحد أعلام هذه الامة علماً وعملاً وسيادةً وشرفاً وهو احد من تدعي فيه طائفة الشيعة أنه احد الائمة الاثني عشر وقد روي عن غير واحد من الصحابة وحدث عنه جماعة من كبار التابعين وغيرهم، وابن جريج وعطاء وعمر بن دينار والزهري.

وقال سفيان بن عيينة عن جعفر الصادق قال: حدثني أبي وكان خير محمديٍّ يومئذ على الارض.

وقال العجلي: هو مدني: تابعيٌّ ثقة.

وقال محمد بن سعد: كان ثقة كثير الحديث.[2]

---

(١) الإرشاد ج ٢ ص ١٥٧

(٢) البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٣٨

وكتب عنه يقول أيضاً: أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن ابي طالب، كان ابوه علي زين العابدين وجده الحسين قتل شهيداً بالعراق وسمي الباقر لبقره العلوم واستنباطه الحكم. كان ذاكراً وخاشعاً وصابراً ومن سلالة النبوة، رفيع النسب، عالي الحسب، وكان عارفاً بالخطرات، كثير البكاء والعبرات، معرضاً عن الجدال والخصومات.(١)

كما كتب عنه احمد بن حجر الهيثمي يقول: ابو جعفر محمد بن علي وارث زين العابدين عبادةً وعلماً وزهادة سمي بذلك لأنه اظهر من مخبئات كنوز المعارف وحقائق الاحكام ما لا يخفى الا على منطمس البصيرة او فاسد الطوية، والسريرة، ومن ثم قيل فيه هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه، صفا قلبه وزكى علمه وعمله، وطهرت نفسه وشرف خلقه وعمرت اوقاته بطاعة الله وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكل عنه ألسنة الواصفين وله كلماتٌ كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة.(٢)

علمه

كان الامام محمد الباقر يُعد من كبار الفقهاء والعلماء، فقد اخبر رسولُ الله ﷺ عن مكانته ومنزلته العلمية قبل ذلك.

فقد روى جابر بن عبد الله الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال له: يا جابر إنك ستبقى حتى تلقى ولدي محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف في التوراة بباقر فإذا لقيتَه فاقرأه مني السلام.

---

(١) البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٣٩

(٢) الصواعق المحرقة ص ٢١

وقد بقي جابر بن عبد الله الأنصاري الى ان لقي الامام الباقر وأبلغه سلام رسول الله ﷺ.[١]

وقد اشاد جمع كثير من كبار العلماء بالمقام العلمي الذى كان يتمتع به الامام محمد الباقر عليه السلام من ابرزهم:

ابن البرقي، حيث عدّه فقيهاً فاضلاً...والنسائي حيث عدّه هو الآخر من فقهاء المدينة ومن التابعين.[٢]

ويقول عبد الله بن عطاء المكي: ما رأيتُ العلماء عند أحد قط أصغرَ منهم عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام و لقد رأيت الحَكَم بن عتيبة مع جلالته في القوم بين يديه كأنه صبي بين يدي معلمه.[٣]

وكان جابر بن يزيد الجعفي إذا روى عن محمد بن علي شيئاً قال: حدثني وصيُّ الأوصياء و وارثُ علم الانبياء، محمد بن علي بن الحسين عليه السلام.

وكتب ابن أبي الحديد حوله قائلاً: محمد بن علي (اي الباقر) سيد فقهاء الحجاز و منه و من ابنه جعفر تعلم الناس الفقه، و هو الملقب بالباقر، باقر العلم، لقَّبه به رسول الله ﷺ ولم يُخلق بعد، وبشر به و وعد جابر بن عبد الله برؤيته و قال: ستراه طفلاً، فإذا رأيته فأبلغه عني السلام، فعاش جابر حتى رآه وقال له ما وصّي به.[٤]

وكتب الشيخ المفيد يقول: و قد روى أبو جعفر عليه السلام أخبار المبتدأ و أخبار الأنبياء و كتب عنه الناس المغازي و آثروا عنه السنن و اعتمدوا عليه في مناسك

---

(١) الصواعق المحرقة ص ٢٠١

(٢) الفصول المهمّة

(٣) بحار الأنوار ج ٢٦ ص ٢٨٦ والارشاد ص ١٦٠

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٥ ص ٢٧٧

الحج التي رواها عن رسول الله ﷺ و كتبوا عنه تفسير القرآن و روت عنه الخاصة و العامة الأخبار و ناظر من كان يرد عليه من أهل الآراء، و حفظ عنه الناس كثيراً من علم الكلام.[١]

و أفضل شاهد لإثبات منزلة الامام الباقر العلمية الرفيعة ماوصل الينا من الروايات الكثيرة الصادرة عنه في شتى مجالات المعرفة كالعقيدة والكلام والفلسفة والاخلاق والتاريخ والقضايا الاجتماعية وتفسيرالقرآن، تلك الروايات التي نقلها الرواة وأثبتها العلماء في كتبهم ومصنفاتهم.

إن الاحاديث المنسوبة الى ذلك الامام من الوفرة والكثرة بحيث يمكن القول بأنه أكثر الأئمة -بعد ابنه الامام الصادق -أحاديثاً وروايات.

لقد ربّى الامام محمد الباقر عليه السلام طيلة حياته الشريفة تلامذة علماء وممتازين يُعتبرون من أصحابه ورواة احاديثه ونشير هنا الى جماعة منهم:

أبوحمزة الثمالي و القاسم بن محمد بن أبي بكر وعلي بن رافع والضحاك بن مزاحم الخراساني وحميد بن موسى الكوفي وأبو الفضل سدير بن حكيم بن صهيب الصيرفي وعبد الله البرقي ويحيى بن أُم الطويل المطعمي وحكيم بن جبير والفرزدق وفرات بن أحنف و أيوب بن الحسن وأبو محمد القرشي السدي الكوفي وطاووس بن كيسان الهمداني وأبان تغلب بن رباح وقيس بن رمانة وأبو خالد الكابلي وسعيد بن المسيب المخزومي وعمر بن علي بن الحسين وأخوه عبد الله وجابر بن محمد بن أبي بكر وغيرهم.[٢]

ولقد وصف الاستاذ أسد حيدر تلامذةَ الامام الباقر عليه السلام ورواة أحاديثه على

---

(١) الإرشاد ص١٦٣

(٢) سيرة رسول الله وأهل بيته ج٢ ص٢٢٨

النحو التالي:

عمر بن دينار وعبد الرحمن بن عمر الاوزاعي وعبد الملك بن عبد العزيز وقرة بن خالد السدوسي ومحمد بن المنكدر ويحيى بن كثير وابوبكر محمد بن مسلم بن عبيد الزهري وابو عثمان ربيعة بن عبد الرحمان وابو محمد سليمان بن مهران الاسدي وابو محمد بن عبد الله بن ابي بكر الانصاري وزيد بن علي بن الحسين وموسى بن سالم أبو جهضم وموسى بن أبي عيسى الحناط وابو المغيرة قاسم بن الفضل والقاسم بن محمد بن أبي بكر ومحمد بن سوقه والحجاج بن ارطاة ومعروف بن خربوذ الكوفي وأبان بن تغلب وبريد بن معاوية العجلي وأبوحمزة الثمالي وثابت بن دينار وجابر بن يزيد الجعفي ومحمد بن مسلم بن رياح وحمران بن أعين الشيباني وزرارة بن أعين الشيباني وعبد الملك بن أعين الشيباني.[١]

مصادر علوم الامام الباقر وينابيعها

ولقد تعددت مصادر علوم الامام الباقر عليه السلام وتنوعت وهي كالتالي:

١ ـ عاش الامام محمد الباقر عليه السلام حوالي خمساً وعشرين عاماً مع والده الامام زين العابدين عليه السلام فاغترف من علومه وأخذ من معارفه.

٢ ـ الكتب الحديثية التي ورثها الأئمة بعضهم من بعض وكانت بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وكتابة الامام علي عليه السلام.

٣ ـ ما كان يستفيده من أُمور دقيقة من آيات القرآن الكريم بالاعتماد على

(١) الامام الصادق والمذاهب الاربعة ج٢، ص ٤٤، أسد حيدر، ويقول في ذيل بحثه. وقد جمعنا من رواة حديثه عليه السلام أكثر من ثلاثمائة رجل

مواهبه الذاتية والتأييدات الآلهية.

٤ ـ ما كان يصل اليه ويكتشفه من خلال مشاهداته الباطنية، ويتلقاه من الإلهامات الغيبية عبر الروح الملكوتية القدسية المفاضة عليه من عالم الغيب.

عبادته

كان الامام محمد الباقر عليه السلام في العبادة والذكر والمناجاة والتضرع والخوف والخشية من الله تعالى في المرتبة الأعلى حتى أنه كان المثل الاعلى في هذا المجال بين أهل عصره، تماماً مثل والده الامام زين العابدين عليه السلام.

ونشير هنا الى بعض الشواهد على ذلك من باب المثال لا الحصر:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**كان أبي عليه السلام كثيرَ الذكر، لقد كنت أمشي معه و إنه ليذكر اللهَ، و آكل معه الطعام و إنه ليذكر الله، و لقد كان يحدِّث القوم و ما يشغله ذلك عن ذكر اللهَ، و كنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول: لا إله إلا الله و كان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس و يأمر بالقرائة من كان يقرأ منا و من كان لا يقرأ منا أمره بالذكر**».[1]

وروى عنه ولده جعفر الصادق عليه السلام قال: «**كان أبي يقول في جوف الليل في تضرعه: أمرتَني فلم ءَأْتمر و نهيتني فلم أنزجر، فها أنا ذا عبدك بين يديك و لا أعتذر**».[2]

وقال أفلح مولى أبي جعفر قال: خرجت مع محمد بن علي حاجاً فلما دخل المسجد نظر إلى البيت فبكى حتى علا صوته فقلت: بأبي أنت و أمي إن الناس

(١) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٢٩٧

(٢) كشف الغمة ج ٢ ص ٣٣٠

ينظرون إليك فلو رفقت بصوتك قليلاً.

فقال لي: «ويحك يا أفلح و لم لا أبكي؟ لعل الله تعالى أن ينظر إليَّ منه برحمة فأفوز بها عنده غداً».

قال: ثم طاف بالبيت ثم جاء حتى ركع عند المقام فرفع رأسه من سجوده فإذا موضع سجوده مبتلٌّ من كثرة دموع عينيه.[1]

و عن جابر الجعفي قال قال لي محمد بن علي [الباقر]: «يا جابر إني لمحزون و إني لمشتغلُ القلب.

قلت: و ما حزنك و ما شغل قلبك؟!

قال: يا جابر إنه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغلَه عما سواه.

يا جابر ما الدنيا و ما عسى أن يكون؟ إن هو إلا مركبٌ ركبتَه أو ثوب لبستَه أو امرأة أصبتَها.

يا جابر إن المؤمنين لم يَطمئنوا إلى الدنيا لبقاء فيها، و لم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم، و لم يُصمّهم عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم من الفتنة، و لم يُعمِهم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة، ففازوا بثواب الأبرار.

و إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤنة و أكثرهم لك معونةً، إن نسيت ذكّروك و إن ذكرت أعانوك، قوّالين بحق الله عزوجل، قوّامين بأمر الله، قطعوا محبتهم لمحبّة ربهم، و نظروا إلى الله و إلى محبته بقلوبهم، و توحشوا من الدنيا بطاعة مليكهم، و علموا أن ذلك منظورٌ إليه من شأنهم.

فأنزلِ الدنيا بمنزلٍ نزلت به و ارتحلت عنه، أو كمال أصبته في منامك

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ٢٩

فاستيقظتَ و ليس معك منه شيء فاحفظ الله فيما استرعاك من دينه و حكمته».[١]

وقَال أبو عَبد الله عليه السلام: «إني كُنت أُمَهِّدُ لأَبِي فِراشَهُ فَأَنْتَظِرُهُ حَتى يَأْتِي فَإِذَا أَوى إِلَى فِرَاشِهِ وَ نَامَ قُمْتُ إِلى فِراشِي وَ إِنَّهُ أَبْطَأَ عَلَيَّ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَأَتَيْتُ الْمَسْجِدَ في طَلَبِهِ و ذَلِكَ بَعْدَ مَا هَدَأَ النَّاسُ فَإِذَا هو فِي الْمَسْجِدِ سَاجِدٌ و لَيْسَ فِي الْمَسْجِدِ غَيْرُهُ فَسَمِعْتُ حَنِينَهُ و هو يَقُولُ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي حَقّاً حَقّاً، سَجَدْتُ لَكَ يَا رَبِّ تَعَبُّداً و رِقّاً، اللَّهُمَّ إِنَّ عَمَلِي ضَعِيفٌ فَضَاعِفْهُ لِي، اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ و تُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ».[٢]

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أبي عليه السلام إذا أحزنه أمر جمع النساءَ و الصبيان ثم دعا و أمّنوا».[٣]

و عن أبان بن ميمون القداح قال قال لي أبو جعفر عليه السلام: إقرأ(أي من القرآن).

قلت: من أي شيء أقرأ؟

قال: من السورة التاسعة.

قال: فجعلت ألتمسها.

فقال: إقرأ من سورة يونس.

فقال: قرأت (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنىٰ وَ زِيادَةٌ وَ لا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَ لا ذِلَّةٌ).

قال: حسبك.

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني لأعجب كيف لا أشيب إذا قرأتُ القرآن».[٤]

---

(١) كشف الغمة ج ٢ ص ٣٣٣

(٢) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٣٠١

(٣) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٢٩٧

(٤) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٣٠٢

إحسانه و إنفاقه

مع أن الامام الباقر عليه السلام لم يكن رجلاً ثرياً ولم يكن تحت تصرفه أموال كثيرة، وكانت نفقته كبيرة في الوقت نفسه الا انه كان مع ذلك يتصدق ويُحسن الى الآخرين ويساعدهم قدرَ الامكان.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أبي عليه السلام أقلَّ أهل بيته مالاً و أعظمهم مؤنة».

قال: وكان يتصدق كلَّ جمعة بدينار وكان يقول: الصدقة يومَ الجمعة تضاعَف لفضل يوم الجمعة على غيره من الأيام».[١]

وعن الحسن بن كثير قال: شكوت إلى أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام الحاجة و جفاء الإخوان.

فقال: بئس الأخُ أخٌ يرعاك غنياً و يقطعك فقيراً.

ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبعمائة درهم فقال: «إستنفق هذه فإذا نفدتْ فأعلِمني».[٢]

وعن عمرو بن دينار و عبيد الله بن عبيد بن عمير أنهما قالا: ما لقينا أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام إلا و حمل إلينا النفقة و الصلة و الكسوة و يقول: هذه معدَّة لكم قبل أن تلقوني.[٣]

وقال: سليمان بن قرم: كان أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام يجيزنا بالخمسمائة إلى الستمائة إلى الألف درهم وكان لا يملُّ من صلة إخوانه و قاصديه و مؤمِّليه و

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٢٩٤

(٢) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٢٨٧

(٣) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٢٨٨

راجيه.[١]

وقالت سلمى (جارية الامام محمد الباقر): كان يدخل عليه إخـوانـه فـلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب ويكسوهم الثياب الحسنة ويهب لهم الدراهم فأقول له في ذلك ليقلَّ منه، فيقول: «يا سلمى ما حسنةُ الدنيا الا صِلة الاخوان والمعارف».

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال: دخلت على أبي يوماً و هو يتصدق على فقراء أهل المدينة بثمانية آلاف دينار.[٢]

وهذا كان في حال ان الامام الباقر عليه السلام كان يعمل ليحصل على نفقة حـياته وحياة أهله وعياله ويتصبب عرقاً في حرّ المدينة .

فهذا محمد بن المنكدر كان يقول: ما كنت أرى أن مثل علي بـن الحسـين يَدَعُ خلفاً لفضل علي بن الحسين حتى رأيت ابنَه محمد بن علي فأردت أن أعظه فوعظني.

فقال له أصحابه: بأي شيء وعظك؟.

قال: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيت محمد بن علي وكان رجلاً بديناً و هو متّكٍ على غلامين له أسودين أو موليين، فقلت في نفسي: شيخ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا؟ أشـهد لأعظنَّه، فدنوت منه فسلمتُ عليه، فسلم علي ببهر، و قد تصبَّب عـرقاً فـقلت: أصلحك الله شيخٌ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال فـي طـلب الدنيا، لو جاءك الموت و أنت على هذه الحال؟

(١) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٢٨٨

( ) كشف الغمة ج ٢ ص ٣٣٠

(٢) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٣٠٢

فخلى عن الغلامين من يده، ثم تساند، و قال: «لو جاءني و الله الموتُ و أنا في هذه الحال، جاءني و أنا في طاعة من طاعات الله تعالى، أكف بها نفسي عنك و عن الناس، و إنما كنتُ أخاف الموت لو جاءني و أنا على معصية من معاصي الله.

فقلت: يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتَني.[1]

(١) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٢٨٧

الإمام السادس

الإمام جعفر الصادق عليه السلام

وُلد الإمام جعفر الصادق عليه السلام بالمدينة - حسب بعض الأقوال - يوم الإثنين السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث و ثمانين هجرية.

و الده: الامام محمد الباقر عليه السلام وأُمه فاطمة المكناة بأُم فروة ابنة القاسم بن محمد.

لقبه: الصادق والفاضل والطاهر والقائم والكافل والمنجي والصابر.

وكنيته: أبوعبد الله وأبوموسى.

تُوفي (شهيداً) في اليوم الخامس والعشرين من شهر شوال من سنة مائة وثمانية وأربعين من الهجرة و له من العمر ثمان و ستون سنة، و دُفن جسمه الشريف في مقبرة البقيع.

أقام مع جده الإمام السجاد عليه السلام اثنتي عشرة سنة، و مع أبيه الامام الباقر عليه السلام تسع عشرة سنة و كانت أيام إمامته أربعاً و ثلاثين سنة.[1]

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ١-١١

شخصيةُ الامام الصادق

كان الامامُ جعفر الصادق عليه السلام أبرز شخصيات عصره وأكثرهم شهرةً من حيث العلم والفقه والحسب والنسب والعبادة ومكارم الاخلاق وقد شهد بذلك جمع من العلماء.

فقد قال مالكُ بن أنس فقيه المدينة في حقه: كنتُ أدخل إلى الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فيقدم لي مخدّة و يعرف لي قدراً و يقول: يا مالك إني أُحبك فكنت أُسر بذلك و أحمد الله عليه.

وقال عنه مالك ايضاً: وكان عليه السلام رجلاً لا يخلو من إحدى ثلاث خصال: إما صائماً و إما قائماً و إما ذاكراً وكان من عظماء العُبّاد، وأكابر الزهاد الذين يخشون الله عز و جل وكان كثيرَ الحديث، طيب المجالسة، كثير الفوائد.

فإذا قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله» إخضرّ مرة و اصفرّ أخرى حتى يُنكره من كان يعرفه.

و لقد حَججتُ معه سنة فلما استوت به راحلتُه عند الإحرام كان كلّما همَّ بالتلبية انقطع الصوتُ في حلقه وكاد أن يخرَّ من راحلته.

فقلت: قل يا ابن رسول الله و لا بدّ لك من أن تقول.

فقال: «يا ابن أبي عامر كيف أجسر أن أقول: لبيك اللّهم لبيك و أخشى أن يقول عز و جل لي: لا لبيك و لا سعديك؟».[١]

وقال في حقه مالك أيضاً: والله ما رأت عيني أفضل من جعفر بن محمد عليه السلام

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ١٦

زهداً و فضلاً و عبادةً و ورعاً.[١]

وقال عنه عمرو بن أبي المقدام: كنتُ إذا نظرتُ إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سُلالة النبيين.[٢]

و قال زيد بن علي: في كل زمان رجلٌ منا أهل البيت يحتجُ الله به على خلقه و حجة زماننا ابنُ أخي جعفر لا يضلُّ من تبعه و لا يهتدي من خالفه.[٣]

وقال اسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس: دخلت على أبي جعفر المنصور يوماً، وقد اخضلَّت لحيته بالدموع، فقال لي: ما علمت مانزل بأهلك؟

قلت: وما ذلك يا أمير المؤمنين؟

قال: فإن سيدهم وعالمهم وبقية الاخيار منهم تُوفّي.

فقلت: ومن هو يا أمير المؤمنين؟

قال: جعفر بن محمد

فقلت: أعظم الله أجرَ أمير المؤمنين وأطال الله بقاءه .

فقال لي: إن جعفراً كان ممن قال الله فيه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وكان ممن اصطفى الله وكان من السابقين الى الخيرات.[٤]

وقد اعتبر ابن حبّان الامامَ الصادقَ من الثقات وقال عنه: كان من سادات أهل البيت فقهاً وعلماً وفضلاً يُحتج بحديثه.[٥]

وكتب الشهرستاني يقول عنه عليه السلام كذلك بأنه: ذو علمٍ غزيرٍ في الدين وأدبٍ

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٢٠ ومناقب آل ابي طالب ج ٤ ص ٢٩٧ وحلية الأولياء ج ٣ ص ١٩٣

(٢) بحارالأنوار ج ٤٧ ص ٢٩ وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٠٤ ومناقب آل ابي طالب ص ٢٧

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ج ٤ ص ٢٩٩

(٤) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٨٣

(٥) تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٠٤

كاملٍ في الحكمة، وزهد بالغٍ في الدنيا، وورعٍ تامٍ عن الشهوات.

وقد أقام بالمدينة مدةً يفيد الشيعة المنتمين اليه، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم، ثم دخل العراق وأقام بها مدة.(١)

وكتب أحمد بن حجر الهيتمي قائلاً: وخلّف محمد الباقر عليه السلام ستة أولاد أفضلهم وأكملهم جعفر الصادق ومن ثم كان خليفته ووصيه (٢)

كما كتب عنه ابن الصباغ المالكي يقول: كان جعفر الصادقُ بن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام بين إخوته خليفة أبيه محمد بن علي عليه السلام ووصيه والقائم بالامامة، وبرز على جماعتهم بالفضل وكان أنبههم ذكراً وأعظمهم قدراً، ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيتُه وذكره في سائر البلدان ولم يُنقَلْ عن أحد من أهل بيته ما نُقل عنه من الحديث. (٣)

وكتب محمد بن طلحة الشافعي يقول: جعفرُ بن محمد الصادق من عظماء أهل البيت، وساداتهم، ذو علوم جمة، وعبادة موفّرة، وأوراد متواصلة، وزهادة بينة، وتلاوة كثيرة، يتتبّع معاني القرآن الكريم، ويستخرج من بحره جواهره، ويستخرج عجائبه، ويقسم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب نفسَه عليها، رؤيته تذكر بالآخرة، واستماع كلامه يزهّد فى الدنيا، والاقتداء بهديه يورث الجنة، نورُ قسماته شاهدٌ على أنه من سلالة النبوة، وطهارة أفعاله تصدح بأنه من ذرية الرسالة.

ونقل عنه الحديث واستفاد منه العلمَ جماعةٌ من الأئمة، وأعلامهم مثل: يحيى بن سعيد الانصارى وابن جريج، ومالك بن أنس، والثوريّ، وابنُ عيينة،

(١) الملل والنحل ج ١ ص ١٦٦

(٢) الصواعق المحرقة ص ٢٠١

(٣) الفصول المهمة ص ٢٠٤

وأبو حنيفة، وشعبة، وأيوب السختياني، وغيرهم وعدّوا أخذهم عنه منقبة شُرّفوا بها وفضيلة اكتسبوها.[١]

وكتب حوله الشيخ المفيد قائلاً: كان الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ﷺ من بين إخوته خليفة أبيه محمد بن علي ﷺ و وصيه و القائم بالإمامة من بعده، وبرز على جماعتهم بالفضل وكان أنبههم ذكراً وأعظمهم قدراً وأجلهم في العامة و الخاصة ، ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان و انتشر ذكره في البلدان، ولم يُنقل عن أحد من أهل بيته العلماء ما نقل عنه، ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقلة الأخبار، ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله ﷺ فإن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء و المقالات فكانوا أربعة آلاف رجل.[٢]

النصوص على امامته

لقد أسلفنا أن لإثبات إمامة الائمة المعصومين الاثني عشر أدلةً متنوعةً ومتعددةً تكفي لإثبات إمامة كلّ واحد من الأئمة وتسمى بالأدلة العامة، وهناك أدلة خاصة تدل على امامة كلٍّ واحد من الأئمة بخصوصه، وهي النصوص الصادرة من كل امام سابق على الامام اللاحق، ويصرح فيها باسمه وشخصه.

ولا حاجة الى تكرار الأدلة العامة، ولهذا نكتفي هنا بذكر الادلة الخاصة.

عن أبي نضرة قال: لما احتضر أبو جعفر محمد بن علي الباقر ﷺ عند الوفاة دعا بابنه الصادق ﷺ ليعهد إليه عهداً فقال له أخوه زيد بن علي ﷺ: لو امتثلت في

(١) مطالب السؤول ج ٢ ص ١١٠

(٢) الارشاد ج ٢ ص ١٧٩

تمثال الحسن و الحسين عليهما السلام رجوتُ أن لا تكون أتيتَ منكراً فقال له الامام الصادق عليه السلام: «يا أبا الحسين إن الأمانات ليست بالمثال و لا العهود بالرسوم و إنما هي أمور سابقة عن حجج الله عز و جل».(١)

وعن أبي الصباح الكناني قال: نظر أبو جعفر إلى ابنه أبي عبد الله فقال: ترى هذا؟ هذا من الذين قال الله تعالى: ﴿وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ﴾.(٢)

عن جابر بن يزيد الجعفي قال سئل أبو جعفر (الباقر) عليه السلام عن القائم بعده، فضرب بيده على أبي عبد الله عليه السلام و قال: «هذا و الله ولدي قائمُ آل بيت محمد صلى الله عليه وآله».(٣)

و روى علي بن الحكم عن طاهر صاحب أبي جعفر عليه السلام قال: كنت عنده فأقبل جعفر عليه السلام فقال أبو جعفر: «هذا خيرُ البرية».(٤)

وعن عبد الأعلى مولى آل سام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن أبي استودعني ما هناك فلما حضرَته الوفاة قال: ادع لي شهوداً فدعوت أربعة من قريش فيهم نافع مولى عبد الله بن عمر فقال: أُكتب هذا ما أوصى به يعقوب بنيه يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ و أوصى محمد بن علي إلى جعفر بن محمد و أمره أن يكفنه في بُرده الذي كان يصلي فيه يوم الجمعة و أن يعمّمه بعمامته، وأن يربّع قبرَه و يرفعه أربع أصابع و أن يحلَّ عنه أطماره عند دفنه.

ثم قال للشهود: إنصرفوا رحمكم الله.

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ١٢
(٢) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ١٣
(٣) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ١٢
(٤) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ١٣

فقلت له: يا أبت ما كان في هذا بأن يشهد عليه؟

فقال: «يا بني كرهتُ أن تُغلب و أن يقال لم يوصَ إليه و أردت أن تكون لك الحجة».(١)

عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام أنه سُئِل عن القائم، فضرب بيده على أبي عبد الله ثم قال: «هذا والله قائم آل محمد».

وقال عنبسة بن مصعب: لما قُبض أبو جعفر عليه السلام دخلت على ابنه أبي عبد الله فأخبرته بذلك، فقال: «صدق جابر على أبي».

ثم قال عليه السلام: «ترون أن ليس كل إمام هو القائم بعد الإمام الذي قبله».(٢)

وعن محمد بن مسلم قال: كنت عند أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام إذ دخل جعفر ابنه و على رأسه ذؤابة و في يده عصا يلعب بها فأخذه الباقر عليه السلام و ضمه إليه ضماً ثم قال: «بأبي أنت و أمي لا تلهو و لا تلعب.

ثم قال لي: «يا محمد هذا إمامك بعدي فاقتد به و اقتبس من عِلمه و الله إنه لهو الصادق الذي وصفه لنا رسول الله صلى الله عليه وآله إن شيعته منصورون في الدنيا و الآخرة و أعداءه ملعونون على لسان كل نبي».

فضحك جعفر عليه السلام واحمر وجهه، فالتفت اليَّ ابو جعفر وقال لي: سَله.

قلت: يا ابن رسول الله من أين الضحك؟

قال: «يا محمد، العقل من القلب، و الحزن من الكبد، و النفس من الرئة، و الضحك من الطحال فقمت و قبّلت رأسه.(٣)

وعن همام بن نافع قال قال أبو جعفر: عليه السلام لأصحابه يوماً: «إذا افتقدتموني

(١) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ١٤ والفصول المهمة والإرشاد ج ٢ ص ١٨١

(٢) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ١٥ والإرشاد ج ٢ ص ١٨٠

(٣) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ١٥

فاقتدوا بهذا فهو الإمام و الخليفة بعدي» و أشار إلى أبي عبد الله ﷺ(الصادق) .[١]

وعن هشام بن سالم عن أبي عبد الله جعفر بن محمد ﷺ قال: لما حضرت أبي الوفاةُ قال: يا جعفر أوصيك بأصحابي خيراً.

قلت: جعلت فداك و الله لأدعنهم و الرجل منهم يكون في المصر فلا يَسأل أحداً[٢]

عن سَورة بن كليب قال قال لي زيد بن علي: يـا سَـورة كـيف عـلمتم أن صاحبكم على ما تذكرون؟

قال فقلت: على الخبير سقطتَ.

قال فقال: هات.

فقلت له: كنا نأتي أخاك محمد بن علي ﷺ نسأله فيقول: قال رسول الله ﷺ وقال الله عز وجل فى كتابه، حتى مضى أخوك فأتيناكم آلَ محمد و أنتَ فيمن أتينا فتخبرونا ببعض و لا تخبرونا بكل الذي نسألكم عنه حتى أتينا ابن أخيك جعفراً فقال لنا كما قال أبوه: قال رسول الله ﷺ وقال تعالى .

فتبسم وقال: أما والله إن قلتَ هذا فإن كُتب عليٍّ صلوات الله عليه عنده.[٣]

وعن عمرو بن أبي المقدام قال: رأيت أبا عبد الله ﷺ يوم عرفة بالموقف وهو ينادي بأعلا صوته: «أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان الإمام ثم كان علي بن أبي طالب ﷺ ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي ثم (هه)، فينادي ثلاث مرات لمن بين يديه وعن يمينه وعن يساره ومن خلفه اثني عشر صوتاً.

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ١٥

(٢) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ١٢ والإرشاد ج ٢ ص ١٨٠

(٣) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ١٣٦ ومناقب آل ابي طالب ج ٤ ص ٢٧٢

و قال عمرو: فلما أتيتُ مِنى سألت أصحابَ العربية عن تفسير: (هه) فقالوا: (هه) لغة بني فلان أنا: فاسألوني.

قال: ثم سألتُ غيرهم أيضاً من أهل العربية فقالوا مثل ذلك.(١)

وقال عبد الغفار بن القاسم: قلتُ للامام الباقر عليه السلام إن كان من هذا كائن يا ابن رسول الله فإلى من بعدَكَ؟

قال: «إلى جعفر هذا سيد أولادي وأبو الائمة صادق في قوله وفعله».(٢)

وقال الشيخ المفيد في أدلة إمامة الامام: الذي قدَّمناه من دلائل العقول على أن الإمام لا يكون إلا الأفضلُ يدل على إمامته عليه السلام لظهور فضله في العلم و الزهد و العمل على كافة إخوته و بني عمه و سائر الناس من أهل عصره.(٣)

علمه

إن من مسؤوليات الأئمة المعصومين الكبرى: نشرالعلوم والمعارف ومكارم الاخلاق والفقه الاسلامي الأَصيل، التي تلقوهامن نبيّ الاسلام الأعظم وقدكان الأئمة الأطهار جميعاً مهيّئين بصورة كاملة للقيام بهذه المهمة العظمى ولكن وللأسف واجه اهلُ البيت مضايقات وتحدّيات شديدة من جانب خلفاء الجور، هذا مضافاً الى غصب الخلافة حتى أنهم ما كانوا يسمحون بنشر معارف الدين وعلومه التى كان الناس يحتاجون اليها.

كماأن أتباعهم كذلك ما كانوا يجرأون على مراجعتهم والتردد على بيوتهم، وكانوا مضطرِّين الى ممارسة التقية وبخاصة في عصر خلفاء بني أمية الذي كانت

---

(١) بحار الأنوار ٤٧ ج ص ٥٨

(٢) إثبات الهداة ج ٥ ص ٣٢٨

(٣) الارشاد ج ٢ ص ١٨٢

الأُمة الاسلامية ترزح في ظلها تحت حالة شديدة من الاختناق السياسي الشديد، واستُخدمت فيه عملية الدعاية السيئة ضد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل البيت المطهرين.

ولكن هذا الوضع تغير في عصر الامام الباقر والامام الصادق عليهما السلام وحصلت تغيراتٌ في الجو الحاكم فقد تلاشى الى درجة مّا جوُّ الاختناق والضغط، وانتبه الناس الى مظلومية أهل البيت عليهم السلام وأحسُّوا بالحاجة الى العلوم النبوية الأصيلة التي استودعت عند الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين.

كانت حكومة بني أمية في طريقها الى الضعف والتزعزع وكانوا مضطرين الى التخفيف عن الناس وتقليل المضايقات.

كما ان العباسيين هم الآخرون كانوا في بداية عصرهم وحكومتهم وحيث أن الامر لم يكن قد استتب لهم بعد، لذلك فهم كانوا مضطرين إلى أن يمنحوا أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله مساحة أكبر من حرية العمل.

بالنظر الى العوامل المذكورة وربما عوامل أخرى استفاد الامام الباقر والامام الصادق عليهما السلام من الفرصة المؤاتية وعمدا الى نشر العلوم والمعارف النبوية والفقه النبويّ الأصيل.

لقد ربّى الامامُ جعفر الصادق عليه السلام تلامذة كثيرين وعلّمهم آلاف الأحاديث في شتى المجالات والاصعدة، والتي هي موجودة في كتب الاحاديث.

فلو أنكم راجعتم كتب الحديث لرأيتم أن اكثر الاحاديث رويت من هذين الامامين العظيمين، صلوات الله عليهما.

وقد ورد في المناقب: ينقل عنه من العلوم مالا ينقل عن أحد وقد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات

وكانوا أربعة آلاف رجل.(١)

وجاء في حلية أبي نعيم أن جعفر الصادق حدث عنه من الأئمة والاعـلام: مالك بن أنس، وشعبة بن الحجاج، وسفيان الثوري، وابن جريج، وعـبد الله بـن عمرو، وروح بن القاسم، وسفيان بن عيينة، وسليمان بن بلال، وإسـماعيل بـن جعفر، وحاتم بن اسماعيل، وعبد العزيز بن المختار، ووهب بن خالد، وابراهيم بن طحان في آخرين.

قال: وأخرج عنه مسلمٌ في صحيحه محتجاً بحديثه.(٢)

وقال غيره: وروى عنه مالك والشافعي والحسن بن صـالح، وأبـو أيـوب السجستاني، وعمر بن دينار وأحمد بن دينار وأحمد بن حنبل.(٣)

وقال مالك بن أنس: ما رأتْ عينٌ ولا سمعتْ أذنٌ ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر الصادق فضلاً وعلماً وعبادة وورعاً(٤).

وقال الامام الصادق عليه السلام: «إني أعلم ما في السماوات وما في الأرض وما في الجنة وما في النار، وما كان ومايكون الى أن تقوم الساعة».

ثم سكت ثم قال: «وعلمُه في كتاب الله، أنظر اليه هكذا، ثم بسط يديه وقال: إن الله يقول: ﴿فيه تبيانُ كل شيء﴾».(٥)

وعن صالح بن الأسود قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني فإنه لايحدثكم أحدٌ بعدي بمثل حديثي».(٦)

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٦٨

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٦٩

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٦٩

(٤) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٧٠

(٥) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٢٧٠

(٦) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٣٣

و عن إسماعيل بن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إن الله بعث محمداً نبياً فلا نبيَّ بعده أنزل عليه الكتاب فختم به الكتب فلا كتاب بعده أحل فيه حلاله و حرَّم فيه حرامه، فحلالُه حلالٌ إلى يوم القيامة و حرامهُ حرام إلى يوم القيامة، فيه نبأ ما قبلكم، و خبر مابعدكم، و فصل ما بينكم».

ثم أومأ بيده إلى صدره و قال: «نحن نعلمه».[١]

و قال عليه السلام: «علمُنا غابرٌ و مزبورٌ و نَكت في القلوب، و نَقر في الأسماع، و إن عندنا الجَفر الأحمر و الجَفر الأبيض و مصحف فاطمة و إن عندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج الناس إليه».[٢]

وكتب ابن أبي الحديد: أما أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد... فأخذوا الفقه من أبي حنيفة وأما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن فيرجع فقهُه الى أبي حنيفة، وأما أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعي فيرجع فقهُه أيضا الى أبي حنيفة وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد عليه السلام.[٣]

وكتب المسعودى يقول: روي أن جعفر بن محمد عليه السلام كان يجلس للعامة والخاصة ويأتيه الناسُ من الاقطار يسألونه عن الحلال والحرام وعن تأويل القرآن وفصل الخطاب فلا يخرج أحد منهم إلا راضياً بالجواب.[٤]

عبادته

كان الامامُ الصادق عليه السلام مثل آبائه في أعلى المراتب والمستويات من جهة

(١) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٣٥
(٢) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٢٦
(٣) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٨
(٤) إثبات الوصية للمسعودي الهذلي ص ١٤٨

العبودية والخشوع والذكر والدعاء والصلاة وكان أفضل أهل زمانه في هذه المجالات، ونشير فيما يأتي الى نماذج في هذا الصعيد:

فقد روي ان الامام الصادق عليه السلام كان يتلو القرآن في صلاته فغُشي عليه فلما أفاق سُئل ما الذي أوجب ما انتهت حاله إليه فقال ما معناه: ما زلت أُكرّر آيات القرآن حتى بلغتُ إلى حال كأنني سمعتُها مشافهة ممن أنزلها.[١]

وعن أبان بن تغلب قال: دخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام و هو يصلّي فعددت له في الركوع و السجود ستين تسبيحة.[٢]

و عن حمزة بن حمران و الحسن بن زياد قالا: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام و عنده قومٌ فصلى بهم العصرَ و قد كنا صَلينا فعددنا له في ركوعه: سبحان ربي العظيم أربعاً أو ثلاثاً و ثلاثين مرة.[٣]

وعن يحيى بن العلاء قال: كان أبو عبد الله عليه السلام مريضاً مدنفاً فأمر فأُخرِجَ إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فكان فيه حتى أصبح ليلة ثلاث و عشرين من شهر رمضان.[٤]

وقال أبان تغلب: كنتُ مع أبي عبد الله عليه السلام مزاملة فيما بين مكة و المدينة فلما انتهى إلى الحرم نزل و اغتسل و أخذ نعليه بيديه، ثم دخل الحرَم حافياً.[٥]

وعن حفص بن البختري و غيره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إجتهدتُ في العبادة و أنا شابٌ فقال لي أبي يا بُني دون ما أراك تصنع فإن الله عز و جل إذا أحب

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٥٨

(٢) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٥٠

(٣) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٥٠

(٤) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٥٣

(٥) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٥٤

عبداً رضي منه باليسير».[١]

وعن معاوية بن وهب قال: كنت مع أبي عبد الله ﷺ بـالمدينة و هـو راكب حماره فنزل و قد كنا صرنا إلى السوق أو قريباً من السوق قال: فنزل و سـجد و أطال السجودَ و أنا أنتظره، ثم رفع رأسه.

قال قلت: جُعلت فداك رأيتك نزلت فسجدت.

قال: إني ذكرت نعمة الله علي.

قال قلت: قرب السوق و الناس يجيئون و يذهبون؟!

قال: «إنه لم يرني أحد».[٢]

وقال مالك بن أنس: اختلفتُ اليه زماناً فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: اما مصلٍّ وإما صائم وإما يقرأ القرآن، وما رأيته يحدّث إلا على طهارة.[٣]

وقال مالك بن أنس أيضاً: حججتُ مع الصادق سنة فلما استوت به راحلته عند الاحرام كان كلّما هم بالتلبية انقطع الصوت في حلقه، وكاد أن يخرَّ من راحلته فقلت له في ذلك

فقال: «وكيف أجسر أن أقول: لبيك اللّهم لبيك. وأخشى أن يقول: لا لبّيك ولا سعديك.[٤]

طلب الرزق الحلال

مع أن الامام الصادق ﷺ كان ذا مشاغل علمية جدّ كثيرة، وكانت أكثر أوقاته

(١) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٥٥

(٢) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٢١

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٢ ص ١٠٤-١٠٥

(٤) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٩٧

مملوءة بنشر العلم والمعرفة وتربية أصحابه، إلا أنه كان مع ذلك يقوم بالكسب ويسعى الى تحصيل الرزق الحلال.

يقول عبد الأعلى مولى آل سالم: استقبلت أبا عبد الله عليه السلام في بعض طرق المدينة في يوم صائف شديد الحر فقلت: جُعلت فداك حالك عند الله عز و جل و قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله أنت تُجهد نفسَك في مثل هذا اليوم؟!

فقال: «يا عبد الأعلى خرجت في طلب الرزق».(١)

وعن إسماعيل بن جابر قال: أتيت أبا عبد الله عليه السلام و إذا هو في حائط له بيده مسحاة و هو يفتح بها الماء و عليه قميص شبه الكرابيس.(٢)

وعن أبي عمرو الشيباني قال: رأيتُ أبا عبد الله عليه السلام و بيده مسحاة و عليه إزارٌ غليظٌ يعمل في حائط له و العرقُ يتصاب عن ظهره، فقلت: جعلتُ فداك أعطني أكفِكَ.

فقال لي: «إني أُحب أن يتأذى الرجلُ بحر الشمس في طلب المعيشة».(٣)

وعن شعيب قال: تكارينا لأبي عبد الله عليه السلام قوماً يعملون في بستان له، وكان أجَّلهم إلى العصر فلما فرغوا قال لمعتب: «إعطهم أجورَهم قبل أن يجفَّ عرقُهم».(٤)

وعن محمد بن عذافر عن أبيه قال: أعطى أبو عبد الله عليه السلام أبي ألفاً و سبعمائة دينار فقال له: «اتَّجر لي بها».

ثم قال: «أما إنه ليس لي رغبة في ربحه، وإن كان الربح مرغوباً فيه و لكني

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٥٥

(٢) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٥٦

(٣) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٥٧

(٤) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٥٧

أحببتُ أن يراني الله عز و جل متعرضاً لفوائده».

قال: فربحتُ له فيه مائة دينار ثم لقيته فقلت له: قد ربحت لك فيها مائة دينار.

قال: ففرح أبو عبد الله عليه السلام بذلك فرحاً شديداً، ثم قال لي: «أثبِتها في رأس مالي».

قال: فمات أبي و المال عنده، فأرسل إلي أبو عبد الله عليه السلام، و كتب: «عافانا الله و إياك، إن لي عند أبي محمد ألفاً و ثمانمائة دينار أعطيتُه يتجر بها فادفعها إلى عمر بن يزيد».

قال: فنظرتُ في كتاب أبي فإذا فيه: لأبي موسى عندي ألف و سبعمائة دينار و أتجر له فيها مائة دينار عبد الله بن سنان و عمر بن يزيد بعرفانه.[١]

إنفاقه و إحسانه

كان الامامُ الصادق عليه السلام ـ مثل آبائه الكرام ـ رغم قلة ذات يده وكثرة عياله - يحسن الى الفقراء والمعوزين والغارمين والمنكوبين، وينفق عليهم بما تيسر له، ونشير فيما يأتي إلى نماذج منها:

فعن هشام بن سالم قال كان أبو عبد الله عليه السلام إذا أعَتمَ و ذهب من الليل شطرهُ أخذ جراباً فيه خبز و لحم و دراهم فحمله على عنقه ثم ذهب إلى أهل الحاجة من أهل المدينة فقسَّمه فيهم وهم لا يعرفونه، فلما مضى أبو عبد الله عليه السلام فقدوا ذلك فعلموا أنه كان أبو عبد الله صلوات الله عليه.[٢]

(١) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٥٧

(٢) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٣٨

وعن معلى بن خنيس قال خرج أبو عبد الله عليه السلام في ليلة قد رشت السماء، و هو يريد ظلة بني ساعدة، فاتبعته فإذا هو قد سقط منه شيء فقال: «بسم الله اللهم ردّه علينا».

قال: فأتيتُه فسلمتُ عليه.

فقال: معلّى؟.

قلت: نعم جعلت فداك.

فقال لي: «إلتمس بيدك فما وجدتَ من شيء فادفعه إلي».

قال: فإذا أنا بخبز منتشر، فجعلت أدفع إليه ما وجدت، فإذا أنا بجراب من خبز فقلت: جعلت فداك أحمله عنك.

فقال: «لا أنا أولى به منك، و لكن امض معي».

قال: فأتينا ظلة بني ساعدة فإذا نحن بقوم نيام، فجعل يدس الرغيف و الرغيفين تحت ثوب كل واحد منهم حتى أتى على آخرهم، ثم انصرفنا، فقلت: جعلت فداك، يعرف هؤلاء الحقَ؟

فقال: «لو عَرفوا لواسيناهم بالدقة (و الدقة هي الملح).[1]

وقال هارون بن عيسى: قال أبو عبد الله عليه السلام لمحمد ابنه: كم فضُلَ معك من تلك النفقة؟

قال: أربعون ديناراً.

قال: «أُخرج و تصدق بها».

قال: إنه لم يبق معي غيرها.

قال: «تصدَّق بها فإن الله عز و جل يُخلفها، أما عَلِمت أن لكل شيء مفتاحاً و

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٢٠

مفتاح الرزق الصدقة فتصدق بها».

ففعل فما لبث أبو عبد الله عليه السلام إلا عشرة حتى جاءه من موضع أربعة آلاف دينار.

فقال: «يا بُني أعطينا لله أربعين ديناراً فأعطانا الله أربعة آلاف دينار».(١)

وعن أبي الهياج بن بسطام قال: كان جعفر بن محمدٌ يطعم حتى لا يبقى لعياله شيء.(٢)

وعن المفضل بن قيس بن رمانة قال: دخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام فشكوتُ إليه بعضَ حالي وسألته الدعاء فقال: «يا جارية هاتي الكيس الذي وصلنا به أبو جعفر».

فجاءت بكيس، فقال: «هذا كيس فيه أربعمائة دينار فاستعن به».

قال: قلت: و الله جعلت فداك، ما أردت هذا ولكن أردتُ الدعاء لي.

فقال لي: «و لا أدَع الدعاء، و لكن لا تخبر الناس بكل ما أنت فيه، فتهون عليهم».(٣)

وروى أن فقيراً سأل الصادق عليه السلام فقال لعبده: ما عندك؟

قال: أربعمائة درهم.

قال: أعطه إياها.

فأعطاه فأخذها و ولّى شاكراً فقال لعبده: أرجعه.

فقال: يا سيدي سألتُك فأعطيت، فما ذا بعد العطاء؟

فقال له: قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله خيرُ الصدقة ما أبقت غنىً، و إنا لم نُغنك، فخذ

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٣٨

(٢) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٢٣ وتذكرة الخواص ص ٣٤٢

(٣) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٣٤

هذا الخاتم فقد أعطيتُ فيه عشرة آلاف درهم فإذا احتجت فبعه بهذه القيمة[١]

وعن عمر بن يزيد قال: أتى رجل أبا عبد الله عليه السلام يقتضيه وأنا عنده، فقال له: «ليس عندنا اليوم شيء و لكنه يأتينا خطرٌ و وسمة فيباع و نعطيك إن شاء الله».

فقال له الرجل: عدني.

فقال: «كيف أعُدك و أنا لما لا أرجو أرجى مني لما أرجو؟!».[٢]

عن الوليد بن صبيح قال: جاء رجل إلى أبي عبد الله عليه السلام يدّعي على المعلى بن خنيس دَيناً عليه.

قال: فقال: ذهب بحقي.

فقال: ذهب بحقك الذي قتله.

ثم قال للوليد: «قم إلى الرجل فاقضه من حقه، فإني أُريد أن أُبرد عليه جلده و إن كان بارداً».[٣]

وعن أبي حنيفة سائق الحاج قال: مر بنا المفضل و أنا و ختني نتشاجر في ميراث فوقف علينا ساعة ثم قال لنا: تعالوا إلى المنزل.

فأتيناه فأصلح بيننا بأربعة مائة درهم فدفعها إلينا من عنده حتى إذا استوثق كلُ واحد منا من صاحبه قال: أما إنها ليست من مالي و لكن أبا عبد الله (الصادق) أمرني إذا تنازع رجلان من أصحابنا في شيء أن أُصلح بينهما و أفتديهما من ماله، فهذا من مال أبي عبد الله عليه السلام.[٤]

وقال الفضل بن أبي قرة: كان أبو عبد الله عليه السلام يبسط رداءه و فيه صرر الدنانير

---

(١) بحار الأنوار ج٤٧ ص٦١

(٢) بحار الأنوار ٤٧ ٣٣٧

(٣) بحار الأنوار ج٤٧ ص٣٣٧

(٤) بحار الأنوار ج٤٧ ص٥٧ و مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٢٩٥

فيقول للرسول: «إذهب بها إلى فلان و فلان من أهل بيته، و قل لهم: هذه بعث بها إليكم من العراق».

قال: فيذهب بها الرسولُ إليهم فيقول ما قال، فيقولون: أما أنتَ فجزاك الله خيراً بصلتك قرابة رسول الله ﷺ.

أما جعفر فحكم الله بيننا و بينه.

قال: فيخرُّ أبو عبد الله ؑ ساجداً و يقول: «اللهم أذلَّ رقبتي لوُلد أبي».[١]

و عن يونس أو غيره عمن ذكره عن أبي عبد الله ؑ قال قلت له (اي للصادق): جعلت فداك، بلغني أنك كنت تفعل في غلة عين زياد شيئاً، و أنا أحب أن أسمعه منك.

قال: فقال لي: «نعم، كنت آمر إذا أدركت الثمرةُ أن يُثلم في حيطانها الثُلَم ليدخل الناس و يأكلوا و كنت آمر في كل يوم أن يوضع عشر بنيات (اى أقداح صغار) يقعد على كل بنية عشرة، كلما أكل عشرة جاء عشرة أخرى يلقى لكل نفس منهم مدّ من رُطب.

و كنت آمر لجيران الضيعة كلهم: الشيخ و العجوز و الصبي و المريض و المرأة، و من لا يقدر أن يجيء فيأكل منها لكل إنسان منهم مدّ، فإذا كان الجذاذ وفيت القوام و الوكلاء و الرجال أُجرتهم و أُحمل الباقي إلى المدينة ففرقت في أهل البيوتات و المستحقين الراحلتين و الثلاثة و الأقل و الأكثر، على قدر استحقاقهم و حصل لي بعد ذلك أربعمائة دينار و كان غلتها أربعة آلاف دينار.[٢]

---

(١) بحار الأنوار ج٤٧ ص٦٠

(٢) بحار الأنوار ج٤٧ ص٥١

الإنصاف وحب النوع

عن أبي جعفر الفزاري قال دعا أبو عبد الله عليه السلام مولى له يقال له مصادف فأعطاه ألف دينار و قال له: تجهز حتى تخرج إلى مصر فإن عيالي قد كثروا قال: فتجهَّز بمتاع و خرج مع التجار إلى مصر، فلما دنوا من مصر استقبلهم قافلة خارجة من مصر فسألوهم عن المتاع الذي معهم ما حاله في المدينة؟ وكان متاع العامة، فأخبروهم أنه ليس بمصر منه شيء، فتحالفوا و تعاقدوا على أن لا ينقصوا متاعهم من ربح دينار ديناراً فلما قبضوا أموالهم انصرفوا إلى المدينة فدخل مصادف على أبي عبد الله عليه السلام و معه كيسان في كل واحد ألف دينار، فقال: جعلت فداك، هذا رأسُ المال و هذا الآخر ربحٌ.

فقال: «إن هذا الربح كثير، و لكن ما صنعتم في المتاع»؟!

فحدثه كيف صنعوا و كيف تحالفوا.

فقال: «سبحان الله تحلفون على قومٍ مسلمين ألا تبيعوهم إلا بربح الدينار ديناراً».؟!

ثم أخذ أحد الكيسين فقال: «هذا رأسُ مالي و لا حاجة لنا في هذا الربح».

ثم قال: «يا مصادف مجالدة السيوف أهون من طلب الحلال» !![1]

وعن معتب قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام وقد تزيَّد السعر بالمدينة: كم عندنا من طعام؟

قال: قلت: عندنا ما يكفينا أشهراً كثيرة.

قال: أخرجه وبعه.

---

(١) بحار الأنوار ج٤٧ ص٥٩

قال: قلت له: وليس بالمدينة طعام.

قال: بعه.

فلما بعتُه، قال: إشتر مع الناس يوماً بيوم وقال: «يامعتب، إجعل قوت عيالي نصفاً شعيراً ونصفاً حنطة فإن الله يعلم أني واجد أن أطعمهم الحنطة على وجهها (أي خالصة) ولكنني أُحبُّ أن يراني الله قد أحسنت تقدير المعيشة».[1]

التوصية بإدخال السرور على قلوب الآخرين

كان الامام جعفر الصادق عليه السلام يقوم – مضافاً الى الإحسان بشخصه إلى الآخرين، ومعالجة مشكلاتهم – يوصي غيره بفعل ذلك أيضاً.

دخل رجل على الامام الصادق عليه السلام وقال: إن في ديوان النجاشي عليَّ خراجاً، وهو مؤمن يدين بطاعتك فان رأيتَ أن تكتب اليه كتاباً – وكان النجاشي و هو رجل من الدهاقين عاملاً على الأهواز و فارس –.

قال: فكتب إليه أبو عبد الله عليه السلام «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ سُرَّ أخاك يسرُّك الله».

قال: فلما ورد الكتابُ عليه دخل عليه و هو في مجلسه فلما خلا ناوله الكتاب و قال: هذا كتاب أبي عبد الله عليه السلام فقبَّله و وضعه على عينيه و قال له: ما حاجتك؟!

قال: خراجٌ عليَّ في ديوانك.

فقال له: و كم هو؟

قال: عشرة آلاف درهم.

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٩٠

فدعا كاتبه و أمره بأدائها عنه، ثم أخرجه منها، و أمر أن يثبتها له لقابل ثم قال له: سررتك؟!

فقال: نعم جعلت فداك.

ثم أمر بمركب و جارية و غلام، وأمر له بتخت ثياب، في كل ذلك يقول: هل سررتكَ؟ فيقول: نعم جعلت فداك.

فكلما قال: نعم زاده حتى فرغ، ثم قال له: إحمل فرش هذا البيت الذي كنتَ جالساً فيه حين دفعتَ إلي كتاب مولاي الذي ناولتني فيه و ارفع إلي حوائجك.

قال: ففعل، و خرج الرجل فصار إلى أبي عبد الله عليه السلام بعد ذلك، فحدَّثه بالحديث على جهته، فجعل يسرُّ بما فعل.

فقال الرجل: يابن رسول الله كأنه قد سرَّك ما فعل بي .

فقال: «إي و الله لقد سرَّ الله و رسوله».[1]

دخل محمد بن بشر الوشاء على أبي عبد الله عليه السلام يسائله أن يكلم شهاباً أن يخفف عنه حتى ينقضي الموسمُ وكان له عليه ألفُ دينار فأرسل إليه فأتاه فقال له: قد عرفت حالَ محمد و انقطاعه إلينا و قد ذكر أن لك عليه ألف دينار و لم يذهب في بطن و لا فرج، وإنما ذهبت ديناً على الرجال و وضائع وضعها، وأنا أُحب أن تجعله في حلّ، ثم قال: لعلك ممن يزعم أنه يقتص من حسناته فيعطاها؟

فقال: كذلك في أيدينا.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «الله أكرمُ وأعدلُ من أن يتقرب إليه عبده فيقوم في الليلة القرة أو يصوم في اليوم الحار أو يطوف بهذا البيت ثم يسلبه ذلك فيعطاه، و لكن لله فضل كثيرٌ يكافي المؤمن».

---

(١) بحار الأنوار ج٤٧ ص٣٧٠

فقال شهاب: فهو في حلٍّ يا أبن رسول الله.[١]

الصبر في المصيبة

كان الامام الصادق عليه السلام يتحلى بالصبر فيما يتحلى به من الخلق الكريم، وفيما يأتي مشاهد من تجلّي هذه الخُلق:

قال قتيبة الأعشى: أتيتُ أبا عبد الله عليه السلام أعود ابناً له فوجدتهُ على الباب فإذا هو مهتمٌّ حزين فقلت: جعلت فداك، كيف الصبي؟

فقال: و الله إنه لما به، ثم دخل فمكث ساعة ثم خرج الينا وقد أسفر وجهه، وذهب التغير والحزن.

قال: فطمعت أن يكون قد صلح الصبي فقلت: كيف الصبي جعلت فداك؟

فقال: لقد مضى لسبيله.

فقلت: جعلت فداك، لقد كنتَ و هو حي مهتماً حزيناً و قد رأيت حالك الساعة و قد مات غير تلك الحال، فكيف هذا؟!

فقال: «إنا أهل بيت إنما نجزع قبل المصيبة فإذا وقع أمرُ الله رضينا بقضائه و سلَّمنا لأمره».[٢]

ودخل سفيان الثوري على الصادق عليه السلام فرآه متغير اللون فسأله عن ذلك، فقال: «كنتُ نهيت أن يصعدوا فوق البيت فدخلت فإذا جارية من جواريي ممن تربي بعض ولدي قد صعدت في سلّم والصبي معها فلما بصرتْ بي ارتعدتْ وتحيرتْ» و سقط الصبي إلى الأرض فمات، فما تغير لوني لموت الصبي و إنما

(١) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٣٦٤

(٢) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٤٩

تغير لوني لما أدخلت عليها من الرعب.

وكان عليه السلام قال لها: أنتِ حرةٌ لوجه الله، لا بأس عليكِ، مرتين [١]

وعن العلاء بن كامل قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام فصرخت الصارخة من الدار فقام أبو عبد الله عليه السلام ثم جلس فاسترجع و عاد في حديثه حتى فرغ منه ثم قال: «إنا لنحبُّ أن نعافى في أنفسنا و أولادنا وأموالنا فإذا وقع القضاء فليس لنا أن نحبَّ ما لم يحب الله لنا».[٢]

(١) بحار الأنوار ج٤٧ ص٢٤ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٢٩٦

(٢) بحار الأنوار ج٤٧ ص٤٩

الإمامُ السابع

الإمامُ موسى بن جعفر عليه السلام

وُلد الامام موسى بن جعفر عليه السلام في اليو م السابع من شهر صفر عام ١٢٨ هجريه في قرية تسمى الأبواء بين مكة والمدينة.

والده: الامامُ جعفر الصادق، واسم أُمه حميدة.

اسمه: موسى، وكنيته أبو الحسن وأبو إبراهيم وأبو علي وأبو اسماعيل.

والقابه: العبد الصالح و النفس الزكية وزين المجتهدين والصابر والأمين والزاهد والصالح وأشهر أَلقابه: الكاظم.

أُستشهد في ٢٥ رجب سنة ١٨٣ هجرية في سجن سنديّ بن شاهك في بغداد ودُفن في مقبرة قريش (المعروفة بالكاظمين) وقد قضى من عمره يومئذ خمساً وخمسين سنة، قضى منها مع أبيه عشرين عاماً وكانت مدة امامته خمسة وثلاثين عاماً.

ومع أن الامام بسبب عدم توفر الأَرضية المناسبة لم يكن يشكل أية مزاحمة لخلفاء عصره وكان يقضي جلَّ أوقاته في العبادة والقيام بأُمور المعيشة، وكان كثيراً ما يقوم بنشر الدين ومعارفه، وارشاد الناس وهدايتهم وتربية التلامذة ورواة الحديث حتى أنه عُدّ من مشاهير الفقهاء والعلماء، ولكن خلفاء زمانه كانوا يتوجّسون خيفةً من مكانته الاجتماعية ومحبوبيته الإجتماعية، وكانوا يراقبونه

وشيعته وأنصاره على الدوام، بل وكانوا يضايقونه ويضيّقون عليه بطرق مختلفة، حتى أنهم جلبوه من المدينة الى بغداد عدة مرات، وكانوا يعمَدون بكل صلف الى معاتبته وتهديده، ولطالما قصدوا قتله ولكنهم انصرفوا عن ذلك لاعتبارات سياسية أو اجتماعية وأعادوه الى المدينة.

وعلى ضوء وشايات بعض أقربائه أصدر هارونُ الرشيد حكماً بجلبه من المدينة الى بغداد وأودعه السجن لمدد طويلة، في سجون البصرة وبغداد، وكان آخر سجن حُبس فيه هو سجن السندي بن شاهك ببغداد وكان سجناً قاسياً وصعباً جداً.

وفي الاخير سمَّه السنديُّ بن شاهك بأمر هارون الرشيد واستُشهد على أثره بعد أيام ودفن جسده الشريف في مقبرة قريش قرب بغداد.(١)

النصوص على امامته

لقد سبق أن ذكرنا أنه يمكن تقسيم الأَدلة على الامامة على نوعين:

الاول: الأَدلة العامة التي يمكن الاستفادة منها لإثبات إمامة من الأَئمة.

الثاني: النصوص الصادرة من كل إمام سابق على الإمام اللاحق.

وقد بينا النوع الاول من الادلة فيما مضى على وجه التفصيل.

وهنا نكتفي بإدراج النصوص الصادرة عن الامام جعفر الصادق عليه السلام والتي تدل على إمامة ولده موسى بن جعفر عليه السلام.

كتب الشيخُ المفيد رحمه الله في المجال يقول: وكان المفضَّل بن عمر الجعفي

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٢١٥ وبحار الأنوار ج ٤٨ ص ١ و ٦ و ٧ ومطالب السؤول ج ٢ ص ١٢٠ والفصول المهمة ص ٢١٤ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٤٨ كشف الغمة ج ٣ ص ١-٩

و معاذ بن كثير و عبد الرحمن بن الحجاج و الفيض بن المختار و يعقوب السراج و سليمان بن خالد و صفوان الجمال و غيرهم من خواص أصحاب الامام الصادق وأقربائه الموثقين ممن قد روى النصوص الدالة على امامة ابي الحسن موسى عليه السلام.[١]

وقد روى ذلك من إخوته اسحاق وعلي ابنا جعفر وكانا من الفضل والورع على ما لا يختلف فيه اثنان.[٢]

وقال المفضل بن عمر رحمه الله: كنتُ عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل أبو إبراهيم موسى عليه السلام و هو غلامٌ فقال لي أبو عبد الله: «**استوص به وضع أمره عند من تثق به من اصحابك**».[٣]

وعن معاذ بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلتُ: أسأل الله الذي رزق أباك منك هذه المنزلة أن يرزقك من عقبك قبل الممات مثلها.

فقال: «**قد فعل الله ذلك**».

قلت: من هو جُعلت فداك؟

فأشار إلى العبد الصالح ـ و هو راقد ـ وقال: «**هذا الراقد و هو يومئذ غلام**».[٤]

و عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: دخلت على جعفر بن محمد عليهما السلام في منزله فإذا هو في بيت كذا من داره في مسجد له و هو يدعو، و على يمينه موسى بن جعفر عليه السلام يؤمّن على دعائه.

---

(١) الارشاد ج ٢ ص ٢٣٧ـ٢٤٣

(٢) الارشاد ج ٢ ص ٢٣٧ - ٢٤٣

(٣) الارشاد ج ٢ ص ٢١٦ وكشف الغمة ج ٣ ص ٩

(٤) الارشاد ج ٢ ص ٢١٦ وكشف الغمة ج ٣ ص ٩

فقلت له: جعلني الله فداك قد عرفتَ انقطاعي إليك و خدمتي لك فمن وليُّ الأمر بعدك؟

قال: «يا عبد الرحمن إن موسى قد لبس الدرع و استوت عليه».

فقلت له: لا احتاج بعدها الى شيىء.[١]

وقال الفيض بن المختار: قلت لأبي عبد الله عليه السلام خذ بيدي من النار، من لنا بعدك؟

قال فدخل أبو إبراهيم(أي موسى بن جعفر) و هو يومئذ غلام فقال: «هذا صاحبكم فتمسك به».[٢]

و قال منصور بن حازم: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بأبي أنت و أمي إن الأنفس يُغدى عليها و يُراح فإذا كان ذلك فمن؟.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا كان ذلك فهو صاحبكم»، و ضرب على منكب أبي الحسن الأيمن و هو فيما أعلم يومئذ خماسيّ و عبد الله بن جعفر جالس معنا.[٣]

و عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: إن كان كونٌ و لا أراني الله ذلك فبمن أئتم؟.

فأومأ إلى ابنه موسى عليه السلام.

قلت: فإن حدث بموسى حدث فبمن أئتمُّ؟.

قال: «بوَلده».

قلت: فإن حدث بولده حدثٌ؟

قال: «بوَلَده».

---

(١) الارشاد ج٢ ص٢١٧ والفصول المهمة ص٢٣ و كشف الغمة ج٣ ص١٠

(٢) الارشاد ج٢ ص٢١٨ والفصول المهمة ص ٢١٤ وكشف الغُمة ج٣ ص١٠

(٣) الارشاد ج٣٢ ص٢١٨ والفصول المهمّة ص ٢١٤ وكشف الغُمة ج٣ ص١٠

قلت: و إن حدث به حدثٌ و ترك أخا كبيراً و ابناً صغيراً ؟

قال: «بوَلَده ثم هكذا أبدا».(١)

و عن طاهر بن محمد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: رأيت أباعبدالله وهو يلوم عبد الله ابنه و يعظه و يقول له: ما يمنعك أن تكون مثل أخيك فو الله إني لأعرف النور في وجهه؟!.

فقال عبد الله: و كيف؟ أليس أبي و أبوه واحداً وأصلي وأصله واحداً؟

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «إنه من نفسي وأنت ابني».(٢)

وعن يعقوب السراج قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وهو واقفٌ على رأس أبي الحسن موسى و هو في المهد، فجعل يسارُّه طويلاً، فجلست حتى فرغ فقمت إليه فقال لي: أُدن إلى مولاك، فسلم عليه فدنوت فسلمت عليه فرد علي بلسان فصيح ثم قال لي اذهب فغيِّر اسم ابنتك التي سمَّيتها أمس فإنه اسمٌ يبغضه الله و كانت ولدت لي بنت فسميتها بالحميراء.

فقال أبو عبد الله: «إنته إلى أمره ترشد فغيرت اسمها».(٣)

وعن صَفوان الجمال قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن صاحب هذا الأمر فقال: صاحب هذا الأمر لا يلهو ولا يلعب.

فأقبل أبو الحسن عليه السلام ومعه بهمة له و هو يقول لها: «أُسجدي لربِّك».

فأخذه أبو عبد الله عليه السلام وضمّه إليه وقال: «بأبي و أمي مَن لا يلهو و لا يلعب».(٤)

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٢١٨ وكشف الغمة ج ٣ ص ١٠

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ٢١٩ وكشف الغمة ج ٣ ص ١٠

(٣) الإرشاد ج ٢ ص ٢١٩ وإثبات الوصية ص ١٦٢ وكشف الغمة ج ٣ ص ١١

(٤) الإرشاد ج ٢ ص ٢١٩

وقال إسحاق بن جعفر الصادق قال: كنتُ عند أبي يوماً فسأله عليُّ بن عمر بن علي فقال: جعلت فداك إلى من نفزع و يفزع الناسُ بعدك؟

فقال: إلى صاحب هذين الثوبين الأصفرين و الغديرتين و هو الطالع عليك من الباب.

قال: فما لبثنا أن طلعت علينا كفّان أخذتا بالبابين حتى انفتحتا، دخل علينا أبو إبراهيم موسى عليه السلام وهو صبيٌّ وعليه ثوبان أصفران.[1]

و روى محمد بن الوليد قال سمعتُ عليَّ بن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول لجماعة من خاصته و أصحابه: «**إستوصوا بابني موسى خيراً فإنه أفضل ولدي و من أُخلف من بعدي و هو القائم مقامي و الحجة لله تعالى على كافة خلقه من بعدي**».[2]

ثم كتب الشيخ المفيد في آخر كلامه هذا: وكان عليُّ بن جعفر شديدَ التمسك بأخيه موسى و الانقطاع إليه و التوفر على أخذ معالم الدين منه، و له مسائل مشهورة عنه، و جوابات رواها سماعاً منه.[3]

وقال نصرُ بن قابوس: دخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام فسألتُه عن الإمام من بعده، فقال: «أبو الحسن موسى بن جعفر إبني الامامُ بعدي».[4]

وقال سليمان بن خالد: دعا أبوعبدالله عليه السلام أبا الحسن يوماً و نحن عنده فقال لنا: «**عليكم بهذا بعدي فهو واللهِ صاحبُكم**».[5]

---

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٢١٩

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ٢٢٠

(٣) الإرشاد ج ٢ ص ٢٢٠

(٤) اثبات الوصية ص ١٦٢

(٥) كشف الغمة ج ٣ ص ١١

وقال داوود بن كثير قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلتُ فداك، وقدمني للـموت قبلك إن كان كَونٌ، فإلى مَن؟

قال: «إلى ابني موسى»، فكان ذلك الكونُ، فوالله ما شَككت في موسى عليه السلام طرفة عين قط.[١]

وعن محمد بن سنان وأبو علي الزراد معاً عن إبراهيم الكرخي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فإني لجالس عنده اذ دخل أبو الحسن موسى بن جعفر وهو غلامٌ فقمت فقبّلته وجلست، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «يا إبراهيم أما انه صاحِبك من بعدي».[٢]

كل ما ذُكر ماهو إلا مجرد نماذج من النصوص الكثيرة الوافرة التي وصلت الينا حول امامة الامام موسى بن جعفر، أضف الى ذلك المـعاجز والكـرامـاتِ الكثيرة التي نُقلت حول هذا الامام وقد صرفنا النظر عن ذكرها للاختصار.

مناقِبه وفضائلُه

كان الامام موسى بن جعفر عليه السلام مثل آبائه العظام إنسـاناً كاملاً يفوق جـميع الناس في زمانه وعصره في جميع الصفات النبيلة و الكمالات الانسانية، وقـد مدحه جماعة كبيرة من العلماء والشخصيات المعروفة ولهجوا بذكر فضائله نشير الى بعضهم فيما يأتي:

كتب ابن الصباغ المالكي عنه يقول: الكاظمُ هو الامام الكبير القدر، والأوحد الحجة الحَبر، الساهر ليله قائماً، القاطع نـهاره صـائماً، المسـمى لفـرط حـلمه

(١) بحار الأنوار ج ٤٨ ص ١٤

(٢) بحار الأنوار ج ٤٨ ص ١٥

وتجاوزه عن المعتدين كاظماً، وهو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج الى الله.[١]

وكتب ابن حجر الهيتمي يقول: موسى الكاظم وارثُه (أي وارث أبيه الصادق) علماً ومعرفةً وكمالاً وفضلاً، سُمي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج، عند الله، وكان أعبد أهل زمانه، وأعلمهم وأسخاهم[٢]

وقال ابن الصباغ المالكي عنه: وكان أبو الحسن موسى عليه السلام أعبد أهل زمانه و أفقهَهم و أسخاهم كفاً و أكرمهم نفساً.

وكان يتفقد فقراء المدينة في الليل فيحمل إليهم الدراهمَ والدنانير إلى بيوتهم والنفقات ولا يعلمون من أي جهة.[٣]

وقال محمد بن طلحة الشافعي عنه: وأما مناقبه فكثيرة.[٤]

وروى الخطيب البغدادى عن عبد الرحمان بن صالح الازدى أنه قال: حج هارونُ الرشيد فأتى قبر النبي صلى الله عليه وآله زائراً وحوله قريش وأفياء القبائل ومعه موسى بن جعفر، فلما انتهى الى القبر قال: السلام عليك يا رسول الله، يا ابن عمي - افتخاراً على من حوله - فدنا موسى بن جعفر فقال، السلام عليك يا أبة.

فتغير وجه هارون وقال: هذا الفخر يا أبا الحسن حقاً.[٥]

وكتب ابنُ شهرآشوب عنه يقول: كان أفقه أهل زمانه وأحفظهم لكتاب الله،

(١) الفصول المهمة ص٢١٣
(٢) الصواعق المحرقة ص٢٠٣
(٣) الفصول المهمة ص٢١٩
(٤) مطالب السؤول ج٢ص ١٢١
(٥) تاريخ بغداد ج١٣ ص ٣١

وأحسنهم صوتاً بالقرآن، فكان اذا قرأ بحزن بكى وبكى السامعون لتلاوته.

وكان أجلَّ الناس وأعلاهم في الدين مكاناً وأسخاهم بناناً وأفصحهم لساناً وأشجعهم جناناً، وقد خص بشرف الولاية وحاز إرث النبوة وبوأ محل الخلافة.(١)

وكتب الشيخ المفيد في هذاالصعيد: وكان أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام أعبد أهل زمانه، وأفقههم وأسخاهم كفاً وأكرمهم نفساً.(٢)

وروى علي بن فتح الأربلي عن كمال الدين أثابه الله أنه قال: هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن، الكثير التهجد، الجاد في الاجتهاد، والمشهود له بالكرامات، المشهور، بالعبادة المواظب على الطاعات، يبيت الليل ساجداً وقائماً ويقطع النهار متصدقاً وصائماً.

ولفرط حلمه و تجاوزه عن المعتدين عليه دعي كاظماً،كان يجازي المسيء بإحسانه إليه ويقابل الجاني عليه بعفوه عنه، ولكثرة عباداته كان يسمى بالعبد الصالح ويعرف في العراق بباب الحوائج إلى الله لنجح المتوسلين إلى الله تعالى به .

كراماته تحار منها العقول و تقضي بأن له عند الله قدم صدق لا يزول. (٣)

وقال المأمون العباسيّ ـ عندما رأى تكريم والده لموسى بن جعفر عليه السلام قلت لأبي يا أمير المؤمنين من هذا الرجل الذي قد عظمتهَ وأجللتَه وقمتَ من مجلسك إليه فاستقبلتَه وأقعدتَه في صدر المجلس وجلستَ دونه ثم أمرتنا بأخذ الركاب له؟!

قال: هذا إمامُ الناس و حجةُ الله على خلقه و خليفتُه على عباده.

فقلت: يا أمير المؤمنين أو ليست هذه الصفات كلُّها لك و فيك؟

(١) مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٣٤٨

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ٢٣١

(٣) كشف الغمة ج ٣ ص ١

فقال: أنا إمام الجماعة في الظاهر بالغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حقٍ والله يا بني إنه لأحقُّ بمقام رسول الله ﷺ مني و من الخلق جميعاً، و و الله لو نازعتَني هذا الأمر لأخذتُ الذي فيه عيناك فإن الملك عقيم.[1]

علمُه

لقد قلنا فيما مضى وأثبتنا أن الاحاطة الكاملة بجميع مسائل الدين وأحكامه أمرٌ ضروري للامام، وان جميع الائمه كانوا يتمتعون بهذه المزية وكان الامام موسى بن جعفر ؑ هكذا.

فقد اشتهر في عصره بالعلم والفقه واعترف العلماء بمكانته العلمية واعتبروه أفقه أهل زمانه كما سبقت الاشاره الى ذلك.

فقد كتب ابن الصباغ المالكي: كان موسى الكاظم ؑ أعبدَ أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم كفّاً وأكرمهم نفساً.[2]

وقال المأمون: سألت أبي - وقد رأيته يحترم موسى بن جعفر - مَن هذا الرجل الذي قد عظمتَه وأحللتَه؟!

فقال: يابُنيّ، هذا وارث علم النبيين، هذا موسى بن جعفر بن محمد، إن أردتَ العلم الصحيح فعند هذا.[3]

وللمزيد من الاطلاع على مكانة الامام الكاظم العلمية يمكن مراجعة الروايات الوفيرة التي صدرت من ذلك الإمام العظيم وأُثبتت ودوِّنت في كتب الحديث، كما أن مراجعة المناظرات التي جرت بينه ؑ وبين حُكّام زمانه، وعلماء أهل السنة المعاصرين له وغيرهم مفيدة في هذا المجال أيضاً.

---

(١) بحار الأنوار ج٤٨ ص ١٣١

(٢) الفصول المهمة ص ٢١٩

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٣٥

وقد جمع أحد المحققين أحاديث الامام موسى بن جعفر عليه السلام في أبواب العقيدة والمعرفة والفقه والتفسير والاخلاق والدعاء والتاريخ والمناظرة بل وفي الطب والعلاج وخواص الاغذية والفواكه والخضروات وأخرجها ونشرها في حلة قشيبة، وصورة بديعة وقد دُرست أحوال رواة هذه الاحاديث في هذا الكتاب ويبلغ عددهم ستمائة وثمانية وثلاثين شخصاً.[١]

عبادته

كان الامام الكاظم عليه السلام مثل سائر آبائه أعبد اهل زمانه، فكان دائمَ الذكر لربه، يقضي جلَّ وقته في العباد والصلاه والذكر والدعاء وقرائة القرآن والخضوع والخشوع أمام رب العالمين. بل كان على اثر معرفته العميقه والواسعة بالتوحيد وقدرة الله وعظمته، يقوم بجميع اعماله حتى المعيشية منها ابتغاء مرضاة الله.

ونذكر من باب المثال بعض ماجاء في التاريخ والحديث من عباداته:

فقد روى الحسن بن محمد بن يحيى العلوي عن جده أنه قال: كان موسى بن جعفر يُدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده.

وروى أصحابُنا أنه دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فسجد سجدةً في أول الليل، وسُمع وهو في سجوده يقول: «عظُم الذنبُ عندي، فليحسُن العفو من عندك. يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة».

فجعل يرددها حتى أصبح.[٢]

وقال يحيى بن الحسن بن جعفر النسّابة: كان موسى بن جعفر يدعى العبد

---

(١) الكتاب المذكور هو مسند الامام الكاظم ومؤلفه المحترم هو الشيخ عزيز الله العطاردي ويقع في ثلاثة أجزاء

(٢) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٧

الصالح من عبادته واجتهادها[١]

وقال ابن الصباغ المالكي: كان موسى الكاظم أعبدَ أهل زمانه وأعلَمهم وأسخاهم كفاً وأكرمهم نفساً.[٢]

وكتب ابن حجر الهيتمي في هذا المجال: كان موسى بن جعفر أعبَد أهل زمانه وأعلمَهم وأسخاهم.[٣]

وكتب ابنُ الجوزي في (صفة الصفوة): موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي أبو الحسن الهاشمي، يدعى العبدُ الصالح لأجل عبادته.[٤]

وكتب اليعقوبي: كان موسى بن جعفر من أشدِّ الناس عبادة، روى عن أبيه.[٥]

و كتب الشيخ المفيد يقول: روي أنه كان يصلي نوافل الليل و يصِلها بصلاة الصبح ثم يعقب حتى تطلع الشمس، و يخرُّ لله ساجداً فلا يرفع رأسه من الدعاء و التمجيد حتى يقرب زوال الشمس.

وكان يدعو كثيراً فيقول: «اللهم إني أسألك الراحة عند الموت و العفو عند الحساب»، ويكرّر ذلك.

وكان من دعائه: «عظُم الذنب من عبدك فليحسن العفو من عندك».

وكان يبكي من خشية الله حتى تخضلَّ لحيتُه بالدموع[٦]

كانت اختُ السندي ابن شاهك تتولى حبس الامام موسى بن جعفر عليه السلام فحُكي أنها قالت: كان إذا صلى العتمة حمد الله ومجَّده ودعاه فلم يزل كذلك حتى

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج ١٠ ص ٣٤٠

(٢) الفصول المهمة ص ٢١٩

(٣) الصواعق المحرقة ص ٢٠٤

(٤) تذكرة الخواص ص ٣٤٨

(٥) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤١٤

(٦) الإرشاد ج ٢ ص ٢٣١

يزول الليل، فإذا زال الليل قام يصلي حتى يصلي الصبح ثم يذكر قليلاً حتى تطلع الشمس ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى ثم يتهيأ ويستاك ويأكل ثم يرقد إلى قبل الزوال، ثم يتوضأ ويصلي حتى يصلي العصر ثم يذكر جالساً صوب القبلة حتى يصلي المغرب ثم يصلي ما بين المغرب والعتمة فكان هذا دأبُه.

وكانت أختُ السندي إذا نظرت إليه قالت: خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل وكان عبداً صالحاً.(١)

وروى أحمد بن عبد الله عن أبيه قال: دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالسٌ على سطح فقال لي: إشرف على هذا البيت وانظر ما ترى؟

فقلت: ثوباً مطروحاً.

فقال: أُنظر حسناً.

فتأملت فقلتُ: رجلٌ ساجدٌ.

فقال لي: تعرفه؟ هو موسى بن جعفر أتفقده الليل والنهار [أي أُرقبه] فلم أجده في وقت من الاوقات في غير هذه الحالة، انه يصلي الفجر فيعقّب إلى أن تطلع الشمس، ثم يسجد سجدةً فلا يزال ساجداً حتى تزولَ الشمس وقد وكّل من يترصد أوقات الصلاة فإذا أخبره وثب يصلي من غير تجديد وضوء، وهو دأبُه، فإذا صلى العتمة أفطر ثم يجدد الوضوء ثم يسجد، فلا يزال يصلي في جوف الليل حتى يطلع الفجر.

وقال بعض عيونه: كنت أسمعه كثيراً يقول في دعائه: «**اللهم إنني كنت أسألك أن تفرّغني لعبادتك اللهم وقد فعلتَ فلك الحمد**».(٢)

---

(١) تاريخ بغداد ج١٣ ص٣١

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٣٤٣

وقال إبراهيم بن أبي البلاد: قال لي أبو الحسن عليه السلام: «إني لَأستغفر الله في كل يوم خمسة آلاف مرة».[١]

إنفاقُه وإحسانُه

عُرف الامام موسى بن جعفر عليه السلام بصلته لأرحامه، ومعوناته للفقراء والمحتاجين بل بنوعية هذه الصلات وكمياته المتميزة.

كتب الشيخ المفيد يقول: كان (أي الامام موسى بن جعفر عليه السلام) أوصلَ الناس لأهله و رحِمه وكان يتفقد فقراء المدينة في الليل فيحمل إليهم فيه العين و الورق و الأدقة و التمور، فيوصل إليهم ذلك و هم لا يعلمون من أي جهة هو.[٢]

وقال محمد بن عبد الله البكري: قدمت المدينة أطلب بها ديناً فأعياني، فقلت: لو ذهبتَ إلى أبي الحسن موسى عليه السلام فشكوت إليه، فأتيته بقصتي في ضيعته، فخرج إلي ومعه غلام معه منسف فيه قدية مجزع، ليس معه غيره، فأكل وأكلتُ معه، ثم سألني عن حاجتي، فذكرت له قصتي، فدخل ولم يقم إلا يسيراً حتى خرج إلي، فقال لغلامه: اذهب ثم مد يده إلي فدفع إلي صُرة فيها ثلاثمائة دينار، ثم قام فولى، فقمت وركبت دابتي وانصرفتُ.[٣]

وقال عيسى بن محمد بن مغيث القرطي وبلغ تسعين سنة قال: زرعت بطيخاً وقثاءاً وقرعاً في موضع بالجوانية على بئر يقال لها (أم عظام) فلما قرب الخير واستوى الزرع بيّتني الجراد واتى على الزرع كله، وكنت غرمت [صرفت] على الزرع ثمن جملين ومأة وعشرين ديناراً، فبينا انا جالس إذ طلع موسى بن جعفر

(١) بحار الانوار ج٤٨ ص١١٩

(٢) الارشاد ج٢ ص٢٣٠ الفصول المهمة ص٢١٩

(٣) الارشاد ج٢ ص٢٣٢ وتاريخ بغداد ج١٣ ص٢٨

بن محمد فسلّم علي ثم قال: ايش حالك؟

قلت: اصبحت كالصريم، بيّتني الجراد فأكل زرعي.

قال: كم غرمت ؟.

قلت: مأة وعشرين ديناراً مع ثمن الجملين.

قال فقال: يا عرفة إن لأبي الغيث مائة وخمسين ديناراً وربحك ثلاثون ديناراً والجملان.

فقلت: يا مبارك؛ أُدع لي فيها بالبركة.

فدخل ودعا.[1]

وذكر جماعة من أهل العلم أن أبا الحسن عليه السلام كان يصل بالمأتي دينار الى الثلاثمأة دينار وكانت صرار موسى عليه السلام مَثَلاً.[2]

وحكي أن المنصور تقدم إلى موسى بن جعفر بالجلوس للتهنئة في يوم النيروز، وقبض ما يحمل إليه، فقال عليه السلام: اني قد فتشتُ الاخبار عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله فلم أجد لهذا العيد خبراً، وأنه سنةٌ للفُرس ومحاها الاسلام ومعاذ الله أن نحيي ما محاه الاسلام.

فقال المنصور: إنما نفعل هذا سياسةً للجند فسألتك بالله العظيم إلا جلستَ، فجلس ودخلتْ عليه الملوك والامراء والاجناد يهنئونه ويحملون إليه الهدايا والتحف وعلى رأسه خادم المنصور يحصي ما يُحمل.

فدخل في آخر الناس رجلٌ شيخ كبير السن فقال له: يا ابن بنت رسول الله إننى رجل صعلوكٌ لا مال لي أتحفك بثلاث أبيات قالها جدي في جدك الحسين

---

(١) تاريخ بغداد ج١٣ ص٢٩ وكشف الغمة ج٣ ص٧

(٢) كشف الغمة ج٣ ص١٩

بن علي عليه السلام ثم أنشد قائلا: عجبت لمصقولٍ علاك فرندُه.[١]

وروي أن رجلاً من ولد عمر بن الخطاب كان بالمدينة يؤذي ابا الحسن موسى عليه السلام ويسبُّه إذا رآه يشتم علياً عليه السلام فقال له اصحابه: دعنا نقتل هذا الفاجر، فنهاهم عن ذلك، وزجرهم أشد الزجر.

ثم انه سأل عن العُمري فقيل له: إنه خرج الى زرع له، فخرج إليه ودخل المزرعة بحماره، فصاح به العُمري: لا توطىء زرعنا.

فتوطأه أبو الحسن عليه السلام بالحمار حتى وصل إليه فنزل وجلس عنده وباسَطه وضاحَكه وقال: كم غرُمت على زرعك هذا؟

فقال: مأتي دينار.

قال: فكم ترجو أن يحصل منه؟

قال: لست أعلم الغيب.

قال: انما قلت كم ترجو ان يجيئك فيه؟.

قال: ارتجي فيه مأتي دينار.

قال: فأخرج له أبو الحسن عليه السلام صُرَّة فيها ثلاثمأة دينار وقال: هـذا زرعُك على حاله والله يرزقك ما ترجو.

قال: فقام العمري فقبَّل رأسه، وسأله ان يصفح عن فارطه، فتبسم إليه أبو الحسن، وانصرف وراح الى المسجد فوجد العُمري جالساً فلما نظر إليه قال: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

قال: فوثب إليه اصحابُه فقالوا: ما قصتك قد كنتَ تقول غير هذا ؟

فقال لهم: قد سمعتم ما قلتُ الآن، وجعل يدعو لأبي الحسن عليه السلام فخاصَموه

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٤٤

وخاصمهم.

فلما رجع أبو الحسن عليه السلام الى داره قال لاصحابه الذين اشاروا بقتل العُمَري: كيف رأيتم أصلحتُ امره وكُفيت شره؟.[1]

وعن معتب قال: كان أبو الحسن عليه السلام يأمرنا إذا أدركتِ الثمرة أن نُخرجها فنبيعها و نشتري مع المسلمين يوماً بيوم.[2]

---

(١) تاريخ بغداد ج١٣ ص٢٨ والإرشاد ج٢ ص٢٣٣

(٢) بحار الأنوار ج٤٨ ص١١٧

الإمامُ الثامن

الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام

وُلد علي بن موسى عليه السلام - على بعض الاقوال - في الحادي عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٤٨ هجرية في المدينة المنورة.

والده: موسى بن جعفر عليه السلام وأُمه: أُم البنين أو نجمة.

اسمه: علي

وكُنيته: أبو الحسن.

وأَلقابه: الرضا والصابر والرضيّ والوفيّ والزكي والولي، واشهر كُناه: الرضا.

وقد توفي شهيداً في آخر صفر سنه ٢٠٣ هجرية في ولاية طوس في قرية سناباد ودفن في نفس المكا ن ايضاً.

وكان مدة عمره الشريف - بنا ءاً على ذلك - خمساً وخمسين سنة، قضى منها خمساً وثلاثين مع والده الكريم، كانت إمامته حوالي عشرين عاماً.[1]

---

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٢٤٧ و بحار الأنوار ج ٤٩ ص ٢ و٣ و٢٩٣ والفصول المهمة ص ٢٢٦ والكافي ج ١ ص ٤٨٦ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٥٣

النصوصُ على إمامته

لقد أسلفنا - في ما مضى - أن أدلة الإمامة على نوعين:

أدلة عامة: وهي الأدلة العقلية والنقلية التي يمكن الاستفادة منها لإثبات إمامة كل واحد من الأئمة.

وأدلة خاصة: وهي عبارة عن النصوص التي صدرت من كل إمام سابق لإثبات إمامة الإمام اللاحق.

ونحن هنا نكتفي بذكر النصوص الخاصة بإمامة الامام الرضا عليه السلام.

قال الشيخ المفيد رحمه الله في هذا المجال: فممن روى النصّ على الرضا علي بن موسى عليه السلام بالإمامة من أبيه و الإشارة إليه منه بذلك من خاصته و ثقاته و أهل الورع والعلم والفقه من شيعته: داوود بن كثير الرقيّ ومحمد بن إسحاق بن عمار و علي بن يقطين ونعيم القابوسي والحسين بن المختار وزياد بن مروان والمخزومي وداود بن سليمان و نصر بن قابوس و داوود بن زربي و يزيد بن سليط و محمد بن سنان.[1]

و عن داوود الرقيّ قال: قلت لأبي إبراهيم عليه السلام: جعلت فداك إني قد كبُرت سني فخذ بيدي و أنقِذني من النار. مَن صاحبنا بعدك؟

قال: فأشار إلى ابنه أبي الحسن فقال «هذا صاحبكم من بعدي». [2]

وعن محمد بن إسحاق بن عمار قال قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام: ألا تدلني على من آخذ عنه ديني؟

---

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٢٤٧

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ٢٤٨ والفصول المهمة ص ٢٢٥

فقال: «هذا ابني عليّ، إنّ أبي أخذ بيدي فأدخلني إلى قبر رسول الله ﷺ فقال لي: يا بُني إن الله جل و علا قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ و إنّ الله إذا قال قولاً وفى به». [١]

وعن الحسين بن نعيم الصحاف قال: كنت أنا و هشام بن الحكم و علي بن يقطين ببغداد فقال علي بن يقطين: كنت عند العبدالصالح فقال لي: «**يا علي بن يقطين هذا عليٌّ سيد ولدي، أما إني قد نحلته كنيتي [وفي رواية أعطيته كتبي]**».

فضرب هشام براحته جبهَته، ثم قال: ويحك كيف قلتَ؟!

فقال علي بن يقطين: سمعتُه والله منه كما قلتُ.

فقال هشام: إن الأمر و الله فيه من بعده (أي من بعد أبيه موسى بن جعفر). [٢]

و عن نعيم القابوسي عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: «**ابني علي أكبر ولدي و آثرهم عندي و أحبهم إلي و هو ينظر معي في الجفر و لم ينظر فيه إلا نبي أو وصي نبي.** [٣]

وعن الحسين بن المختار قال: خرجت إلينا ألواح من أبي الحسن موسى عليه السلام وهو في الحبس: «عهدي إلى أكبر ولدي أن يفعل كذا و أن يفعل كذا و فلان لا تنله شيئاً حتى ألقاك أو يقضي الله علي الموت». [٤]

وعن زياد بن مروان القندي قال: دخلتُ على أبي إبراهيم و عنده أبو الحسن ابنه عليه السلام فقال لي: «**يا زياد هذا ابني فلان كتابُه كتابي و كلامُه كلامي و رسولُه**

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٢٤٨
(٢) الإرشاد ج ٢ ص ٢٤٩
(٣) الإرشاد ج ٢ ص ٢٤٩
(٤) الإرشاد ج ٢ ص ٢٤٩

رسولي، و ما قالَ فالقولُ قولي».[١]

و قال المخزومي و كانت أُمه من وُلد جعفر بن أبي طالب قال: بعث إلينا أبو الحسن موسى فجَمعَنا ثم قال: «أتدرون لم جمعتُكم»؟

قلنا: لا.

قال: «إشهدوا أن ابني هذا وصيّي و القيّم بأمري و خليفتي من بعدي من كان له عندي دَينٌ فليأخذه من ابني هذا و من كانت له عندي عدة فليتنجّزها منه و من لم يكن له بدٌّ من لقائي فلا يلقني إلا بكتابه».[٢]

وعن داوود بن سليمان قال قلت لأبي إبراهيم عليه السلام: إني أخـاف أن يـحدثَ حدث و لا ألقاك فأخبرني من الإمام بعدك؟

قال: «ابني فلان يعني أبا الحسن عليه السلام».[٣]

وعن نصر بن قابوس قال قلت لأبي إبراهيم عليه السلام: إنني سألت أباك من الذي يكون من بعدك فأخبرني أنك أنتَ هو، فلما توفي أبو عبد الله عليه السلام ذهب الناس يميناً وشمالاً وقلتُ بك أنا وأصحابي فأخبرني من الذي يكون بعدك من وُلدك؟

قال: «ابني فلان».[٤]

وعن داوود بن زربيّ قال: جئت إلى أبي إبراهيم عليه السلام بمال فأخذ بعضه و ترك بعضه فقلت: أصلحك الله لأي شيء تركته عندي؟

فقال إن صاحب هذا الأمر يطلبه منك فلما جاء نعيُه بعث إليَّ أبـو الحسـن

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٢٥٠ والفصول المهمة ص ٢٢٦

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ٢٥٠ والفصول المهمة ص ٢٢٦

(٣) الإرشاد ج ٢ ص ٢٥١

(٤) الإرشاد ج ٢ ص ٢٥١

الرضا عليه السلام فسألني ذلك المال فدفعته إليه.[١]

و عن يزيد بن سليط في حديث طويل عن أبي إبراهيم عليه السلام [الكاظِم] أنه قال في السنة التي قُبض عليه فيها: «إني أؤخذ في هذه السنة و الأمر إلى ابني علي سمِيِّ عليّ و عليّ فأما علي الأول فعلي بن أبي طالب و أما علي الآخر فعلي بن الحسين أُعطي فهم الأول و حلمه و نصره و ورعه و ورده و دينه و محنة الآخر و صبره على مايكره.[٢]

وقال محمد بن إسماعيل بن الفضل الهاشمي: دخلتُ على أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وقد اشتكى شكاةً شديدة فقلت له: إن كان ما أسأل الله أن لا يرينا فإلى مَن؟

قال: «إلى ابني علي فكتابه كتابي و هو وصيي و خليفتي من بعدي».[٣]

وعن عبد الله بن مرحوم قال خرجت من البصرة أريد المدينة فلما صرت في بعض الطريق لقيت أباإبراهيم عليه السلام وهو يُذهب به إلى البصرة فأرسل إلي فدخلت عليه فدفع إلي كتباً وأُمرني أن أوصلها بالمدينة فقلت: إلى من أدفعها جعلت فداك؟

قال: «إلى ابني علي فإنه وصيي و القيم بأمري وخير بنيَّ».[٤]

عن محمد بن زيد الهاشمي أنه قال: الآن يتخذ الشيعة علي بن موسى عليه السلام إماماً.

قلت و كيف ذاك؟ قال: دعاه أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام فأوصى إليه.[٥]

---

(١) الارشاد ج ٢ ص ٢٥١
(٢) الإرشاد ج ٢ ص ٢٥٢
(٣) كشف الغمة ج ٣ ص ٨٨
(٤) بحار الأنوار ج ٤٩ ص ١٥
(٥) بحار الأنوار ج ٤٩ ص ١٦

وعن حيدر بن أيوب قال: كنّا بالمدينة في موضع يعرف بالقبا، فيه محمد بن زيد بن علي، فجاء بعد الوقت الذي كان يجيئنا فيه، فقلنا له: جعلنا فداك ما حبسك؟

قال: دعانا أبو إبراهيم عليه السلام اليوم سبعة عشر رجلاً من وُلد علي وفاطمة صلوات الله عليهما فأشهدنا لعلي ابنه بالوصية و الوكالة في حياته وبعد موته وأن أمره جائز عليه وله.

ثم قال محمد بن زيد: والله يا حيدر لقد عقد له الإمامة اليوم وليقولنّ الشيعةُ به من بعده.

قال حيدر: قلت: بل يبقيه الله وأي شيء هذا؟

قال: يا حيدر إذا أوصى إليه فقد عقد له الإمامة.

قال علي بن الحكم: مات حيدر و هو شاكٌّ.[1]

و عن عبد الرحمن بن الحجاج قال أوصى أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام إلى ابنه علي عليه السلام وكتب له كتابا أشهد فيه ستين رجلاً من وجوه أهل المدينة.[2]

وعن الحسن بن علي الخزاز قال خرجنا إلى مكة و معنا علي بن أبي حمزة و معه مال و متاع فقلنا: ما هذا؟

قال للعبد الصالح عليه السلام: أمرني أن أحمله إلى عليٍّ ابنه عليه السلام وقد أوصى إليه.[3]

و عن جعفر بن خلف قال: سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يقول: « سعُدَ امرؤ لم يمت حتى يرى منه خلفاً، و قد أراني اللهُ من ابني هذا خلفاً و أشار

(١) بحار الأنوار ج ٤٩ ص ١٦
(٢) بحار الأنوار ج ٤٩ ص ١٧
(٣) بحار الأنوار ج ٤٩ ص ١٧

إليه يعني إلى الرضا عليه السلام.[١]

وقال موسى بن بكر: كنتُ عند أبي إبراهيم عليه السلام فقال لي: (إن جعفراً عليه السلام كان يقول: «سعد امرؤ لم يمت حتى يرى خلَفه من نفسه»، ثم أومأ بيده إلى ابنه عليٍّ فقال: «هذا وقد اراني الله خلفي من نفسي».[٢]

عن ابن فضال قال سمعتُ عليّ بن جعفر يقول: كنت عند أخي موسى بن جعفر فكان و الله حجة في الأرض بعد أبي عليه السلام إذ طلع ابنُه عليٌّ فقال لي: «يا علي هذا صاحبك و هو منّي بمنزلتي من أبي، فثبتك الله على دينه».

فبكيتُ و قلت في نفسي: نعى و الله إليَّ نفسه.

فقال: يا علي لا بد من أن تمضي مقادير الله فيَّ و لي برسول الله أُسوة و بأمير المؤمنين و فاطمة و الحسن و الحسين وكان هذا قبل أن يحمله هارون الرشيد في المرة الثانية بثلاثة أيام.[٣]

وهناك أحاديث أُخرى ترتبط بإمامة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام وردت في كتب الحديث ولكننا اعرضنا عن إدراجها هنا جميعاً رعايةً للاختصار.

كما وأن هناك معاجز كثيره نسبت الى ذلك الامام العظيم أُثبتت في كتب الحديث يمكن الاستفادة منها لإثبات امامة الإمام الرضا عليه السلام أيضاً.

فضائلُه وشخصيتُه الاجتماعية

كان الامام الرضا عليه السلام مثل والده يتحلى بكل الصفات والسجايا النبيلة والكمالات الانسانية وكان يتمتع بشخصية معروفة ومتميزة بين الناس في عصره

(١) بحار الأنوار ج ٤٩ ص ١٨
(٢) بحار الأنوار ج ٤٩ ص ٢٦
(٣) بحار الأنوار ج ٤٩ ص ٢٦

وزمانه.

فقد كتب الشيخ المفيد رحمه الله عنه قائلاً: وكان الإمام القائم بعد أبي الحسن موسى بن جعفر ابنُه أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام لفضله على جماعة إخوته وأهل بيته وظهور علمه وحلمه وورعه واجتهاده واجتماع الخاصة والعامة على ذلك فيه، ومعرفتهم به منه وبنص أبيه على إمامته عليه السلام من بعده وإشارته إليه بذلك دون جماعة إخوته وأهل بيته.[1]

وكتب في موضع آخر يقول: كان أفضل ولد أبي الحسن موسى عليه السلام وأنبهَهم وأعظَمهم قدراً وأعلَمهم وأجمعهم فضلاً أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام.[2]

وعن إبراهيم بن العباس قال: ما رأيت أبا الحسن الرضا عليه السلام جفا أحداً بكلامه قط، وما رأيته قطع على أحد كلامه حتى يفرغ منه، وما رد أحداً عن حاجة يقدر عليها، ولا مدَّ رجليه بين يدي جليس له قط، ولا اتكأ بين يدي جليس له قط، ولا رأيته شتم أحداً من مواليه ومماليكه قط، ولا رأيته تفل قط، ولا رأيته يقهقه في ضحكه قط، بل كان ضحكه التبسم، وكان إذا خلا ونُصبت مائدته أجلس معه على مائدته مماليكه حتى البوّاب والسائس وكان عليه السلام قليل النوم بالليل، كثير السهر يحيي أكثر لياليه من أولها إلى الصبح، وكان كثيرَ الصيام فلا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر ويقول ذلك صوم الدهر وكان عليه السلام كثير المعروف والصدقة في السر وأكثر ذلك يكون منه في الليالي المظلمة فمن زعم أنه رأى مثله في فضله فلا تصدقوه.[3]

قال كمال الدين بن طلحة رحمه الله عن الامام الرضا عليه السلام: من أَمعَن نظره وفكره وجَدَه في الحقيقة وارثهما، فيحكم انه ثالث العليين، نمى ايمانه وعلا شأنه

---

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٢٤٧

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ٢٤٤

(٣) بحار الأنوار ج ٤٩ ص ٩٠ ومناقب آل ابي طالب ج ٤ ص ٣٨٩

وارتفع مكانه واتسع امكانه وكثر اعوانه وظهر برهانه حتى أحله الخليفةُ المأمونُ محل مهجته، وشركه في مملكته، وفوض إليه امر خلافته، و عقد له على رؤس الاشهاد عقد نكاح ابنته، وكانت مناقبه علية وصفاته الشريفة سنية ومكارمه حاتمية وشنشنته أخزمية وأخلاقه عربية ونفسه الشريفة هاشمية واورمته الكريمة نبوية.(١)

وقال زياد بن مروان: مازلت بالأبطح مع أبي الحسن (يعني موسى بن جعفر عليه السلام) وعلي ابنه على يمينه، فقال: يا زياد، هذا ابني علي قوله قولي، وفعله فعلي، فإن كانت لك حاجة، فأنزلها به، وأقبل قوله، فإنه لا يقول على الله إلا الحق.(٢)

وقد كتب المأمون عنه في وثيقة ولاية العهد: لقد كان خيرته بعد استخارته الله واجهاده نفسه في قضاء حقه في عباده وبلاده في البيتين (العباسي والعلوي) جميعاً، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام لما رأى من فضله البارع، وعلمه النافع، وورعه الظاهر، وزهده الخالص، وتخليه من الدنيا، وتسلمه من الناس.(٣)

وعن أبي الصلت الهروي انه قال: إن المأمون قال للرضا علي بن موسى عليه السلام: يا ابن رسول الله قد عرفتُ فضلكَ و علمكَ و زهدكَ و ورعكَ و عبادتك و أراكَ أحقَّ بالخلافة مني.(٤)

---

(١) الفصول المهمة ص ٢٢٥ ومطالب السؤول ج ٢ ص ١٢٨ وكشف الغمة ج ٣ ص ٤٩

(٢) الفصول المهمة ص ٢٢٦

(٣) تذكرة الخواص ص ٣٥٣

(٤) بحار الأنوار ج ٤٩ ص ١٢٩ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٩٢

علمه

لقد أسلفنا أن من أهم شروط الامامة هو علمُ الامام بجميع العلوم المرتبطة بالدين، كما وأن أكبر مسؤولية من مسؤوليات الامام هو حفظ أحكام الدين وقوانينه ونشرها وتطبيقها في الساحة، وفي الواقع يجب أن نبحث عن فلسفة الإمامة في القيام بهذه المسؤولية . وقد كان جميع الأئمة هكذا، ومنهم الامام الرضا عليه السلام على هذا النمط في عصره.

ففي فترة امامته التي امتدت عشرين سنة سعى في نشر احكام الاسلام وتربية والعلماء و إعداد الدعاة المخلصين وقد تم على اثر جهود ذلك الامام وأصحابه ورواته المخلصين انتشار أحاديث كثيرة نرى نماذج منها في كتب الحديث.

ولقد وصلت الينا عن ذلك الامام العظيم أحاديث وفيرة في شتي مجالات الدين والحياة مثل معرفة الله، والتوحيد، وصفات الله الكمالية والجلالية، وخلقة الكون وفلسفة ذلك، والعدل الإلهي، والجبر والاختيار، والقضاء والقدر، والنبوة، وفلسفتها، والعصمة، والعلم، والامامة، وشرائطها، وفلسفة الامامة، ومكارم الاخلاق، والاخلاق الرذيلة، وأنواع المحرمات، والذنوب والمعاصي وعقوباتها، ومختلف أبواب الفقه.

ولو أننا راجعنا كتب الحديث فيما يرتبط بهذه العناوين والعشرات من أمثالها لشاهدنا أحاديث وروايات كثيرة عنه في هذه المجالات، ولشاهدنا بالاضافة الى هذه الاحاديث مناظرات واحتجاجات علمية مع حكام عصره وأرباب الديانات، التي دُونت وضبطت في كتب التاريخ والحديث.

هذا ومن خلال مطالعة أحاديث هذا الامام العظيم ومناظراته ومجادلاته

العلمية يمكن أن نقف على منزلته العلمية.[1]

ولقد ربي الامام الرضا عليه السلام طوال عمره المبارك ثلة خيرة من العلماء المخلصين والنابهين الذين حققوا أهداف الامام الرضا عليه السلام في حياته وواصلوها بعد وفاته واستشهاده في الدفاع عن الدين ونشر معارفه وعلومه امثال: أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، ومحمد بن فضل الكوفي، وعبدالله بن جندب البجلي، واسماعيل بن الاحوص الاشعري، وأحمد بن محمد الاشعري، وهم يُعدون من خواصه والموثقين من تلامذته.

وكذا الحسن بن علي الخزاز ويعرف بالوشاء، ومحمد بن سليمان الديلمي البصري، وعلي بن الحكم الانباري، و عبد الله بن المبارك النهاوندي، وحماد بن عثمان الباب، وسعد بن سعد، والحسن بن سعيد الاهوازي، ومحمد بن الفرج الرخجي وخلف البصري، ومحمد بن سنان، وبكر بن محمد الازدي، وابراهيم بن محمد الهمداني ومحمد بن احمد بن قيس بن غيلان، واسحاق بن محمد الحضيني.[2]

وعن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي قال: ما رأيت أعلمَ من علي بن موسى الرضا عليه السلام و لا رآه عالمٌ إلا شهد له بمثل شهادتي.

و لقد جمع المأمون في مجالس له ذوات عدد، علماء الأديان و فقهاء الشريعة و المتكلمين فغلبهم عن آخرهم حتى ما بقي أحد منهم إلا أقر له بالفضل و

(١) لقد جمع أحد المحققين المعاصرين أحاديث الامام الرضا عليه السلام في ابواب العقيدة والاخلاق والفقه والتفسير والتاريخ و بوّبها ونسقها في صورة جميلة وقد طبعت ونشرت في مجلدين باسم مسند الامام الرضا، وقد جمع في هذا المؤلف نفسه أسماء رواة حديث الامام وأصحابه. فبلغت ثلاثمائة واثني عشر شخصاً، ويمكن لمن أراد الاطلاع على ذلك أن يراجع ذلك الكتاب.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٩٧

أقر على نفسه بالقصور.

و لقد كان الامام الرضا عليه السلام يقول: «كنت أجلس في الروضة [النبوية] والعلماء بالمدينة متوافرون فإذا أعيا الواحدُ منهم عن مسألة أشاروا إليَّ بأجمعهم و بعثوا إليَّ بالمسائل فأجيب عنها».

ونقل محمد بن إسحاق بن موسى بن جعفر عن أبيه أن موسى بن جعفر عليه السلام كان يقول لبنيه: «هذا أخوكم علي بن موسى عالم آل محمد، فاسألوه عن أديانكم و احفظوا ما يقول لكم، فإني سمعت أبي جعفر بن محمد عليه السلام غير مرة يقول لي: إن عالمَ آل محمد لفي صُلبك، وليتني أدركته فإنه سميّ أمير المؤمنين عليّ».[١]

وقال رجاء بن ابي الضحاك عنه: كان لا ينزل بلداً إلا قصده الناس يستفتونه في معالم دينهم فيجيبهم، و يحدثهم الكثير عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله فلما وردتُ به على المأمون سألني عن حاله في طريقه فأخبرتُه بما شاهدتُ منه في ليله و نهاره، وظعنه و إقامته، فقال: بلى يا ابن أبي الضحاك هذا خيرُ أهل الأرض و أعلمُهم و أعبدُهم.[٢]

وقال إبراهيم بن العباس: ما رأيت الرضا عليه السلام سُئل عن شيء قط إلا علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقته وعصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب فيه.

وكان كلامُه كله و جوابه وتمثله انتزاعاتٍ من القرآن وكان يختمه في كل ثلاث ويقول: لو أردت أن أختمه في أقرب من ثلاثة لختمتُ ولكني ما مررتُ بآية قط إلا فكرتُ فيها وفي أي شيء أُنزلت وفي أي وقت، فلذلك صرتُ أختم في كل

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٩ ص ١٠٠

(٢) بحار الأنوار ج ٤٩ ص ٩٥

ثلاثة أيام[١]

عبادته:

كان الامامُ الرضا عليه السلام – على غرار آبائه الكرام – ذا جدية في عبادة الله تعالى، كان يصلّي الفرائض في أول اوقات فضيلتها، ويأتي بها في خشوع وخضوع فائقين وفي حضور قلب كبير، كما انه كان يواظب على النوافل ولا يترك التهجد بالليل ولا يدع صلاة الليل.

كان أهلَ ذكر ودعاء وقرائة القرآن الكريم، وها نحن نشير في هذ المقام الى نماذج منها:

قال رجاء بن أبي الضحاك: بعثني المأمون في إشخاص عليٍّ بن موسى الرضا عليه السلام من المدينة وأمرني أن آخذ به على طريق البصرة والأهواز وفارس ولا آخذ به على طريق قم وأمرني أن أحفظه بنفسي بالليل والنهار حتى أقدم به عليه فكنتُ معه من المدينة إلى مرو.

فو الله ما رأيتُ رجلاً كان أتقى لله منه و لا أكثر ذكراً له في جميع أوقاته منه ولا أشد خوفاً لله عزوجل.

كان إذا أصبح صلّى الغداة.

فإذا سلم جلس في مصلاه يسبح الله ويحمده ويكبره ويهلّلهُ ويصلّي على النبي وآله صلى الله عليه وآله حتى تطلع الشمس ثم يسجد سجدة يبقى فيها حتى يتعالى النهار.

ثم أقبل على الناس يحدثهم ويعظهم إلى قرب الزوال، ثم جدد وضوءه وعاد إلى مصلاه فإذا زالت الشمس قام وصلى ست ركعات، يقرأ في الركعة الأولى

---

(١) بحار الأنوار ج٤٩ ص٩٠

الحمد وقل يا أيها الكافرون وفي الثانية الحمد وقل هو الله أحد ويقرأ في الأربع في كل ركعة الحمد وقل هو الله أحد، ويسلّم في كل ركعتين ويقنت فيهما في الثانية قبل الركوع وبعد القرائة ثم يؤذن ثم يصلي ركعتين ثم يقيم ويصلي الظهر.

فإذا سلّم سبح الله وحمده وكبره وهلّله ما شاء الله ثم سجد سجدة الشكر يقول فيها مائة مرة: شكراًلله فإذا رفع رأسه قام فصلى ست ركعات يقرأ في كل ركعة الحمدلله وقل هو الله أحد ويسلم في كل ركعتين ويقنت في ثانية كل ركعتين قبل الركوع وبعد القراءة ثم يؤذن ثم يصلي ركعتين ويقنت في الثانية فإذا سلم أقام وصلى العصر.

فإذا سلم جلس في مصلّاه يسبح الله ويحمده ويكبره ويهلّله ما شاء الله ثم سجد سجدة [شكرٍ] يقول فيها مائة مرة: حمداًلله فإذا غابت الشمس توضأ وصلى المغرب ثلاثاً بأذان وإقامة وقنت في الثانية قبل الركوع وبعد القرائة فإذا سلم جلس في مصلاه يسبح الله ويحمده ويكبره ويهلّله ما شاء الله ثم يسجد سجدة الشكر ثم يرفع رأسه ولم يتكلم حتى يقوم ويصلي أربع ركعات بتسليمتين يقنت في كل ركعتين في الثانية قبل الركوع وبعد القرائة، وكان يقرأ في الأولى من هذه الأربع الحمد وقل يا أيها الكافرون وفي الثانية الحمد وقل هو الله أحد ثم يجلس بعد التسليم في التعقيب ما شاء الله حتى يمسي ثم يفطر.

ثم يلبث حتى يمضي من الليل قريب من الثلث ثم يقوم فيصلي العشاء الآخرة أربع ركعات ويقنت في الثانية قبل الركوع وبعد القرائة فإذا سلم جلس في مصلاّه يذكر الله عزوجل ويسبحه ويحمده ويكبره ويهّلله ما شاء الله ويسجد بعد التعقيب سجدة الشكر ثم يأوي إلى فراشه فإذا كان الثلث الأخير من الليل قام من فراشه بالتسبيح والتحميد و التكبير والتهليل والاستغفار فاستاك ثم توضأ ثم قام إلى صلاة الليل فصلى ثماني ركعات ويسلّم في كل ركعتين يقرأ في الأوليين منها

في كل ركعة الحمد مرة، وقل هو الله أحد ثلاثين مرة ويصلي صلاة جعفر بن أبي طالب عليه السلام أربع ركعات يسلّم في كل ركعتين ويقنت في كل ركعتين في الثانية قبل الركوع وبعد التسبيح ويحتسب بها من صلاة الليل ثم يصلي الركعتين الباقيتين يقرأ في الأولى الحمد وسورة الملك وفي الثانية الحمد وهل أتى على الإنسان ثم يقوم فيصلي ركعتي الشفع يقرأ في كل ركعة منها الحمد مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات ويقنت في الثانية ثم يقوم فيصلي الوتر ركعة يقرأ فيها الحمد وقل هو الله أحد ثلاث مرات وقل أعوذ برب الفلق مرة واحدة وقل أعوذ برب الناس مرة واحدة ويقنت فيها قبل الركوع وبعد القراءة ويقول في قنوته: «**أللّهم صل على محمدٍ وآل محمدٍ أللّهم اهدنا فيمن هديتَ وعافنا فيمن عافيتَ وتولّنا فيمن تولّيت وبارك لنا فيما أعطيتَ، وقنا شر ما قضيتَ فإنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليتَ ولا يعز من عاديتَ تباركت ربنا وتعاليت**».

ثم يقول: **أستغفر الله و أسأله التوبة** سبعين مرة.

فإذا سلم جلس في التعقيب ما شاء الله، وإذا قرب الفجر قام فصلى ركعتي الفجر يقرأ في الأولى الحمد وقل يا أيها الكافرون وفي الثانية الحمد وقل هو الله أحد، فإذا طلع الفجر أذَّن وأقامَ وصلّى الغداة ركعتين فإذا سلم جلس في التعقيب حتى تطلع الشمس ثم سجد سجدتي الشكر حتى يتعالى النهار.

وكانت قراءته في جميع المفروضات في الأولى الحمد وإنا أنزلناه وفي الثانية الحمد وقل هو الله أحد، إلا في صلاة الغداة والظهر والعصر يوم الجمعة فإنه كان يقرأ فيها بالحمد وسورة الجمعة والمنافقين وكان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة في الأولى الحمد وسورة الجمعة وفي الثانية الحمد وسبِّح.

وكان يقرأ في صلاة الغداة يوم الاثنين والخميس في الأولى الحمد وهل أتى على الإنسان وفي الثانية الحمد وهل أتاك حديث الغاشية.

وكان يجهر بالقرائة في المغرب والعشاء وصلاة الليل والشفع والوتر والغداة ويخفي القراءة في الظهر والعصر وكان يسبح في الأُخراوين يقول: « سبحان الله و الحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » ثلاث مرات.

وكان قنوته في جميع صلواته « رَبِّ اغْفِرْ وَ ارْحَمْ وتجاوَزْ عما تَعلم إنك أنت الأعز الأجل الأكرم »، وكان إذا أقام في بلدةٍ عشرة أيام صائماً لا يفطر فإذا جن الليل بدأ بالصلاة قبل الإفطار.

وكان في الطريق يصلي فرائضه ركعتين ركعتين إلا المغرب فإنه كان يصليها ثلاثاً و لا يدع نافلتها ولا يدع صلاة الليل والشفع والوتر وركعتي الفجر في سفر ولا حضر وكان لا يصلي من نوافل النهار في السفر شيئاً.

وكان يقول بعد كل صلاة يقصرها: «سبحانَالله والحمدُلله ولا إله إلا الله والله أكبر » ثلاثين مرة ويقول هذا لتمام الصلاة.

وما رأيته صلّى صلاة الضحى في سفر ولا حضر.

وكان لا يصوم في السفر شيئاً وكان ﷺ يبدأ في دعائه بالصلاة على محمد وآله ويكثر من ذلك في الصلاة وغيرها وكان يكثر بالليل في فراشه من تلاوة القرآن، فإذا مرَّ بآية فيها ذكر جنة أو نار بكى، وسأل اللهَ الجنةَ، وتعوَّذ به من النار وكان ﷺ يجهر بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ في جميع صلواته بالليل والنهار وكان إذا قرأ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ قال سراً «الله أحد» فإذا فرغ منها قال: «كذلك الله ربنا» ثلاثاً.

وكان إذا قرأ سورة الجحد قال في نفسه سراً: «يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» فإذا فرغ منها قال: «ربي الله و ديني الإسلام ثلاثاً، وكان إذا قرأ وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ» قال عند الفراغ منها: «بلى وأنا على ذلك من الشاهدين».

وكان إذا قرأ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ قال عند الفراغ منها: «سبحانك اللهم بلى ».

وكان إذا فرغ من الفاتحة قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

وإذا قرأ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى قال سراً: «سبحان ربي الأعلى».

وإذا قرأ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قال: «لبّيك اللّهم لبيك سرّاً».[١]

وقال ابراهيم بن العباس: كان عليه السلام قليل النوم بالليل، كثير السهر، يحيي أكثر لياليه من أولها إلى الصبح وكان كثير الصيام، فلا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر ويقول: ذلك صوم الدهر.[٢]

إنفاقُه وإحسانُه

لقد كان الجود والاحسان الى الفقراء وأداء دين المديونين واطعام المؤمنين واغاثه الملهوفين جزءً من سيرة النبى الاكرم صلى الله عليه وآله والائمة المعصومين: وقد دأب الامام الرضا عليه السلام على هذه السيرة قدر الامكان.

قال يعقوب بن إسحاق النوبختي في هذا المجال: مرّ رجلٌ بأبـي الحسـن الرضا عليه السلام فقال له: أعطني على قدر مروتك.

قال: لا يسعني ذلك.

فقال: على قدر مروتي.

قال: أما إذاً فنعم.

ثم قال: يا غلام أعطه مائتي دينار.

وقد فرّق عليه السلام بخراسان ماله كلّه في يوم عرفة، فقال له الفضل بن سهل: إن هذا لمغرَم.

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٩ ص ٩١

(٢) بحار الأنوار ج ٤٩ ص ٩١ والفصول المهمة ص ٢٣٣

فقال: «بل هو المَغنم، لا تُعدَّن مغرماً ما ابتغت به أجراً وكرماً».[١]

وعن معمر بن خلاد قال: كان أبو الحسن الرضا عليه السلام إذا أكل أُتي بصحفة فتوضع قرب مائدته فيعمد إلى أطيب الطعام، فيأخذ من كل شيء شيئاً فيوضَع في تلك الصحفة ثم يأمر بها للمساكين ثم يتلو هذه الآية: «فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ».

ثم يقول: «علم الله عز و جل أن ليس كلُّ إنسان يقدر على عِتق رقبة فجعل لهم السبيلَ إلى الجنة بإطعام الطعام».[٢]

و عن الغفاري قال: كان لرجل من آل أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله يقال له فلان عليّ حقّ فتقاضاني وألح عليَّ فلما رأيت ذلك صليت الصبح في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ثم توجهت نحو الرضا عليه السلام وهو يومئذ بالعرَيض فلما قربت من بابه إذا هو قد طلع على حمار وعليه قميص ورداء، فلما نظرت إليه استحييتُ منه فلما لحقني وقف ونظر إليَّ فسلمت عليه، وكان شهر رمضان فقلت: جعلت فداك، إن لمولاك فلان عليَّ حقاً وقد والله شهرني -وأنا أظن في نفسي أنه يأمره بالكف عني -والله ما قلت له: كم له عليَّ ولا سميتُ له شيئاً فأمرني بالجلوس إلى رجوعه.

فلم أزل حتى صليت المغرب وأنا صائم فضاق صدري وأردت أن أنصرف فإذا هو قد طلع عليَّ وحوله الناس وقد قعد له السُّؤال وهو يتصدّق عليهم، ثم مضى ودخل بيته ثم خرج ودعاني فقمت إليه ودخلت معه فجلس وجلستُ معه، فجعلت أحدّثه عن ابن المسيب، وكان كثيراً ما أحدثه عنه.

فلما فرغتُ قال: «ما أظنك أفطرتَ بعد».

قلت: لا.

(١) بحار الأنوار ج٤٩ ص١٠٠

(٢) بحار الأنوار ج٤٩ ص٩٧

فدعا لي بطعام فوضع بين يديّ وأمر الغلام أن يأكل معي فأصبتُ والغلام من الطعام، فلما فرغنا قال: إرفع الوسادة، وخذ ما تحتها فرفعتها فإذا دنانير فأخذتها ووضعتها في كُمي وأمر أربعة من عبيده أن يكونوا معي حتى يبلغوا بي منزلي.

فقلت: جعلت فداك إن طائف ابن المسيب (وجواسيسه) يقعدون [على الطريق] وأكره أن يلقاني ومعي عبيدُك.

فقال لي: أصبتَ أصاب الله بك الرشاد، وأمرهم أن ينصرفوا إذا رددتهم.

فلما قربتُ من منزلي وأنستُ رددتهم، وصرت إلى منزلي ودعوت السراج ونظرت إلى الدنانير فإذا هي ثمانية وأربعون ديناراً، وكان حق الرجل علي ثمانية وعشرون ديناراً، وكان فيها دينار يلوح فأعجبني حسنُه فأخذتُه وقربتُه من السراج، فإذا عليه نقش واضحٌ: حق الرجل ثمانية و عشرون ديناراً و ما بقي فهو لك.

لا والله ما كنت عرفت ما له عليَّ على التحديد.[١]

وعن ياسر الخادم قال كان الرضا عليه السلام إذا خلا جَمَع حَشَمه كلهم عنده الصغير والكبير فيحدثهم ويأنس بهم ويؤنسهم. وكان عليه السلام إذا جلس على المائدة لا يدع صغيراً ولا كبيراً حتى السائس والحجام إلا أقعده معه على مائدته.[٢]

ولاية العهد[٣]

من الحوادث المهمة في حياة الامام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام قصته مع ولاية العهد. فقد دعاه المأمونُ العباسيُّ وطلب منه أن ينتقل من المدينة الى

(١) الارشاد ج ٢ ص ٢٥٥ وبحار الأنوار ج ٤٩ ص ٩٧

(٢) بحار الأنوار ج ٤٩ ص ١٦٤

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٧٩

خراسان بإيران عام مائتين (أو واحد ومائتين) هجرية، وأوكل اشخاصاً بمرافقته من المدينة وأمر جماعة من رجاله منهم رجاء بن أبي الضحاك، وياسر الخـادم، بأن يسافروا لهذا الغرض الى المدينة، ليقنعوا الامام الرضا عليه السلام بهذا السفر، ثم يصحبوه طوال الرحلة ويراقبوه الى خراسان.

ويُستفاد من الاخبار والروايات أن الامام الرضا عليه السلام لم يكن في اول الامر راغباً قلبياً بهذا السفر، ولكنه تحت الحاح الموفدين اليه قبل به، ولقد كان عليه السلام شاكاً في نية اولئك المبعوثين، بل كان يحس بالخطر.

فعن مخول السجستاني قال لما ورد البريد بإشخاص الرضا عليه السلام إلى خراسان كنت أنا بالمدينة فدخل المسجد ليودِّع رسول الله صلى الله عليه وآله فودَّعه مراراً كل ذلك يرجع إلى القبر ويعلو صوتُه بالبكاء و النحيب، فتقدمت إليه وسلمت عليه فرد السلام وهنأتُه فقال: «ذرني فإني أخرج من جوار جدي صلى الله عليه وآله فأموتُ في غربة، وأدفَن في جنب هارون».

قال: فخرجت متبعاً لطريقه حتى مات بطوس ودفن إلى جنب هارون[1]

وقال الوشاء قال لي الرضا عليه السلام: «إني حيث أرادوا الخروج بي من المدينة جمعت عيالي فأمرتهم أن يبكوا عليّ حتى اسمع، ثم فرَّقت فيهم اثني عشر ألف دينار، ثم قلت: أما اني لا ارجع الى عيالي أبداً».[2]

لقد تحرك الامام الرضا عليه السلام بصحبة مرافقيه نحو خراسان. ولا نعلم كم هي المدة التي قطعوا فيها هذا الطريق الطويل؟ ولقد كانت لهم توقفات في بعض المدن، وبعد مدةٍ وصلوا الى مدينة (مرو) وهي من أكبر مدن خراسان، وكانت تلك

---

(١) بحار الأنوار ج٤٩ ص١١٧

(٢) بحار الأنوار ج٤٩ ص١١٧

المدينة العامرة عاصمة خراسان وكان المأمون العباسي يسكنها.

فاستقبل المأمون وعُماله الامامَ الرضا عليه السلام في هذه المدينة استقبالاً عظيماً.

ثم بعد الانتهاء من مراسيم الاستقبال قال المأمون للامام الرضا عليه السلام ذات يوم: يا ابن رسول الله قد عرفتُ فضلَك، وعلمَك وورعَك، وعبادتَك، وأراك أحق بالخلافة مني...اني رأيت أن أعزل نفسي، وأجعلها لك.

وحيث أن الامام الرضا عليه السلام كان يعلم بنوايا المأمون ومقاصده من هذا الاقتراح، وكان يعرف بانه في عمله هذا ليس صادقاً، لم يقبل بالخلافة.

فكرر عليه المأمون ذلك الاقتراح ثم قال للامام: يا ابن رسول الله لابدّ لك من قبول هذا الامر، فإن لم تقبل الخلافة ولم تحب مبايعتي لك فكن ولي عهدي لتكون لك الخلافةُ بعدي.

كان الامام يكره حتى ولاية العهد ولكنه اضطُر لقبولها تحت اصرار المأمون العباسي وتهديده، غير أنه قبلها بشروط أبرزها أن لا يتدخل أبداً في شيىء من إدارة أُمور البلاد من عزل ونصب.

فقبل المأمون بذلك الشرط، فكتب المأمون كتاب ولاية العهد باسم الامام الرضا عليه السلام في محضر جمع كبير من بني العباس وقادة البلاد وفريق من بني هاشم وقدمه الى الامام وأمرا لحاضرين بمبايعة الامام ثم ضرب سكة باسم الامام عليه السلام.

وقد أُثبت كتاب ولاية العهد هذا في كتب الحديث والتاريخ وهو موجود.

لا شك أن عمل المأمون العباسي هذا كان أمراً غير عادي ولا متوقع ولقد قوبل من البداية بمعارضة جماعة من أقطاب العباسيين، وكبرائهم وكانوا يخالفونه تارةً في السر، واحياناً في العلن، ولكن المأمون كان يدافع بشدة عن عمله ويعتبره عملا صحيحاً وتدبيراً حكيماً ومنطلِقاً من المصلحة.

ان هدف المأمون من هذا الامر لم يكن واضحا جداً وهو يحتاج الى دراسة

متأنية فهل كان ايكال ولاية العهد الى الامام الرضا عليه السلام عملاً مخلصاً واقعاً وكان يقصد واقعاً ارجاع الخلافة التي كانت حقاً مشروعاً لأهل البيت الى أهله؟

ان هذا الامر مستبعَد جداً من المأمون العباسي الذي قاتل أخاه ليستقل بالخلافة وابتعث الف شخص ليقتله وعندما قُتل وأُتي برأسه اليه سجد شكراً وأظهر الفرح والمسرة!![1]

إنه من البعيد جداً أن يقدم مثل هذا الشخص على تفويض الخلافة الى عليّ بن موسى الرضا عليه السلام.

هل كان للمأمون من وراء هذه الخطوة الظاهرة في صورة العمل الصالح هدفٌ سياسيٌّ، فهو كان يهدف الى استقطاب الرأى العام والتوصل الى وجاهة اجتماعية لنفسه وجلب رضا الناس؟

هل كان يريد من خلال هذا العمل أن يرضي بني هاشم والسادة العلويين الذين كانوا ينتفضون هناو هناك، ويثيرون المتاعب له ويجلبَ ودَّهم ويتجنب الثورات الدموية بذالك؟

كل هذه الاحتمالات واردة ويحتاج كل واحد منها الى دراسة مسهبة لا مجال لها في هذه الاوراق المعدودة.

ان موضوع ولاية العهد الذي أُنيطت الى الامام هذا ارتفع كلياً - وللاسف - فجأة باستشهاد الامام، ووفاته المفاجئة كما سبقت الاشارة اليه.

ان مسألة ولاية العهد تحقّقت للامام في سنة مائتين هجرية في مدينة (مرو)ولكن لايُعرف لماذا ومتى انتقل الامام الى مدينة طوس وسكن في مدينة سناباد بنوقان .

---

(١) الكامل في التاريخ ج٦ ص ٢٨٧

ثم ان الامام سُمَّ بعد مدة واستُشهد على أثرها في آخر شهر صفر عام مائتين وثلاث من الهجرة ودفن بالقرب من قبر هارون الرشيد وله من العمر خمس وخمسون عاماً.(١)

وعلى هذا لم تكن مدة ولاية عهده سوى سنتين ومدة قليلة.

---

(١) الكافي ج ١ ص ٤٨٦

الإمام التاسع

الإمام محمد الجواد عليه السلام

وُلِد الامامُ محمد التقي عليه السلام في الخامس عشر أو التاسع عشر من شهر رمضان المبارك سنة مائة وتسعين هجرية في المدينة المنورة.

اسمه: محمد واسم والده: عليّ بن موسى الرضا عليه السلام واسم والدته سبيكة او خيزران.[1]

كنيته: ابوجعفر (الثاني) وألقابه: القانع والمرتضى والجواد والتقيّ[2].

كان عمره سبعة أعوام وثمانية أشهر عندما توفي والده وكانت مدة امامته سبعة عشر عاماً.[3]

استُدعي هو وزوجته أُم الفضل الى بغداد من قبل الخليفة العباسيّ المعتصم فدخل بغداد في الثامن والعشرين من شهر محرم عام مائتين وعشرين وتوفي في نفس ذلك العام [مسموماً] ودفن في مقابر قريش عند قبر جده الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ولم يمض من عمره آنذاك إلا خمسة وعشرون وعدة أشهر من

---

(١) الكافي ج ١ ص ٤٩٢ بحار الأنوار ج ٥٠ ص ٢

(٢) مطالب السؤول ج ٢ ص ١٤٠ مناقب آل ابي طالب ج ٤ ص ٤١٠

(٣) بحار الأنوار ج ٥٠ ص ١٢

عمره الشريف.(١)

النصوصُ على إمامته

كتب الشيخ المفيد رحمه الله في هذ الصدد يقول: ممن روى النص عن أبي الحسن الرضا على ابنه أبي جعفر عليه السلام بالإمامة عليُّ بن جعفر بن محمد الصادق وصفوانُ بن يحيى ومعمرُ بن خلاد والحسين بن يسار و ابن أبي نصر البزنطي وابن قياما الواسطي و الحسن بن الجهم وأبو يحيى الصنعاني والخيراني ويحيى بن حبيب الزيات.(٢)

يقول علي بن جعفر بن محمد: قَبضت على يد أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام وقلت له: أشهد أنك إمام عند الله.

فبكى الرضا عليه السلام ثم قال: «يا عمّ ألم تسمع أبي و هو يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله بأبي ابن خيرة الإماء النوبية الطيبة، يكون من ولده الطريدُ الشريدُ الموتورُ بأبيه وجده صاحب الغيبة، فيقال مات أو هلك أيَّ واد سلك؟.

فقلت: صدقت جعلت فداك.(٣)

وقال صفوان بن يحيى قلت للرضا عليه السلام: قد كنا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر فكنتَ تقول: «يهب الله لي غلاماً» فقد وهبه الله لك، وقرّ عيونَنا به، فلا أرانا الله يومك، فإن كان كونٌ فإلى من؟

فأشار بيده إلى أبي جعفر و هو قائم بين يديه.

فقلت له: جُعلت فداك و هذا ابن ثلاث سنين؟

---

(١) بحار الأنوار ج ٥٠ ص ١

(٢) الارشاد ج ٢ ص ٢٧٤

(٣) الارشاد ج ٢ ص ٢٧٦

قال: «و ما يضرُّ من ذلك ؟ قد قامَ عيسى بالحجة و هو ابنُ أقل من ثـلاث سنين».[(١)]

وعن معمّر بن خلاد قال: سمعت الرضا عليه السلام - ذكر شيئاً حول علائم الامامة - فقال:«ماحاجتكم إلى ذلك؟ هذا أبو جعفر قد أجلستُه مجلسي وصيَّرته مكاني.

و قال: إنا أهل بيت يتوارث أصاغرُنا عن أكابرنا القذة بالقذة».[(٢)]

وعن الحسين بن يسار قال: كتب ابن قياما إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام كتاباً يقول فيه: كيف تكون إماماً وليس لك ولد؟

فأجابه أبو الحسن عليه السلام: «و ما علمك أنه لا يكون لي ولد، والله لا تمضي الأيام والليالي حتى يرزقني الله ذكراً يفرق بين الحق والباطل».[(٣)]

وعن ابن أبي نصر البزنطي قال قال لي ابن النجاشي: من الإمامُ بعد صاحبِك فأُحب أن تسأله حتى أعلم؟

فدخلت على الرضا عليه السلام فأخبرته، فقال لي: «الإمام ابني» وليس له ولد.

ثم قال: هـل يـجترئ أحـد أن يـقول: ابـني وليس له ولد؟ ولم يكـن وُلد أبوجعفر عليه السلام فلم تمض الأيام حتى وُلد.[(٤)]

وعن ابن قياما الواسطي وكان واقفاً قال: دخلت على علي بن موسى فقلت له: أيكون إمامان؟

قال: لا، إلا أن يكون أحدهما صامتاً.

فقلت له: هو ذا أنت ليس لك صامت؟

---

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٢٧٦ والفصول المهمة ص ٢٤٧

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ٢٧٧ والفصول المهمة ٢٤٧

(٣) الإرشاد ج ٢ ص ٢٧٧

(٤) الإرشاد ج ٢ ص ٢٧٧

فقال لي: «والله ليجعَلن اللهُ منّي ما يُثبت به الحقَ وأهله و يمحقُ به البـاطل وأهله – ولم يكن في الوقت له ولدٌ – فوُلد له أبو جعفر عليه السلام بعد سنة.[١]

وعن الحسن بن الجهم قال كنت مع أبي الحسن عليه السلام جالساً فدعا بابنه و هو صغير فأجلسه في حجري و قال: لي: جرِّده، انزع قميصه.

فنزعتُه، فقال لي: أُنظر بين كتفيه.

فنظرت فإذا في إحدى كتفيه شبه الخاتم داخل اللحم ثم قال لي: «أترى هذا مثله في هذا الموضع كان من أبي عليه السلام».[٢]

وعن أبي يحيى الصنعاني قال «كنت عند أبي الحسن عليه السلام فجيء بابنه أبـي جعفر عليه السلام وهو صغير فقال: «هذا المولود الذي لم يولَد مولودٌ أعظم على شيعتنا بركةً منه».[٣]

وعن الحسين بن محمد عن الخيراني عن أبيه قال: كنت واقفاً بين يدي أبي الحسن الرضا عليه السلام بخراسان فقال قائل يا سيدي إن كان كونٌ فإلى مَن؟

قال: إلى أبي جعفر ابني.

فكأن القائل استصغَر سن أبي جعفر عليه السلام فقال أبو الحسن عليه السلام: «إن الله سبحانه بعث عيسى بن مريم رسولاً نبياً صاحبَ شريعة مبتدأة في أصغر من السنّ الذي فيه أبو جعفر عليه السلام».[٤]

و عن محمد بن أبي عباد و كان يكتب للرضا عليه السلام ضمه إليه الفضل بن سهل قال: ما كان عليه السلام يذكر محمداً ابنه عليه السلام إلا بكنيته يقول كتب إليّ أبو جعفر وكنت أكتب

(١) الارشاد ج ٢ ص ٢٧٧

(٢) الارشاد ج ٢ ص ٢٧٨

(٣) الارشاد ج ٢ ص ٢٧٩

(٤) الارشاد ج ٢ ص ٢٧٩ والفصول المهمة ص ٢٤٧

إلى أبي جعفر و هو صبيّ بالمدينة فيخاطبه بالتعظيم و ترد كتب أبي جعفر عليه السلام في نهاية البلاغة، و الحسن، فسمعته يقول: «أبو جعفر وصيِّي و خليفتي في أهلي من بعدي[1]

وعن مسافر قال: أمرني أبو الحسن عليه السلام بخراسان فقال: «إلحقْ بأبي جعفر فإنه صاحبك».[2]

وعن إبراهيم بن أبي محمود قال: كنْت واقفاً عند رأس أبي الحسن علي بن موسى عليه السلام بطوس قال له بعض من كان عنده: إن حدث حدثٌ فإلى من؟

قال: «إلى ابني محمد»، وكأن السائل استصغر سن أبي جعفر عليه السلام فقال له أبو الحسن علي بن موسى عليه السلام: «إن الله بعث عيسى بن مريم عليه السلام نبياً[ثابتاً] بإقامة شريعته في دون السن الذي أقيم فيه أبو جعفر ثابتاً على شريعته.[3]

وعن ابن بزيع، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه سُئل أو قيل له: أتكون الإمامة في عمّ أو خال؟

فقال: لا.

فقال: في أخ؟

قال: لا.

قال: ففي مَن؟

قال: «في وُلدي» وهو يومئذ لا وُلد له.[4]

---

(١) بحار الأنوار ج ٥٠ ص ١٨

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ٢٧٩ والفصول المهمة ص ٢٤٧

(٣) بحار الأنوار ج ٥٠ ص ٣٤

(٤) بحار الأنوار ج ٥٠ ص ٣٥

فضائله و مكارمه

إن الامام -كما أسلفنا- إنسانٌ كاملٌ وشخصٌ متحلٍ بكل الكمالات الانسانية، ومنزه عن كل نقص وعيب، وهذا هو أحد آثار العصمة ولوازمها.

وبعد أن ثبتت إمامة شخص في ضوء الادلة، تثبت -بالتبع- كمالاته الذاتية أيضاً، وعلى هذا الاساس يكون العلم والفضل، والتقوى والعبادة، والتخلق بالاخلاق النبيلة، والنزاهة من ارتكاب المعصية، وتجنب الاخلاق القبيحة من لوازم كل امام، ومن هنا لا يوجد ثمت تفاوت بين الأئمة، فجميع الأئمة أشخاص كاملون، ومتّصفون بجميع الكمالات، ولا يكون لمرحلة الطفولة والصبا والشباب والشيخوخة أيّ تأثير في هذه النواحي.

فلو رأينا قلّة ما وصلنا من بعض الائمة من المعلومات وأنه أقل من امام آخر، أو أنه جاءت في المصادر التاريخية معلومات أقل حول عبادة امام، فإن ذلك لا يدل على أن هذا الجانب أضعف في هذا الامام من غيره، بل لأن هناك تفاوتاً في نوع الاوضاع السياسية والاجتماعية وفي مقدار العمر، او الظروف الزمانية والمكانية وهذا التفاوت هو الذي أدى الى هذا التفاوت في كمية المعلومات في المصادر التاريخية.

ومن جملة هؤلاء الأئمة الذين قلّت المعلومات عنهم في المصادر هو (الامام محمد التقي الجواد عليه السلام) فمع أنه رُويت عن هذا الامام أحاديث كثيرة، وهي مدونة ومضبوطة في كتب الحديث، إلا أنها ليست بالكثرة التي وردت في شأن آبائه.

فليست مثلاً عندنا معلومات كثيرة في مجال عبادة هذا الامام وخشوعه ومناجياته وفي مجال الإنفاق والإحسان الى الفقراء وغير ذلك من مكارم

الاخلاق مثل ما هو متوفر في مجال آبائه.

ويمكن الاشارة الى مطلبين لدى تعليل هذا الامر:

فالعلة الاولى: عمره القصير والذي لم يتجاوز - وللأسف - خمسةً وعشرين عاماً، فقد استشهد شاباً، ولهذا أُتيحت له فرصة أقصرُ من غيره فقلّ انتشار الاحاديث والفضائل عنه وحوله.

العلة الثانية: سنّه القليلة يوم تسلّمه زمام الامامة، فان الامامة آلت اليه بعد استشهاد والده وهو في السنة السابعة وعدة أشهر، والامام الجواد في هذه السن القليلة وان كان يتمتع بالعلوم الدينية بالمقدار الكافي، وكان من حيث سائر الفضائل والكمالات الانسانية الذاتية في الحدّ الاعلى والدرجة الاسمى، إلا أنه بالنظر الى سنّه القليلة ومراتبه العلمية وكمالاته الذاتية بقي غير معروف لأكثر الافراد بل وحتى شيعته.

ونتيجة لذلك قلما كان الافراد يراجعونه لكسب العلوم، ولهذا كان موضع اهتمام أقل من جانب العلماء وهو أمر استمر حتى بعد زمان بلوغه عليه السلام أيضاً.

على أن منزلته العلمية وفضائله الانسانية كانت تظهر أكثر فأكثر كلما تقدم في السن، ويزداد انصاره ومريدوه يوماً بعد يوم مع تقادم الزمن، ولكن وللأسف فإن موته المبكر حرم المسلمين من علومه ومعارفه، ولكن رغم كل ذلك فقد وصلت الينا من ذلك الامام وحوله مطالبُ مهمة يمكن ان تكون مفيدة.

كتب الشيخ المفيد رحمه الله: وكان المأمون قد شغف بأبي جعفر عليه السلام لما رأى من فضله مع صِغر سنه وبلوغه في العلم والحكمة والأدب وكمال العقل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل الزمان فزوّجه ابنته أم الفضل وحملها معه إلى

المدينة وكان متوفراً على إكرامه وتعظيمه وإجلال قدره.[١]

وقال ابو الفرج سبط ابن الجوزي: محمد بن علي بن موسى كان على منهاج أبيه في العلم والتقى والزهد والجود، ولما مات أبوه قدم على المأمون، فأكرمه، وأعطاه ما كان يعطي أباه، وكان قد زوّجه المأمون بابنته أم الفضل.[٢]

وعن الريّان بن شبيب قال: لما أراد المأمون أن يزوج ابنته أم الفضل أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام بلغ ذلك العباسيين فغلظ عليهم واستكبروه وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرضا عليه السلام فخاضوا في ذلك و اجتمع منهم أهل بيته الأدنون منه فقالوا له: ننشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيمَ على هذا الأمر الذي قد عزمتَ عليه من تزويج ابن الرضا فإنا نخاف أن يخرج به عنا أمر قد ملّكناه اللهُ وينزع منا عزاً قد ألبسناه الله، و قد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا ما عملت حتى كفانا الله المهم من ذلك، فاللهَ اللهَ أن تردنا إلى غم قد انحسر عنا، واصرف رأيك عن ابن الرضا واعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره.

فقال لهم المأمون: أمّا ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السببُ فيه ولو أنصفتم القومَ لكان أولى بكم، وأما ما كان يفعله من كان قبلي بهم فقد كان قاطعاً للرحم، أعوذ بالله من ذلك، والله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف الرضا ولقد سألته أن يقوم بالأمر وأنزعه عن نفسي فأبى، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وأما أبو جعفر محمد بن علي قد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم و الفضل

---

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٢٨١

(٢) تذكرة الخواص ص ٣٥٩

مع صغر سنه والأعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه فيعلموا أن الرأي ما رأيت فيه.

فقالوا: إن هذا الصبي وإن راقك منه هديه فإنه صبي لا معرفة له ولا فقه فأمهله ليتأدب ويتفقه في الدين ثم اصنع ما تراه بعد ذلك.

فقال لهم: ويحكم إنني أعرف بهذا الفتى منكم وإن هذا من أهل بيت علمهم من الله ومواده والهامه، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حد الكمال فإن شئتم فامتحِنوا أبا جعفر بما يتبين لكم به ما وصفت من حاله.

قالوا له: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه فخلّ بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة، فإن أصاب في الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في أمره، وظهر للخاصة والعامة سديد رأي أمير المؤمنين وإن عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب في معناه.

فقال لهم المأمون: شأنكم وذاك متى أردتم فخرجوا من عنده وأجمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم وهو يومئذ قاضي القضاة على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك وعادوا إلى المأمون، فسألوه أن يختار لهم يوماً للاجتماع فأجابهم إلى ذلك.

واجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه وحضر معهم يحيى بن أكثم وأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر عليه السلام دست وتجعل له فيه مسورتان ففعل ذلك وخرج أبو جعفر عليه السلام وهو يومئذ ابن تسع سنين وأشهر فجلس بين المسورتين وجلس يحيى بن أكثم بين يديه، وقام الناس في مراتبهم والمأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفر عليه السلام.

فقال يحيى بن أكثم للمأمون: يأذن لي أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر.

فقال له المأمون: استأذنه في ذلك.

فأقبل عليه يحيى بن أكثم فقال: أتأذن لي جعلت فداك في مسألة؟.

قال له أبو جعفر عليه السلام: «سل إن شئت».

قال يحيى: ما تقول جعلت فداك في محرم قتل صيدا؟

فقال له أبو جعفر: قتله في حل أو حرم كان، عالماً كان المحرم أم جاهلاً، قتله عمداً أو خطأ، حراً كان المحرم أم عبداً صغيراً كان أم كبيراً، مبتدئاً بالقتل أم معيداً، من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها، من صغار الصيد كان أم كبارها، مصراً على ما فعل أو نادماً، في الليل كان قتله للصيد أم نهاراً، محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً؟؟

فتحير يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع ولجلج حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره.

فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي.

ثم نظر إلى أهل بيته وقال لهم: أ عرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟

ثم قال المأمون لأبي جعفر: إن رأيتَ جعلت فداك أن تذكر الفقه فيما فصَّلته من وجوه قتل المحرم الصيد لنعلمه ونستفيده.

فقال أبو جعفر عليه السلام: «نعم إن المحرم إذا قتل صيداً في الحل وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة فإن كان أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً، وإذا قتل فرخاً في الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن وإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ وإن كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة وإن كان نعامة فعليه بدنة وإن كان ظبياً فعليه شاة فإن قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه وكان إحرامه للحج نحره بمنى وإن كان إحرامه للعمرة نحره بمكة.

وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء وفي العمد له المأثم و هو موضوع عنه في الخطأ

و الكفارة على الحر في نفسه و على السيد في عبده.

و الصغير لا كفارة عليه و هي على الكبير واجبة.

و النادم يسقط بندمه عنه عقاب الآخرة و المصر يجب عليه العقاب في الآخرة.

فقال له المأمون: أحسنت أبا جعفر أحسن الله إليك فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك؟

فقال أبو جعفر ليحيى: أسألك؟

قال: ذلك إليك جعلت فداك فإن عرفت جواب ما تسألني عنه و إلا استفدته منك.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: خبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه فلما ارتفع النهار حلت له فلما زالت الشمس حرمت عليه فلما كان وقت العصر حلت له، فلما غربت الشمس حرمت عليه فلما دخل عليه وقت العشاء الآخرة حلت له، فلما كان انتصاف الليل حرمت عليه فلما طلع الفجر حلت له ما حال هذه المرأة و بما ذا حلت له و حرمت عليه؟

فقال له يحيى بن أكثم: لا و الله ما أهتدي إلى جواب هذا السؤال و لا أعرف الوجه فيه فإن رأيت أن تفيدناه.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: «هذه أمة لرجل من الناس نظر إليها أجنبي في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلت له، فلما كان الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفر عن

الظهار فحلت له، فلما كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له».

قال فأقبل المأمون على من حضره من أهل بيته فقال لهم: هل فيكم أحد يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب أو يعرف القول فيما تقدم من السؤال؟؟

قالوا: لا والله إن أمير المؤمنين أعلم وما رأى.

فقال لهم: ويحكم إن أهل هذا البيت خُصوا من الخلق بما ترون من الفضل وإن صغر السن فيهم لا يمنعهم من الكمال.

ولما تبينت كمالات الامام الجواد عليه السلام للحاضرين عقد للامام على ابنته وزوجها إياه ووزّع هدايا كبيرة وكثيرة على الحاضرين.[1]

وعن ابن بزيع عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه سئل أو قيل له: أ تكون الإمامة في عم أو خال؟

فقال: لا.

فقال: في أخ؟

قال: لا.

قال: ففي من؟

قال: «في ولدي و هو يومئذ لا ولد له».[2]

وفى عيون المعجزات: لما قبض الرضا عليه السلام كان سن أبي جعفر عليه السلام نحو سبع سنين فاختلفت الكلمة من الناس ببغداد وفي الأمصار واجتمع الريان بن الصلت وصفوان بن يحيى ومحمد بن حكيم وعبد الرحمن بن الحجاج ويونس بن عبد

---

(١) الإرشاد ج٢ ص ٢٨١ والفصول المهمة ص ٢٤٩ وبحار الأنوار ج ٥٠ ص ٧٤ وكشف الغمة ج٣ ص ١٤٣

(٢) بحار الأنوار ج ٥٠ ص ٩٩

الرحمن وجماعة من وجوه الشيعة وثقاتهم في دار عبد الرحمن بن الحجاج في بركة زلول يبكون ويتوجعون من المصيبة.

فقال لهم يونس بن عبد الرحمن: دعوا البكاء مَن لهذا الأمر وإلى من نقصد بالمسائل إلى أن يكبر هذا يعني أبا جعفر عليه السلام؟

فقام إليه الريان بن الصلت ووضع يده في حلقه ولم يزل يلطمه ويقول له: أنت تظهر الإيمان لنا وتبطن الشك والشرك، إن كان أمره من الله جل وعلا فلو أنه كان ابن يوم واحد لكان بمنزلة الشيخ العالم وفوقه، وإن لم يكن من عند الله فلو عمَّر ألف سنة فهو واحد من الناس، هذا مما ينبغي أن يفكر فيه.

فأقبلت العصابة عليه تعذله وتوبخه.

وكان وقت الموسم فاجتمع من فقهاء بغداد والأمصار وعلمائهم ثمانون رجلاً فخرجوا إلى الحج وقصدوا المدينة ليشاهدوا أبا جعفر عليه السلام فلما وافوا أتوا دار جعفر الصادق عليه السلام لأنها كانت فارغة ودخلوها وجلسوا على بساط كبير.

وفجأة خرج إليهم عبد الله بن موسى (بن جعفر) فجلس في صدر المجلس وقام مناد وقال: هذا ابن رسول الله فمن أراد السؤال فليسأله.

فسئل عن أشياء أجاب عنها بغير الواجب فورد على الشيعة ما حيَّرهم وغمهم واضطربت الفقهاء وقاموا وهمُّوا بالانصراف وقالوا في أنفسهم: لو كان أبو جعفر عليه السلام يكمل لجواب المسائل لما كان من عبد الله ما كان ومن الجواب بغير الواجب.

ففتح عليهم باب من صدر المجلس ودخل موفق وقال: هذا أبو جعفر.

فقاموا إليه بأجمعهم واستقبلوه وسلموا عليه فدخل صلوات الله عليه وعليه قميصان وعمامة بذؤابتين وفي رجليه نعلان وجلس وأمسك الناس كلهم، فقام صاحب المسألة فسأله عن مسائله فأجاب عنها بالحق ففرحوا ودعوا له وأثنوا

عليه وقالوا له: إن عمك عبد الله أفتى بكيت وكيت.

فقال: «لا إله إلا الله، يا عم إنه عظيم عند الله أن تقف غداً بين يديه فيقول لك: لم تفتي عبادي بما لم تعلم وفي الأمة من هو أعلم منك»[(١)]

والحقيقة أنه رغم صغر سن الامام الجواد ومحدودية فرصته وعرقلة مخالفيه لنشاطه وتقصير وغفلة بعض شيعته، فإنه قد خلف أحاديث كثيرة ووفيرة، قد دونت واثبتت في كتب الحديث ولاشك أن مطالعتها مفيدة في اثبات علمه.

كما أنه عليه السلام ربى ثلة مباركة من الشخصيات العلمية نظير: أيوب بن نوح وجعفر بن محمد وحسين بن مسلم بن حسن والمختار بن زياد العبدي ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب وشاذان بن الخليل النيسابوري، ونوح بن شعيب البغدادي، ومحمد بن احمد المحمودي، وابو يحيى الجرجاني، وابو القاسم ادريس القمي، وعلي بن محمد بن هارون بن الحسن بن محبوب، واسحاق بن اسماعيل النيسابوري، وابو حامد احمد بن ابراهيم المراغي، وابو علي بن بلال، وعبد الله بن محمد الحضيني ومحمد بن الحسن بن شمعون البصري، وريان بن شبيب، ويحيى الزيات وغيرهم.[(٢)]

تعبده وأخلاقه

إن الامام الجواد وان عمَّر مدة قصيرة الا أنه مثل آبائه العظام كان يحظى بمعرفة عميقة في مجال توحيد الله ويتمتع بمعلومات واسعة ترتبط بالمبدأ والمعاد. كما أنه كان ممن يشاهد حقائق عالم الوجود بباطنه وكان ايمانه ويقينه

(١) بحار الأنوار ج ٥٠ ص ٩٩

(٢) مناقب آل ابي طالب ج ص ٤١٢

أبعد من حدود الالفاظ والمفاهيم الذهنية. ولا شك أن هذا من لوازم الامامة.

ولأجل هذا يمكن القول بأن الامام الجواد كان مجتهداً وجدياً على اجداده وآبائه في الخشوع والعبادة والصلاة والدعاء والتخلق بالاخلاق النبيلة والقيام باعمال الخير، وان كان بسبب صغر سنه ولجهات أخرى موضع اهتمام أقل من جانب الناس وأقل حظاً من غيره من حيث نقل المعلومات حوله في المصادر والكتب ولكنه رغم ذلك فقد وصلت الينا معلومات نافعة نشير الى جملة منها: [١]

كتب الشيخ المفيد: ولما توجه أبو جعفر عليه السلام من بغداد منصرفاً من عند المأمون ومعه أم الفضل قاصداً بها المدينة صار إلى شارع باب الكوفة ومعه الناس يشيعونه فانتهى إلى دار المسيب عند مغيب الشمس نزل ودخل المسجد وكان في صحنه نبقة لم تحمل بعد فدعا بكوزٍ فيه ماء فتوضأ في أصل النبقة فصلى بالناس صلاة المغرب فقرأ في الأولى منها الحمد وإذا جاء نصر الله وقرأ في الثانية الحمد وقل هو الله أحد وقنت قبل ركوعه فيها وصلى الثالثة وتشهد وسلم ثم جلس هنيئة يذكر الله تعالى، وقام من غير تعقيب فصلى النوافل أربع ركعات وعقب بعدها وسجد سجدتي الشكر ثم خرج فلما انتهى إلى النبقة رآها الناس وقد حملت حملاً حسناً فتعجبوا من ذلك وأكلوا منها فوجدوه نبقاً حلواً لا عُجم له. [٢]

ومن مناجياته عليه السلام هذه المناجاة: «بسم الله الرحمن الرحيم أللّهم إن ظلم عبادك قد تمكن في بلادك حتى أمات العدلَ، وقطع السبلَ، ومحق الحقَ، وأبطل

---

(١) لقد قام أحد المحققين، الفضلاء بجمع أحاديث الإمام الجواد في مختلف أبواب التوحيد، و النبوة، والامامة، والتفسير، والاخلاق، والمواعظ، والدعاء والمناجاة وسائر أبواب الفقه، وسمّى هذا الكتاب بمسند الامام الجواد وهو في مجلد واحد، وقد طبع ونشر، والجدير بالذكر انه جمع في هذا الكتاب اسماء الرواة عن هذا الإمام فتجاوز عددهم واحداً وعشرين شخصاً

(٢) الارشاد ج ٢ ص ٢٨٨ والفصول المهمة ص ٢٥٢

الصدقَ، وأخفى البر وأظهر الشر، وأهمل التقوى، وأزال الهدى، وأزاح الخيرَ، وأثبت الضيرَ، وأنمى الفساد، وقوى العبادَ، وبسط الجور، وعدى الطورَ.

أللهم، يا رب لا يكشف ذلك إلا سلطانك، ولا يجير منه إلا امتنانك.

أللهم، رب فابتر الظلم، وبت جبال الغشم، وأخمل سوق المنكر، وأعز من عنه زجَر، واحصد شأفة أهل الجور، وألبسهم الحور بعد الكور، وعجل لهم البتات، وأنزل عليهم المثلات، وأمت حياة المنكرات، ليأمن المخوف، ويسكن الملهوف، ويشبع الجائع، ويحفظ الضائع، ويؤوى الطريد، ويعود الشريد، ويغنى الفقير، ويجار المستجير، ويوقر الكبير ويرحم الصغير، ويعز المظلوم، ويذل الظلوم، وتفرج الغماء، وتسكن الدهماء ويموت الاختلاف، ويحيى الايتلافُ، ويعلو العلمُ ويشمل السلم، وتجمل النيات ويجمع الشتات، ويقوى الايمان، ويتلى القرآن، إنك أنت الديان، المنعم المنان».[1]

وعن رجل من بني حنيفة من أهل بست وسجستان قال: رافقت أبا جعفر عليه السلام في السنة التي حج فيها في أول خلافة المعتصم، فقلت له وأنا معه على المائدة، وهناك جماعة من أولياء السلطان: إن والينا جعلت فداك رجل يتولاكم أهل البيت ويحبكم وعليَّ في ديوانه خراج، فإن رأيت جعلني الله فداك أن تكتب إليه كتاباً بالاحسان إلي.

فقال لي: لا أعرفه.

فقلت: جعلت فداك، إنه على ما قلت من محبيكم أهل البيت، وكتابك ينفعني عنده.

فأخذ القرطاس وكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإن موصل كتابي

(١) قادتنا ج٧ ص٢٥ (نقلاً عن مهج الدعوات ص٣٢٨)

هذا ذكر عنك مذهباً جميلاً وإن مالك من عملك ما أحسنت فيه فأحسن إلى إخوانك، واعلم أن الله عز وجل سائلك عن مثاقيل الذر والخردل».

قال: فلما وردت سجستان سبق الخبر إلى الحسين بن عبد الله النيسابوري وهو الوالي فاستقبلني على فرسخين من المدينة فدفعت إليه الكتاب، فقبّله ووضعه على عينيه ثم قال لي: ما حاجتك؟

فقلت: خراجٌ عليَّ في ديوانك.

قال: فأمر بطرحه عني وقال لي: لا تؤد خراجاً ما دام لي عمل.

ثم سألني عن عيالي، فأخبرته بمبلغهم، فأمر لي ولهم بما يقوتنا وفضلاً، فما أديت في عمله خراجاً ما دام حياً ولا قطع عني صلته حتى مات.[١]

وقال أبو هاشم: اعطاني أبو جعفر ثلثمائة دينار في صرة فأمرني ان احملها إلى بعض بني عمه وقال: أما انه سيقول لك دلني على حريف يشتري لي بها متاعا فدله عليه، فكان كما قال.[٢]

وعن البزنطي قال: قرأت كتاب أبي الحسن الرضا إلى أبي جعفر عليه السلام: «يا أبا جعفر بلغني أن الموالي إذا ركبتَ أخرجوك من الباب الصغير وإنما ذلك من بخل بهم لئلا ينال منك أحد خيراً فأسألك بحقي عليك لا يكن مدخلك ومخرجك إلا من الباب الكبير وإذا ركبت فليكن معك ذهب و فضة ثم لا يسألك أحد إلا أعطيته ومن سألك من عمومتك أن تبره فلا تعطه أقل من خمسين ديناراً والكثير إليك ومن سألك من عماتك فلا تعطها أقل من خمسة وعشرين ديناراً والكثير إليك إني أريد أن يرفعك الله فأنفق ولا تخش من ذي العرش إقتاراً».[٣]

---

(١) الكافي ج ٥٠ ص ١١١

(٢) مناقب آل ابي طالب ج ٤ ص ٤٢٢

(٣) بحار الأنوار ج ٥٠ ص ١٠٢

الإمام العاشر

الإمام الهادي عليه السلام

وُلد الامامُ علي النقيُّ عليه السلام في منتصف شهر ذي الحجة، سنة مائتين واثـني عشر من الهجرة في منطقة تدعى (صريا) قرب المدينة المنورة.

والدُه: الامام محمد التقيّ عليه السلام وأُمه سمانة.

كنيته: أبو الحسن وألقابه: الهادي والعالم والفقيه والأمين والمؤتمن والطيب والمتوكل والعسكري والنجيب وكان يدعىٰ بالإمام الهادي وأبو الحسن الثـالث أيضاً.

إلتحق عليه السلام بربه الكريم ومضى شهيداً في اليوم الثالث من شهر رجب، سـنة مائتين واربعة وخمسين بعد الهجرة بناء على بعض الأقوال في مـدينة سـامراء ودفن في نفس ذلك البلد وكان قد قضّى من عمره الشريف حوالى اثنين وأربعين عاماً قضى منها مع والده ثمان سنوات، وكانت مدة إمامته حوالي ثلاث وثلاثين سنة.[1]

---

(١) الكافي ج ١ ص ٤٩٧ والارشاد ج ٢ ص ٢٩٧ وبحار الانوار ج ٥٠ ص ١١٣-١١٧ والفصول المهمة ص ٢٥٩ ومطالب السؤول ج ٢ ص ١٤٤

النصوص على إمامته

لقد أسلفنا في الفصول السابقة أنه يمكن الاستفاده من براهين مختلفة، وأدلة متنوعة لإثبات إمامة كل واحد من الأئمة ومنها النصوص الصادرة من الإمام السابق على الإمام الذي يأتي من بعده.

ونحن هنا نكتفي بذكر هذه النصوص:

عن إسماعيل بن مهران قال: لما أُخرج أبو جعفر عليه السلام من المدينة إلى بغداد في الدفعة الأولى من خرجتيه قلت له عند خروجه: جُعلت فداك إني أخاف عليك من هذا الوجه فإلى مَن الأمر بعدَك؟

قال: فكرَّ بوجهه إليَّ ضاحكاً وقال: «ليس حيث ظننتَ في هذه السنة».

فلما استدعي به إلى المعتصم صِرت إليه، فقلت له: جُعلت فداك أنت خارجٌ فإلى مَن هذا الأمر من بعدك؟

فبكى حتى اخضلَّت لحيته ثم التفت إليَّ فقال: «عند هذه يُخاف عليَّ، الأَمر من بعدي إلى ابني عليّ».[1]

عن الخيراني عن أبيه أنه قال: كنتُ ألزم باب أبي جعفر عليه السلام للخدمة التي وُكلت بها وكان أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري يجيء في السحر من آخر كل ليلة ليتعرف خبر علة أبي جعفر عليه السلام، وكان الرسول الذي يختلف بين أبي جعفر وبين الخيراني إذا حضر قام أحمد وخلا به.

قال الخيراني: فخرج ذات ليلة وقام أحمد بن محمد بن عيسى عن المجلس وخلا بي الرسولُ واستدار أحمد فوقف حيث يسمع الكلام فقال الرسول: إن

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٢٩٨

مولاك يقرأُ عليك السلامَ ويقول لك: «إني ماضٍ والامرُ صائرٌ إلى ابني عليٍّ، وله عليكم بعدي ما كان لي عليكم بعد أبي».

ثم مضى الرسولُ ورجع أحمد إلى موضعه فقال لي: ماالذي قال لك؟

قلت: خيراً.

قال: قد سمعتُ ما قال، وأعاد عليَّ ما سمع.

فقلت له: قد حرَّم الله عليك ما فعلتَ لأَن الله تعالى يقول: (وَ لاٰ تَجَسَّسُوا)، فإذا سمعتَ فاحفظ الشهادة، لعلنا نحتاج إليها يوماً ما، وإياك أن تُظهرها إلى وقتها.

قال: وأصبحتُ وكتبتُ نسخة الرسالة في عشر رقاع وختمتُها ودفعها إلى عشرة من وجوه أصحابنا وقلت:

«إن حدث بي حدثُ الموت قبل أن أطالبكم بها فافتحوها وأعلَموا بما فيها.

فلما مضى أبو جعفر عليه‌السلام لم أخرج من منزلي حتى عرفت أن رؤساء العصابة قد اجتمعوا عند محمد بن الفرج يتفاوَضون في الأَمر.

وكتب إليَّ محمد بن الفرج يُعلمني باجتماعهم عنده ويقول: لولا مخافةُ الشُهرة لصرتُ معهم إليك فأحبُ أن تركب إليّ فركبت، وصرت إليه، فوجدت القوم مجتمعين عنده، فتجارينا في الباب فوجدت أكثرهم قد شكُّوا، فقلت لمن عنده الرقاع و هم حضور: أخرِجوا تلك الرقاع فأخرَجوها.

فقلت لهم: هذا ما أمرتُ به.

فقال بعضهم: قد كنا نحب أن يكون معك في هذا الأَمر آخر ليتأكَّد القول.

فقلت لهم: قد أتاكم الله بما تحبون، هذا أبو جعفر الأشعري يشهد لي بسماع هذه الرسالة، فاسألوه.

فسأله القومُ فتوقف عن الشهادة فدعوتُه إلى المباهلة فخاف منها وقال: قد سمعتُ ذلك وهي مَكرمة كنت أحب أن تكون لرجل من العرب، فأما مع المباهلة

فلا طريق إلى كتمان الشهادة، فلم يبرح القوم حتى سلَّموا لأَبي الحسن عليه السلام.

هذا وقد كتب الشيخ المفيد رحمه الله بعد نقل هذا المطلب: والأخبار في هذه الباب كثيرة جداً إن عملنا على إثباتها طال بها الكتابُ وفي إجماع العصابة على إمامة أبي الحسن عليه السلام وعدم من يّدعيها سواه في وقته ممن يلتبس الأمر فيه غنىً عن إيراد الأخبار بالنصوص على التفصيل.[1]

وعن الصقر بن أبي دلف قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول: «إن الإمام بعدي ابني عليٌّ، أمره أمري، وقوله قولي، وطاعته طاعتي، والإمامة بعده في ابنه الحَسَن.[2]

وقال محمد بن عثمان الكوفيّ: قلت له (أي للامام الجواد): إن حدث بك – وأعوذ بالله – حادثٌ فإلى مَن؟ فقال: «إلى ابني».

ثم قال: أما إنها فترة.

قلت: إلى أَين؟

قال: «إلى المدينة».

قلت أي مدينة؟

قال: «هذه المدينة، مدينةُ الرسول، وهل مدينةٌ غيرها».[3]

وعن أُمية بن علي القيسي قال قلت لأَبي جعفر عليه السلام: مَن الخَلَف بعدك؟

قال: «ابني عليٌّ».

ثم قال: أما إنها ستكون حَيرة.[4]

---

(١) الكافي ج ١ ص ٣٢٤ والإرشاد ج ٢ ص ٣٠٠

(٢) بحار الانوار ج ٥٠ ص ١١٨

(٣) إثبات الوصية ص ١٩٣

(٤) إثبات الهداة ج ١٣٨٦ ص ٢٠٩

وقال محمدُ بن اسماعيل بن بزيع قال لي أبو جعفر ﷺ: «يفضي هذا الأمر إلى أبي الحسن وهو ابن سبع سنين».

ثم قال: «نعم وأقلّ من سبع سنين كما كان عيسى».[١]

وعن هارون بن الفضل قال: رأيت أبا الحسن ﷺ في اليوم الذي توفي فيه أبو جعفر ﷺ فقال: «إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ مضى أبو جعفر».

فقيل له: وكيفَ عرفت ذلك؟!

قال: «تداخلني ذلة لله لم أكن أعرفها».[٢]

وحدَّث جماعةٌ من أهل أصفهان منهم أبو العباس أحمدُ بن النضر وأبو جعفر محمد بن علوية قالوا: كان بأصفهان رجل يقال له عبد الرحمن وكان شيعياً قيل له: ما السبب الذي أوجب عليك القولَ بإمامة عليٍّ النقيِّ دون غيره من أهل الزمان؟

قال: شاهدتُ ما أوجبَ عليَّ وذلك، إني كنت رجلاً فقيراً وكان لي لسانٌ وجرأةٌ فأخرجني أهل أصفهان سنة من السنين مع قوم آخرين إلى باب المتوكل متظلّمين فكنّا بباب المتوكل يوماً إذ خرج الأمر بإحضار عليٍّ بن محمد بن الرضا ﷺ، فقلت لبعض من حَضَر: من هذا الرجل الذي قد أمر بإحضاره؟

فقيل: هذا رجلٌ علويٌّ تقول الرافضة بإمامته.

ثم قال: ويُقدر أن المتوكل يحضره للقتل.

فقلت: لا أبرح من هاهنا حتى أنظر إلى هذا الرجل أي رجل هو؟

قال: فأقبل راكباً على فرس وقد قام الناس يمنة الطريق ويسرتها صَفَّين ينظرون إليه،

---

(١) إثبات الهداة ج ٦ ص ٢١١

(٢) بحار الأنوار ج ٥٠ ص ٤

فلما رأيتُه وقع حبُّه في قلبي، فجعلتُ أدعو في نفسي بأن يدفعَ الله عنه شرَّ المتوكل، فأقبل يسير بين الناس و هو ينظر إلى عرف دابته لا ينظر يمنة و لا يسرة و أنا دائم الدعاء، فلما صار إليَّ أقبل بوجهه إليَّ وقال: «إستجاب الله دعاءَك وطوّل عمرك وكثّر مالك وولَدَك».

قال: فارتعدتُ ووقعتُ بين أصحابي، فسألوني وهم يقولون: ما شأنك؟

فقلت: خير، ولم أخبرهم بذلك.

فانصرفنا بعد ذلك إلى إصفهان ففتح الله عليّ وجوهاً من المال حتى أنا اليوم أُغلق بابي على ما قيمته ألف ألف درهم سوى مالي خارج داري، و رُزِقت عشرة من الأولاد: وقد بلغت الآن من عمري نيفاً وسبعين سنة وأنا أقول بإمامة الرجل على الذي عَلم ما في قلبي واستجاب الله دعاءه فيَّ ولي.[1]

فضائلُه ومكارمُ أخلاقه

كتب الشيخ المفيد رحمه الله في المجال يقول: وكان الامامُ بعد أبي جعفر عليه السلام ابنه أبا الحسن علي بن محمد لاجتماع خصال الإمامة فيه، وتكامل فضله، وأنه لا وارث لمقام أبيه سواه، وثبوت النص عليه بالإمامة والإشارة إليه من أبيه بالخلافة.[2]

وقال ابن شهرآشوب عنه: وكان من الناس أطيَبَهُم بهجةً واصدقهم لهجةً وأملحهم من قريب، وأكملهم من بعيد، اذا صمت علته هيبة الوقار، واذا تكلم سماه البهاء، وهومن بيت الرسالة والامامة ومقر الوصية والخلافة، وشعبة من دوحة

(١) بحار الأنوار ج ٥٠ ص ١٤١

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ٢٩٧

النبوة منتضاةٌ مرتضاةٌ وثمرة من شجرة الرسالة مجتباةٌ.(١)

وقال أبو موسى: قلت للامام الهادي عليه السلام: يا سيدي علّمني دعاءً أختصُّ به من الأدعية.

قال: هذا الدعاء كثيراً ما أدعو اللهَ به، وقد سألت الله أن لا يخَيب من دعا به في مشهدي بعدي وهو: (**يا عُدَّتي عند العُدد ويا رجائي والمعتمد ويا كهفي والسَّند و يا واحد يا أحد، يا قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ وأسألك اللّهم بحق من خلقتَه من خلقك ولم تجعل في خلقك مثلهم أحداً، أن تصلي عليهم وتفعل بي (كيت وكيت**).(٢)

وقال سعيد الحاجب: صِرتُ الى دار أبي الحسن بأمر المتوكل ليلاً بعد أن هجع الناس ومعي الأعوان بالسلالم فصعدنا الى سطح داره وفتحنا الباب وهجمنا بالشموع والسُرج والنيرانُ وفتّشنا الدار جميعاً ... ووجدنا ابا الحسن قائماً يصلي على حصير وعليه جبة صوف وقلنسوة ولم يرتَع لشيىءمما نحن فيه ولا اكترث.(٣)

وقال عنه ابن حجر: كان عليّ الهادى وارث أبيه علماً وسخاءً.(٤)

وقال ابن الصباغ المالكي: قال بعض اهل العلم: فضل أبي الحسن علي بن محمد الهادي قد ضرب على المجرّة قبابَه، ومد على نجوم السماء أطنابَه، فما تعد منقبة إلا واليه، ولا تذكر كريمة إلاّ وله تفصيلها وجملتها، ولا تُستعظم حالة سنية إلا وتظهر عليه أدلتها، استحق ذلك بما في جوهر نفسه من كرم تفرد بخصائصه

---

(١) مناقب آل ابي طالب ج ٤ ص ٤٣٢

(٢) بحار الأنوار ج ٥٠ ص ١٢٧ والمراد بكيت وكيت أي اذكر حوائجك

(٣) الفصول المهمة ص ٢٦٤

(٤) الصواعق المحرقه ج ١ ص ٢٠٧

ومجد حكم فيه على طبعه الكريم، فحفظه من الشوب، حفظ الراعي لقلايصه، فكانت نفسه واخلاقُه مستعذبةً وسيرتُه عادلةً وخلالُه فاضلةً... جرى من الوقار والسكون والطمأنينة، والعفة والنزاهة والنباهة على السيرة النبوية والشنشنة العلوية، ونفس زكية وهمة عالية، لا يقاربه احد من الأنام، ولا يدانيه، وطريقةً خشنةً مرضيةً لايشاركه فيها خلقٌ، ولا يطمع فيها أحدٌ.[1]

ونقل سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي من كتاب (فصل الخطاب) لمحمد خواجه پارساي البخاري قوله: كان أبو الحسن علي الهادي عابداً فقيهاً اماماً.

وقيل للمتوكل: إن في منزله اسلحة يطلب الخلافة، فوجه اليه رجالاً هجموا عليه فدخلوا داره فوجدوه في بيته وعليه مدرعةٌ من شَعر وعلى رأسه الشريف ملحفة من صوف، وهو مستقبلُ القبلة، ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل والحصى، وهو يترنم بآياتٍ من القرآن في الوعد والوعيد، فحملوه إليه على ألبسته المذكورة، فلما رآه عظّمه وأجلسه الى جنبه، فكلّمه، فبكى المتوكلُ بكاءً طويلاً. ثم قال: يا أبا الحسن عليكَ دينٌ؟

قال: نعم، أربعةُ آلاف دينار.

فأمر المتوكل بدفعها إليه ثم رده الى منزله مكرّماً.[2]

وعن محمد بن أحمد قال: حدَّثني عمُّ أبي قال: قصدتُ الامامَ (الهادي) يوماً فقلت: إن المتوكل قطع رزقي وما أُتهم في ذلك بملازمتي لك، فينبغي أن تتفضّل علي بمسألته؟

فقال: تُكفى إن شاء الله.

---

(١) الفصول المهمة ص ٢٦٢

(٢) ينابيع المودة ص ٤٦٣

فلما كان في الليل طَرَقني رسُلُ المتوكل، رسولٌ يتلو رسولا ، فجئت اليـه فوجدته في فراشه، فقال: يا أبا موسى يُشغلني شُغلي عنك ويُنسينا نـفسك، أي شيىء لكَ عندى؟

فقلت: الصلةُ الفلانيةُ، وذكرت أشياءاً، فأمر لي بها وبضِعفها.

فقلت للفتح: وافى عليٌّ بن محمد الى هنا أو كتب رقعةً؟

قال: لا.

قال: فدخلتُ على الإمام فقال لي: «يا أبا موسى، هذا وجهُ الرضا».

فقلت: ببركتك يا سيدى، ولكن قالوا: إنك مامضيتَ اليه ولا سألتَه.

قال: «ان الله تعالى علم منّا أنا لا نلجأ في المهمات إلا إليه، ولا نتوكل فـي الملمات إلا عليه، وعودنا إذا سألناه الإجابة، ونخاف أن نعدل فيعدل بنا».[١]

علمُ الامام

العلم والمعرفة بأحكام الدين وجميع العلوم المرتبطه به -كما أسلفنا- من الشرائط الضرورية في الامام، لأن أهم نقطة في فلسفة الامامة هو حاجة الناس إلى الامام وأكبر مسؤولية من مسؤوليات الامام هو نشر مـعارف الديـن، وبثُّ تعاليمه وأحكامه ولا يتفاوت الأئمة في هذه النقطة.

وقد كانت منابع علوم الدين متوفرةً عند جميع الأئمة ومتاحةٌ لهم بلا استثناء وقد اجتهد جميعُهم في القيام بهذه المسؤولية، وان وصلتنا عن بعضهم معلومات أقل في هذا الصعيد، وهذا يعود إلى التفاوت في الاوضـاع والظـروف الزمـانية والمكانية والعراقيل التي نشأت بواسطة الحاكمين الظالمين وأعداء اهل البيت.

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٤٢٢

لقد كان الإمام الهادي شأنه شأن آبائه الكرام انساناً كاملاً وجامعاً لجميع الكمالات الانسانية وكانت ينابيع العلوم الدينية تحت تصرفه وفي متناول يده، وكان مجتهداً في نشر أحكام الدين، إلا أنه وللاسف لم يكن في مقدوره أن يعمل وفق رغبته بسبب الاوضاع والظروف التي كان يعيشها. والمضايقات الكثيرة التي كان يواجهها.

لقد عاش هذا الامام العظيم في هذه الحياة مامجموعه حوالي اثنين واربعين سنة، وكان عمره ثمانية أعوام، عندما ألقت الإمامة إليه قيادَها. وكانت مدة إمامته حوالى ثلاث وثلاثين سنة، قضى منها حوالي اثنتين وعشرين سنة في المدينة، وكان يخضع لرقابة من قبل حكام بغداد العباسيين وأزلامهم، بشهادة التاريخ.

وكان من الطبيعي أن يواجه شيعته ومريدوه التائقون إلى كسب العلم والمعرفة منه مضايقات شديدة.

ولم يكتف المتوكل العباسي بمراقبته من بعيد، بل على أثر سعاية أزلامه في المدينة أقدم على جلبه بصورة محترمة ظاهراً من المدينة الى بغداد، وأسكنه في سامراء في محلة الجند والعسكر.

فأصبح منذ ذلك الزمان (٢٤٣ هجرية) تحت رقابة العيون و الجواسيس السريين، ورجال العسكر بصورة رسمية، وانقطع ارتباطه بشيعته أو قلَّ وضعف.

وفي ظل تلك الأَوضاع والظروف لم يكن يجرؤ أحد أن يبعث إليه بمال أو يستفيد من علومه ومعارفه، ولهذا قلّ نقل الروايات والأحاديث عنه.

ولكن ما أمكن نقله عنه من أحاديث في مجالات العقيدة وأُصول الدين والعقيدة والاخلاق والموعظة وشتى أبواب الفقهِ وهي كثيرةِ يمكن أن تكون

مطالعتها سبيلاً الى الوقوف على منزلته العلمية.(١)

لقد ربّى الامام الهادي طلاباً كثيرين ذكرت أسماؤهم في كتب الحديث والتاريخ والرجال.

ولقد ذكر مؤلف كتاب المناقب أصحاب الامام الهادي علي النحو التالي:

داوود بن زيد أبو سليم زنكان والحسين بن محمد المداينى، وأحمد بن اسماعيل بن يقطين وبشر بن بشار النيشابورى الشاذاني وسليمان بن جعفر المروزي وفتح بن يزيد الجرجاني وحمد بن سعيد بن كلثوم (الذى كان متكلماً) ومعاوية بن حكيم الكوفي وعلي بن محمد بن محمد البغدادي وابو الحسن بن رجاء العبرتائي.

---

(١) مناقب آل ابي طالب ج ٤ ص ٤٣٤

ولقد جمع أحد المحققين أحاديث الامام الهادي في العقائد والاخلاق والمواعظ والاحتجاجات وأبواب الفقه المتنوعة ونشرها في مجلد واحد باسم مسند الامام الهادي كما وجمع في هذا الكتاب رواة أحاديثه فبلغ عددهم مائة وثمانين شخصاً

الإمامُ الحادي عشر

الإمامُ الحسنُ العسكري عليه السلام

وُلد الامامُ الحسن العسكريُّ عليه السلام في اليوم الثامن من شهر ربيع الثاني عام مائتين واثنين وثلاثين هجرية في المدينة المنورة.

اسمه: حسن واسم أبيه: عليُّ بن محمد واسم أُمه: حديث أوسوسن.

كنيته: أبو محمد، وألقابه: الصامت والهادي والرفيق والزكيّ والنقي والخالص والعسكريّ.

وتوفي (شهيداً) في اليوم الثامن من شهر ربيع الثاني عام مائتين هجرية في مدينة سامرّاء، ودفن الى جانب والده الكريم.

كان قد انقضى من عمره الشريف، يوم استُشهدَ، ثمان وعشرون سنة، وكانت مدة إمامته منها حوالي ستة أعوام عليه السلام.

النصوصُ على إمامته

إن الادلة والبراهين على الإمامة -كما اسلفنا - تنقسم إلى قسمين: القسم الاول هي الأدلة العامة التي يمكن الإستفادة منها لإثبات إمامة كل واحد من الأئمة وقد سبق البحث في هذا النوع من الأدلة تفصيلاً.

القسم الثاني، الأدلة الخاصة بإثبات إمامة كل واحد من الأئمة بخصوصه

مثل النصوص التي صدرت من كل إمام على الامام الذي يليه، ونحن هنا نكتفي بإدراج هذه النصوص:

قال عبدالعظيم الحسني: دخلت على سيدي علي بن محمد فلما بُصر بي قال لي: مرحباً بك يا أبا القاسم أنت وليّنا حقاً.

قال: فقلت له: يا ابن رسول الله إني أُريد أن أعرض عليك ديني فإن كان مرضياً، ثبتُّ عليه حتى ألقى الله عزوجل.

فقال: هات يا أبا القاسم.

فقلت: إني أقول: إن الله تبارك وتعالى واحد، ليس كمثله شيءٌ، خارجٌ عن الحدين: حدِّ الابطال وحدِّ التشبيه، وإنه ليس بجسم ولا صورة، ولا عرض ولا جوهر، بل هو مجسِّم الاجسام، ومصوِّر الصور، وخالق الأعراض والجواهر، وربُّ كلِّ شيئ ومالكُه وجاعلُه ومحدثُه، وإن محمداً ﷺ عبدُه ورسولُه، خاتمُ النبيين فلا نبيَّ بعده إلى يوم القيامة، وإن شريعتَه خاتمةُ الشرائع فلا شريعةَ بعدها إلى يوم القيامة.

وأقول: إن الامام والخليفة ووليّ الأمر بعده أميرُ المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب، ثم الحسنُ، ثم الحسينُ، ثم عليُّ بن الحسين، ثم محمدُ بن علي، ثم جعفرُ بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم عليُّ بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم أنت يا مولاي.

فقال عليه السلام: «ومن بعدي الحسنُ ابني، فكيف للناس بالخلَف من بعده»؟

قال: فقلت: وكيف ذاك يا مولاي؟

قال: «لأنه لايُرى شخصُه ولايحلُّ ذكره باسمه حتى يخرجَ فيملأ الارض

قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً».[١]

وقال ابو هاشم الجعفريّ قال: سمعتُ أبا الحسن العسكريَّ ﷺ يقول: «الخَلَفُ من بعدِي الحَسَن ابني، فكيف لكم بالخَلَفِ من بعدِ الخَلَف؟»

قلت: ولِمَ جَعَلَني الله فداكَ؟

فقال: «لأنّكمْ لاترونَ شَخصَهُ، ولا يحلُّ لكم ذِكرُهُ بإسْمِهِ».

قلتُ: فكيفَ نَذْكرُهُ.

فقال: قولوا: «الحجةُ ابنُ الحُجَة».[٢]

وقال الصقرُ بن أبي دُلف قال: لما حمل المتوكِّل سيدَنا أبا الحسن ﷺ جئتُ لأسأل عن خبره، قال: فنظر إليَّ حاجب المتوكل فأمر أن أُدخل إليه، فأُدخلت إليه، فقال: يا صقر ما شأنك؟

فقلت: خير، أيها الاستاذ.

فقال: أُقعد،

قال الصقر: فأخذني ما تقدم وما تأخر، وقلتُ في نفسي: أخطأت في المجيء.

ثم قال: ما شأنك وفيم جئت ؟

قلت: لخيرٍ مّا.

قال: لعلك جئتَ تسألُ عن خبر مولاك ؟

فقلت له: ومَن مولاي؟ مولايَ أميرُ المؤمنين،

فقال: أُسكت مولاك هو الحق، لا تحتشمني فإني على مذهبك.

---

(١) كفاية الأثر ص٢٨٢

(٢) كفاية الأثر ٢٨٤

فقلت: الحمد لله.

فقال: أتحب أن تراه؟

فقلت: نعم.

فقال: إجلس حتى يخرجَ صاحبُ البريد.

قال: فجلستُ فلما خرج قال لغلام له: خذ بيد الصقر فأدخِله إلى الحجرة التي فيها العلويُّ المحبوس وخلِّ بينه وبينه.

قال: فأدخلَني الحجرة وأومأ إلى بيتٍ، فدخلتُ فإذا هو عليه السلام جالسٌ على صدر حصير وبحذاه قبرٌ محفورٌ،

قال: فسلَّمت فردَّ علي السلام ثم أمرني بالجلوس فجلست، ثم قال لي: يا صقر ما أتى بك؟

قلت: يا سيدي جئتُ أتعرف خبرك.

قال: ثم نظرتُ إلى القبر وبكيتُ، فنظر إليَّ وقال: «يا صقر لا عليك لن يصلُوا إلينا بسوء».

فقلت: ألحمد لله.

ثم قلت: يا سيدي حديث يروى عن النبي صلى الله عليه وآله لا أعرف معناه.

قال: فما هو؟

قلت: قوله صلى الله عليه وآله: «لا تعادُوا الأيام فتعاديكم» ما معناه؟

فقال: «نعم، الأيام نحن، بنا قامتِ السماواتُ والارض، فالسبت اسم رسول الله صلى الله عليه وآله والأحد أمير المؤمنين، والإثنين الحسن والحسين، والثلاثاء عليُّ بن الحسين ومحمدُ بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق والأربعاء موسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وأنا، والخميس ابني الحسن، والجمعة ابن ابني وإليه تجتمع عصابة الحق، وهو الذي يملأُها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً

وظلماً، فهذا معنى الأَيام ولا تعادوهم في الدنيا فيعادوكم في الآخرة».

ثم قال عليه السلام: «ودِّعْ واخرج فلا آمَنُ عليك».[1]

وعن الصقر بن أبي دلف قال: سمعت علي بن محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول: «الامامُ بعدي الحسن إبني وبعد الحسن إبنه القائم الذي يملأ الارض قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً».[2]

عن يحيى بن يسار العنبري قال: أوصى أبو الحسن علي بن محمد إلى ابنه الحسن عليه السلام قبل مضيه بأربعة أشهر، وأشار إليه بالامر من بعده وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي.[3]

عن عليِّ بن عمرو النّوفلي قال: كنت مع أبي الحسن عليه السلام في صحن داره فمرَّ بنا محمدٌ ابنه، فقلت: جعلت فداك، هذا صاحبنا بعدك؟

فقال: لا، صاحبكم بعدي الحسنُ.[4]

وعن عبد الله بن محمد الاصبهاني قال قال أبو الحسن عليه السلام: «صاحبُكم بعدي الذي يصلّي عليّ».

قال: و لم نكن نعرف أبا محمد قبل ذلك.

فخرج أبو محمد بعد وفاته فصلّى عليه.[5]

وعن علي بن جعفر قال: كنت حاضراً أبا الحسن عليه السلام لما توفي ابنُه محمد فقال للحسن: «يا بنيّ أحدث الله شكراً فقد أحدثَ فيك أمراً».[6]

---

(١) كفاية الأثر ص ٢٨٥

(٢) كفاية الاثر ص ٣١٨

(٣) الإرشاد ج ٢ ص ٣١٤

(٤) الإرشاد ج ٢ ص ٣١٤

(٥) الإرشاد ج ٢ ص ٣١٥

(٦) الإرشاد ج ٢ ص ٣١٥

وعن أحمد بن محمد بن عبد الله بن مروان الأنباري قال: كنت حاضراً عند مضيّ أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام فجاء أبو الحسن عليه السلام فوُضع له كرسيٌّ فجلس عليه و حوله أهل بيته ، و أبو محمد ابنُه قائمٌ في ناحية، فلما فرغ من أمر أبي جعفر التفت إلى أبي محمد عليه السلام فقال: «يا بنيَّ أحدِث لله شكراً، فقد أحدث فيك أمراً».[1]

و عن علي بن مهزيار قال قلت لأبي الحسن عليه السلام: إن كان كونٌ وأعوذ بالله فإلى مَن؟

قال: عهدي إلى الأكبر من وُلدي يعني الحسنَ عليه السلام.[2]

وعن عليِّ بن عمرو العطار قال: دخلتُ على أبي الحسن عليه السلام و ابنُه أبو جعفر يحيا و أنا أظن أنه هو الخلف من بعده فقلت له: جعلت فداك من أخصُّ من ولدك؟

فقال: لا تخصوا أحداً حتى يخرج إليكم أمري.

قال: فكتبت إليه بعد فيمن يكون هذا الأمر؟

قال: فكتب إليَّ «في الأكبر من ولدي».

قال: و كان أبو محمد عليه السلام أكبرُ من ابي جعفر.[3]

وعن سعد بن عبد الله عن جماعة من بني هاشم منهم الحسن بن الحسين الأفطس أنهم حضروا يوم توفِّي محمد بن علي بن محمد في دار أبي الحسن [الهادي] عليه السلام وقد بُسِط له في صحن داره والناس جلوس حوله، فقالوا: قدَّرنا أن يكون حوله من آل أبي طالب وبني العباس و قريش مائة وخمسون رجلاً سوى مواليه و سائر الناس إذ نظر إلى الحسنِ بن علي عليه السلام وقد جاء مشقوقَ الجيب حتى قام عن يمينه و نحن لا نعرفه فنظر إليه أبو الحسن عليه السلام بعد ساعة من قيامه، ثم قال

---

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٣١٦

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ٣١٦

(٣) الإرشاد ج ٢ ص ٣١٦

له: «يا بنيّ أحدث لله شكراً فقد أحدث فيك أمراً».

فبكى الحسنُ عليه السلام واسترجع، فقال: «الحمد لله رب العالمين وإياه أسأل تمام نِعمه علينا، إنا لله وإنا إليه راجعون».

فسألنا عنه، فقيل لنا: هذا الحسن ابنُه، فقدّرنا له في ذلك الوقت عشرين سنة ونحوها، فيومئذ عرفناه وعلمنا أنه قد أشار إليه بالإمامة وأقامه مقامه.(١)

وقال محمد بن يحيى: دخلتُ على أبي الحسن [الهادي] عليه السلام بعد مضيٍّ أبي جعفر ابنه فعزَّيته عنه وأبو محمد جالس فبكى أبو محمد فأقبل عليه أبو الحسن عليه السلام فقال: «إن الله تعالى قد جعل فيك خلفاً منه فاحمد الله عزوجل».(٢)

وعن شاهويه بن عبد الله: كتب إليَّ أبو الحسن عليه السلام في كتابٍ: «أردتَ أن تسأل عن الخلف بعد أبي جعفر وقلقتَ لذلك فلا تقلق فإن الله لا يضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يتبين لهم ما يتّقون، صاحبك أبو محمد إبني وعنده ماتحتاجون إليه، يقدم الله مايشاء ويؤخّر ما يشاء ﴿وما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾».(٣)

فضائله ومكارم اخلاقه

كتب الشيخ المفيد رحمه الله في هذا المجال يقول: كـان الامـامُ بـعد أبـي الحسن عليٍّ بن محمد عليه السلام ابنَه أبا محمد الحسن بن علي لاجتماع خلال الفضل فيه وتقدمه على كافة أهل عصره فيما يوجب له الإمامة، ويقتضي له الرئاسة من العلم والزهد، وكمال العقل والعصمة، والشجاعة والكرم، وكثرة الاعمال المقرّبة إلى الله

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٣١٧

(٢) الإرشاد ج ٢ ص ٣١٨

(٣) الارشاد ج ٢ ص ٢١٩

ثم لنص أبيه عليه وإشارته بالخلافة إليه.[١]

وعن الحسين بن محمد الأشعري ومحمد بن يحيى وغيرهما قالوا: كان أحمد بن عبيد الله بن خاقان على الضياع والخراج بقُم فجرى في مجلسه يوماً ذكر العلويّة ومذاهبهم وكان شديدَ النصب والانحراف عن أهل البيت فقال: ما رأيتُ ولاعرفت بسرَّ من رأى من العلوية مثلَ الحسن بن علي بن محمد بن الرضا في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكبرته عند أهل بيته وبني هاشم كافة، وتقديمهم إياه على ذوي السنِّ منهم والخطر، وكذلك كانت حاله عند القُواد والوزراء وعامة الناس، فأذكر إنني كنت يوماً قائماً على رأس أبي وهو يوم مجلسه للناس إذ دخل حُجّابه فقالوا: أبو محمد إبن الرضا بالباب.

فقال بصوتٍ عالٍ: ائذنوا له فتعجبْت مما سمعت منهم ومن جسارتهم أن يُكَنُّوا رجلاً بحضرة أبي ولم يكن يكنّى عنده إلا خليفة أو وليّ عهد أو من أمَر السلطان أن يُكنّى.

فدخل رجلٌ أسمرُ حسنُ القامة، جميلُ الوجه، جيد البَدَن، حديثُ السن، له جلالة وهيئة حسنة، فلما نظر إليه أبي قام فمشى إليه خطئ ولاأعلمه فعلَ هذا بأحد من بني هاشم والقُواد، فلما دنا منه عانقه وقبّل وجهه وصدره وأخذ بيده وأجلسه على مصلّاه الذي كان عليه وجلس إلى جنبه مقبلاً عليه بوجهه وجعل يكلّمه ويفديه بنفسه وأنا متعجب مما أرى منه إذ دخل الحاجبُ فقال الموفق: قد جاء، وكان الموفق إذا دخل على أبي يقدمه حُجابه وخاصة قُواده، فقاموا بين مجلس أبي وبين باب الدار سماطين إلى أن يدخل ويخرج، فلم يزل أبي مقبلاً على أبي محمد يحدِّثه حتى نظر إلى غلمان الخاصة فقال حينئذ له: إذا شئتَ جعلني اللهُ

---

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٣١٣

فداك.

ثم قال لحجّابه: خُذوا به خلف السماطين لا يراه هذا يعني الموفق، فقام وقام أبي فعانقه ومضى.

فقلتُ لحجّاب أبي وغلمانه: ويلَكم من هذا الذي كنّيتموه بحضرة أبي وفعل به أبي هذا الفعل؟

فقالوا: هذا علويٌّ يقال له الحسن بن علي يعرف بابن الرضا.

فازددتُ تعجباً ولم أزل يومي ذلك قلقاً مفكراً في أمره وأمر أبي و ما رأيته منه حتى كان الليل وكانت عادته أن يصلي العتمة ثم يجلس فينظر فيما يحتاج إليه من المؤامرات وما يرفعه إلى السلطان.

فلما صلى و جلس جئتُ وجلست بين يديه وليس عنده أحدٌ فقال لي: يا أحمد ألك حاجة؟

فقلت: نعم يا أبه، فإن أذنتَ سألتُك عنها.

فقال: قد أذنتُ.

قلت: يا أبه مَن الرجل الذي رأيتُك بالغداة فعلتَ به ما فعلتَ من الإجلال و الكرامة والتبجيل، و فديته بنفسك وأبويك؟

فقال: يا بُنيّ ذاك إمام الرافضة الحسنُ بن علي المعروف بابن الرضا، ثم سكت ساعةً وأنا ساكتٌ، ثم قال: يا بنيَّ لو زالت الإمامة عن خلفائنا بني العباس ما استحقها أحدٌ من بني هاشم غيره لفضله وعفافه وهديه وصيانته وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه، ولو رأيتَ أباه رأيت رجلاً جزلاً نبيلاً فاضلاً.

فازددتُ قلقاً وتفكراً وغيظاً على أبي وما سمعتُ منه فيه ورأيت من فعله به فلم يكن لي همّةٌ بعد ذلك إلا السؤال عن خبره والبحث عن أمره، فما سألتُ أحداً من بني هاشم والقُواد والكُتاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس إلاّ وجدته عنده في

غاية الإجلال والإعظام، والمحلّ الرفيع، والقول الجميل والتقديم له على جميع أهل بيته ومشايخه فعظم قدرُه عندي إذ لم أر له ولياً ولا عدواً إلا وهو يحسن القول فيه والثناء عليه.(١)

و عن محمد بن إسماعيل العلوي قال: حُبس أبو محمد عليه السلام عن علي بن أوتامش وكان شديد العداوة لآل محمد غليظاً على آل أبي طالب و قيل له: إفعل به وافعل.

قال: فما أقام إلاّ يوماً حتى وضع خديه له وكان لا يرفع بصره إليه إجلالاً له وإعظاماً وخرج من عنده وهو أحسن الناس بصيرةً وأحسنهم قولاً فيه.(٢)

وعن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن جعفر قال: دخل العباسيون على صالح بن وصيف عندما حبس أبو محمد عليه السلام فقالوا له: ضيِّق عليه ولا توسع.

فقال لهم صالح: ما أصنع به قد وكلتُ به رجلين شرَّ من قدرت عليه فقد صارا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم، ثم أمر بإحضار الموكَّلين فقال لهما: ويحكما ما شأنكما في أمر هذا الرجل؟

فقالا له: ما نقول في رجلٍ يصومُ النهار ويقوم الليل كله، لا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة، فإذا نظر إلينا ارتعدتْ فرائصنا، وداخَلَنا ما لا نملكه من أنفسنا.

فلما سمع ذلك العباسيّون انصرفوا خاسئين(٣).

وقال أبو هاشم الجعفري قال: شكوت إلى أبي محمد عليه السلام ضيق الحبس وكَلَب

(١) الإرشاد ج٢ ص٣٢١

(٢) الإرشاد ج٢ ص٣٢٩

(٣) الارشاد ج٢ ص٣٣٤

القيد فكتب إليَّ أنت مصلي اليوم الظهر في منزلك، فأُخرجت وقت الظهر فصلَّيت في منزلي، كما قال، وكنت مضيَّقا فأردت أن أطلب منه معونةً في الكتاب الذي كتبته فاستحييت، فلما صرت إلى منزلي وجَّه لي بمائة دينار، وكتب إليَّ إذا كانت لك حاجة فلا تستحِ ولا تحتشم واطلبها تأتِك على ما تحب إن شاء الله.(١)

وعن محمد بن أبي الزعفران عن أمّ أبي محمد ﷺ قال: قالت لي يوماً من الأيام: «**تصيبني في سنة ستين ومائتين حزازةٌ أخاف أن أُنكبَ منها نكبة**».

قالت: وأظهرتُ الجزعَ وأخذني البكاء.

فقال: «**لا بدّ من وقوع أمر الله لا تجزعي**».(٢)

فلما كان في صفر سنة ستين أخذها المقيمُ والمقعد وجعلت تخرج في الأحايين إلى خارج المدينة و تتجسس الأخبار حتى ورد عليها الخبر حين حبسه المعتمد في يدي علي بن جرير و حبس جعفراً أخاه معه، وكان المعتمد يسأل علياً عن أخباره في كل وقت فيخبره أنه يصوم النهار ويصلي الليل، فسأله يوماً من الأيام عن خبره فأخبره بمثل ذلك.

فقال له: إمض الساعة إليه و أقرئه مني السلام، وقل له: إنصرف إلى منزلك مصاحباً.

قال علي بن جرير: فجئت إلى باب الحبس فوجدت حماراً مسرجاً، فدخلت عليه فوجدته جالساً و قد لبس خُفه وطيلسانه وشاشته، فلما رآني نهض فأديت إليه الرسالةَ، فركب فلما استوى على الحمار وقف، فقلت له: ما وقوفك يا سيدي؟

---

(١) الارشاد ج٢ ص٣١٣

(٢) الارشاد ج٢ ص ٣٢٩

فقال لي: حتى يجيء جعفر.

فقلت: إنما أمرني بإطلاقك دونه.

فقال لي: ترجع إليه فتقول له: خرجنا من دار واحدة جميعاً، فإذا رجعتُ وليس هو معي كان في ذلك ما لا خفاءَ به عليك.

فمضى و عاد فقال له: يقول لك قد أطلقتُ جعفراً لك، لأني حبسته بجنايته على نفسه، وعليك وما يتكلم به، وخلّى سبيله فصار معه إلى داره.[1]

وقد نقل انه وقع لبهلول أنه رآه وهو صبيٌّ يبكي والصبيان يلعبون فظن أنه يتحسر على ما بأيديهم، فقال له: أشتري لك ما تلعب به؟

فقال: «يا قليل العقل ما لِلّعب خُلقنا».

فقال له: فلماذا خُلقنا؟

قال: «للعلم والعبادة».

فقال له: من أين لك ذلك؟

فقال: من قوله تعالى: ﴿أفحَسبتم أنما خَلقناكم عَبثاً وأنكم إلينا لا تُرجَعون﴾.

ثم سأله بهلول أن يعظَه، فوعظه بأبياتٍ، ثم خرَّ الحسن رضي الله عنه مغشياً عليه فلما أفاق قال له: مانزل بك وأنت صغيرٌ ولا ذنبَ لك.

فقال: إليك عني يا بهلول، إني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار فلا تتقد إلا بالصِّغار، وإني أخشى أن أكونَ من صغارِ حَطَب جهنم.[2]

عَن مُحمدِ بن عليٍّ بنِ إبراهيم بن موسى بن جعفرٍ قال: ضاقَ بِنا الامرُ.

فقالَ لي أبي: امضِ بِنا حتَّى نَصيرَ إلى هذا الرَّجل يعني أبا محمدٍ فإنهُ قد

(١) بحار الأنوار ج ٥٠ ص ٣١٣

(٢) نور الأبصار ص١٣٨ والصواعق المحرقة ص٢٠٧

وصف عنه سَماحةً.

فقلتُ: تعرفُه؟

فقال: ما أعرفه و لا رأيتُه قَطُّ.

قال: فقصدْناهُ، فقال لي أبي وهو في طريقه: ما أحْوَجَنا إلى أن يأمر لنا بخمسمائة درهمٍ مائتا درهمٍ للكسوةِ ومائتا درهمٍ للدَّينِ ومائةٌ للنَّفقة.

فقلتُ في نفسي: ليتهُ أُمر لي بثلاثمائةِ درهمٍ مائةٌ أشتري بها حماراً ومائةٌ للنّفقةِ ومائةٌ للكِسوةِ وأخرُجَ إلى الجبل.

قال: فلمّا وافَينا البابَ خرجَ إلينا غلامُه فقال: يدخُل عليٌّ بن إبراهيم ومحمد ابنه، فلما دخلنَا عليه و سلمنا قال لأبي: يا علي ما خلَّفكَ عنا إلى هذا الوقت؟

فقال: يا سيدي استحييتُ أن ألقاك على هذه الحال.

فلما خرجنا من عِندهِ جاءَنا غلامُه، فناوَل أَبي صُرَّةً، فقال: هذه خمسمائة درهمٍ مائتان للكسوةِ ومائتان للدين ومائة للنفقة، وأعطاني صرة، فقال: هذه ثلاثمائة درهمٍ، إجعلْ مائةً في ثمن حمارٍ و مائة للكسوةِ ومائة للنّفقةِ ولا تخرجْ إلى الجبَلِ، وصِر إلى سوراء.

فصار إلى سوراء، وتزوج بامرأة فدخله اليوم ألف دينار.[1]

علمُه

كان الامامُ الحسن العسكري على غرار آبائه العظام عارفاً بجميع العلوم والمعارف المرتبطة بالدين وأحكامه وقوانينه، وكانت منابعُ علوم الدين متوفرةً لديه جميعاً، كماكان يتمتّع بالعصمة والحصانة الآلهية الموهوبة له، وكان يعتبر نشر

(١) الكافي ج ١ ص٥٠٦

علوم الدين وحفظها من أهم وظائفه وواجباته، ولم يكن يمتنع عن أداء رسالته أبداً. على أن الأئمة لم يكونوا متساوين من حيث الأوضاع والظروف، ولقد كان كل إمام يعمل بوظائفه من نشر أحكام الدين ومعارف الشريعة حسب ظروفه وفي حدود إمكاناته.

إن العلوم والمعارف المنقولة عن الإمام الحسن العسكري ليست -وللأسف- بالقدر الذي روي عن الإمام الباقر والإمام الصادق، ويمكن إرجاع ذلك إلى سببين: الأول: ان فترة إمامة الإمام الحسن العسكري كانت قصيرة لم تتجاوز ستة أعوام. ثانياً: إنه كان يعيش هذه الفترة في سامراء في محلة العسكر وقد كان العيون السّريون والعلنيون المكلفون من جانب الخلفاء يراقبونه بشدة، ولهذا كان محدوداً في قوله وفعله ومراجعيه.

لقد كان تحت الرقابة الشديدة، ولهذه الأسباب وغيرها لم يؤثَر عنه عليه السلام من الروايات بمقدار ما أُثر عن آبائه.

ومع ذلك فقد نُقلت عنه أحاديث في مختلف مجالات التوحيد والمعاد والإمامة والاخلاق والمواعظ وشتى مجالات الفقه وهي موجودة في كتب الحديث، ومع كل هذا نحتمل بقوة أن يكونَ كثير من الاحاديث الصادرة عن ذلك الإمام وغيره من الأئمة قد ضاع طوال التاريخ ولم تصل الينا.

ولقد ربّى الإمام الحسن العسكري عليه السلام في أثناء ستة أعوام ورغم كل تلك الضغوط والتحدّيات جملة من الشخصيات ورواة الأحاديث وقد ذكرت أسماؤهم في الكتب المرتبطة.[1]

---

(١) وقد جمع أحد المحققين أحاديث ذلك الإمام في المجالات المتنوعة، ونشره تحت كتاب أسماه (مسند الامام العسكري) كما جمع أسماء رواته في هذا الكتاب وبلغ عددهم مائة وتسعة وأربعين شخصاً

الإمامُ الثاني عشر

الإمامُ المهدي عجَّل الله فرجه الشريف

وُلد الامام الحجة بن الحسن في منتصف شهر شعبان سنة مائتين وخمسة وخمسين هجرية في سامرّاء.

اسمه: اسمُ رسول الله (محمد) وكنيته: كنية رسول الله (أبو القاسم).

والده: الإمامُ الحسن العسكريّ.

واسم أُمه: نرجس.

كان عمره عند وفاة والده: خمس سنوات وقد آلت الإمامة إليه في ذلك السن القليل، وتمتع بالعلم والحكمة كما أُوتي يحيى بن زكريا عليه السلام النبوة وهو صبيّ.

وكما كان عيسى عليه السلام نبياً وهو في المهد.[1]

ألقابه: الحجة والقائم والمهدي والخلف الصالح وصاحب الزمان والصاحب.[2]

ويمكن مراجعة ما ألفه مؤلف هذا الكتاب في هذا المجال.

---

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٣٣٩ و إعلام الورى ج ٢ ص ٢١٤

(٢) إعلام الورى ٢ ج ص ٢١٣ ولمزيد الإطلاع على المعلومات المرتبطة بالإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف راجع كتاب: (المنقذ) للمؤلف.

من رأى الامامَ المهدي في صغره

لقد رأى جماعة من خواصّ أصحاب الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام الإمامَ المهديّ بعد ولادته ويوم أن كان صغيراً أو سمعوا أخباره ونذكر فيما يلي بعضهم من باب النموذج:

قالت السيدة حكيمة بنت محمد بن علي عليهما السلام وعمة الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام: أنها رأت القائمَ عليه السلام ليلة مولده وبعد ذلك.[1]

وعن فتح مولى الزراري قال: سمعت أبا علي بن مطهر يذكر أنه رآه و وصف له قدَّه.[2]

وعن عمرو الأهوازي قال: أرانيه أبو محمد وقال: هذا صاحبُكم.[3]

وعن إبراهيم بن محمد عن أبي نصر طريف الخادم أنه رآه عليه السلام.[4]

وقال نسيمُ (خادم الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام): قال لي صاحب الزمان عليه السلام – وقد دخلت عليه بعد مولده بليلة – فعطست: «يرحمك الله».

قال نسيم: ففرحت بذلك.[5]

وعن أبي جعفر العمري قال: لما وُلد السيدُ عليه السلام قال أبو محمد عليه السلام: إبعثوا إلى أبي عمرو، فبُعث إليه، فصار إليه، فقال: إشتر عشرة آلاف رِطل خبزاً، وعشرة آلاف رطل لحماً، وفرّقهُ، أحسبه قال على بني هاشم، و عقَّ عنه بكذا وكذا شاة.[6]

وقال أبو غانم الخادم: وُلد لأبي محمد عليه السلام وَلَدٌ فسمّاه محمداً، فعرضه على

(١) الإرشاد ج ٢ ص ٣٥١
(٢) الإرشاد ج ٢ص ٣٢٥٢
(٣) الارشاد ج ص ٣٥٣
(٤) الإرشاد ج ٢ ص ٣٥٣
(٥) إعلام الورى ج ٢ ص ٢١٧
(٦) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٥

أصحابه يوم الثالث، و قال: «هذاصاحبكم من بعدي و خليفتي عليكم، وهو القائمُ الذي تمتدُ إليه الاعناقُ بالانتظار، فإذا امتلأت الارضُ جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً».[١]

وعن محمد بن الحسن الكرخي قال: سمعت أبا هارون يقول: رأيت صاحب الزمان عليه السلام وكان مولده يوم الجمعة سنة ست وخمسين ومائتين.[٢]

وعن محمد بن إبراهيم الكوفي أن أبا محمد عليه السلام بعث إلى بعض من سمّاه لي بشاة مذبوحة، قال: «هذه من عقيقة ابني محمد».[٣]

عن الحسن بن المنذر عن حمزة بن أبي الفتح قال: جاءني يوماً فقال لي: البشارة وُلد البارحة في الدار مولودٌ لأبي محمد عليه السلام وأمر بكتمانه.

قلت: و ماسمه؟

قال: سمّي بمحمد و كنّي بجعفر.[٤]

وعن الحسن بن الحسين العلوي قال: دخلت على أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام بسرّ من رأى، فهنّأته بولادة ابنه القائم عليه السلام.[٥]

وعن إبراهيم صاحب أبي محمد عليه السلام أنه قال: وَجّه إلي مولاي أبو الحسن عليه السلام بأربعة أكبُش، وكتب إليّ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ عق هذه عن ابني محمد المهديّ، وكلْ هنأك، وأطعِم من وجدت من شيعتنا.[٦]

---

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٥

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٥

(٣) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٥

(٤) بحار الأنوار ج ٥١ ص١٦

(٥) بحار الأنوار ج ٥١ ص١٦

(٦) بحار الإنوار ج ٥١ ص ٢٨

النصوصُ على إمامته

كتب الشيخُ المفيد بهذا الصدد يقول: قد سبق النصُّ عليه في ملة الإسلام من نبي الهدى ﷺ ثم من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ونصَّ عليه الأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد إلى أبيه الحسن عليه السلام و نص أبوه عليه عند ثقاته وخاصة شيعته.[1]

وكتب الشيخُ المفيدُ نفسُه يقول: ومن الدلائل على ذلك ما يقتضيه العقلُ بالإستدلال الصحيح من وجود إمامٍ معصومٍ كاملٍ غنيٍ عن رعاياه في الأحكام والعلوم في كل زمان، لاستحالة خلوِّ المكلفين من سلطانٍ يكونون بوجوده أقربَ إلى الصلاح، وأبعدَ من الفساد، وحاجة الكل من ذوي النقصان إلى مؤدبٍ للجناة، مقومٍ للعصاة، رادعٍ للغواة، معلمٍ للجهال، منبهٍ للغافلين، محذرٍ من الضلال، مقيمٍ للحدود، منفذٍ للاحكام، فاصلٍ بين أهل الاختلاف، ناصبٍ للامراء، سادٍّ للثغور، حافظ للاموال، حامٍ عن بيضة الإسلام، جامعٍ للناس في الجمعات والأعياد.

وقيامُ الأدلة على أنه معصوم من الزلات لغناه عن الإمام بالاتفاق، واقتضاءُ ذلك له العصمةَ بلاارتياب، ووجوبُ النص على مَن هذه سبيله من الأنام، أو ظهور المعجز عليه لتميزه ممن سواه، و عدم هذه الصفات من كلّ أحد سوى من أثبت إمامته أصحابُ الحسن بن علي عليه السلام وهو ابنُه المهدي على ما بيناه.

وهذا أصلٌ لن يُحتاج معه في الإمامة إلى رواية النصوص وتعداد ما جاء فيها من الأخبار، لقيامه بنفسه في قضية العقول وصحته بثابت الاستدلال.[2]

وعن أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري قال: دخلتُ على أبي محمد الحسن

---

(1) الإرشاد ج ٢ ص ٣٣٩

(2) الإرشاد ج ٢ ص ٣٤٢

بن علي العسكري وأنا أريد أن أسأله عن الخَلَف من بعده فقال لي مبتدئاً: «يا أحمد بن إسحاق إن الله تبارك وتعالى لم يُخل الأرضَ منذ خلق آدم ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجةٍ الله على خلقه به يُدفع البلاءُ عن أهل الأرض و به يُنزل الغيث وبه يُخرج بركات الأرض.»

قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فمن الخليفةُ والإمامُ بعدك؟

فنهض مسرعاً فدخل البيت ثم خرج وعلى عاتقه غلامٌ كأنّ وجهه القمر ليلة البدر من أبناء ثلاث سنين، وقال: «يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك على الله و على حججه ما عرضتُ عليك ابني هذا، إنه سميُّ رسول الله ﷺ وكنيُّه الذي يملأُ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

يا أحمد بن إسحاق مَثَله في هذه الأمة مَثَل الخضر ومَثَله مثل ذي القرنَين، والله ليغيبنَّ غيبةً لاينجو من الهلكة فيها إلا من ثبَّته الله على القول بإمامتهم و وفَّقه للدعاء بتعجيل الفرج».

قال أحمد بن إسحاق: فقلت له: يا مولاي فهل من علامةٍ يطمئن إليها قلبي؟

فنطق الغلام بلسان عربيّ فصيح فقال: «أنا بقيةُ الله في أرضه والمنتقمُ من أعدائه، فلا تطلب أثراً بعد عين يا أحمد بن إسحاق».

قال أحمد: فخرجت مسروراً فرحاً.

فلما كان من الغَد عدت إليه فقلت له: يا ابنَ رسول الله لقد عظُم سروري بما مننتَ عليَّ، فما السُّنة الجارية فيه من الخضر وذي القرنين؟

فقال: «طولُ الغيبة يا أحمد».

فقلت له: يا ابن رسول الله وإن غيبته لَتطولُ؟

قال: «إي وربي حتى يرجعَ عن هذا الامر أكثرُ القائلين به، فلا يبقى إلاّ من أخذ الله عَهده بولايتنا، وكتب في قلبه الإيمانَ، وأيَّده بروح منه.

يا أحمد بن إسحاق هذا أمرٌ من الله وسرٌّ من سر الله وغيبٌ من غيب الله، فخذ ما آتيتُك واكتمه، وكن من الشاكرين تكن معنا غداً في عليين».[١]

عن محمد بن علي بن بلال قال: خرج إليّ من أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام قبل مضيه بسنتين يخبرني بالخَلَف من بعده ثم خرج إليّ من قبل مضيه بثلاثة أيام يخبرني بالخَلَف من بعده.[٢]

عن عمرو الأهوازي قال: أراني أبو محمد ابنه وقال: «هذا صاحبُكم بعدي».[٣]

وعن محمد بن عثمان العَمري وجماعة قالوا: عرض علينا أبو محمد ابنَه ونحن في منزله وكنا أربعين رجلاً فقال: «هذا إمامُكم من بعدي وخليفتي عليكم فاتبعوه وأطيعوه ولا تتفرقوا فتهلَكوا في أديانكم، أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا».

قالوا: فخرجنا من عنده فما مضت إلا أيام قلائل حتى مضى أبو محمد عليه السلام.[٤]

وعن موسى بن جعفر بن وهب البغدادي قال: سمعت أبا محمد الحسنَ بن علي عليه السلام يقول: «كأني بكم وقد اختلفتم بعدي في الخلف مني، أما إن المقرَّ بالأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنكر لولدي كمن أقر بجميع أنبياء الله ورسله ثم أنكر نبوةَ محمد رسول الله صلى الله عليه وآله والمنكر لرسول الله كمن أنكر جميعَ الأنبياء، لأن طاعة آخرنا كطاعة أولنا والمنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا، أما إن لولدي غيبةً يرتاب فيها الناسُ

---

(١) إعلام الورى ص ٤٤١

(٢) اعلام الورى ج ٢ ص ٢٥٠

(٣) إعلام الورى ج ٢ ص ٢٥١

(٤) اعلام الورى ج ٢ ص ٢٥٢

إلاّ من عصمه الله».[١]

و عن محمد بن عثمان العَمري يقول: سمعت أبي يقول سُئِل أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام و أنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه عليهم السلام «أن الأرض لا تخلو من حُجة الله على خلقه إلى يوم القيامة» و «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية».

فقال: «إن هذا حق»

فقيل له: يا ابن رسول الله فمن الحجة و الإمام بعدك؟

فقال: «ابني محمد هو الإمام بعدي من مات و لم يعرفه مات ميتة جاهلية، أما إن له غيبة يحار فيها الجاهلون و يهلك فيها المبطلون ويكذب فيها الوقاتون، ثم يخرج فكأني أنظر إلى الأعلام و رايات تخفق فوق رأسه».[٢]

وقال بعض الاصحاب: لما حَمَلت جارية أبي محمد عليه السلام، قال: «ستحملين ذكراً واسمه محمد، وهو القائم من بعدي».[٣]

وحدثنا الصقر بن أبي دلف قال: سمعتُ علي بن محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول: الإمام بعديَ الحسن ابني، و بعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.[٤]

الأدلة الأُخرى

هناك أحاديثُ كثيرةٌ أُخرى – علاوة على ماذُكر – يمكن الاستفادة منها

(١) إعلام الورى ج ٢ ص ٢٥٢
(٢) إعلام الورى ج ٢ ص ٣٥٢
(٣) كفاية الأثر ج ٢ ص ٣٥٢
(٤) كفاية الأثر ج ص ٢٨٨

لإثبات وجود الإمام الثاني عشر وتنقسم هذه الأحاديث الى خمس طوائف هي كالآتي:

الطائفة الأُولى: و هي الأَحاديث التي رويت عن رسول الله ﷺ والتي تنص على أن الخلفاء بعده اثنا عشر، وصرح بأن (كلهم من قريش وأن بوجودهم يكون الإسلام عزيزاً وماضياً ومنيعاً).

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع أن أخبِرني بشيء سمعتَه من رسول الله ﷺ فكتب إليَّ أني سمعت رسول الله ﷺ يوم جمعة عشية رجم الأسلمي يقول: **«لا يَزالُ الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»**.[1]

هذه الطائفة من الأَحاديث يُستفاد منها:

اولاً: أن الدين الاسلامي باقٍ الى يوم القيامة.

ثانياً: أنه يأتي في هذه المدة اثناعشر خليفة كلهم من قريش.

وقد طرحت في تعيين مصاديق هذه الاثنى عشر احتمالات عديدة ليس بينها احتمال يدعمه دليل ومقبول، والتفسير الوحيد المقبول هو مايعتقده الشيعة الإمامية وهو أن هؤلاء هم الأئمة والخلفاء الاثنا عشر بعد رسول الله و كلُّهم من قريش ومن بني هاشم وآخرهم محمد بن الحسن العسكري عليه السلام وهو حيٌ غائبٌ عن الأنظار وسيظهر في الوقت المناسب ويقوم ويملأ الارض قسطاً وعدلاً.

الطائفةُ الثانيةُ: وهي الأَحاديث التي تصرح بأن الأئمة الاثني عشر آخرهم (القائم) و (المهدي).

عن سلمان الفارسي رحمة الله عليه قال: دخلت على رسول الله ﷺ و إذا

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإمام

الحسينُ على فخذه و هو يقبّل جبينه و يلثم فاه و يقول: «أنت سيد ابن السيد، أنت إمام ابن إمام، أبو الأئمة أنت حجة ابن حجة أبو حجج تسعة من صلبك، تاسعُهم قائمهم».[1]

الطائفةُ الثالثةُ: وهي الأحاديث التي تصرح بالأئمة الاثني عشر وتـذكرهم بالإسم.

قال جابر بن عبد الله الانصاري: يارسول الله، ومن الأئمة من وُلد علي بن أبي طالب ؟

فقال: «الحسنُ والحسينُ سيدا شباب أهل الجنة،

ثم سيد العابدين في زمانه علي بن الحسين،

ثم الباقر محمد بن علي، ستدركه ياجابر، فاذا أدركتَه فاقرأه مني السلام،

ثم الصادق جعفر بن محمد،

ثم الكاظم موسى بن جعفر

ثم الرضا علي بن موسى

ثم التَقي محمد بن علي

ثم النَقي على بن محمد

ثم الزّكي الحسن بن علي

ثم ابنه القائم بالحق مهدي أُمتي الذي يملأُ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».[2]

وقال سهل بن سعد الأنصاري: سألت فاطمة بنت رسول الله ﷺ عن الأئمة،

---

(١) ينابيع المودة ص٣٠٨

(٢) غاية المرام ج١ ص١٦٣

فقالت: كان رسول لله يقول لعلي: أنت الإمام والخليفة بعدي وأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم،

فاذا مضيتَ فابنُك الحسنُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم،

فاذا مضى الحسنُ فابنك الحسين أولى بالمؤمنين بأنفسهم،

فاذا مضى الحسينُ فابنه علي بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم،

فاذا مضى عليٌ فابنه محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم

فاذا مضى محمدُ فابنه جعفر أولى بالمؤمنين من أنفسهم،

فاذا مضى جعفر فابنه موسى أولى بالمؤمنين من أنفسهم،

فاذا مضى موسى فابنه عليٌ أولى بالمؤمنين من أنفسهم،

فاذا مضى علي فابنه محمد أولى بالمؤمنين من أنفسهم،

فاذا مضى محمد فابنه علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم،

فاذا مضى علي فابنه الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم،

فاذا مضى الحسنُ فابنُه القائمُ المهدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، يفتحُ الله به مشارقَ الارض ومغاربها».[١]

الطائفةُ الرابعةُ: وهي الأحاديث التي صرح بأن الأئمة اثناعشر وأن جميعهم معصومون.

روى أبو الطفيل عن الامام علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله أنت الوصيُّ على الأموات من أهل بيتي والخليفة على الأحياء من أمتي، حربك حربي وسِلمك سلمي، أنت الامام أبو الائمة، أحد عشر من صلبك أئمة مطهرون،

(١) غاية المرام ج١ ص٢١٦

معصومون، ومنهم المهديُّ، الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً فويل لمبغضيهم.[١]

الطائفة الخامسة: وهي الأحاديث التي تدل على أن أهل البيت موجودون إلى يوم القيامة.

عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «النجومُ أمانٌ لأهل السماء، فاذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمانٌ لأهل الأرض، فاذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الارض.[٢]

وعن عبد الله بن سليمان العامري عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «ما زالت الأرض إلا ولله فيها حجةٌ يعرف الحلال و الحرام و يدعو الناس إلى سبيل الله».[٣]

وعن أبي حمزة قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أ تبقى الأرض بغير إمام؟

فقال: لو بقيتِ الأرض بغير إمام لساخت».[٤]

وعن الوشاء قال: سألت الرضا عليه السلام هل تبقى الأرض بغير إمام؟

قال: لا.

قلت: إنا نروي أنها لا تبقى إلا أن يسخط الله عز و جل على العباد.

قال: «لا تبقى إذاً لساخت».[٥]

يستفاد من هذه الأحاديث ونظائرها أن وجود الامام- و هو المعصوم والانسان الكامل والهدف من خلق الانسان- ضروريٌّ لبقاء الارض وساكنيها، وأن الارض لا تخلو من وجود الامام المعصوم، وعلى هذا يمكن القول بأنها غير

---

(١) غاية المرام ج١ ص١٩٣

(٢) المستدرك على الصحيحين ج٣ ص١٥٠

(٣) الغيبة للنعماني ص٦٨

(٤) الغيبة للنعماني ص٦٩

(٥) الغيبة للنعماني ص٦٩

خالية في هذا الزمان ايضاً من وجود الامام.

وهذا يؤيد عقيدة الامامية الذين يعتبرون أن امام العصر هو ابن الامام الحسن العسكري عليه السلام بلا فصل، وهو الذي ولد في سنة مائتين وخمسة وخمسين من الهجرة، وهو غائب عن أنظارنا الآن ويقوم بوظائفه الى أن تتهيأ ظروف ظهوره فيقوم بإصلاح العالم.

الأخبار المتتابعة بوجود الإمام المهديّ

لقد استمر الأخبار بقضية الامام المهدي القائم وظهوره في آخر الزمان، منذ عصر النبي الاكرم الى زمن الامام الحسن العسكري صلوات الله عليهم أجمعين.

وهناك أحاديث كثيرة في هذا المجال موجودة في كتب الحديث نذكر بعضها من باب النموذج:

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله **«المهديُّ من ولدي اسمه إسمي وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً، تكون به غيبة وحيرة تضل فيها الأمم، ثم يُقبل كالشهاب الثاقب يملأوها عدلاً و قسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً»**.(١)

وعن الحسين بن علي عن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: **«التاسعُ من وُلدك يا حسين هو القائم بالحق المظهِر للدين و الباسط للعدل».**

قال الحسين فقلت له: يا أمير المؤمنين و إن ذلك لكائن ؟

فقال عليه السلام: «إي و الذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالنبوة، واصطفاه على جميع البرية و لكن بعد غيبة وحيرة، فلا يثبتُ فيها على دينه إلا المخلصون المباشرون لروح

(١) كمال الدين ج ١ ص ٤٠٣

اليقين، الذين أخذ الله عز و جل ميثاقهم بولايتنا، وكتب في قلوبهم الإيمانَ و أيدهم بروح منه».[١]

ولما صالح الحسن بن علي عليه السلام معاوية بن أبي سفيان دخل عليه الناس فلامه بعضُهم على بيعته، فقال عليه السلام: «ويحكم ما تدرون ما عملتُ، و الله الذي عملتُ خيرٌ لشيعتي مما طَلعت عليه الشمسُ أو غربت.

ألا تعلمون أنني إمامكم مفترض الطاعة عليكم، و أحد سيدي شباب أهل الجنة بنصٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله علي؟

قالوا: بلى.

قال: «أما علمتم أن الخضر عليه السلام لما خرق السفينةَ وأقام الجدارَ، و قتل الغلامَ كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران، إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمةً و صواباً؟

أ ما علمتم أنه ما منا أحد إلاّ ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصلي روحُ الله عيسى بن مريم عليه السلام خلفه، فإن الله عز و جل يُخفي ولادته، و يغيب شخصَه، لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة.

إذا خرج ذلك التاسع من ولد أخي الحسين بن سيدة الإماء يطيلُ الله عمره في غيبته ثم يُظهره بقدرته في صورة شابٍ دون أربعين سنة، ذلك ليعلم أن الله على كل شيء قدير».[٢]

وكان الحسينُ بن علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: «قائم هذه الأمة هو التاسع من وُلدي و هو صاحب الغيبة و هو الذي يقسِّم ميراثه و هو حي».[٣]

---

(١) كمال الدين ج ١ ص ٤٢١

(٢) كمال الدين ج ١ ص ٤٣٣

(٣) كمال الدين ج ١ ص ٤٣٤

وعن سعيد بن جبير قال: سمعت سيد العابدين علي بن الحسين عليه السلام يقول: «في القائم منّا سنن من الأنبياء، سنة من أبينا آدم، و سنة من نوح و سنة من إبراهيم و سنة من موسى و سنة من عيسى و سنة من أيوب و سنة من محمد صلى الله عليه وآله فأما من آدم و نوح فطول العمر».[١]

وقال محمد بن مسلم الثقفي: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام يقول: القائم منّا منصورٌ بالرعب، مؤيدٌ بالنصر، تطوى له الأرض، و تظهر له الكنوز، يبلغ سلطانه المشرقَ و المغربَ، و يُظهرُ الله عز و جل به دينه على الدين كله و لو كره المشركون، فلا يبقى في الأرض خرابٌ إلا قد عمَر، و ينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فيصلي خلفه».[٢]

وعن صفوان بن مهران عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: «من أقرَّ بجميع الأئمة و جحد المهديَّ كان كمن أقر بجميع الأنبياء و جحد محمداً صلى الله عليه وآله نبوته».

فقيل له: يا ابن رسول الله فمن المهدي من ولدك؟

قال: «الخامس من وُلد السابع يغيب عنكم شخصُه و لايحلُّ لكم تسميته».[٣]

وعن يونس بن عبد الرحمن قال: دخلت على موسى بن جعفر عليه السلام فقلت له: يا ابن رسول الله أنت القائم بالحق؟

فقال: «أنا القائم بالحق، ولكن القائم الذي يطهِّر الأرضَ من أعداء الله عز و جل و يملأوها عدلاً كما مُلئت جوراً و ظلماً هو الخامس من ولدي، له غيبة يطول أمدُها خوفاً على نفسه، يرتدُّ فيها أقوام، و يثبت فيها آخرون».

---

(١) كمال الدين ج١ ص ٤٣٩

(٢) كمال الدين ج١ ص ٤٣٩

(٣) كمال الدين ج٢ ص ٤٣٩

ثم قال عليه السلام: «طوبى لشيعتنا المتمسكين بحَبلنا في غيبة قائمنا، الثابتين على موالاتنا، و البراءة من أعدائنا، أولئك منا ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمةً، ورضينا بهم شيعةً، فطوبى لهم ثم طوبى لهم، وهم والله معنا في درجاتنا يوم القيامة».[1]

وعن الريان بن الصلت قال قلت للرضا عليه السلام: أنت صاحب هذا الأمر؟

فقال: أنا صاحب هذا الأمر، و لكني لست بالذي أملأوها عدلاً كما ملئت جوراً و كيف أكون ذلك على ما ترى من ضعف بدني؟

و إن القائم هو الذي إذا خرج كان في سن الشيوخ و منظر الشبان، قوياً في بدنه حتى لو مدَّ يده إلى أعظم شجرة على وجه الأرض لقلعها، و لو صاح بين الجبال لتدكدكت صخورُها.

يكون معه عصا موسى و خاتم سليمان عليه السلام ذاك الرابع من وُلدي، يغيِّبه الله في ستره ما شاء ثم يظهره فيملأ به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً».[2]

عن عبد العظيم الحسني قال: دخلت على سيدي محمد بن علي عليه السلام و أنا أريد أن أسأله عن القائم أ هو المهدي أو غيره؟ فابتدأني فقال: «يا أبا القاسم إن القائم منّا هو المهديُّ الذي يجب أن يُنتظر في غيبته و يُطاع في ظهوره و هو الثالث من ولدي.

و الذي بعث محمداً بالنبوة و خصنا بالإمامة إنه لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ واحدٌ لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً.

و إن الله تبارك و تعالى يُصلح أمره في ليلة كما أصلح أمر كليمه موسى عليه السلام

(١) كمال الدين ج ٢ ص ٣٠

(٢) كمال الدين ج ٢ ص ٤٨

ليقتبس لأهله ناراً فرجع و هو رسولٌ نبيٌّ».

ثم قال عليه السلام: «أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج».(١)

وقال الصقر بن أبي دلف: سمعت علي بن محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول: «إن الإمام بعدي الحسنُ ابني و بعد الحسن ابنه القائمُ الذي يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً».(٢)

أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري قال: دخلت على أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام و أنا أريد أن أسأله عن الخلف من بعده، فقال لي مبتدئاً: «يا أحمد بن إسحاق إن الله تبارك و تعالى لم يُخلِ الأرض منذ خلق آدم عليه السلام و لا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجة الله على خلقه، به يُدفع البلاء عن أهل الأرض، و به ينزل الغيث، و به يخرج بركات الأرض».

قال فقلت له: يا ابن رسول الله فمن الإمام و الخليفة بعدك؟

فنهض عليه السلام مسرعاً فدخل البيت ثم خرج و على عاتقه غلامٌ كأن وجهَه القمر ليلة البدر من أبناء الثلاث سنين فقال: «يا أحمد بن إسحاق، لولا كرامتك على الله عز و جل و على حججه ما عرضت عليك إبني هذا، إنه سميُّ رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيُّه الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً».(٣)

يستفاد من هذه الاحاديث والعشرات من أمثالها أن النبيّ الأكرم والأئـمة المعصومين أخبروا الناس باستمرار عن وجود (الأئمة الاثني عشر) و(المهدي) و(القائم) ليستطيعوا بذلك تهيئة الذهنية العامة والرأي العام للقبول به واستقباله، وقد تحقق الامر على النحو الذى قالوا وأخبروا به، فيتبين أن هذا البـرنامج بـدأ

(١) كمال الدين ج ٢ ص ٤٩

(٢) كمال الدين ج ٢ ص ٥٥

(٣) كمال الدين ج ٢ ص ٥٥

طرحه من جانب رسول الله ﷺ واستمر من جانب الأئمة المعصومين.

التنبؤ والأخبار بغيبة المهدي

لقد كانت مسألة غيبة الامام الثاني عشر مطروحةً بين الشيعة منذ عصر رسول الله ﷺ الى الإمام الحادي عشر، فقد أخبر النبي والأئمة المعصومون بان الغيبة تعتبر من خصائص الامام المهدي وقد صرح بذلك، علاوة على الروايات السابقة، في أحاديث كثيرة أخرى.

قال النبي ﷺ «و الذي بعثني بالحق بشيراً ليغيبنَّ القائمُ من وُلدي بعهدٍ معهود إليه منّي حتى يقول أكثر الناس: ماالله في آل محمد حاجة، و يشك آخرون في ولادته، فمن أدرك زمانه فليتمسك بدينه، ولا يجعل للشيطان إليه سبيلاً بشكه فيزيله عن ملتي، و يخرجه من ديني، فقد أخرجَ أَبَويكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ من قبل، و إن الله عز و جل جعل الشَّياطِينَ أولِياءَ لِلَّذِين لا يُؤمِنون[1]».

وقالَ الامام الصادق ﷺ: «إنْ بَلَغَكُمْ عَنْ صَاحِبِكُمْ غَيْبَةٌ فَلا تُنْكِرُوها[2]».

وكتب الطبرسي يقول: إن أخبار الغيبة قد سبقت زمانَ الحجة بل زمان أبيه وجده...وقد خلّدها المحدِّثون من الشيعة في أصولهم المؤلفة في أيام السيدين الباقر والصادق عليهما السلام ومن جملة ثقات المحدِّثين والمصنفين من الشيعة الحسن بن محبوب الزرّاد وقد صنف كتاب المشيخة الذي ذكر فيه أخبار الغيبة قبل زمان الغيبة، بأكثر من مائة سنة فوافق الخُبرُ الخبَرَ وتحقق ماأخبرت به الأحاديث.[3]

---

(١) إثبات الهداة ج٦ ص ٣٨٦

(٢) إثبات الهداة ج٦ ص ٣٥٠

(٣) إعلام الورى بأعلام الورى ج٢ ص ٢٥٧

و قد كتب محمد بن ابراهيم بن جعفر الكاتب النعماني الذي وُلد في عصر الغيبة الصغرى وكان عند تأليفه كتاب (الغيبة) قد مر على ميلاد الامام المهدي عليه السلام ثمانون سنة ونيفاً يقول ما خلاصته: لقد أخبر الأئمة الأطهار بغيبة الامام المهدي قبل حصول هذه الغيبة، ولو لم تحدث هذه الغيبة لكان مذهب الامامية باطلاً، لكن الله تبارك وتعالى صدَّق إنذار الائمة عليهم السلام بها، وصحح قولهم فيها في عصر بعد عصر.[1]

ثم ان هناك مضافاً الى الحسن بن محبوب عدداً كبيراً من أصحاب الأئمة المعصومين عليهم السلام قبل ولادة الإمام المهدي عليه السلام ألفوا كتباً حول غيبة هذا الإمام نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

١- علي بن الحسن بن محمد الطائي الطاطري وكان من أصحاب الإمام موسى بن جعفر عليه السلام له كتاب في الغيبة وكان فقيهاً ثقة في حديثه[2].

٢- علي بن عمر الأعرج الكوفي، من أصحاب الامام موسى بن جعفر عليه السلام له كتاب في الغيبة.[3]

٣- ابراهيم بن صالح الأنماطي، من أصحاب الامام موسى بن جعفر عليه السلام له كتاب في الغيبة[4].

٤- الحسن بن علي بن أبي حمزة - الذي كان يعيش في عصر الامام الرضا عليه السلام له كتاب في الغيبة[5]

(١) الغيبة للنعماني ص٦ مع تصرف بسيط

(٢) رجال النجاشي ص١٩٣ ورجال الشيخ الطوسي ص٣٥٧

(٣) رجال النجاشي ص١٩٤

(٤) رجال النجاشي ص٢٨ وفهرست الشيخ الطوسي ص ٧٥

(٥) رجال النجاشي ص٢٨ وفهرست الشيخ الطوسي ص١٤٧

٥-العباس بن هشام الناشري الاسدي، من أصحاب الامام الرضا عليه السلام له كتاب في الغيبة.[١]

٦- علي بن الحسن الفضال، من أصحاب الامام الهادي والامام العسكري، له كتاب في الغيبة.[٢]

٧- الفضل بن شاذان النيشابوري، من أصحاب الامام الهادي والامام العسكري له كتاب في الغيبة.[٣]

بالنظر الى ما مضى و بالاضافة الى ثلاثة أمور تالية يكون وجود الامام الثاني عشر في حال الغيبة أمراً قطعياً:

أ) ان وجود الإمام والحجة طبقاً للبرهان العقلي الثابت في محله والأحاديث الكثيرة الصادرة من المعصومين، أمر ضروريٌ لبقاء النوع الانساني، وان الارض لا تخلو من الحجة.

ب) لقد جاء في أحاديث كثيرة وعلى حدّ التواتر أن عدد الأئمة هو اثنا عشر شخصاً.

ج) إن أحد عشر من الأئمة الاثني عشر - حسب الأحاديث والشهادة والتاريخ - قد أتوا إلى هذه الدنيا وعاشوا ومضوا بعد مدة ورحلوا الى ربهم.

وبناء على هذا يجب أن يقال: ان الامام الثاني عشر الذي هو -كما في الاحاديث - الابنُ المباشر للامام الحسن العسكري عليه السلام يعيش في حال الغيبة.

---

(١) رجال النجاشي ص ٢٥١ وفهرست الشيخ الطوسي ص ١٤٧

(٢) رجال النجاشي ص ١٩٥

(٣) رجال النجاشي ص ٢٣٥

مكارم أخلاق الامام المهدى

لقد عاش الامام المهدي وللأسف حالة الغيبة منذ طفولته ولم يكن له معاشرة مع الناس بصورة مباشرة ليروا كمالاته المعنوية ويتعرفوا على مكارم أخلاقه ويطّلعوا على علومه ومعارفه، وأحواله المعنوية وينقلوها لنا، ولكن بالنظر الى ما قيل حول شروط الامامة يجب أن نقول: ان الامام المهدى كان هو أيضاً يتحلى بكل الكمالات المعنوية ويتصف بالصفات التي كان الأئمة الآخرون يتصفون بها فهو معصوم من الذنب والخطأ، مصونٌ من المعصية والاشتباه، وعارف بكل المعارف والعلوم التي هي ضروريٌّ معرفتها للامام. وكانت كل مصادر المعرفة وينابيعها المتاحة للائمة متاحة له أيضاً.

إن سيرة الامام المهدي عليه السلام – في مختلف المجالات العبادية والاجتماعية والاخلاقية – هي على غرار سيرة الرسول الاكرم وسيرة سائر الأئمة الهداة صلوات الله عليهم أجمعين، وان لم تُنقل لنا تفاصيلها وجزئياتها، إلا أن هذه الكمالات سيظهر جميعها بعد زمان الظهور وقد ورد بعضها في جملة من الروايات.

قال أبو جعفر عليه السلام: **«إن العلم بكتاب الله عز و جل و سنة نبيه صلى الله عليه وآله لَينبُت في قلب مهديِّنا كما ينبت الزرعُ على أحسن نباته، فمن بقي منكم حتى يراه فليقل حين يراه: السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة و النبوة، و معدنَ العلم و موضعَ الرسالة، السلام عليكَ يا بقية الله في أرضه».**[1]

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال أيضا: **«إذا قام قائمُنا وضعَ يده على رؤوس**

---

(١) بحار الأنوار ج٥٢ ص٣١٧

العباد فجمع بها عقولهم و كمُلت بها أحلامهم».[١]

وعن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام قال: «العلم سبعة و عشرون حرفاً فجميع ما جاءت به الرسُل حرفان فلم يعرف الناسُ حتى اليوم غيرَ الحرفين. فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة و العشرين حرفاً فبثّها في الناس و ضم إليها الحرفين حتى يبثها سبعة و عشرين حرف».[٢]

طبعاً يجب أن لا نتصور أن هذه الاحاديث تقصد أن علوم الامام المهدي وكمالاته تفوق كمالات وعلوم الرسول الاكرم وسائر الأئمة(صلوات الله عليهم اجمعين)، كلا ليس هكذا، بل كل تلك الذوات المقدسة متساوون في العلم والكمال، إنهم يمتلكون أيضا ما يمتلكه الامام المهدي ولكن عقول الناس في عصورهم وظروفهم الموضوعية لم تكن مهيّأة لدرك مثل هذه العلوم.

الغيبة الصغرى والكبرى

إن للامام المهدي ـ حسب اعتقاد الامامية ـ غيبتين: غيبة صغرى وغيبة كبرى.

والغيبة الصغرى بدأت من بدء ولادة ذلك الامام (عام ٢٥٥) وانتهت الى سنة ٣٢٩، وطوال هذه المدة وان كان الامام غائباً عن أعين عامة الناس، إلا أن بعض الخواص كانوا على ارتباط مع الشيعة وكانوا يقومون بتلبية احتياجاتهم ويجيبون على أسئلتهم وكانوا يقومون بدور الوسيط بين الناس وبين الامام المهدي عليه السلام وكان يُدعىٰ هؤلاء بالنواب وكانوا أربعة أشخاص، وكانوا على

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٢٨

(٢) بحار الانوار ج ٥٢ ص ٣٣٦

الترتيب الآتي:

الاول: عثمان بن سعيد وكان من ثقاة أصحاب الامام الهادي والامام الحسن العسكري عليه السلام.

وكان أحد الذين أراهم ابنَه المهدي وقال له: **«ألا وإنكم لاترونه من بعد يومكم هذا، فاقبلوا من عثمان ما يقوله، وانتهوا الى أمره، واقبلوا قوله، فهو خليفة إمامكم والأمر إليه».**[1]

الثاني: محمد بن عثمان وقد نُصب للوكالة من جانب الامام الحسن العسكري عليه السلام و قد قال في شأنه: «... وإن ابنه محمد وكيل ابني: مهديكم».[2]

ولقد تأكدت نيابته ووكالته بتوقيع صدر من ناحية الامام المهدي.[3]

الثالث: الحسين بن روح وقد نصبه محمد بن عثمان خليفةً له ووكيلاً للامام المهدي قبيل وفاته قائلاً: ان حدث عليَّ حدث الموت، فالأمر الى أبي القاسم بن روح النوبختي فقد أُمرت أن أجعله في موضعي بعدي فارجعوا إليه وعوّلوا في أُموركم عليه.[4]

الرابع: علي بن محمد السمري وهو أحد أعيان الشيعة الثقات وقد نصبه الحسين بن روح قبل وفاته مكانه ووكيلاً عن الناحية المقدسة.[5]

كان علي بن محمد السمري آخر نائب من نواب الامام المهدي الخاصين وقد توفّي السمري هذا عام ٣٢٩ هجرية قمرية وقد قرأ على الناس ـ قبل وفاته ـ

---

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٤٦

(٢) رجال المامقاني ج ١ ص ٣٠

(٣) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٤٩

(٤) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٥٥

(٥) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٦٠

كتاباً (توقيعاً) صدر من الناحية المقدسة جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر اخوانك فيك فانك ميِّت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولاتوصِ الى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعتِ الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب وامتلاء الارض جوراً، وسيأتي من شيعتي من يدعى المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفترٍ، ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم».[١]

لقد استمرت فترة الغيبة الصغرى ونيابة النواب الخاصين حوالي اربعة وسبعين عاماً، وفي هذه المدة كان الشيعة على اتصالٍ مع إمام العصر (عجل الله فرجه) عن طريق النواب الأربعة ويسألون حول مشكلاتهم الدينية ويتلقون الأجوبة في رسائل درج على تسميتها بالتوقيع والتوقيعات، وربما صدرت توقيعات ابتداءً من الناحية المقدسة، وتلقوا من خلالها أوامر وتعليمات.

وهناك كرامات ومعاجز وتنبؤات رافقت أو انطوت عليها هذه التوقيعات رويت في الكتب تحتاج دراستها الى فرصة اوسع.

ولقد كان وقوع الغيبة الصغرى وسيلة وبالأحرى مقدمة للمزيد من إعداد الشيعة وتهيئتهم لتقبل الغيبة الكبرى.

وأما الغيبة الكبرى فقد بدأت من عام وفاة آخر النواب الخاصين للامام المهدي (٣٢٩) وستستمر الى وقت ظهور الامام المهدي عليه السلام.

عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام «لِلْقَائِمِ غَيْبَتَانِ إِحْدَاهُمَا قَصِيرَةٌ وَ الْأُخْرَى طَوِيلَةٌ الْغَيْبَةُ الْأُولَى لَا يَعْلَمُ بِمَكَانِهِ فِيهَا إِلاَّ خَاصَّةُ شِيعَتِهِ وَ الْأُخْرَى

---

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٦١

لايَعْلَمُ بِمَكَانِهِ فِيهَا إلاّ خَاصَّةُ مَوَالِيهِ».(١)

هذا ولا يُعرف مكان حياة الامـام المـهدي واسـتقراره ولعـله يـتردد فـي المجتمع ويعيش بين أفراده من دون أن يعرفه الناس.

فلسفة الغيبة

يمكن أن يقول أحدُ: لماذا الامامُ المهدي عليه السلام غائبٌ عن الأنظار؟ ألم يكن من الممكن أن يعيش في زاوية من العالم مثل سائر الناس، ويسعى الى نشر الديـن، وأحكامه وقوانينه، ويقود الأُمة، ويستمر في العيش هكذا، ريثما تتهيأ له الظروف العالمية، ويأذن الله تعالى له فيقوم حينئذ ويُسقط حكومةَ الجبارين ويقيم عـلى أنقاضها حكومة العدل الآلهية.

ويمكن القول في معرض الجواب أن هذه نظرية جيدة، ولكنها ـ وللأسف ـ ليست عملية.

ولكي يتضح هذا الموضوع، ويتبين سبب عدم إمكان تحقق ذلك، لابد من الالتفات الى عدة نقاط هي كالتالي:

١ -ان برنامج الامام المهدي الموعود مهمة تختلف عن مهمة وبرنامج سائر الأُئمة، فإن سائر الائمة لم يكونوا مكلّفين بتأسيس الحكومة الإسلامية، والتطبيق الكـامل للـحكومة الإسـلامية، ومكـافحة الظـلم، والدفـاع عـن المـحرومين والمستضعفين، والتنفيذ الكامل للعدالة بالحرب والعمل المسـلح، ولكـن هـذه الوظيفة الثقيلة أُلقيت على عاتق الإمام المهدي عليه السلام وتُعتبر من خصوصياته وقـد وصفه النبي والأئمة المعصومون صلوات الله عليهم.

---

(١) بحارالأنوار ج ٥٢ ص ٩٢

٢-ان حكومة الإمام المهدي حكومة مبدأية وعالمية لا محلية وقطرية محدودة، أو قومية، واقليمية وأن تاسيس واقامة مثل هذه الحكومة عملية جد صعبة وهي بحاجة الى تهيؤ أرضية عالمية:

اولاً: الاستعداد العسكري الكامل الى درجة التفوق على القوة العسكرية العالمية.

ثانياً: تهيؤ أكثر الناس في العالم، لقبول مثل هذه الحكومة والجهاد والتفاني في سبيل تحقيقها.

٣- لقد ثبت بالعقل والنقل أن وجود الامام أمرٌ في غاية الضرورة لاستمرار النوع الانساني وأن الارض لاتخلو من وجود الحجة.

٤- ان عدد الأئمة بعد رسول الله ﷺ ـ وفقاً لأحاديث وروايات كثيرة ـ ليس أكثر من اثني عشر، وقد أتى أحد عشر منهم وعاشوا فترة معينة، ومضوا بعد مدة، وعلى هذا فإن الامام الثاني عشر وهو المهدي الموعود يجب أن يبقى حياً وباقياً الى يوم قيامه بالمهمة الكبرى.

٥- ان النبي والائمة المعصومين أخبروا في أيام حياتهم مرات ومرات بوجود المهدي وقيامه وقالوا: ستُملأُ الارض بالظلم والجور زمناً وسيقوم المهديُّ، ويستأصل الظلم والجور من العالم، بمجاهدة أصحابه وأنصاره وتفانيهم، ويقيم دولة العدل والحق.

والآن، وبالنظر الى النقاط المذكورة، يجب أن نرى هل كان إمام العصر يستطيع ان يعيش كأي انسان عادي في زاوية من زوايا العالم، ويقوم بمسؤليته في إطار الحد الممكن، فماذا كان يتوقع في صورة القبول بمثل هذه الفرضية؟!

في مثل هذه الفرضية كان إمام العصر يواجه فريقين من الناس:

الاول: المحرومون والمستضعَفون والمظلومون وهم أُناس كانوا ولايزالون

موجودين وهم ـ وللأسف ـ يشكّلون الغالبية من الناس وينتظرون الفرج والانفراج.

إن هذا الفريق حيث أنهم يرون الامام الموعود بين أظهرهم فهم ينتظرون ظهوره وقيامه، واصلاح العالم على يديه، وهم يشكون إليه باستمرار ويطلبون منه الظهور ليقوم بمهمته، والبدء بنهضته العالمية.

وفي هذه الحالة إن لبى الامام المهدي عليه السلام مطلبهم ودخل في الحرب لم يكن موفقاً، لأن الارضية المناسبة للنهضة العالمية لم تكن مهيأة بعد، ولهذا فإن الارض كانت حينئذ ـ تخلو من وجود الامام والحجة.

واذا لم يستجب الامام عليه السلام لمطلب المظلومين ولم ينهض بمهمته الاصلاحية الكبرى، أيس منه المحرومون والمستضعفون وتفرقوا عنه، فلم يكن بدّ من الغيبة.

الفريق الثاني: الحكومات الطاغوتية الظالمة العالمية التي كانت ولاتزال ـ وللأسف ـ تمارس السلطة في جميع نقاط العالم ولم تمتنع عن ارتكاب أية جناية، وتحاول أن تزيل من طريقها كل خطر أو عائق ولو كان احتمالياً.

ان هذا الفريق حيث أنهم سمعوا أن الامام المهدي الموعود ينهض للدفاع عن المحرومين، ويقوم بمكافحة الظلم والحيف، ويرون أنفسهم في خطر من جانبه، وبخاصة مع ما يتصف به من العمر الطويل وغير العادي، فهو في مثل هذه الصورة يحس بالخطر الكامل، ولم يتوقف عن السعي الى اغتيال الإمام وقتله، وفي النتيجة تخلو الارض من الحجة، والامام.

وبناءاً على هذا تكون غيبة الامام الحجة من أجل تجنب هذه الامور أمراً ضرورياً بديهياً.

آثار وفوائد الامام الغائب

لقد أشرنا ـ لدى البحث في ضرورة وجود الامام في المجتمع – الى مجموعة من واجبات الامام ومسؤولياته المهمة، وتلك الوظائف هي:

أولاً: المحافظة على أحكام الدين وقوانينه وتعالميه ومعارفه.

ثانياً: الترويج لها ونشرها بين المسلمين.

ثالثاً: تأسيس الحكومة الاسلامية وادارتها وتنفيذ الاحكام والقوانين القضائية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، وغير ذلك من الامور المرتبطة بإدارة البلاد الاسلامية وحل مشاكل الناس.

وهنا يمكن أن يُسئل: لقد اعتبرتم وجود الامام ضرورياً بالنظر الى هذه الحاجات، ولكن لاشيء من هذا يترتب على وجود الامام الغائب، فما فائدة الامام الغائب؟

نقول في معرض الجواب: أما بالنسبة الى ترتب الفائدة الاولى، يعني المحافظة على أحكام الدين وقوانينه ومعارفه وتعاليمه فهو لايختلف عن سائر الأئمة، فالامام الغائب أيضاً يحافظ على قوانين الدين وأحكامه بحيث يمكن أن يقال: إن قوانين الاسلام وتعاليمه، ومعارفه وأحكامه بقيت محفوظةً ـ بعد رسول الله ﷺ وطوال التاريخ وحتى في هذا العصر ـ لدى الأئمة المعصومين من دون زيادة أو نقصان.

أما بالنسبة الى تحقق الامر الثاني والثالث و ان لم يستطيع الناس في عصر الغيبة أن يستفيدوا من الإمام الغائب، ولكن هذا لايعود الى تقصيرٍ من جانب الامام، بل هو من جانب الناس الذين لم يهيئوا أرضية ظهور الامام المهدي عليه السلام وتأسيس الحكومة، والإمساك بأزمة السلطة، ولهذا فإن الامام مضطر الى البقاء

في حالة الغيبة ريثما تتوفر مقدمات ظهوره، وتتهيأ ظروف قيامه.

هذا علاوة على أنه ليس ثمت دليلٌ قاطعٌ على أنه لم يكن للامام أي تدخل في زمن الغيبة في المسائل العلمية والثقافية المرتبطة بالدين، وحل المشاكل السياسية والثقافية المرتبطة بالامامة الاسلامية بل يمكن أن نحتمل ونحدس أنه ربما يتدخل في بعض الحالات الضرورية، ويضع مطالب علمية، بصورة مباشرة وغير مباشرة، تحت تصرف بعض الاشخاص أو الجماعات، أو يعين الأُمة الاسلامية في بعض الظروف العصيبة، ويقدم تعاليمه وارشاداته، في صورة شخص غير معروف، الى القائمين بشؤون الأُمة، وهذه الأعمال مما لا يمكن نفيها.

وهناك ـ مضافاً الى جانب الفوائد السابقة ـ فائدتان مهمتان نشير اليهما:

الفائدة الاولى: بقاءُ النوع الانساني وعمارة الارض، ولإثبات هذا الموضوع يمكن الاستفادة من طريقين: أحدهما نقلي والآخر عقلي:

الادلة النقلية

وهي الأحاديثُ الكثيرةُ التي تعتبر وجودَ الحجة والإمام ضرورياً لبقاء النسل البشري، وفقدانه موجباً لخراب الارض، وانقراض النسل البشري وقد أتينا ـ في ما سبق ـ بطائفة من هذه الاحاديث، ولانرى ضرورة في تكرارها.

الادلة العقلية

لقد أُقيمت في كتب العقيدة والكلام والفلسفة أيضاً أدلة على ضرورة وجود الانسان الكامل في جميع العصور وهي أدلة بذاتها تؤيد ضرورةَ وجود الامام والحجة.

وبيان وتوضيح هذه الأدلة بحاجة الى مقدمات جاء ذكرها على وجه

التفصيل في الكتب المرتبطة ولا تسع هذه الاوراق المعدودة لذكرها.

ولهذا فإننا نكتفي في هذه الدراسة بذكر خلاصة بعض النتائج الضرورية منها:

١ -أن الانسان مركب من البدن الجسماني والروح المجرد الملكوتي، فمن هذين البعدين ينشأ الموجود المسمى بالانسان.

ان المرتبة العليا من الوجود الانساني هو جوهرٌ مجردٌ وملكوتيٌ وباق، والمرتبة السافلة منه هي ماديةٌ جسمانيةٌ، ولهذا يمكن له التحرك والاستكمال.

٢ - يتمكن الانسان أن يتحرك في باطنه في أحد مسارين: أحدهما صراط الانسانية المستقيم، و تنمية الصفات والكمالات الانسانية، ويسلك سيراً صعودياً الى الله.

والطريق الثاني هو سبيل الانحراف عن صراط الانسانية المستقيم، وتنمية الصفات الحيوانية، والسقوط في وادي الوحشية والتوحش.

إن اختيار كل واحد من هذين الطريقين واقعٌ تحت إرادة الانسان نفسه، ومفتاحه بيده ذاته.

٣ ـ ان خلق الانسان والكون ليس بدون هدف، وليس عملاً غير هادف، بل الهدف هو تكامل النفس الانسانية، والسير صعداً الى الله، وحيازة السعادة النفسانية والأُخروية.

٤ ـ الانسان في تحصيله لصراط الانسانية المستقيم، والحركة الباطنية نحو الكمال والسعادة الأخروية لايحظى بالاكتفاء الذاتي، ولا يكون في مقدور الانسان بمفرده، بل هو في هذه الناحية بحاجة شديدة الى خالق البشر، وهدايته وارشاد الأنبياء وتوجيهاتهم.

ولهذا يمكن القول بأن الالطاف الالهية تقتضي أن يوفر الله تعالى برنامجاً

يضمن السعادة الدنيوية والأُخروية للبشرية، بواسطة الانبياء المصطفين، ويضعه عن طريقهم تحت تصرفها.

إن احكام الدين وقوانينه نزلت لهذا الغرض، وإن صراط الانسانية المستقيم وطريق السلوك الى الله هو هذا.

إن العقائد الحقة والاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة من عوامل تكامل النفس وهي توفر سعادة الانسان الاخروية، كما ان العقائد الباطلة، والاخلاق الرذيلة، وارتكاب المعاصي والاعمال القبيحة توجب السقوط وهلاك الانسان.

٥ - ان مسيرة الحركة النفسانية في الانسان ليست قضية اعتبارية ومجرد تصوّر بل هي مسيرة واقعية وحقيقية، وان جوهرة النفس الانسانية تتحرك في مسير واقعي، فهو إما أن يتحرك باتجاه منبع الكمال فيغدو أكثر كمالاً، وإما أنه يتحرك باتجاه وادي الحيوانية المظلم.

من كل ما مر، وبعد أن اتضحت هذه الحقيقة وهي أن الهدف من خلق الانسان هو السير صُعُداً الى الله، والتكامل النفسي يمكن استنتاج أن يكون هناك دائماً ـ بين الناس ـ انسانٌ كاملٌ يتحرك في طريق الانسانية المستقيم، وتكون مجموعة العقائد الحقة، والاخلاق الفاضلة، والاعمال الصالحة قد تجمَّعت وتجسدت فيه، وخرجت من القوة الى الفعلية، وتحقق فيه هدف الانسانية.

إن مثل هذا الانسان الممتاز يتحرك باتجاه الكمال المطلق ويستفيد باستمرار من الإفاضات الالهية ويصعد بغيره ممن يسير في نفس هذا الطريق بجواذبه الباطنية، ويفيد أتباعه من الافاضات الآلهية التي تنزل باستمرار على روحه الملكوتية ومقام الامامة الشامخ.

إن مثل هذا الانسان المتميز والشخصية الممتازة هو الهدف من خلق الانسان، وهو الامام والقدوة، وهو راعي موكب البشرية، وقائدها الى شواطىء

الكمال، وهو حجة الله، وهو الذي يوجب وجودُه بقاءَ النوع البشري، ويـوجب فقدانُه انقراضَ النسل البشري كما ويستوجب خرابَ الارض وبوارَها.

وعلى هذا الاساس يمكن القول بأن أهم فـائدة لوجـود الإمـام هـو بـقاء الانسان، وفي ترتب هذا الأثر ليس هناك تفاوت مهم بين الظهور والغيبة.

ولقد شُبّه الامامُ الغائب في بعض الأحاديث بالشمس خلف السحاب.

قال سليمان: قلت للصادق عليه السلام فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟

قال: «كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب».(١)

ويمكن القول في توضيح هذا الحديث بأن الشمس ـ كما ثبت في العـلوم الطبيعية والفلكية ـ تشكل مركز المنظومة الشمسية، وجاذبيتها تـحفظ الارض، وتصونها من السقوط، وتدير الارض حول نفسها، وتولد الليل والنهار، والفصول المختلفة، وأشعتها تنير الارض، وحرارتـها تـوجب حـياة الانســان والحـيوان والنبات، وفي ترتب هذا الأثر لافرق بين ظهور الشمس في النهار، وبين غيابها في الليل، كما لافرق بين أن يكون هناك سحاب أو لايكون.

الفائدة الثانية: تقوية روح الأمل وانتظار الفرَج والتهيؤ للمشاركة في برنامج الإمام المهدي العظيم، وإصلاحاته العالمية الكبرى.

إن برنامج الامام المهدي عليه السلام العالمي عبارة عن: إسقاط حكومة الجـبابرة، واستئصال جذور الظلم والاستبداد الى الأبد، وتـأسيس الحكـومة الاسـلامية العالمية الواحدة، وبسط العدالة، ونشر الدين الاسلامي في أرجاء العالم، والغلبة على سائر الأديان، ومحو الشرك والكفر، محواً كاملاً وتطبيق القوانين والأحكام الإسلامية، واستئصال شأفة الفقر والاستضعاف.

---

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٠٣

بقليل من الامعان يتضح أن مثل هذا الأمر المهم لا يمكن أن يتحقق من دون استعداد جامع وتهيؤ شامل وبخاصة أن هذا الانتصار العظيم يتحقق عبر القتال والجهاد، وليس عن طريق المعجزة، وبالنظر الى أوضاع جبابرة العالم اليوم، والتقدم المحيِّر الحاصل في مجال العلوم وبصورة خاصة في مجال الصناعة الحربية، وأسلحة الدمار الشامل فإن الذين يؤمنون بالإمام المهدي الموعود، ويطلبون قيامه وإجراء الاصلاحات العالمية يجب أن يهيئوا أنفسهم لهذا الصراع العظيم.

أولاً: بأن يصوغوا أنفسهم بالشكل الذى يريد الامام المهدي عليه السلام تحققه في جميع أفراد البشر.

وثانياً: يجب أن يهيؤا أذهان أكثرية الناس في العالم لقبول الاسلام والحكومة العالمية الواحدة.

وثالثاً: أن يسعوا في محو تخلفهم في العلوم والصنائع، وبخاصة الصناعات العسكرية، وفي مجال تهيئة القوة الحربية، بل ويتفوّقوا ـ في هذه الجهات ـ على غيرهم.

وهذا هو معنى (انتظار الفرج) الذي جاء في الأحاديث، ويمكن عدُّ هذه الحقيقة أحد فوائد الاعتقاد والايمان بالإمام الغائب.

الأحاديث المرتبطة بالمهدي فى مصادر اهل السنة

إن نقل الاحاديث المرتبطة بالامام المهدي الموعود لا يختص بكتب الشيعة بل انّ كتب الكثير من علماء اهل السنة تنقل ايضا الاحاديث المرتبطة بالمهدي ونحن هنا نشير الى بعضها للنموذج:

عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لو لم يبق من الدهر إلاّ يومٌ واحدٌ لبعث الله

رجلاً من أهل بيتي يملأُوها عدلاً كما كما ملئت جوراً».[١]

وعن أُم سلمة قالت: سمعتُ رسول الله يقول: «المهديُّ من عترتي من وُلد فاطمة».[٢]

وروى علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «المهدي منّا، أهل البيت، يصلحه الله في ليلة».[٣]

وعشرات الأَحاديث الأُخرى الشبيهة بهذه الاحاديث.

يستفاد من هذا النوع من الأَحاديث ان الاعتقاد بالامام المهدي الموعود لا يختص بالشيعة بل هي عقيدة إسلامية نشأت من النبي الاكرم صلى الله عليه وآله واعتقد به أهل السنة أيضاً مع فارق ان الامام المهدي في نظر الشيعة الامامية شخصية من أولاد النبي وفاطمة والامام الحسين وهو ابن الامام الحسن العسكري بلا فصل وأنه وُلد عام ٢٥٥ هجرية وهو حيٌّ الى الآن ويعيش خلف ستار الغيبة، ويكون قيامه في آخر الزمان، عندما يتهيأ له الوضع العالمي. ولكن الامام المهدي الموعود عند الاكثرية من أهل السنة ليس شخصية موجودة ومعروفة إنما هو عرف بهذا القدر أنه من سلالة النبي وفاطمة وأنه يقوم في آخر الزمان ويملأ العالم عدلاً، وبناء على هذا يعتقدون أنه يولد في آخر الزمان ويختلفون في هذا مع الشيعة.

ان هذه العقيدة نشأت من الأَحاديث الموجودة في كتبهم التي لم يرد فيها ذكر لولادة الامام المهدي وأنه ابن الامام الحسن العسكري بلا فصل وأن له غيبتين كبرى وصغرى وان لم تنطو على نفيها وبالتالي لا تنفي عقيدة الشيعة.

وفي الخاتمة نرى أن من اللازم ان نذكر بأن ولادة الامام المهدي الموعود

---

(١) صحيح أبي داوود ج ٢ كتاب المهدي والفصول المهمة ص ٢٧٥

(٢) صحيح أبي داوود ج ٢ ،كتاب المهدي وصحيح ابن ماجة، باب خروج المهدي ص ١٣٦٧

(٣) سنن ابن ماجة ج ٢ ص ١٣٦٦ باب خروج المهدي

وغيبته وان لم يُذكران فى كتب أهل السنة ولكن فريقاً منهم اعترف بولادة الامام المهدي الموعود وأُثبت ذلك في كتبهم ونذكر منهم:

محمد بن طلحة الشافعي في كتابه (مطالب السؤول)

ومحمد بن يوسف في (كفاية الطالب)

وابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة)

ويوسف بن قزاوغلي في تذكرة خواص الأُمة

والشبلنجي الشافعي في (نور الانصار)

وابن حجرالهيتمي في (الصواعق المحرقة)

ومحمد أمين البغدادي في (سبائك الذهب)

وابن خلكان في(وفيات الاعيان)

والشعراني في(اليواقيت والجواهر)

وخواجه پارسا في (فصل الخطاب)

وابو الفلاح الحنبلي في(شذرات الذهب)

ومحمد بن علي الحموي في (التاريخ المنصوري).

فهؤلاء من الذين اعترفوا بهذه الحقيقة.

الإمام المهدي وطول العمر

من القضايا المهمة المرتبطة بالامام المهدي الموعود طول عمره، فإن عمر الامام المهدي بدأ من سنة ولادته (عام ٢٥٥) وهو مستمر الى هذا الوقت(١٤٢٦هجرية قمرية) والى زمن الظهور، ولا يدرى متى يكون، وسيستمر بعده الى وقت الوفاة.

وعلى كل حال فإن هذا المقدار من العمر الطويل وغير العادي لم يعرف مثله

في هذه العصور، ولعل الاعتقاد بهذا المقدار من العمر صعب على بعض الناس ولهذا فإنه يحتاج الى الدراسة والبحث، والتحقيق العلميُ والطبّي وهو ليس وللاسف من اختصاصي ولا من صلاحيتي.

إن اكتشاف العلل وتحديد العوامل المؤدية إلى طول العمر والشيخوخة والموت يحتاج إلى سلسلة من التحقيقات العميقةوالواسعة التي تتم بواسطة جماعة من العلماء المختصين في علوم متنوعة مثل علم الأحياء والطب وعلوم التغذية والصحة والعلاج، وعلم المعرفة بالانسان وعلم الاجتماع وغير ذلك من العلوم المرتبطة، وبتعاون هؤلاء المختصين واجتهادهم يمكن اكتشاف السر والسبب لطول عمر الانسان وايقافه على المعلومات التي لو راعاها أمكنه أن يحافظ على شبابه ويتمتع بالسلامة ويحظى في المآل بطول العمر.

إن اكتشاف ما يضمن طول العمر لا يكون مفيداً للمعتقدين بالإمام المهدي(عجل الله فرجه) فحسب بل ينفع جيع أبناء البشرية.

وهنا تجب الإشارة والتذكير بعدة نقاط:

١-ان الحد المتوسط في عمر الاشخاص طيلة التاريخ وفي البلاد المختلفة ليس متساوية بل متفاوتٌ ومتغير، وهذا التفاوت يرجع في علله الى نوعية التغذية وكيفيتها ورعاية الامور الصحية والتوقي من الامراض المعدية والظروف البيئية وتقدم العلوم الصحية والطبية.

٢-إن عدداً من الناس عاشوا أكثر من الحد المتوسط الذي عاشه أبناء نوعهم، وربما عاشوا مائة سنة. بل وربما عاش البعض استثناءً أكثر من مائة سنة، بل وحتى ما يقرب من مائة وخمسين عاماً وهناك - حسب -الروايات من عاش مائتين سنة، وربما واصل الحياة أكثر من ذلك بقليل.

والنقطة الجديرة بالتأمل ان أحداً من هؤلاء العلماء لم يعين سقفاً معينا لعمر الانسان لا يمكن تجاوزه وان كان ذلك نادراً وبعيداً.

٣- ان الله يحقق مشيئته عن طريق العلل والاسباب الطبيعية ولكن قدرته ليست محدودة ولا أنها تنحصر في العلل المتعارفة أو المعروفة، بل يمكن ان يقوم بشيىء عن طريق علل غير معروفة كما يحدث ذلك في موارد الاعجاز.

وعلى هذا الاساس يمكن القول بأن وجود انسان معين واستمرار حياته لمدة طويلة لو كان أمراً ضرورياً فإن الله قادر على أن يوفر العلل والاسباب الطبيعية أو حتى غير الطبيعية لذلك، فلا يمكن إنكار تصور أن يعمَّر شخص استثنائي مائة او ألف سنة، أو آلاف السنين.

٤- ان علل الشيخوخة والموت ليست معروفة لنا، فاننا لا نملك دليلاً على أن جميع أبناء البشر يشيخون ويفقدون قواهم الجسمية في سنين معينة على وجه التحديد.

٥- لقد أُشير في التاريخ الى أفراد معينين أنهم عمَّروا مدداً طويلة جداً تصل الى الف سنة بل وأكثر وطبعاً اثبات مثل هذه الاعمار الطويلة يحتاج الى دليل قطعي ولكن لا يمكن ولا يجوز الترديد والشك في اصل امكانية ذلك .

إن من الذين عمَّروا طويلاً جداً في التاريخ هو النبي نوح وقد نص القرآن على أن نوحاً لبث تسعمائة وخمسين عاماً يدعو قومه الى عبادة الله، ولكنه واجه مخالفة أكثرية الناس حتى أمطرت السماء مطراً غزيراً ووقع الطوفان وهلك جميع الكفار ولم يبقَ إلا هو ومن معه من المؤمنين به، الذين ركبوا معه السفينة فنجوا.

يستفاد من هذه الآية ان النبي نوحاً دعا قومه مدة تسعمائة وخمسين عاماً .

على أنه ليس معلوماً جيداً في أي سن بعث بالنبوة كما أنه ليس من المعلوم أنه كم عاش بعد الطوفان ولا يُعتقد أنه عاش أكثر من ألف سنة.

﴿وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَ هُمْ ظالِمُونَ. فَأَنْجَيْناهُ وَ أَصْحابَ السَّفِينَةِ وَ جَعَلْناها آيَةً لِلْعالَمِينَ﴾.(١)

وعلى هذا الاساس يكون القرآن الكريم الذي هو سند قطعي وغير قابل للانكار قد أيد وجود عمر يتجاوز ألف سنة، فإذا قبلنا بهذا القدر من العمر لم يعد من الممكن إنكار ماهو اكثر من ذلك.

وقت الظهور

لم يعيَّن وقت خاص لظهور الامام المهدي وقيامه العالمي بل عمد الائمة الاطهار عليهم السلام إلى تكذيب الموقِّتين.

فعن الفضيل، قال: سألت اباجعفر عليه السلام: هل لهذا الامر وقت ؟

فقال: **«كذب الوقّاتون، كذب الوقّاتون، كذب الوقّاتون»**.(٢)

وعن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **«مَن وقَّت لك من الناس شيئاً فلا تهابَن أن تكذبه، فلسنا نوقِّت لأحد وقتاً»**.(٣)

يُستفاد من هذا النوع من الأَحاديث انه لا النبي ولا أي واحد من الأَئمة أخبر عن وقت ظهور الإمام الحجة على وجه التحديد وبهذا سدُّوا الباب في وجه من يريد أن يستغل هذه المسألة، وعلى هذا الاساس اذا نسب أحدٌ إلى الامام أو غيره أنه عيَّن وقت الظهور وجب علينا تكذيبه ومخالفته.

---

(١) العنكبوت / ١٣

(٢) بحارالأنوار ج ٥٢ ص ١٠٣

(٣) بحارالأنوار ج ٥٢ ص ١١٤_١١٧

علائم الظهور وشرائطه

هناك علائم لقرب ظهور الامام المهدي عليه السلام وردت في كتب الحديث ولكن اكثرها ضعيف وليس لها سند معتبر ولهذا لا يمكن الاعتماد عليها، ويُحتمل كونها موضوعة ولهذا تحتاج الى زمن أطول لدراستها والتحقيق فيها.

والذي يُعتبر من اهم الشرائط والعلائم لظهور الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف هو التهيؤ العالميُّ فمن تحقق هذه الحالة يمكن توقع قرب ظهوره عليه السلام.

ولتوضيح هذا الموضوع لابد من الاشارة الى عدة نقاط ولو على نحو الاجمال:

برنامج حكومة الإمام المهدي وخصوصياتها:

إن حكومة الامام المهدي عجل الله فرجه ليست حكومة عادية كالحكومات المتعارفة بل هي -كما جاء وصفها في الاحاديث - حكومة استثنائية وذات خصوصيات متميزة:

١- إن حكومته حكومة دينية وإسلامية بالكامل فإن الاسلام هو الذي يحكم في ذلك الزمان بصورة كاملة، أي إنهاحكومة تدار بالقوانين الاسلامية والاحكام السماوية ويُستفاد من تلك القوانين والاحكام في جميع الشؤون والمجالات الاجتماعية.

٢- إن حكومة الامام المهدي حكومة عالمية ففي ذلك العصر تنهار جميع الحدود الإقليمية والعنصرية الوهمية والمصطنعة والمثيرة للحزازات والفتن ويدار العالم بحكومة واحدة ويتعاون جميع سكان العالم

في ادارة العالم.

٣- يزول الكفر والشرك من الارض في ظل هذه الحكومة ويغلب الاسلام ويظهر على جميع الاديان ويتعايش جميع اصحاب الديانات السماوية فيها جنباً الى جنب في غاية الصلح والسلام.

٤- تسقط الحكومات الاستكبارية، وتتهاوى الدول الطاغوتية الجائرة في ذلك العصر ويمحى الظلم والحيف عن وجه الارض إلى الأبد ويسود العدل والقسط.

الأوضاع العالمية الراهنة

إن اكثر الناس في العالم الراهن إما مشركون أو كفار، هذا من جهة ومن جهة أخرى يحكم الطواغيت والدول العميلة لها العالم، و تتحكم في العلوم والصناعات وبالذات الصناعات العسكرية العجيبة جداً.

وبكلمة واحدة: يتحكم المتكبرون في الناس ويقمعون كل حركة وطنية ساعية الى الاستقلال والحرية بكل ما تمتلك من قوة واقتدار.

شرائط الانتصار

ان من شرائط الانتصار المهمة في الحركات والثورات توفر كل عللها واسبابها التي بدونها لا يمكن تحقق الانتصار بل تواجه الهزيمة والانحدار، ونهضة الامام المهدي عليه السلام ليست بمستثناة من هذه القانون الكلي والطبيعي.

إن الالتفات الى هذه النقطة الهامة ضروري أيضاً وهي أن الامام المهدي واصحابه واعوانه وان كانوا مؤيَّدين من جانب الله تعالى في هذه النهضة العالمية

الكبرى، ولكن انتصارهم -كما يستفاد من الاحاديث - يتحقق بالقتال والحرب واراقة الدماء لا عن طريق الاعجاز.

يقول بشير النبال: لما قلت لأبي جعفر عليه السلام إنهم يقولون إن المهدي لو قام لاستقامت له الأمور عفواً ولا يهريق محجمة دم؟

فقال: «كلاّ و الذي نفسي بيده لو استقامت لأحدٍ عفواً لاستقامت لرسول الله صلى الله عليه وآله حين أدميت رباعيته، و شج في وجهه، كلا و الذي نفسي بيده حتى نمسح نحن و أنتم العرق و العلق».

ثم مسح جبهته.[1]

مع الأخذ بنظر الاعتبار البرنامجَ الفائق العظمة والحركةَ العالمية والواسعة التي يقوم بها الامام المهدي عليه السلام بعد ظهوره، ومع الالتفات الى الوضع السياسي العالمي الراهن، ومستقبل العالم من حيث الصناعات الحربية المذهلة وسيطرة الاستكبار العالمي عليها، ومع ملاحظة ان نهضة الامام المهدي عليه السلام وانتصاره بالحرب والقتال، نصل الى هذه النتيجة أنه لابد -لتحقق مثل هذا الانتصار العظيم - من استعداد علمي واسع، وشامل من جميع الجهات، اذ بدون ذلك سوف لا يحضر الامام المهدي عليه السلام كما لا يمكن تحقق انتصاره.

لقد جُعلت مسؤولية توفير الاوضاع و الشرائط العالمية المناسبة لظهور الامام المهدي وقيامه على عاتق المسلمين والمعتقدين بوجوده المبارك والمنتظرين لظهوره.

فإن عليهم ان يجتهدوا لتحقق مثل هذا الامر المهم و ذلك بالقيام بعدة وظائف:

---

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٥٨

١- يجب أن يصوغوا أنفسهم - من حيث تزكية النفس وتهذيبها، والتحلي بالأخلاق الحسنة واجتناب المعاصي، وبخاصة الظلم والاجحاف، ورعاية الانصاف والعدالة، والالتزام العملي بأحكام الاسلام، وقوانينه، والسعي للدفاع عن المحرومين والمظلومين، وإشاعة العدل والقسط كما يريد الامام المهدي، ويتوقعه منهم، ويريد القيام من اجل تحقيقه.

٢- ان يبيّنوا للعالم ومن خلال البرامج الدقيقة، والاستعانة بأجهزة الإعلام المتطورة، مميزات الاسلام وقوانينه واحكامه، في مختلف الأبعاد والمجالات العقدية والعبادية والاخلاقية والسياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ويهيئوا الرأي العام العالمي لتقبّل الاسلام.

٣- ان يجدُّوا ويجتهدوا في كسب العلوم والفنون الحربية وبخاصة ما يتصل بالصناعات والتكنولوجيا العسكرية بحيث يجبروا التخلف السابق ويلحقوا بركب العلم والصناعة السريع ويتقدموا عليه.

٤- ان يطوّروا قوتهم النظامية ويجهزوا جيوشهم بأنواع الاسلحة المتطورة، وبهذه الطريقة يثبتوا مقدرتهم النظامية المتفوقة للعالم، ويرهبوا العدو حتى لا يجرأ على مهاجمة الاسلام والمسلمين.

٥- أن يسعوا لإقامة حكومة إسلامية مائة بالمائة في هذا العالم ليكون نموذجاً، و ذلك من خلال ايجاد دولة قوية وتقدمية، و يقوموا بحل مشاكلهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، من خلال تطبيق كامل لاحكام الاسلام وقوانينه في شتى المجالات، ويكافحوا الفقر والظلم والتمييز، ويقيموا العدل في الحياة، ليظهروا للعالم انه يمكن العمل بأحكام الاسلام و تطبيق قوانينه بشكلٍ كامل وادارة العالم بشكل افضل.

هذا هو حقيقة انتظار الفرج الذي عُدَّ في الاحاديث من الوظائف في زمن

غيبة الامام الحجة عليه السلام وجاءت التوصية به.

فإذا عمل المنتظرون المعتقدون للامام الموعود ونهضته العالمية بهذه الوظائف تهيأت أرضية ظهور الامام المهدي تدريجياً، وأمكن اعتباره من علائم الظهور.

على أمل ذلك.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المصادر

١ ـ القرآن المجيد

٢ ـ نهج البلاغة، علي بن ابي‌طالب، تصحيح صبحي الصالح، دارالهجرة، إيران، قم ١٣٨٧ هـ.

٣ ـ أُسد الغابة في معرفة الصحابة، إبن الاثير، منشورات اسماعيليان.

٤ ـ الألفين، العلامة الحلي، ايران، قم، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ.

٥ ـ أهل البيت في الكتاب والسنة، محمد المحمدي الري شهري، مؤسسة دارالحديث، قم، الطبعة الأولى.

٦ ـ إسعاف الراغبين، الشيخ محمد بن علي الصبّان، فى حاشية (نور الأبصار).

٧ ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد، الطبعة الأولى، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد.

٨ ـ إعلام الورى، الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم.

٩ ـ إثبات الهداة، محمد بن الحسن الحر العاملي، دارالكتب الإسلامية، طهران.

١٠ ـ أنساب الاشراف، احمد بن يحيى البلاذري، دارالمعارف مصر، دارالتعارف، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٩ هـ.

١١ ـ الإمام الصادق والمذاهب الاربعة، أسد حيدر.

١٢ ـ إثبات الوصية، علي بن حسين المسعودي، منشورات الرضيّ، قم.

١٣ ـ البداية والنهاية، اسماعيل بن كثير، ابو الفداء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.

١٤ ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، دارالكتب الإسلاميّة، طهران، ١٣٥٨ هـ.

١٥ ـ تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

١٦ ـ تلخيص الشافي، شيخ الطائفه ابو جعفر الطوسي، مكتبة الطوس و بحرالعلوم، النجف.

١٧ ـ تفسير نور الثقلين، الشيخ عبد علي بن جمعه، المطبعة العلمية، قم ١٣٨٢ ﻫ .

١٨ ـ تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي الحنفي، مكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٣ ﻫ .

١٩ ـ تنقيح المقال، شيخ الطائفة ابو جعفر الطوسي، المكتبة الرضويّة.

٢٠ ـ تاريخ بغداد، ا حمد بن علي الخطيب البغدادي، دارالكتاب العربي، بيروت.

٢١ ـ تاريخ اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب، دار صادر و دار بيروت، بيروت، ١٣٧٩ ﻫ .

٢٢ ـ تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، دارالمعارف، مصر، الطبعة الثانية.

٢٣ ـ جامع أحاديث الشيعة، تحت إشراف آيةالله البروجردي الطبعة الاولى، ١٣٧١ ﻫ .

٢٤ ـ الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، محمد بن احمد بن ثورة، داراحياء التراث العربي، بيروت،

٢٥ ـ حلية الأولياء، ابو نعيم احمد بن عبدالله الشافعي الاصفهاني، دارالكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ ﻫ .

٢٦ ـ ذخائر العقبى، احمد بن عبدالله الطبري، مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٦ ﻫ .

٢٧ ـ الرجال، احمد بن علي بن احمد بن عباس النجاشي، نشر الكتاب، طهران.

٢٨ ـ رجال الشيخ الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي

٢٩ ـ سيرة رسول الله وأهل بيته، لجنة التأليف، مؤسسة البلاغ، الطبعة الأولى، ١٤١٢ ﻫ .

٣٠ ـ شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٧٨ ﻫ .

٣١ ـ شرح المواقف، عز الدين عبدالرحمان اللاهيجي، منشورات الشريف الرضي، قم، الطبعة الاولى، ١٤١٢ ﻫ .

٣٢ ـ الصواعق المحرقة، احمد بن حجر الهيتمي، مكتبة القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٥٨. ﻫ .

٣٣ ـ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية.

٣٤ ـ صراط الحق، محمد حسن الآصفي، النجف الاشرف.

٣٥ ـ الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار صادر و دار بيروت، ١٣٨٠ ﻫ .

٣٦ ـ علم اليقين، الملّا محسن الكاشاني، منشورات بيدار، قم.

٣٧ ـ الغدير، العلامة الشيخ عبدالحسين الأميني، مركز الغدير للدراسات الاسلامية، قم، الطبعة الاولى، ١٤١٦ ﻫ .

٣٨ ـ غاية المرام، السيد هاشم البحراني، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٢٢ هـ.

٣٩ ـ الغارات، ابراهيم بن محمد الثقفي الكوفي الاصفهاني، منشورات أنجمن آثار ملي، طهران، ١٣٥٤ هـ.

٤٠ ـ الفصول المهمة، علي بن محمد بن أحمد المالكي، مكتبة دارالكتب التجارية، النجف، الطبعة الثانية.

٤١ ـ قادتنا، السيد محمد هادي الميلاني، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ.

٤٢ ـ كفاية الأثر، علي بن محمد بن علي الخزاز، منشورات بيدار، قم، ١٤٠١ هـ.

٤٣ ـ الغيبة، محمد بن ابراهيم بن جعفر النعماني، مكتبة الصابري، تبريز.

٤٤ ـ كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، المكتبة الاسلامية، طهران، ١٣٧٩ هـ.

٤٥ ـ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٣٨٦ هـ.

٤٦ ـ كشف الغمة، علي بن عيسى ابن أبي الفتح الاربلي، مكتبة بنيهاشم، تبريز، ١٣٨١ هـ.

٤٧ ـ الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، مكتبة بنيهاشم، تبريز، ١٣٨١ هـ.

٤٨ ـ المسند، احمد بن حنبل، دار صادر، المكتب الاسلامي، بيروت.

٤٩ ـ المفردات، الراغب الاصفهاني، المكتبة الرضوية، طهران، ١٣٣٢ هـ.

٥٠ ـ مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، المكتبة الاسلامية، طهران، ١٣٩٥ هـ.

٥١ ـ معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، منشورات جماعة المدرسين، قم، ١٣٤١ هـ.

٥٢ ـ المناقب، موفق بن احمد بن البكر الحنفي الخوارزمي، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٥هـ.

٥٣ ـ المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيشابوري، مكتبة المطبوعات الاسلامية، حلب.

٥٤ ـ مشكاة الأنوار، ابوالفضل علي الطبرسي، المكتبة الحيدرية، النجف، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ.

٥٥ ـ مناقب آل ابي طالب محمد بن علي بن شهر آشوب، منشورات ذوي القربي، الطبعة الاولى، ١٤٢٠ هـ.

٥٦ ـ مطالب السؤول، محمد بن طلحة الشافعي، مؤسسة أُم القربى، بيروت، الطبعة الأولى،

١٤٢٠ هـ.

٥٧ ـ مجمع الزوائد، علي بن ابي بكر الهيثمي، دارالكتاب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦١ هـ.

٥٨ ـ الملل والنحل، ابوالفتح محمد بن عبدالكريم ابن ابي بكر احمد الشهرستاني، مؤسسة الحلبي، القاهرة، ١٣٨٧ هـ.

٥٩ ـ مسند الإمام الكاظم، الشيخ عزيز الله العطاردي، المؤتمر العالمي للامام الرضا.

٦٠ ـ مسند الإمام الرضا، الشيخ عزيز الله العطاردي، المؤتمر العالمي للامام الرضا.

٦١ ـ مسند الإمام الجواد، الشيخ عزيز الله العطاردي، المؤتمر العالمي للامام الرضا، ١٤١٠ هـ.

٦٢ ـ مسند الإمام الهادي، الشيخ عزيز الله العطاردي، المؤتمر العالمي للامام الرضا، ١٤١٠ هـ.

٦٣ ـ مسند الإمام العسكري، الشيخ عزيز الله العطاردي، المؤتمر العالمي للامام الرضا، ١٤١٠ هـ.

٦٤ ـ نور الأبصار، حسن بن عبد المؤمن الشبلنجي، دارالفكر.

٦٥ ـ وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى، ١٣٢٥ هـ.

٦٦ ـ ينابيع المودة، سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي، المكتبة الحيدرية، النجف، الطبعة السابعة، ١٣٨٤ هـ.

الفهرس

الفصل الأوّل
معرفة الإمامة

الفصل الثاني

الخطوات التمهيدية للتعريف بالإمام

الفصل الثالث

لمحة تاريخية عن حياة الأئمة (ع)